الجمهورية اليمنية
جامعة صنعاء
نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي
كلية الآداب
قسم التاريخ
شعبة التاريخ الإسلامي



الصلات الحضارية والفكرية بين اليمن والبلاد الإسلامية (٦٢٦- ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤م) مصـــر والحجـاز أنموذجـاً - دراســـة تاريخيـــة

قدمت هذه الأطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي وحضارته بكلية الآداب - جامعة صنعاء

إعــداد

علي عبد الكريم محمد بركات

المشـرف

أ.د. محمد عبده السروري

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة صنعاء

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الجمهورية اليمنية
جامعة صنعاء
الدراسات العليا والبحث العلمي
إدارة الدراسات العليا

رقم القرار : 20100019
تاريخ القرار : ٢٠١٠/١/١٩ م
مكان المناقشة : قاعة علي ولد زايد

قرار لجنة المناقشة والحكم رقم (١٩) لسنة ٢٠١٠م

إنه في يوم الثلاثاء ١٤٣١/٢/٤هـ الموافق ٢٠١٠/١/١٩م ، أجتمعت لجنة المناقشة والحكم على رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب / علي عبدالكريم محمد بركات المسجل بكلية الاداب قسم التاريخ والمشكلة بقرار مجلس الدراسات العليا والبحث العلمي في محضر إجتماعه (١) بتاريخ ٢٠٠٩/١١/١٦م بتشكيل لجنة المناقشة والحكم من الأساتذة :-

1	أ.د. محمد عبده السروري	المشرف الرئيسي	جامعة صنعاء	رئيسا
2	أ.د. نزار عبداللطيف الحديثي	الممتحن الداخلي	جامعة صنعاء	رئيسا
3	د. محمد صالح بلعفير	الممتحن الخارجي	جامعة عدن	عضوا

عن رسالته الموسومة بـ ((الصلات الحضارية بين اليمن والبلاد الاسلامية ٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م- مصر والحجاز انموذجا- دراسة تاريخية))

* وقد قام الطالب بعرض موضوع رسالته بشكل ...... جميل ......

ثم ناقشت اللجنة الطالب ، وبناءً على ماتقدم فإن اللجنة توصي بالآتي :-

يُمنح الطالب / علي عبدالكريم محمد بركات درجة الدكتوراه في التاريخ

تخصص تاريخ إسلامي وسيط بتقدير ممتاز والتوصية بطبع الرسالة ونشرها

توقيعات أعضاء لجنة المناقشة والحكم على القرار :-

الإســم	الصفة	التوقيــع
أ.د. محمد عبده السروري	المشرف الرئيسي	
أ.د. نزار عبداللطيف الحديثي	الممتحن الداخلي	
د. محمد صالح بلعفير	الممتحن الخارجي	

مدير عام الدراسات العليا

نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

جامعة صنعاء
الادارة العامة للدراسات العليا والبحث العلمي
ادارة الدراسات العليا
صورة طبق الأصل
SANA'A UNIVERSITY

* تشير ... بأن عرض الطالب لموضوع رسالته أثناء المناقشة لايعتبر تقدير.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

آية [١٣] سورة الحجرات

الإهـــداء

- إلى فقيد روحي – المغفور له بإذن الله – الذي رحل وتركني أكابد آلام وجعي ونار فراقه، هأنذا أكملت شيئاً من طموحك لي، عسى أن يبعثك ربي مقاماً محمودا.
- إلى والدتي: قنديل طريقي، ومُزن عطاءاتي، برضاك أتممت المنجُز.
- إلى إخوتي: محمد، أحمد، عبدالله، يحيى، أم جهاد، أم زيد، الذين أرى من خلالهم الطموح رغبة في اجتياز شطآن الحُلم.
- إلى زوجتي: التي منحتني الكثير من الصبر والمعاناة والكثير من المشاركة والتفاعل.
- إلى زينة حياتي أولادي عاهد وعبدالرحمن وحُسام الدين: اللذين من أجلهم وبهم تم الضوء واستبان النهار.
- إلى بقية أفراد أسرتي: ها أنا ذا بحبكم ومتابعتكم أكملت المحاولة عسى أن أكون جديراً بمشاعركم إزائي.
- إلى أساتذتي وأصدقائي: الذين يرون في الفكر المتوهج الأمل الباقي لتتقدم الحياة، ويُكشف اللؤلؤ الكامن.

شكر وتقدير

الشكر للخالق عز وجل الذي يسر لي إنجاز هذه الأطروحة موصولاً بأسباب الرجاء أن يمنحني القدرة على مواصلة مسيرتي العلمية، واعترافاً بالجميل يسرني وأنا أقدم أطروحتي هذه أن أتوجه بالشكر الجزيل لقيادة جامعة إب، للدكتور عبدالعزيز الشعيبي رئيس الجامعة، والدكتور أحمد يحيى الجوفي نائب رئيس الجامعة، ولنيابة الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة صنعاء ممثلة بالدكتور حاتم الصباحي نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي، ومدير عام الدراسات العليا، وموظفي الدراسات العليا بجامعة صنعاء كافةً، وهي كذلك لإدارة الدراسات العليا بجامعة إب للأستاذ فؤاد البعداني، أ. فؤاد الصباحي، أ. فايد الشعوبي، أ. عبدالقواس.

والشكر موصول للأستاذ الدكتور محمد عبده السروري المشرف العلمي الذي حرص على إمدادي بمقومات الجودة البحثية لهذه الأطروحة ولم يبخل على الباحث بالجهد والوقت والتوجيه والتعامل الإنساني المتسم برحابة الصدر، والشكر كذلك لعمادتي كليتي الآداب في جامعتي صنعاء وإب، أ.د. عبدالشافي صديق، أ.د. حميد العواضي و د. عارف الرعوي، وهي كذلك للدكتور عبدالسلام الإرياني عميد شؤون الطلاب بجامعة إب، ولقسمي التاريخ بالجامعتين أ.د. نزار الحديثي الذي على يديه تعلمت أبجديات البحث العلمي، د. ناجي الصفاري، د. سفيان المقرمي الذي أمدني بالمصادر والمشورة، د. محمد صالح بلعفير الذي ساهم برعاية الباحث منذ كان في مرحلة الماجستير، د. منير العريقي، د. عبدالوهاب العقاب، د. مظفر الأدهمي، د. عبدالقادر المعاضيدي، د. أمة الملك الثور، د. حسين العمري، وكافة منتسبي قسمي التاريخ في الجامعتين.

والشكر للمؤرخين الأجلاء: إسماعيل الأكوع – رحمه الله – ، وعبدالله الحبشي، محمد عبدالرحيم جازم.

والشكر موصول للقائمين على مكتبات جامعات – كلٌ باسمه وصفته – إب، صنعاء، عدن، زبيد، القاهرة، عين شمس، الأزهر، الملك سعود، أم القرى، معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، دار الكتب بالقاهرة، هيئة قصور الثقافة بالقاهرة، معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان بالقاهرة، مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة ومديرها د. عبدالرحمن المزيني وموظفيها الذين أمدوني ببعض المخطوطات، ومكتبة الجامع الكبير بصنعاء، المكتبات العامة في صنعاء وإب ومكتبة السعيد بتعز، المكتبة الوطنية عدن، مركزي الدراسات والبحوث في صنعاء وجامعة عدن، مكتبة العفيف، المركزين الأمريكي والفرنسي بصنعاء، مكتبة الإسكندرية الكبرى.

والشكر مقروناً بالعرفان لكل من: د. شايف عبده سعيد، د. عبدالرحمن الشجاع، أ. محمد جلحوف، أ. علي السمحي الموفد بجامعة الملك سعود، والمراجع أ. علي أحمد عبده قاسم، أ. هشام أمين، و أ. يحيى عبدالملك، محمد بركات، وإخوانه عبدالله وعبدالكريم وخالد: محمد الخليدي، جميل شريان، مركز البفرسي، ولمن قام بدور الطباعة والإخراج الفني عزيز علي هائل.

وليعذرني كل من أسدى لي عوناً ولم تسعفني ذاكرتي لذكر اسمه.

وجزى الله الجميع خير الجزاء عني،،

الباحث

بيان الرموز والمختصرات

- ت : توفي
- تح : تحقيق
- تر: ترجمة
- ج : جزء
- د.ت: بدون تاريخ
- د.ك: بدون مكان
- ص : صفحة
- ص ص: من صفحة كذا إلى صفحة كذا
- ط : طبعة
- ع : عدد
- م : ميلادية
- هـ: هجرية
- مج: مجلد
- ق : القسم من الكتاب
- * : إشارة من الباحث لملاحظة في الهامش تتعلق بما ورد في المتن.

- EI2 : The Encyclopaedia of Islam, new, E.d, Brill, Leiden.

فهرس المحتويات

المقدمـة

تعد الصلات الحضارية من أبلغ صور العلاقات بين الشعوب والبلدان، وأكثرها رسوخاً وأدومها بقاءً، لاسيما تلك الروابط الحضارية التي نشأت بين الدولة الرسولية في اليمن والمماليك في مصر والأشراف في الحجاز، التي تزامنت مع ما شهدته الدولة الإسلامية في منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي من فقدان لمركز التنوير بغداد عاصمة الخلافة العباسية ذات الثقل الحضاري والفكري، لتدخل البلدان الإسلامية في تحدٍ حضاري وفكري، قبل أن يكون سياسياً وعسكرياً، دفاعاً عن الهوية الثقافية الإسلامية المقابلة لهمجية المغول واتجاههم لتدمير المكون الحضاري والفكري للبلدان الإسلامية. وقد كنت ممن قُدر له أن يمعن النظر في تاريخ تلك الفترة أثناء إعدادي لرسالة الماجستير الموسومة بـ: الكتابة التاريخية والمؤرخون في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م) الجندي والخزرجي أنموذجاً* وأثناء ذلك بدأ يتبادر إلى ذهني سؤال عريض مفاده: إذا كانت تلك المؤلفات التاريخية الرسولية قد حفلت بكل تلك الصور الحضارية، فهل يمكن تناول صور التواصل الحضاري مع البلدان (تأثيراً وتأثراً) والتي لاشك قد حفلت مصادرها بصور حضارية مشابهة؟ لاسيما وأساس ذلك التواصل تبادل في المؤثرات الحضارية، وإمداد وتقبل وانفتاح على الآخر، وإزاء ذلك سعيت إلى تحديد مسار الدراسة والتي حملت العنوان الموسوم: **الصلات الحضارية بين اليمن والبلاد الإسلامية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م) مصر والحجاز أنموذجاً**، والتي تحاول الإجابة على استفهامات الدراسات العريضة، إلى أي مدى وصلت إليه الصلات الحضارية بين اليمن وتلك البلدان؟ وما هي الصور الرئيسة التي تبلورت في طياتها تلك الصلات؟ ثم هل كانت هناك محددات خارجية وداخلية تحكمت ومهدت لتشكل وسائط انتقال تلك التأثيرات وتحديد مساراتها ودرجات التشابه في ملامحها؟

أولاً: نطاق البحث:

كانت الدولة الرسولية من أكثر الدول اليمنية التي حفل بها تاريخ اليمن ازدهاراً في مختلف الجوانب الحضارية بما فيها السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية والمعمارية علاوة على الفكرية، وخلال فترة حكمها الطويل – نسبياً – تمكنت من خلال تلك الجوانب من توفير أرضية خصبة للتواصل مع الترابط الحضاري مع معظم البلدان الإسلامية آنذاك مع تباين آليات ومستويات التأثير والتأثر، وعليه سارت الدراسة في نطاقها البحثي كالآتي:

- أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة كونها تقدم رؤية بحثية جديدة ومهمة لواقع الصلات الحضارية مع البلدان المركزية، في العالم الإسلامي المتمثلة في مصر والحجاز واللتين كانتا تشهدان ازدهاراً حضارياً

(*) بإشراف الدكتور شائف عبده سعيد، كلية الآداب، جامعة عدن، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

مماثلاً نسبياً لما كان يعتمل في اليمن. كما تأتي أهمية الدراسة كذلك في تقديمها لمحددات - عوامل - خارجية وداخلية بطابع تحليلي يفسر منشأ تلك الصلات ووسائط انتقالها، كما تنبثق أهمية هذه الدراسة أيضاً من كونها تقدم رؤية تفصيلية متدرجة ومتنوعة للصور الحضارية لتلك الصلات، ومدى التشابه فيما بينها، وتصنيفها وإمدادها بالشواهد التاريخية والمقاربات الفكرية والتحليلية.

- أسباب اختيار البحث:

لعل من دوافع الباحث لاختيار موضوع الدراسة، ندرة الدراسات الشاملة التي تتناول الصلات بين اليمن ومصر والحجاز، وإن وجدت بعضاً منها فإنما هي دراسة لجزئيات من تلك الصلات، وكذا إغفال معظم الباحثين العرب والمستشرقين في أبحاثهم لدور اليمن الحضاري في محيطه الإسلامي آنذاك، تأثيراً وتأثراً - والاقتصار على الإشارة إلى طرفٍ من ذلك فيما له تأثير على الجانب السياسي والعسكري، ومن الدوافع كذلك الرغبة العميقة والصادقة لدى الباحث في إخراج دراسة بحثية تحليلية موضوعية تبين أطوار تلك الصلات ووسائطها ومخرجات ذلك التلاقح الحضاري بين اليمن وتلك البلدان، وبيان التشابه في الصور الحضارية في اليمن وتلك البلدان.

- أهداف البحث:

كان من أهداف اختيار الباحث لموضوع الدراسة، لفت أنظار الباحثين إلى مثل هذا النوع من الدراسات الذي يعالج مسائل التأثير والتأثر بين اليمن والبلدان الأخرى، ودراسة أوجه التشابه مع تلك البلدان، وتزويد المكتبة التاريخية اليمنية بدراسة متكاملة ومتنوعة عن الصلات الحضارية بين اليمن ومصر والحجاز تسد جزءاً من حالة النقص الحاصل حيال هذا الموضوع، فضلاً عن بيان ذلك الدور الريادي لليمن في تلك الفترة الذي تجاوز ازدهار الداخل إلى التفاعل والتمازج مع البلدان الإسلامية، والتعاطي الإيجابي مع التحدي الحضاري المقابل لهمجية المغول.

- الدراسات السابقة:

بحسب علم الباحث فإنه على الرغم مما حظيت به الدولة الرسولية من دراسات أثرت معظم جوانبها الحضارية، إلا أنه لم يتم تناول الصلات الحضارية لليمن مع تلك البلدان في دراسة قائمة بذاتها تشمل في طياتها البلدان الثلاثة (اليمن، مصر، الحجاز)، وإن كان يتم تناولها بشكل جزئي في إطار دراسة موضوعات عامة، كدراسة محمد عبدالعال عن بني رسول وبني طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٨-٩٢٣هـ/١٢٣١-١٥١٧م)، أو بشكل ثنائي جزئي كدراسة هدى مفتاح عبدالحميد السعدي عن العلاقات بين اليمن وبلاد الحجاز في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م)، ومع تقدير الباحث للجهد المبذول في تلك الدراسات، إلا أنها تظل دراسات جزئية تتناول جوانب معينة تساير التسلسل السياسي والعسكري للأحداث، وتغفل - إلى حد ما - ترابط وتنوع وتكامل المسارات البحثية لتلك الصلات ومسبباتها وصولاً إلى مخرجاتها الحضارية.

- حدود البحث:

تمتد حدود الدراسة الزمانية لتشمل الفترة الزمنية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م) فترة حكم الدولة الرسولية، وأما الحدود المكانية للدراسة فتشمل اليمن ومصر والحجاز.

- منهج البحث:

اتبع الباحث منهجاً تاريخياً وصفياً تحليلياً يتناسب وطبيعة الموضوع وأهدافه، عبر توظيف المعطيات التاريخية المضمنة في المصادر المعاصرة لتلك الصلات والمحدثة منها في استقراء جزئيات تلك الصلات استقراءاً تاريخياً دقيقاً، ومقارنة تلك الجزئيات مع مثيلاتها في المصادر النظيرة لتلك البلدان وصولاً إلى استنباط أحكام تاريخية تستند إلى ما تم استقراؤه، كما اقتضت منهجية البحث كتابة التاريخ الهجري وما يقابله في التاريخ الميلادي توخياً للضبط وعدم اللبس.

- الصعوبات:

واجه الباحث العديد من الصعوبات التي انبثقت من أهمية الدراسة، والتي لم تشكل عائقاً أمامه بقدر ما شكلت له حافزاً بحثياً لتجاوزها والتي منها، شحة الإمكانيات البحثية، سعة الفترة الزمانية والمكانية، وندرة الدراسات البحثية في جانب الصلات الحضارية مع مصر والحجاز، ناهيك عما تطلبته الدراسة من توفير للمصادر المصرية والحجازية مما تطلب مجهوداً وأسفاراً مضنية، علاوة عن تبعثر صور تلك الصلات في طيات تلك المصادر كجزئيات مُضمنة في بطون تلك المصادر وما تطلبه تتبعها من جهد ووقت.

- مكونات البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم الباحث دراسته إلى تمهيد وثلاثة أبواب، كل باب يتضمن فصلين رئيسين، راعى في ذلك التقسيم التوازن والتكامل بين الفصول والأبواب، وبناءاً على ذلك فقد انشغل التمهيد بمدخل نظري، من خلال ثلاثة مباحث، اتجه المبحث الأول منها إلى دراسة الرسوليين وأبرز سمات دولتهم ومظاهر الازدهار الفكري فيها، فيما يتناول المبحث الثاني مماليك مصر وأساسهم السياسي وسمات حكمهم وتنوعهم الحضاري، أما المبحث الثالث فقد اشتمل على دراسة أشراف الحجاز وخصائص حكمهم وتأثيرات مكانتهم الروحية وتنازع النفوذ على بلادهم.

أما الباب الأول فقد انشغل بدراسة تحليلية أكثر عمقاً للمحددات الخارجية والداخلية التي ساعدت على تشكل الصلات الحضارية بين اليمن والبلدان الإسلامية بما فيها مصر والحجاز، وذلك عبر فصلين، اتجه الفصل الأول إلى معالجة المحددات الداخلية التي هيأت اليمن لتقبُل المؤثرات الحضارية وإمداد الآخر بالمؤثرات الحضارية المحلية، والتي يأتي في صدارتها الانتعاش الاقتصادي والازدهار الإداري وما تطلبه ذلك الازدهار من تعاملات اقتصادية خارجية، ومن خبرات إدارية وافدة، ليأتي دور ازدهار حركة التأليف وتنوع المصنفات في تشكيل واقع ثقافي مزدهر كسر حاجز العزلة مع الآخر، لاسيما وقد شارك فيه السلاطين والنساء اليمنيات لتشكل الكتب والمؤلفون جسوراً للتواصل بين اليمن وتلك البلدان.

وأما المحدد الداخلي الثالث فقد تمثل في انتشار المدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى ودورها في استقطاب الخبرات التدريسية من تلك البلدان وأنظمتها التعليمية، علاوة على محدد آخر وهو عقلية الحاكم المشجعة للازدهار والانفتاح ودورها في تأمين مناخات سياسية واجتماعية تشجع على تنامي تلك الصلات، ومن ثم قام السلم الاجتماعي والتسامح المذهبي بدور في توفير أمن اجتماعي وفكري وإيجاد بدائل للتباين المذهبي تقوم على القنوات السلمية كالمناظرات وغيرها، ليأتي دور استقرار الأوضاع السياسية وما تطلبته أبهة الملك وترف السلاطين من خبرات ومد جسور التواصل مع تلك البلدان. وخاتمة المحددات الداخلية انتعاش الحركة الصناعية والعمرانية وما تطلبته من خبرات فنية ومواد خام استدعت الانفتاح على الآخر ومد جسور التواصل معه.

أما الفصل الثاني من الباب الأول، فقد تناول المحددات الخارجية للصلات الحضارية بين اليمن والبلاد الإسلامية، لاسيما مصر والحجاز بدأها الباحث باستعراض دور المحدد الجغرافي في نشأة وتعزيز مسار تلك الصلات، لاسيما تلك المؤثرات الجغرافية التي تمثلت بالجوار الجغرافي مع الحجاز، علاوة على موقع اليمن الاستراتيجي، والإطلالة المشتركة لتلك البلدان على البحر الأحمر، كذا الطرق البرية والبحرية، وفي المحدد السياسي والعسكري تناول فيه الباحث المؤثرات السياسية والعسكرية وما شكله الحجاز من نقطة تجاذب عسكرية وسياسية بين اليمن ومصر تعددت بموجبه الأساليب العسكرية وتحددت على متغيراته طبيعة العلاقات السياسية. أما المحدد الثالث فقد كان المحدد التجاري وما اشتمله من عناصر رئيسة، كالتبادل التجاري، أدوار مُدن الموانئ، الطرق التجارية، تجارة الكارم. وأما المحدد الرابع فقد تناول المؤثرات الثقافية والإدارية وما اشتملت عليه من جوانب كالوافدين إلى اليمن، والرحلات العلمية إلى تلك البلدان، وتلاقح الأنظمة التعليمية، ومحاكاة الأنظمة الإدارية في تلك البلدان. وأما خاتمة تلك المحددات فقد كان سقوط بغداد وقيام الدولة العباسية في مصر، وما شكله ذلك السقوط من تحدٍ استجابت له الدول المركزية كاليمن ومصر والحجاز، وحاولت شغل فراغ ذلك السقوط عبر رعاية المقدسات، وإحياء الخلافة العباسية، ومد جسور التواصل فيما بينها.

أما الباب الثاني، فقد خصصه الباحث لتناول الصلات الحضارية بين اليمن ومصر، وذلك عبر فصلين، اتجه الفصل الأول إلى تناول الصلات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، وجوانب المراسيم بين مصر واليمن، خصص فيه الباحث عنواناً مستقلاً لكل جانب من تلك الجوانب، والتي تناولت الصلات القضائية وتبادل التأثيرات القضائية، وكذا الصلات في مجال الإدارة المدنية، سواء بوجهها الوظيفي، أو أنماطها الإدارية والتي تناول تلك المؤثرات المملوكية في جوانب الإدارة الرسولية، وأخيراً جاءت الإدارة العسكرية وأنماط التأثيرات المملوكية في بنية الإدارة العسكرية الرسولية. وتناولت الدراسة الصلات الاقتصادية، ناقشت خلالها التبادلات التجارية والصادرات والواردات، تجارة الكارم وتأثيراتها الحضارية، وخصصت الدراسة في الصلات الاقتصادية جانباً لمناقشة الصلات الصناعية والمهنية بصورها المختلفة، وتناول المستوى الثالث من الصلات الاقتصادية الصلات المالية والزراعية وهجرة المؤثرات في الأنظمة المالية وتبادل الحيوانات. وخصصت الدراسة عنواناً للصلات بين مصر واليمن في الجوانب السياسية والمراسيم، استعرض فيها الباحث السفارات بين البلدين وما يتعلق بها من مراسيم

احتفائية، الهدايا والتحف المتبادلة بين البلدين والمكاتبات بصورها المختلفة بين السلاطين في البلدين والخلفاء العباسيين، خصص الباحث مساحة في هذا الجانب لدراسة المراسيم والاحتفالات بين البلدين، التأثيرات المتبادلة في الأعلام والرنوك والمواكب، وفي التوقيعات وألقاب التفخيم والخُلَع والعطايا. أما الصلات المعمارية والفنية بين اليمن ومصر فقد تناول الباحث التأثيرات المعمارية في جوانبها الدينية والمدنية والعسكرية، الصلات الفنية في فنون الخط والنساخة والتصاوير والزخرفة وكان أقلها بروزاً الطرب. وخصص الباحث في دراسته عنواناً للصلات الاجتماعية، تناول فيه تبادل العادات والتقاليد وتشابهها والتزاوج وعاداته، تبادل التأثيرات في الملابس والأطعمة والأشربة، ومقارنة السُلم الاجتماعي للبلدين وإخضاعه لدراسة تحليلية، وأخيراً هجرة الأسماء والألقاب للمسميات الاجتماعية بمختلف صورها.

بينما اتجه الفصل الثاني من الصلات الحضارية بين اليمن ومصر إلى دراسة الصلات الفكرية بين البلدين، حيث انشغلت محاور هذا الفصل بدراسة التأثيرات الفكرية للوافدين المصريين إلى اليمن وترجمة للنماذج البارزة منهم، وتناول المحور الثاني من هذا الفصل الرحلات العلمية من اليمن إلى مصر وآثارها الفكرية على مصر وترجمة لنماذج من تلك الرحلات، وأما المحور الثالث فدراسة تفصيلية للصلات العلمية بين علماء اليمن ومصر وبين سلاطين البلدين وعلماء البلدين، محددةً صور تلك الصلات من تبادل الزيارات، المناظرات، الصحبة العلمية، تبادل الكتب والمصادر والترجمات المتبادلة، وأما صلات السلاطين بالعلماء فشملت تلقي العلم على يديهم، تبادل الكتب معهم، وتكليفهم بمهام علمية والخلع عليهم ومراسلتهم، فيما تناول المحور الرابع من الصلات الفكرية السماعات والإجازات وأشكال السماعات والإجازات وسرد نماذج شعرية ونثرية من تلك الإجازات، ليأتي دور الصلات الأدبية بين اليمن ومصر كمحور خامس للصلات الفكرية تناول فيه الباحث دراسة المؤثرات الأدبية المهاجرة من مصر في الاتجاهات التقليدية وغير التقليدية للقصيدة العربية في تلك الفترة. فيما تناول الباحث في المحور السادس دراسة النظام التعليمي في البلدين ومكوناته بما في ذلك طرائق التدريس والمجالس العلمية، إنشاء المكتبات وتبادل الكتب، وتشابه وهجرة المقررات الدراسية، إدارة النظام التعليمي وتناغم سلمه الإداري والعلمي. فيما تناول الباحث في المحور السابع الكتابة التاريخية وتبادل التأثيرات فيها بين البلدين في مناهجها وأنماطها وبنائها الفني والتعبيري ونماذج من الصلات بين مؤرخي البلدين. وفي المحور الأخير من الصلات الفكرية تناول الباحث الصلات المذهبية بين البلدين المنبثقة من أجواء التسامح المذهبي في تلك الفترة، بما فيها هجرة المؤثرات الصوفية، صلات فقهاء البلدين وتأثيرات الأحناف بين البلدين، ثم اختتم الباحث هذا المبحث باستعراض تفصيلي للنتائج التي خرج بها من دراسته.

أما الباب الثالث، فقد اتجه فيه الباحث إلى تناول الصلات الحضارية بين اليمن والحجاز، وذلك عبر فصلين: انشغل فيه الفصل الأول بالصلات الإدارية والاقتصادية والمعمارية والاجتماعية بين اليمن والحجاز، استهله الباحث بتناول تأثيرات مكة والمدينة المركزية على اليمن في الجوانب الاقتصادية والإدارية والعسكرية والسياسية وحتى في الجانب الإخباري – الإعلامي – وفي الجوانب المعمارية

والفنية، ليدخل بعدها الباحث لتناول الصلات الإدارية بين البلدين في جوانبها القضائية، وفي مجال الإدارة المدنية وأنماطها، وفي مجال الإدارة العسكرية وأساليبها، ثم تناول الباحث الصلات بين اليمن والحجاز في الجوانب السياسية والمراسيم سواءً بالسفارات والمكاتبات المتبادلة أو الهدايا ومكوناتها والاحتفالات والمواكب والأعلام، أو في التوقيعات وألقاب التفخيم، أو الخلع والعطايا بين البلدين، ليناقش بعدها الباحث الصلات الاقتصادية بين اليمن والحجاز، سواء كانت تجارية من واردات وأسواق مشتركة وصادرات وغيرها، أو صلات صناعية وانتقال الصناعات والصناع بين البلدين، أو صلات مالية وزراعية وتبادل التأثيرات في الأنظمة الضريبية والنقدية. وخصص الباحث جانباً من الصلات الحضارية بين اليمن والحجاز لتناول الصلات المعمارية والفنية بين البلدين في جوانب العمارة الدينية والمدنية والحربية، وفي جوانب الزخارف الكتابية والهندسية والخطوط والتذهيب، فيما تناول الجانب الذي يليه من صلات حضارية بين اليمن والحجاز كالصلات الاجتماعية وبخاصة العادات والتقاليد وهجرتها بين البلدين، الاستيطان الحضري للأسر والأفراد بين البلدين، تبادل التأثيرات في الملابس والأطعمة والأشربة، هجرة الأسماء والألقاب، كذا دور الصدقات في تعزيز التكافل بين البلدين. فيما خصص الباحث عنواناً مستقلاً تناول فيه علاقة الرسوليين بكسوة الكعبة ومناقشة هذا الجانب وإثرائه من جوانبه التاريخية، الفنية، وكذا إهداءات السلاطين الكبيرة للحرمين من غير الكسوة.

أما الفصل الثاني من الباب الثالث فقد شُغِل بتناول الصلات الفكرية بين اليمن وبلاد الحجاز، استهله الباحث بتناول التأثيرات الفكرية لمركزية مكة والمدينة على اليمن في الجوانب التعليمية، والوافدين، التأليف، البيت الحرام، ثم تناول الباحث في المحور التالي الوافدين الحجازيين إلى اليمن وتأثيراتهم الفكرية ونماذج منهم، وفي المحور الثالث تناول الباحث الرحلات العلمية وتأثيراتها الفكرية على الحجاز ونماذج من أولئك المرتحلين إلى الحجاز، وفي المحور الرابع قدم الباحث دراسة تفصيلية للصلات العلمية بين علماء البلدين بصورها المختلفة كالزيارات واللقاءات، الصحبة العلمية، المناظرات وتبادل المصادر، الترجمات المتبادلة، وكذا تناول صلات السلاطين بالعلماء في البلدين. وفي المحور الخامس تناول الباحث الأثر الفكري لحج العلماء اليمنيين ومجاوراتهم في الحرمين، فيما خصص الباحث المحور الذي يليه لمناقشة السماعات والإجازات بين البلدين، واتجه المحور السابع لدراسة الصلات الأدبية بين البلدين بأغراضها التقليدية والأغراض الجديدة، بينما تناول المحور الثامن من الصلات الفكرية بين البلدين في مناقشة النظام التعليمي ومكوناته بين البلدين وتبادل الخبرات التدريسية والمقررات، التأثيرات في النظام الإداري والمالي لذلك النظام، فيما خصص الباحث المحور الذي يليه لتناول تبادل التأثيرات في مجال الكتابة التاريخية ومناهجها وصلات المؤرخين في البلدين. وكان خاتمة محاور الصلات الفكرية بين البلدين الصلات المذهبية وتأثيراتها الإيجابية في الصلات المذهبية بين البلدين، وليختتم الباحث هذا الباب بسرد تفصيلي للنتائج المستخلصة من الصلات الحضارية بين اليمن والحجاز.

وجاءت خاتمة الدراسة بمناقشة مستفيضة للنتائج المستخلصة من مسارات البحث بمختلف مكوناته ومراحله، ثم تلى ذلك اختيار الباحث لعدد من الملاحق التي تخدم أغراض الدراسة ومساراتها البحثية.

ثانياً: تحليل المصادر:

مما يزيد في أهمية أية دراسة جادة تنوع مصادرها وحُسن اختيار تلك المصادر، وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر التي عاصرت تلك الفترة والتي تنوعت بين مصادر يمنية ومصرية وحجازية وغيرها، علاوة على استعانة الباحث بالعديد من المراجع والدراسات المحدثة، ومن المصادر التي عاصرت موضوع الدراسة:

كتاب (السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغُز باليمن) للأمير بدرالدين محمد بن حاتم اليامي (كان حياً ٧٠٢هـ/١٣٠٢م) والذي عاش في مبتدأ الدولة الرسولية وعاصر سلطنة نورالدين عمر وبدايات عهد السلطان الأشرف الأول، وهما الفترتان اللتان بدأتا تتشكل فيهما الصلات الرسولية مع الحجاز أولاً ومصر المملوكية ثانياً، وقد استفاد الباحث من بعض الصور الحضارية لتلك الصلات والتي تخللت الأحداث السياسية التي وثقها المؤلف.

ومن المصادر المهمة في الجوانب الحضارية كتاب (رصف الفريد في وصف البريد) للمؤرخ أحمد بن أبي الفتح الشيباني (ت٧٠٢هـ/١٣٠٢م) والذي تضمن مراحل تطور البريد وآليات نقل السفارات للهدايا والرسائل وجامكيتها وآليات نقل الجند والإمدادات العسكرية وأخبار الانتصارات العسكرية، ووسائط نقل السلاطين وكبار رجال الدولة، وتنبع أهمية المصدر من عمل المؤلف في ديوان الإنشاء المملوكي. ومن بين المصادر التي رفدت الدراسة بمعلومات أساسية كتاب (السلوك في طبقات العلماء والملوك) للمؤرخ بهاء الدين الجندي (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) الذي تضمن تراجم للوافدين المصريين والحجازيين إلى اليمن والمرتحلين اليمنيين إلى مصر والحجاز وما تضمنته تلك السير من معلومات نادرة وتفصيلية عن الصور الحضارية، ناهيك عن استفادة الباحث من تقييمات الجندي العلمية والوظيفية لتلك التراجم.

ولعل من أهم المصادر التي أفادت الدراسة كتاب (نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف)، ورغم غياب مؤلفه، إلا أن الأستاذ محمد عبدالرحيم جازم قد فعل خيراً بإخراجه لهذا السِفر التوثيقي الهام بجزأيه سواءً عبر ما تضمنه من معلومات نادرة في مختلف الصور الحضارية للصلات بين اليمن وكلٍ من مصر والحجاز، أو بما تضمنته حواشي التحقيق من معلومات إضافية وتوضيحية استندت إلى مصادر تلك الفترة.

ومن الكتب المهمة التي أثرت هذه الدراسة كتاب (بهجة الزمن في تاريخ اليمن) للمؤرخ تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) وتنبثق أهمية المعلومات فيه من كون المؤلف كان من أبرز صور التواصل الحضاري بين اليمن ومصر والحجاز، وبالتالي كانت معلوماته هي بحد ذاتها مؤثرات حضارية أسهم في توثيقها، أو في نقل خبراته الوظيفية بين اليمن وتلك البلدان، وقد اعتمد الباحث على التحقيقين كليهما، سواء كان عبدالله الحبشي ومحمد السنباني، أو حجازي لزيادة الفائدة والتثبت.

ومن المصادر الأساسية المعاصرة لموضوع الدراسة كتاب (الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد) للعلامة كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) الذي تضمن كثيراً من التراجم للوافدين المصريين إلى اليمن والمرتحلين إلى مصر من اليمن، وتوثيقاً للمراسلات بين سلاطين اليمن وعلماء مصر، وبعض الصلات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

كما كان لكتاب (مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان) للفقيه أبي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي المكي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) دوراً في رفد الباحث بتفاصيل حضارية عن الصلات بين اليمن والحجاز لاسيما ومؤلفه كان في طليعة المجاورين اليمنيين في الحرمين، وبالتالي وثق كثيراً للصلات الحضارية اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً بين اليمن والحجاز، وكذلك مع مصر، ولكن بشكل أقل.

أما كتاب (العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية) للسلطان الأفضل العباس بن علي الرسولي (ت٧٧٨هـ/١٣٧٧م)، فقد كان من المؤلفات السلطانية التي تضمنت تراجم قيمة لعلماء يمنيين ومصريين وحجازيين أسهموا في زيادة أواصر الصلات الحضارية بين اليمن وتلك البلدان، لاسيما وقد احتوى هذا المصدر على تراجم لإداريين وأصحاب وظائف رسمية من المصريين والحجازيين الذين تقلدوها في اليمن وأسهموا في نقل المؤثرات الحضارية بين اليمن وكل من مصر والحجاز.

ومن المؤلفات السلطانية كذلك كتاب (فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على أثر التبابعة ملوك العصر والزمن) للسلطان الأشرف الثاني اسماعيل بن العباس الرسولي (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م) وبعيداً عن ما قيل عن نسبة الكتاب لغير الأشرف وتشابه مادته مع مادة العسجد المسبوك للخزرجي، إلا أنه قدم كثيراً من التفصيلات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى الفكرية، فضلاً عن الإثراءات المحققة للكتاب، وقد استفاد الباحث من ذلك كله كثيراً.

وبالوقوف عند أكثر المصادر رفداً للدراسة بالمعلومات والصور عن تلك الصلات مع مصر والحجاز، فقد كانت مؤلفات المؤرخ موفق الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر الخزرجي (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م) والذي يعتبره الكثيرون مؤرخ الدولة الرسولية، ومن أهم كتبه التي اعتمد عليها الباحث في هذه الدراسة:

- كتاب (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية)، والذي خصصت فصوله لتوثيق تاريخ الدولة الرسولية وسلاطينها المتعاقبين إلى عصره، ويُعد هذا الكتاب في تقديري من أكثر المصادر المعاصرة توثيقاً وتتبعاً للأحداث والتطورات التي مرت بها الدولة الرسولية، والتي كان منها الصلات الحضارية مع سائر البلدان بما فيها مصر والحجاز موضوع الدراسة، والتي قدم الكتاب للباحث منها مادة غنية بالصور السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وقدم رصيداً كمياً وكيفياً للسفارات والهدايا المتبادلة مع تلك البلدان.

- كتاب (العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك) وبعيداً عن تجاذب المؤرخين نسبته بين الأشرف اسماعيل الثاني والخزرجي، إلا أنه ما يهمنا ما احتوته الفصول الثمانية الأخيرة من الكتاب من الباب الخامس، من الفصل الخامس حتى الفصل الثاني عشر المتضمن تتبعاً تفصيلياً ممنهجاً لتاريخ الدولة الرسولية، تضمنت معلومات قيمة من الروابط الحضارية بين اليمن وتلك البلدان بما فيها تبادل المؤثرات الحضارية في التراتيب الإدارية والمصطلحات المملوكية في اليمن، وتراجم للوافدين المصريين، ناهيك عن توثيقه لاهتمامات السلاطين بالحرمين وإهداءاتهم لهما، وإن كانت هناك إضافات تجاوزت فترة معاصرة الخزرجي وثقت أحداث ما بعد وفاته إلا أنها على الأرجح من فعل النُساخ.
- كتاب (العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن) لاسيما الجزء الذي يبدأ بحرف الهمزة وحققه الباحث علي العلماني، ويعتبر هذا الكتاب من كتب التراجم التي تسير وفق منهج التراجم المرتبة على حروف المعجم الذي أمد الباحث بتراجم مفصلة لشخصيات مصرية وحجازية ويمنية أسهمت بشكل مباشر في تبادل المؤثرات الحضارية بين اليمن وكلٍ من مصر والحجاز وما تخلل تلك التراجم من صور حضارية لتلك الصلات، وقد استعان الباحث بكتاب (طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن) المخطوط، والذي يعتبر التسمية المقابلة للعقد الفاخر الحسن، وذلك للمقارنة والربط وتأكيداً للصور الحضارية للصلات بين اليمن وتلك البلدان، لاسيما في غير الجزء المخصص للتراجم التي تبدأ بالهمزة الموجودة في العقد الفاخر.

ومن الكتب ذات القيمة الاقتصادية والإدارية المعاصرة لتلك الفترة كتاب (نُبذ من كتاب ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب) للشريف الحسيني (ت٨١٥هـ/١٤١٢م) الذي أمد الباحث بمعلومات قيمة عن التراتيب الإدارية والمالية لمؤسسات الدولة الرسولية في القرن التاسع الهجري بما فيها الوظائف العليا ودرجاتها، والدواوين وتسمياتها ودرجاتها كديوان الإنشاء وديوان الاستيفاء، كُتاب الجيش والأوقاف، النُظار ووظائف الباب الشريف ونواب الملك، الرتب المالية والجامكيات، الشروط اللازمة لشغل الوظائف العسكرية والإدارية، الأمر الذي أمد الباحث بمادة إدارية ومالية مكنته من إجراء مقارنات لتلك المادة ومصطلحاتها بما توفر من المصادر المصرية والحجازية، وبيان درجات التشابه، وهجرة المؤثرات الحضارية بين اليمن وتلك البلدان.

ومن أهم المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة الذين أمدوا الدراسة بتفاصيل هامة وأساسية، كتب المؤرخ أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، والتي منها:
- كتاب (صُبح الأعشى في صناعة الإنشا) وهو من كتب الموسوعات التاريخية، التي تناولت الكثير من الجوانب المتعلقة بتاريخ الدولة الرسولية وتطوراتها الإدارية ومراحل تأسيسها، وقد استفاد الباحث من ذلك الكم الكبير من المصطلحات والمراسيم التي تضمنها الكتاب، وكذلك من تثبيت المؤلف لنصوص المراسلات بين الرسوليين وسلاطين مصر وإشاراته لطبيعة المراسلات وحتى نوع الورق والخط، بل وامتدت فائدة هذه الموسوعة إلى تناول جوانب من الصلات مع الحجاز.

- كتاب (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) وقد سمح هذا الكتاب للباحث بتتبع مراحل الهجرات اليمنية إلى مصر وبيان انتقال المؤثرات الاجتماعية التي حملتها من عادات وتقاليد، وما تقلده أفرادها من مناصب ومهن، ومن مسميات وألقاب، وكذلك تراجمه لأنساب الشخصيات البارزة في الحجاز كالأشراف وصلاتهم باليمن، والشخصيات المملوكية المعاصرة.
- كتاب (مآثر الإنافة في معالم الخلافة)، وهو من الكتب الذي أفرده مؤلفه لمكاتبات الخلفاء، لاسيما الخلفاء العباسيون وما يرتبط بمراسلات خلفاء بني العباس في مصر وأمور دواوينهم، وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب من جهات مختلفة، منها ما ورد من نصوص ومراسلات بين الخلفاء العباسيين والرسوليين، وما تضمنته تلك المراسلات من مناقشة للأمور الإدارية والسياسية بين المماليك والرسوليين من جهة، ومن حث الخلفاء للرسوليين للعناية بالحرمين وعلاقاتهم بأشراف الحجاز من جهة أخرى، ناهيك عن ما تضمنه من آليات ووسائط تلك المراسلات والمراسيم المتعلقة بها والألقاب المخاطب بها السلاطين الرسوليين.

بالمقابل شكلت مؤلفات تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م) زاداً معرفياً للدراسة لا غنى للباحث عنه، لاسيما تلك المعلومات التفصيلية التي تناولت جوانب الصلات الحضارية بين اليمن والحجاز والتي وثقها الفاسي مؤرخ الحجاز وعالمها عبر كتابيه:

- (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين)، والذي يُعد من أوفى المصادر في تراجم المكيين أو من دخل مكة وجاور بها، وقد استفاد الباحث من ذلك الكتاب بمختلف أجزائه من عدة جوانب، أهمها ما تضمنه الكتاب من تراجم مرتبة حسب الأبجدية وكانت مفصلة وذات معلومات قيمة لكثير من السلاطين والعلماء والقضاة والفقهاء اليمنيين الذين دخلوا مكة والمدينة وجاوروا بها، وما خلفوه هناك من إنجازات حضارية، ومن ناحية تراجم الحجازيين الذين دخلوا اليمن وخلفوا آثاراً مماثلة، فضلاً عن توثيق المؤلف من خلال التراجم لذلك الكم من الصور الحضارية والمؤثرات المتبادلة بين اليمن والحجاز ومصر بما في ذلك توثيقه لمراحل تجاذب النفوذ المملوكي والرسولي على الحجاز.
- (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام)، وهو كتاب تناول فيه المؤلف تاريخ مكة حتى عصره في جزأين، ضمنهما معلومات تفصيلية ومرتبة بحسب الموضوعات لكل ما يتعلق بمكة منذ ما قبل الإسلام، بما في من تلك سرد لولاة مكة حتى عصره، وقد استفاد الباحث كثيراً من موضوعات الكتاب المعمارية، لاسيما معمار الحرم، دور الرسوليين في كسوة الكعبة، وفي باقي الصلات مع الحجاز، ناهيك عن احتواء الكتاب على أربعة ملاحق هامة أهمها كتاب (الدرة الثمينة في تاريخ المدينة) للبغدادي (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، وملحق في العمارة التي أدخلت على المسجد النبوي عبر التاريخ، وملحق آخر عن ولاة المدينة بعد الفاسي، يتضمن سرداً مفصلاً لآثار المدينة ومزاراتها.

ومن المؤرخين الذين أمدوا موضوع الدراسة بمعلومات ذات أهمية، مؤلفات المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) شيخ مؤرخي مصر الإسلامية، والتي تناولت كثيراً من جوانب الصلات الحضارية اليمنية مع مصر والحجاز، ومن تلك الكتب:

- كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) وهو من الكتب القيمة الذي مزج فيه المؤلف بين منهج الحوليات والتقسيم حسب الموضوعات – عهود السلاطين – والذي تناول في كثير من حولياته الأحداث المرتبطة بالرسوليين والمماليك وصراعاتهم على بلاد الحجاز، وقد تخللت تلك الأحداث العديد من الصور الحضارية كالاقتصادية، والسفارات، والمكاتبات، والهدايا، بيان مستويات التداخل السياسي والإداري للرسوليين مع المماليك، وكذا أزال الغموض عن كثير من الصلات الحضارية مع الحجاز.
- كتاب (الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك) والذي اتخذ فيه المؤلف مركزية الحج معياراً أرَّخ بموجبه لكل من حج من الخلفاء والملوك بدءاً من حجة الوداع وحتى الملك الأشرف شعبان بن قلاوون، بما في ذلك ستة من ملوك اليمن كان منهم السلطان نورالدين عمر وولايته على مكة وإنجازاته فيها وبسط نفوذه السياسي والإداري عليها.
- كتاب (المختار من الخطط المقريزية) وهو مختصر لكتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، والذي تناول بشكل مرتب معظم الإنشاءات المعمارية في مصر المملوكية وتفاصيلها المعمارية وما يرتبط بتلك الإنشاءات، لاسيما التعليمية والدينية منها من أنظمة وموارد وتطور معماري وتاريخي وتداخلات حضارية وصولاً إلى المقابر والمُصليات المفتوحة، الأمر الذي أتاح للباحث إمكانية رسم صورة مقاربة لواقع الازدهار الحضاري في مصر المملوكية وتتبع تلك المؤثرات المتبادلة في اليمن، ناهيك عما تخللته تلك الإشارات من جوانب سياسية واجتماعية وفكرية.

ومن المصادر التي رفدت الدراسة بتفاصيل مهمة استقاها مؤلفها من زياراته المتكررة لليمن، مؤلفات شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) والتي منها:

- كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، والذي تضمن تراجم يمنية ومصرية وحجازية من رجال القرن الثامن الهجري وأحوالهم من علماء ومحدثين وفقهاء ومؤرخين وصلحاء وشعراء ومؤلفين ووزراء وسلاطين وأمراء وحتى خدام السلاطين ومجموعة من النساء العاملات وكلها مرتبة حسب حروف المعجم، وقد انعكست تلك التراجم على إثراء موضوع الدراسة بمختلف صورها الاقتصادية والسياسية والفكرية والاجتماعية لصلات اليمن مع مصر والحجاز في آن واحد.
- كتاب (إنباء الغمر بأبناء العمر) وقد خصص ابن حجر هذا الكتاب للأحداث والوفيات التي وقعت في عهده منذ ولادته سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م) وحتى سنة (٨٥٠هـ/١٤٥٠م) ذكر فه كل الحوادث المهمة ووصف مجالس ملوك مصر والأخبار الفقهية والسياسية والاقتصادية لمصر وسائر الدول الإسلامية بما فيها اليمن والحجاز، فضلاً عن ترجمته للوافدين المصريين والحجازيين وآثارهم الحضارية.
- كتاب (رفع الإصر عن قضاة مصر) وهو من الكتب التي سارت وفق منهج حسب الموضوعات والمتخصصة في قضاة مصر بالمقام الأول، وتضمن معلومات تفصيلية عن الإدارة القضائية منذ نشأتها في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وحتى نهاية القرن الثامن الهجري، وما رافق ذلك من تراجم للقضاة وأحوالهم وثقافاتهم والمراسيم المتعلقة بالتولية والعزل وصلاتهم العلمية

والقضائية بقضاة وعلماء العالم الإسلامي، بما فيها اليمن والحجاز، وقد انعكس ذلك على جوانب الدراسة، لاسيما تطور الإدارة القضائية.

ومن المصادر المتخصصة بالإدارة المملوكية وطبيعة السلطنة في مصر كتاب (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك) للمؤرخ غرس الدين خليل بن شاهين (ت٨٧٢هـ/١٤٦٩م) والذي تضمن اثني عشر باباً تناولت الكثير من الجوانب منها جوانب معمارية، وما يتعلق بالسلطنة المملوكية وتشريفاتها وآداب السلطنة والوظائف الإدارية والمنشآت السلطانية وخدمها، وفي وصف الممالك الإسلامية بما فيها اليمن والحجاز، وكذا التفصيلات للوظائف الإدارية ومسمياتها ومصطلحاتها، التشريفات السلطانية.

ومن المؤلفات المهمة التي أمدت الدراسة بالكثير من التفاصيل القيمة والمعاصرة لتلك الفترة كتب المؤرخ جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي المعروف بابن تغري بردى (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) الذي أرَّخ في كتبه لمراحل تطور الصلات الرسولية المملوكية، الرسولية الحجازية، ومن تلك الكتب:

- كتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) وهو من الكتب التي أمدت الدراسة في معظم مراحلها بمعلومات قيمة وتفصيلية، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو إدارية أو فكرية للصلات بين اليمن ومصر بما في ذلك تراجم للوافدين المصريين والخبرات الإدارية المملوكية في اليمن، السفارات والمكاتبات والهدايا. وتلك المعلومات في تقديري كانت من الأهمية إلى الدرجة التي أتاحت للباحث تكوين مقاربات تحليلية حيال كثير من القضايا المتصلة بموضوع الدراسة.
- كتاب (المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي) الذي أمد الباحث كذلك بالمعلومات والتطورات السياسية والاقتصادية للدولة الرسولية، لاسيما علاقاتهم السياسية في مبتدأ أمرهم مع الأيوبيين حكام مصر قبل المماليك.

ومن المؤرخين الحجازيين الذين استعان الباحث بكتبهم المؤرخ النجم عمر بن فهد المكي (٨٨٥هـ/١٤٨٠م) والتي منها: كتاب (إتحاف الورى بأخبار أم القرى) والمرتب حسب السنوات حتى سنة (٨٢٥هـ/١٤٢١م)، لتاريخ مكة وما وقع فيها من أحداث يتخلل ذلك تراجم الشعراء والعلماء والأمراء منذ العهد النبوي وحتى عصر المؤلف، وكذلك استفاد الباحث من كتابه الآخر (معجم الشيوخ) في تراجم الوافدين الحجازيين إلى اليمن وتراجم المرتحلين اليمنيين إلى الحجاز، لاسيما وقد تضمن الكتاب معلومات مهمة عن مدارس مكة ومؤسساتها الدينية، وكذلك استفاد الباحث من كتابه الثالث (الدرر الكمين بذيل العقد الثمين)؛ والذي اعتبره مؤلفه ابن فهد مكملاً لكتاب العقد الثمين للفاسي – سالف الذكر – والذي أمد الباحث بمعلومات عن الصلات العلمية بين سلاطين الدولة الرسولية وعلماء الحجاز، لاسيما في عهد السلطان الناصر أحمد بن الأشرف اسماعيل.

كما شكلت كتب شمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م) مصدراً مهماً أثرى مختلف جوانب الدراسة في جانبيها المصري والحجازي، لاسيما كتابه (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع)

الذي ألفه متأسياً بشيخه ابن حجر في الدرر الكامنة، وتميز كتاب الضـــوء بـــالروح النقديـــة اللاذعـــة، واستفاد الباحث من تراجمه الكثيرة للأعلام اليمنيين والمصريين والحجازيين، وما تخللته تلك التـــراجم من صور متعددة للصلات الحضارية لليمن مع مصر والحجاز. أما كتابه الآخر (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) والمخصص لدراسة علم التاريخ وما يتعلق به، فقد أفاد الدراسة في بيان الروابط فـــي مجال الكتابة التاريخية وتطوراتها التأليفية. أما كتاب السخاوي (التحفة اللطيفـــة فـــي تـــاريخ المدينـــة الشريفة) الذي يُعد من الكتب المهمة الزاخرة بالتراجم التي يبرز من ثناياها النشاط العلمي الذي حفلـــت به المدينة المنورة وصلاتها مع البلدان الإسلامية بما فيها اليمن وقد استفاد الباحث كذلك من كتب جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، لاسيما كتابه (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة) ومـــن التواريخ الشاملة لمصر في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والمعمارية والإدارية والفكرية سلط الضوء على كثير من القضايا المرتبطة بموضوع الدراسة، وكذلك استفاد الباحث من التـــراجم الـــواردة في كتاب السيوطي (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) ومـــا تخللتـــه مـــن إشـــارات للـــروابط الفكرية مع اليمن.

كذلك شكل كتاب (طبقات صلحاء اليمن) للمؤرخ عبدالرحمن البريهـــي (ت٩٠٤هـــ/١٤٩٨م) مصدراً مفيداً في بيان المرتحلين اليمنيين إلى مصر والحجاز، فضلاً عن تخصـــيص المؤلـــف فصـــلاً للوافدين المصريين والحجازيين إلى اليمن آنذاك. ومن الكتب المخطوطة المتأخرة كتاب (تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام) لمحمد بن أحمد بن سالم الصـــباغ (ت١٣٢١هـــــ/١٩٠٢م) والذي وإن كان – متأخراً – عن موضوع الدراسة زمنياً إلا أنه احتوى علـــى معلومـــات قيمـــة عـــن المدارس والأربطة والبرك والعيون والمطاهر في مكة، لاسيما والباحث قد استفاد منـــه فيمـــا يخـــص وقفيات السلاطين الرسوليين في مكة.

ولعل من أبرز كتب الرحلات التي رفدت الدراسة، كتاب (صفة بلاد الـــيمن ومكـــة وبعـــض الحجاز) المسماة تاريخ المستبصر لابن المجاور (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م) الذي تناول النواحي الاجتماعيـــة والسياسية والجغرافية والمعمارية لليمن والحجاز وما رافق ذلك من ربط للعادات والمظاهر الحضـــارية بين اليمن والحجاز، ومن خرائط تفصيلية لمدن حجازية، مما شكل رفداً للدراسة فيما يخص الصـــلات الحضارية مع الحجاز.

ومن كتب الرحلات كذلك كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار القسم الخـــاص بمملكـــة اليمن) لابن فضل الله العُمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) والذي شكل مصدراً متميزاً لم يثر الدراســـة فـــي مجال نظام الحكم الرسولي وتراتيبه الإدارية وحدوده الجغرافية فحسب، بل امتدت معلومـــات لتكشـــف الغموض عن هجرة المؤثرات الحضارية من مصر المملوكية إلى اليمن، لاسيما تـــأثر النظـــام الإداري لليمن بالمماليك، والسفارات المتبادلة والهدايا ودوافعها، حتى في تبادل المؤثرات الاجتماعية والمعمارية والاقتصادية، ناهيك عما شكله الكتاب بحد ذاته من صلات فكرية مع مصر.

أما كتاب (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسماة رحلة ابن بطوطة) للرحالة محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي المعروف بـ: ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) والذي زار اليمن ومصر والحجاز ووثق لكثير من المظاهر الحضارية في تلك البلدان ووصف المجالس السلطانية لاسيما مجلس السلطان المجاهد وعلق على مصدر التأثير الحضاري لتلك المجالس والعادات المرتبطة بها، ووثق لكثير من الروابط اليمنية مع الحجاز بما في ذلك منشآت الرسوليين في الحجاز، علماء الحجاز في اليمن، والمجاورين اليمنيين في الحجاز، ناهيك عن وصفه الفني والمعماري لمعمار الحرمين والمشاعر المقدسة المرتبطة بهما.

وقد استفاد الباحث بالإضافة إلى تلك المصادر من الكثير من المراجع المحدثة والتي كان منها: العلاقات بين اليمن وبلاد الحجاز في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م) للباحثة هدى مفتاح عبدالحميد السعدي، وكتاب (الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين) للكاتبة عواطف محمد يوسف، وكذلك من كتاب (الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي)، للمستشرق ريتشارد مورتيل، وغير ذلك من المصادر والمراجع والأبحاث والدراسات، فضلاً عن الكتب الأجنبية المعربة وغير المعربة، التي استفاد منها الباحث في موضوع الدراسة، ولا يتسع المقام لاستعراضها، وتم تثبيتها في ثبت المصادر والمراجع.

وبعد لا يدعي الباحث لجهده الكمال ولا يبرؤه من اختلاف وجهات النظر، غير أنه كان يبغي من ذلك الإسهام في خدمة وطنه وأمته وسداً لحاجة تشكو فراغها المكتبة اليمنية وغيرها آملاً أن يكون قد وفق في تحقيق أهداف هذه الأطروحة واستيفاء شروطها.

والله ولي الهداية والتوفيق.

التمهيد

رسوليو اليمن ومماليك مصر وأشراف الحجاز

رؤى تاريخية

أ) الرسوليون بين معالم التأسيس ومظاهر الازدهار.

ب) دولة سلاطين المماليك بين الأساس السياسي والتنوع الحضاري.

ج) أشراف الحجاز بين المكانة الروحية وتنازع النفوذ.

أ) الرسوليون بين معالم التأسيس ومظاهر الازدهار:

شهد الربع الأول من القرن السابع الهجري وذات الربع من القرن الثالث عشر الميلادي نجاح الرسوليين في إقامة دولتهم التي ضمت "إلى جانب بلاد اليمن بعض مناطق الحجاز والمناطق الشرقية المجاورة"(١) امتدت على مساحة زمنية زادت على القرنين في الفترة من: (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م)، تعددت خلالها الروايات التاريخية المتعلقة بهوية الدولة وتباينت اتجاهات المؤرخين - قدامى ومحدثين - حيال معالم التأسيس(٢).

---

(١) عثمان، قايد حميد: الرسوليون موطنهم ونسبهم وبواكير دولتهم، ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية ١٥/١٠/٢٠٠١م، دار جامعة عدن للنشر، عدن ٢٠٠٣م، ص ١٥.

(٢) للوقوف على هذه الروايات والاتجاهات، ينظر:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة القدس، القاهرة ١٣٥٧هـ، ج١، ص٤٦٧.
- إبن حاتم، بدر الدين محمد (كان حياً ٧٠٢هـ/١٣٠٢م): السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تح: ركس سميث، جامعة كمبردج ١٩٧٤م، ص١٠.
- إبن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بـ: (تاريخ ابن خلدون)، الأعلمي للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧١م، ج٥، ص٥١٥.
- ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت٩٤٤هـ/١٥٣٧م): الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: يوسف شلحد ، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٣م، ص٨٩.
- ــــــــــــ : قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ط٢، تح: محمد بن علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٩م، ج١، ص٢٩٩.
- الأشرف، اسماعيل بن العباس (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م): العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تح: شاكر محمود عبدالمنعم، دار البيان، بغداد ١٩٧٥م، ص٥٣ (مقدمة المحقق).
- ــــــــــــ : فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على إثر التبابعة ملوك العصر والزمن (الباب الرابع)، تح: علي حسن عمر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، عمان ١٩٩٧م، ص ص٤-٥.
- الأشرف، عمر بن يوسف بن عمر الرسولي (ت٦٩٦هـ/١٢٩٦م): طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تح: ك. وسترستين، دار الآفاق العربية ، القاهرة ٢٠٠١م، ص١٠٠.
- ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م): بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ط٢ ، تح: مصطفى حجازي، دار الكلمة ، صنعاء ١٩٨٥م، ص ص ٨٥-٨٦.
- ــــــــــــ : بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تح: عبدالله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني، دار الحكمة اليمانية، صنعاء ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ص ١٣٩-١٤٠.

=

=

- بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبداالله (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م): تاريخ ثغر عدن، ط٢ ، تح: اوسكارلوفجرين، منشورات المدينة ، بيروت١٩٨٦م، ج٢، ص ص ١٧٤-١٧٦.
- الجندي، أبو عبداالله بهاء الدين محمد بن يوسف (ت٧٣٢هـ/١٢٣١م): السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح: محمد بن علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ١٩٨٣م، ج١، ص ص٣٥-٣٦(مقدمة التحقيق).
- ـــــــــــــــــــــــــــ: دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٩م، ج٢، ص ص٥٤١-٥٤٤.
- الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط٢، عني بتصحيحه: محمد بن علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث ، صنعاء ١٩٨٣م، ج١، ص٥١.
- ـــــــــــــ: العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، ط٢ ، تصوير وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ١٩٨١م، ص ص ١٩٠-٢٠٤.
- العرشي، حسين بن أحمد، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، تح: الأب انستانس الكرملي، مكتبة الإرشاد، صنعاء ٢٠٠٨م، ص ص ٥٣-٥٤.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م): القاموس المحيط، ط٦ ، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٨م، ص ص ٢٨-٣١.
- القرشي عماد الدين، إدريس بن الأنف (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م): روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، تح: محمد بن علي الأكوع ، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء ١٩٩٥م، ص ص٢٥-٢٦.
- الكبسي، محمد بن اسماعيل (ت١٣٠٨/١٨٩٠): اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، تح: خالد أبا زيد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ٢٠٠٥م، ص ص ١٢٦-١٣٠.
- مؤلف مجهول (عاش في القرن العاشر الهجري): تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ، تح: عبداالله محمد الحبشي، دار الجيل ، صنعاء ١٩٨٤م، ص١٩.
- الوصابي، عبدالرحمن بن محمد الحبيشي (ت٧٨٢هـ/١٢٨٠م): تاريخ وصاب: الاعتبار في التواريخ والآثار ، تح: عبداالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٧٩م، ص ١١٢.
- الأكوع، اسماعيل بن علي: الدولة الرسولية في اليمن، وزارة الثقافة، صنعاء ٢٠٠٤م، ص ص٢٣-٢٤.
- أحمد فخري: اليمن ماضيها وحاضرها ، ط٢ ، منشورات المدينة ، بيروت ١٩٨٨م، ص٢٠٠.
- حماد، أسامة أحمد: مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي (عصر دولتي بني أيوب وبني رسول)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ص ٥٠-٥٤.
- الثور، عبداالله: هذه هي اليمن ، ط٣ ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٥م، ص٣٠١.
- الحبشي، عبداالله محمد: حياة الأدب في عصر بني رسول،ط٢، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء١٩٨٠م، ص ص١٨-٢٢.
- زامباور، إدواردفون: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر: زكي محمد وحسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ١٩٥١م، ج١، ص١٨٥.

=

وقد مرت الدولة الرسولية خلال هذه الفترة الطويلة نسبياً(*) بالعديد من المتغيرات، سواء في السياسات التي اتبعتها على المستويين الداخلي والخارجي أو في البناء السياسي والعسكري للدولة، أبرز سمات هذه المتغيرات كالآتي:

ـ النشأة التدريجية للدولة:

إذ "أن ظهور بني رسول على مسرح الأحداث تم بصورة تدريجية"(١)، ولم يأخذ هذا الظهور شكلاً عسكرياً مباشراً، وإن لم يخلُ من نوايا اتجه لها "بنو رسول نحو الاستقلال

=

- السنيدي، عبدالعزيز بن راشد: المدارس اليمنية في عهد الدولة الرسولية، ط١، د.ك، ٢٠٠٣م، ص ص٢١-٢٥.
- شرف الدين، أحمد حسين: تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، مطبعة الكيلاني، ١٩٦٨م، ص ص٢٢٤-٢٢٦.
- طه أحمد أبو زيد: المقري حياته وشعره، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء ١٩٨٦م، ص٣١.
- العبادي، عبدالله قائد: الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٨-١٤٥٤م)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة ١٩٩٥م، ص ص٢٦-٤٢.
- علي بن علي بن حسين: الحياة العلمية في مدينة تعز وأعمالها في عصر بني رسول (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٨-١٤٥٤م)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة ١٩٩٤م، (بدون ترقيم)، ص ص٧-١٠ (ترقيم الباحث).
- الفيفي، محمد بن يحيى: الدولة الرسولية في اليمن (دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية)، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٥م، ص ص٢٩-٥٠.
- محمد عبدالعال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما ، الهيئة المصرية للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨٠م، ص٤٦.
- محمد كريم إبراهيم الشمري: عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (٤٧٦-٦٢٧هـ/١٠٨٣-١٢٢٩م)، ط٢، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠٤م، ص٢٤٠.
- الهمداني، حسين بن فيض الله وحسين سليمان الجهمي: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (٢٢٨-٦٢٦هـ)، ط٣، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م، ص٢٩٥.
- الواسعي، عبدالواسع بن يحيى: فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ط٢ ، دار اليمن الكبرى، صنعاء ١٩٩٠م، ص١٩٨.
- علي عقيل: آل رسول والاضطراب في انتسابهم إلى غسان ومؤلفاتهم ، مجلة التراث، ع٣ ، مج٣، المركز اليمني للأبحاث، عدن نوفمبر ١٩٧٩م، ص١٢٨.
- محمد سعيد شكري: في التاريخ السياسي للدولة الرسولية، ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية ١٥/١٠/٢٠٠١م، دار جامعة عدن للنشر، عدن ٢٠٠٣م، ص ص٣١-٣٥.

(*) مقارنة بمثيلاتها من الكيانات المستقلة في اليمن التي كونت دولة قطرية خاصة بها.

(١) سفيان المقرمي: الحياة الفكرية في اليمن في ظل دولة بني رسول (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٨-١٤٥٤م)، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد، بغداد ١٩٩٩م، ص١٩.

التدريجي"[١] قبيل إعلانه، وبالتالي عمل الرسوليون على السير وفق هذا التدرج منخرطين في الأحداث والسياسات منذ أول وهلة وطأت أقدامهم الأراضي اليمنية.

والمتتبع لأطوار الظهور الرسولي على المسرح السياسي، يجده مر بثلاثة أطوار متدرجة بدءاً من لعب أدوار ثانوية ثم متوسطة ثم كبيرة[٢]، شكلت شخصية المؤسس نور الدين عُمر الذي كان المسعود الأيوبي "يحبه ويميل إليه دون إخوته ويقلده الأمور ويثق به لعقله ورئاسته"[٣]، مفتتح الأدوار الثانوية في طريق تأسيس الدولة، وإن كان هذا لا يقلل من التكامل الذي أبداه مُعظم أفراد الأسرة الرسولية آنذاك كعلي بن رسول والحسن بن علي بن رسول في هذه المرحلة، فمنهم من تقلد نيابة حيس وبعدها حرض والهلبة، ثم دخلت وصاب في حوزته[٤]. وأغلب الظن أن نور الدين عمر وأسرته قد استفادوا كثيراً من هذه الاقطاعات، ليس فقط من خلال إعداد قاعدة مادية وبشرية للأدوار المستقبلية لهم، وإنما من خلال حُسن إدارتهم لهذه الاقطاعات، الأمر الذي مكنه من كسب ثقة القصر الأيوبي في اليمن، حتى أن بدر الدين أدى دوراً في تنصيب سليمان بن شاهشاه الأيوبي (٦١١-٦١٢هـ/١٢١٤-١٢١٥م) بعد أن شهدت البلاد فراغاً سياسياً عقب وفاة الناصر الأيوبي (٥٩٨-٦١١هـ/١٢٠١-١٢١٤م)[٥].

ويمكن القول: إن هناك عوامل رئيسة ساعدت نور الدين في التدرج إلى الأدوار الكبيرة، ومن ثم إعلان الدولة، أولاها: قدوم الملك المسعود إلى اليمن وثقته بنور الدين عمر وتوليته مقاليد مكة[٦]، ثانيها: نجاح بني رسول في هزيمة عدوين من ألد أعداء الأيوبيين في اليمن هما مرغم الصوفي[*]، يلي ذلك انتصار الأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول على الشريف

---

(١) قايد عثمان: الرسوليون، ص٢٤.

(٢) ينظر: سفيان: الحياة الفكرية، ص١٩.

(٣) بامخرمة: ثغر عدن ١٧٤/٢.

(٤) عن هذه الاقطاعات ينظر: الخزرجي: العقود ٤١/١.، ابن الديبع: قرة العيون ٢٩٢/١.، سفيان: الحياة الفكرية، ص١٥.، محمد عبدالعال: بنو رسول، ص٦٥.، الفيفي: الدولة الرسولية، ص٣٧.

(٥) عن هذا الدور ينظر: الجندي: السلوك ٥٣٧/٢-٥٣٨.، ابن الديبع: قرة العيون ٢٩٢/١.، محمد عبدالعال: بنو رسول، ص ص٧٠-٧١.

(٦) ينظر: ابن حاتم: السمط، ص ص١٦٦-١٦٧.، الخزرجي: العقود ٤١/١.، بامخرمة: ثغر عدن ١٧٤/٢-١٧٥.

(*) متمرد قاد حركة تمرد في الحقل وبلاد زبيد وجبل بني مسلم، ودعى الناس إلى نفسه وأخبرهم أنه داع لإمام حق، فسار إليه نور الدين فيهزمه. ينظر: الخزرجي: العقود ٤١/١، ابن الديبع: قرة العيون ٢٩٥/١، الفيفي: الدولة الرسولية، ص٣٨.

المحتسب عزالدين محمد بن المنصور بالله(*) في واقعة عصر حتى "قيل أنه كسر ثلاثة أرماح وانقطع السيف الذي كان في يده"[١]، وهاتان الواقعتان لاشك أنهما عكستا نفسيهما على المزيد من التمكين السياسي لهم، إذ أن "ما أظهره بنو رسول من إمكانيات إدارية وعسكرية وما استطاعوا تحقيقه من انتصارات مهمة على أعداء الدولة قد أسهم - بلا شك - في ارتفاع شأنهم وذيوع صيتهم"[٢]. ثالث العوامل المؤهلة لاستقلال نور الدين، كان تنصيب نور الدين نائباً عاماً عن الملك المسعود في حكم اليمن لفترتين متتاليتين، الأولى: (٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، والثانية: (٦٢٤هـ/١٢٢٦م)[٣].

ومما يجدر الإشارة إليه أن التدرج في تأسيس الدولة كان سمة بارزة حتى في هذه المرحلة من إطلاق يد الرسوليين في حكم اليمن وبتفويض أيوبي، إذ أن نورالدين لم "يغير سكة ولا خطبة"[٤]، بل أضمر الاستقلال(**) وعمل على التهيئة العسكرية والسياسية لاستقلاله عبر سلسلة إجراءات تدرجية بدءاً من مصالحة إمام الزيدية[٥]، وزواجه بزوجة الملك المسعود[٦]، ثم "جعل يولي في الحصون والمدن من يرتضيه ووثق به ويعزل من يخشى منه خلافاً ومن ظهر منه عصيان أو خلاف عمل في قتله وأسره"[٧]. وبعد "أن أمن جانب المعارضة ضده"[٨]، واستولى على أقاليم اليمن أعلن "استقلاله بحكم اليمن وخلعه لطاعة بني أيوب"[٩] وتأسيس دولته القطرية وكيانه المستقل بعد أن اكتملت مقومات هذا الإعلان وأرضيته العسكرية والسياسية.

(*) هو المحتسب الناصر لدين الله عزالدين محمد بن المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم، تولى بعد وفاة والده المنصور وعاصر الملك المسعود الأيوبي، توفي سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م). ينظر: حسين العرشي: بلوغ المرام، ص ص٥٢-٥٣.

(١) الخزرجي: العقود ٤٣/١.

(٢) الفيفي: الدولة الرسولية، ص٣٩.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ٤١/١؛ بامخرمة: ثغر عدن ١٧٥/٢.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

(**) بمعنى أنه ظل في ظاهر الأمر على ولائه للأيوبيين. ينظر: ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٦م، ج١، ص٢٣٠.

(٥) ينظر: ابن الديبع: قرة العيون ٣٠١/١، قايد عثمان: الرسوليون، ص٢٣.

(٦) ينظر: ابن الديبع: قرة العيون ٣٠١/١.

(٧) الخزرجي: العقود ٥٢/١، وينظر: ابن الديبع: قرة العيون ٣٠٠/١-٣٠١، بامخرمة: ثغر عدن ١٧٥/٢-١٧٦.

(٨) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٣.

(٩) الفيفي: الدولة الرسولية، ص٤٣.

- انتهاج مبدأ التوريث في تداول العرش:

أما القاعدة السياسية في "انتقال الحكم عند بني رسول فقد خضعت بدورها لمبدأ الوراثة في الحكم"(١)، وذلك عبر "شرعية ولاية العهد"(٢) بإسناد ولاية العهد إلى أحد الأبناء الذي يتمرس على الحكم وأعمال السلطنة في عهد والده، ويقلد بمرسوم سلطاني.

وبقراءة صيرورة الأحداث المتعلقة بتنصيب سلاطين الدولة الرسولية يتضح بجلاء مدى تأثير ولاية العهد على النظام السياسي للدولة وتماسكها السياسي والإداري. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى ملاحظتين ترتبطان بولاية العهد، الملاحظة الأولى: أن هذا المبدأ وإن كان قد حافظ على توارث الحكم داخل البيت الرسولي، إلا أن "قضية شرعية ولاية العهد والانتقال السلمي للسلطة بعيد وفاة الملك السابق لم تجد حلاً مناسباً لها على طول تاريخ الدولة الرسولية، مما فتح الباب على مصراعيه لخلافات وصراعات سياسية"(٣) بدأت منذ العقود الأولى لتأسيس الدولة، وأصبحت لازمة(*) تاريخية للنظام السياسي للدولة مع بداية كل عهد(٤).

وأما الملاحظة الثانية: لم تكن هناك أي معايير متفق عليها بإسناد ولاية العهد إلى أحد أبناء السلاطين أو أحد إخوانه، وهذا بدوره وإن كان قد خلق نوعاً من التنافس بين أبناء السلاطين في إظهار مهاراتهم وتأهيل ذواتهم، إلا أنه بالمقابل أوجد حالة من عدم الرضا والخروج السياسي والعسكري على السلطان، فهذا الخزرجي يشير إلى ذلك بقوله: "كان السلطان المظفر يومئذ غائباً في إقطاعه بالمهجم وكان غير طيب النفس(**) من والده لما قدم عليه أخويه المفضل والفائز"(٥). ويشي هذا النص بأن مؤسس الدولة نورالدين قد خالف عرف السلاطين الذين حكموا اليمن بما فيهم أسلافهم الأيوبيين الذين تأثر بهم الرسوليون في مبدأ التوريث(٦)، وذلك بإقصائه أكبر أبنائه محل التقليد بولاية العهد بحسب ما يجب أن يكون وإن جاء تقديمه

---

(١) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٠.

(٢) محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٤.

(٣) المرجع نفسه والصفحة.

(*) باستثناء فترة العشر السنوات الأخيرة في حكم الرسوليين التي سادت الاضطرابات ولي السلطة خلالها أكثر من واحد. ينظر: محمد عبدالعال: بنو رسول، ص ص٢٣٧-٢٤٣.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٠.

(٤) نماذج من هذه الخلافات، ينظر: الخزرجي: العقود ٢٣٩/١.، ابن الديبع: قرة العيون ٣١٤/١-٣١٥.، الفيفي: الدولة الرسولية، ص ص٥٧-٥٨.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٥١-٥٤.

(**) يورد الخزرجي ذات الرواية في العسجد بدون الإشارة إلى هذه العبارة مستعيضاً عنها بعبارة "وكان أبوه قد أقصاه وقلاه". ينظر: العسجد، ص٢٠٩.

(٥) العقود ٨٧/١.

(٦) ينظر: أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٠.

لأخوي المظفر "موافقة لأمهما بنت حوزة[*] وكانت غلبت عليه كثيراً"[١]، وعندما ولي المظفر السلطنة اختار "أكبر أبنائه وأرشدهم وأصدر له تقليداً بذلك"[٢]، بينما توفي "المجاهد الرسولي بدوره دون أن ينص على ولاية عهده"[٣]. وتوفي الأفضل ولم تفلح محاولاته في أخذ البيعة لأكبر أبنائه اسماعيل[٤].

وعليه يتضح أن هذا التأرجح والغموض وغياب التقنين لقضية ولاية العهد وعدم اشتغال السلاطين بأن يوجدوا "حلاً مناسباً لها على طوال تاريخ الدولة الرسولية"[٥] قد أثر بشكل سلبي على تماسك الدولة الرسولية وإضعافها، و"لتفقد في بعض الأوقات وحدتها الإدارية والسياسية... [و] عطلت الاستقرار الاجتماعي والنمو الاقتصادي والوحدة الوطنية"[٦]؛ فضلاً عن انعكاسات هذه المسألة على عرش السلطنة حتى ولي السلطنة من "في أيامه خربت غالب بلاد اليمن لكثرة ظلمه وعسفه، ولعدم سياسته وتدبيره"[٧].

ـ القدرة النسبية للرسوليين في تأسيس جهاز إداري لدولتهم:

اتخذ هذا البناء المؤسسي ثلاثة خطوط متوازية، أولاها: استحداث النظم الإدارية: فقد قسم "الرسوليون المناطق التي خضعت لنفوذهم من المملكة اليمنية إلى عدة أقاليم إدارية كبرى"[٨] يتم إدارتها عبر الدواوين (الشدود)[٩]. وقد أدخل الرسوليون "طرقاً جديدة على الإدارة الحكومية وخصصت لها الوظائف والمكاتب العديدة التي لم تكن معروفة من قبل"[١٠]، واستحدثوا "وأوجدوا طرق إدارة الدولة بأن خصصوا لها الوظائف الوزارية"[١١] معتمدين "في أول أمرهم

(*) أوردها الخزرجي – أيضاً – في العقود بالحاء، بينما أوردها ابن الديبع بالجيم هكذا: جوزة. ينظر: الخزرجي: العقود ٨٧/١، ابن الديبع: قرة العيون ٣١٥/١.

(١) الخزرجي: العسجد، ص٢٠٩.

(٢) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥١.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٣.

(٤) ينظر: الخزرجي: العقود ١٣٤/٢.

(٥) محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٤.

(٦) المرجع نفسه والصفحة.

(٧) ابن تغري بردي: المنهل الصافي ٢٢٧/١.

(٨) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص١٠١.

(٩) عن هذه الدواوين وصلاحيتها وموظفيها، ينظر: الماوري، خديجة عبدالله: السلطة المحلية والقبيلة في اليمن، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، أم درمان ١٩٩٦م، ص٤١.

(١٠) الحبشي: حياة الأدب، ص٢٧.

(١١) فايد عثمان: الرسوليون، ص٢٥.

على الخبرات العربية القادمة من خارج اليمن، وقد وصل إليهم جمعٌ كبيرٌ من كُتّاب الدواوين والخبراء في الشؤون الإدارية"(١)، وإن كانت هذه الاستحداثات تسير وفق الإدارة المملوكية في مصر(٢).

وأما الخط الثاني: النظم المالية، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظم الإدارية سالفة الذكر، إذ عبرها يتم تنظيم "موارد الدولة المختلفة وأوجه النفقات أو المصروفات بها"(٣)، فقد أولى سلاطين الدولة الرسولية تنظيم الأموال المتدفقة "من موجات التجار الواصلين من الهند ومصر والحبشة مع ما لها من دخل البلاد"(٤) اهتماماً خاصاً وأصدروا القوانين(*) والأدلة الإرشادية للغرض السالف ذكره.

وأما الخط الثالث في الجهاز الإداري والمؤسسي: تأسيس جهاز قضائي حرصوا "على اختيار من يشغله ممن توافرت فيهم النزاهة وكرامة النفس مع سعة العلم وحسن الخلق"(٥)، وعملوا على إعلاء أحكام القضاء والانتصار للقضاة، فهذا السلطان الأشرف، ينتصر لقاضي زبيد ضد والي زبيد "فأمر السلطان حينئذ من تقدم إلى الوالي وأخرجه من بيته إلى بيت حاكم الشريعة المطهرة إنصافاً للقاضي وإجلالاً له وللشرع الشريف... فلما وصلوا إلى باب الدار أشرف السلطان وشتمه ووبخه توبيخاً شديداً"(٦).

ويقوم القضاء الرسولي في الغالب على نظام متسلسل يبتدئ من "قاضي القضاة... إلى صغار القضاة الموزعين في سائر المناطق اليمنية"(٧)، ولعل هذه الخطوط الثلاثة تكاملت فيما بينها مما ساهم في إدارة متميزة نسبياً للدولة انعكست إيجابياتها على مختلف الجوانب الأخرى العسكرية منها والاقتصادية والفكرية وحتى الاجتماعية.

---

(١) الحبشي: حياة الأدب، ص٢٧.

(٢) ينظر: ابن فضل الله العُمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (القسم الخاص باليمن)، تح: أيمن فؤاد سيد، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت، ص٤٧.

(٣) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص١٤٠.

(٤) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٩.

(*) ما يؤيد هذا الطرح ينظر: نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، تح: محمد عبدالرحيم جازم، ج١، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء ٢٠٠٣م.، وينظر: للمحقق نفسه ونفس الكتاب، ج٢، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء ٢٠٠٥م.

(٥) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص١٧٤.

(٦) الخزرجي: العقود ٢/٢٤٩.

(٧) الحبشي: حياة الأدب، ص٣٦.

- **التعامل مع القوى الزيدية وفق مقتضيات الحال وظرفية الدولة:**

ترتب على قيام الدولة الرسولية معارضة العديد من القوى المحلية والتي كان أبرزها معارضة الأئمة الزيديين "في بعض مخاليف اليمن الأعلى التي يسود فيها المذهب الزيدي"(١)، وقد "اشتهر منهم في عهد بني رسول الأشراف الحمزيون"(٢) نسبة إلى حمزة بن سلمان بن حمزة بن علي بن أبي هاشم (ت٤٥٩هـ/١٠٦٦م)(٣). ويبدو أن الدولة الرسولية ومنذ الوهلة الأولى لتأسيسها، كانت تضع في الاعتبار مدى المكانة الدينية والمذهبية للأئمة الزيديين، لذا عمل سلاطينها وفق مقتضيات الحال السياسي، وهو ما عبر عنه ابن فضل الله العمري بقوله: "إن صاحب اليمن لا يزال من الشريف الإمام الزيدي صاحب صنعاء، على مباينة، تارة يكون بينهم عهد، وتارة يُنبذ العهد بينهم"(٤)، وهذه المباينة على ثلاث مراتب: أولاها، استخدام سياسة المهادنة والمهاداة: وجاء هذا الأسلوب مع حاجة مؤسس الدولة لتأمين جبهة الأئمة الزيديين حتى يتمكن من تأمين استقلال آمن لليمن عن جسد الدولة الأيوبية في مصر، إذ "عقد مع الأئمة الزيدية صلحاً تعاهدوا بموجبه على المناصرة"(٥). وصالح الأشراف من بني حمزة القوى الزيدية الأكثر تأثيراً في المناطق ذات المد الزيدي "وتم الصلح بينهم على أحسن الوجوه"(٦)؛ وإن كان ذلك قد حدث في مراحل ضعف مرت بها الدولة الرسولية قابلها إتساع نفوذ الدولة الزيدية كما حدث في عهد الأفضل والذي عاصر الإمام الناصر (ت٧٩٣هـ/١٢٩٠م) الذي "ملك من صعدة إلى عدن"(٧)، ومن ثم "صالحه الرسولي"(٨). وفي فترات أخرى يضطر أئمة الزيدية إلى إهداء سلاطين بني رسول هدايا من نفيس ما يملكون كالذي حدث في عهد المجاهد "الذي أهدى إليه أحمد بن المطهر بن يحيى المظلل بالغمام ذا الفقار يطلبه له عارية... فلما بلغ إلى السلطان

---

(١) اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص٣٧.

(٢) شايف عبده سعيد: الحياة الاجتماعية في عهد الدولة الرسولية، ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، ١٥/١٠/٢٠٠١م، دار جامعة عدن للنشر، عدن ٢٠٠٣م، ص٤٨.

(٣) عن نسبهم وبروزهم في الساحة اليمنية ومعاركهم، ينظر: الأشرف عمر: طرفة الأصحاب، ص١٠٤.، الكبسي: اللطائف السنية، ص١٣٠.، حسين العرشي: بلوغ المرام، ص٥٧.، الحبشي، عبدالله محمد: مؤلفات حكام اليمن (ملحق بكتاب مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن)، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، د.ت، ص ص٥٦٤، ٥٧٧.

(٤) مسالك الأبصار، ص٥١.

(٥) الفيفي: الدولة الرسولية، ص٤٣.

(٦) الخزرجي: العقود ٥٣/١.

(٧) حسين العرشي: بلوغ المرام، ص٦١.

(٨) المصدر نفسه والصفحة.

الملك المجاهد أرسل إليه بألف دينار وتغلب على السيف"(٤).، ومن الملاحظ أن أسلوب المهادنة والمهاداة وتبادل المكاتبات مع القوى الزيدية ظل يتخلل المسيرة التاريخية للدولة الرسولية حتى أخريات أيامها(٢).

وأما المرتبة الثانية في سياسات الرسوليين مع القوى الزيدية: الاستعانة بقوى زيدية ضد قوى زيدية أخرى واستغلال حيثيات المذهب الزيدي في شروط الإمامة(*) في موالاة هذه القوى ومساعدتهم بأنواع الإمدادات لحرب خصومهم في المذهب الزيدي فقد "استعان بنو رسول بالأشراف... بنو حاتم في مقاومة أعدائهم الزيديين"(٣).، ويلمح الخزرجي، إلى مثل هذا النوع من الولاء في توثيقه لترجمة أمير الأشراف الحمزيين ووفاته وتولي الأمير حازم رئاسة الحمزيين بقوله: "...فمال إلى خدمة مولانا السلطان"(٤)، ومنحهم السلاطين الاقطاعات والهبات والخلع(٥)، وهو ما عبر عنه الكبسي بقوله: "وكان بعد ذلك غدر الأمراء الحمزيون(**) وميلهم إلى السلطان فأعطاهم أموالاً جمة وانقلبوا معه وحاربوا الإمام"(٦).

أما المرتبة الثالثة في سياسات الرسوليين مع القوى الزيدية فتمكن في أسلوب المواجهة المباشرة، فإذا كان سلاطين الدولة الرسولية يهادنون إمام الزيدية أحياناً فإنهم يدخلون "معه في صراع أحياناً أخرى"(٧)، وقد استخدم هذا الأسلوب منذ البدايات الأولى لتأسيس الدولة، إذ تمكن المظفر "من احتواء خطر الأئمة الزيديين فوجه جيوشه صوبهم، حيث استطاع الاستيلاء على صنعاء ومعظم مناطق النفوذ الزيدية الواقعة إلى الشمال منها حتى وصل إلى مدينة صعدة معقل الزيدية الرئيس في اليمن"(٨)، بل وامتد الأمر في المواجهة المباشرة إلى "ضرب الدرهم السعيد المظفري في مدينة صعدة"(٩)، وأغلب الظن أن هذا الأسلوب لم يكن له ذلك التأثير الذي كان

---

(١) حسين العرشي: بلوغ المرام، ص٥٥.

(٢) ينظر: الخزرجي: العقود ١/١١٦، ٢/٢٣٨.، حسين العرشي: بلوغ المرام، ص٦١.، جازم: نور المعارف ٢/١٧٣.

(*) عن هذه الشروط، ينظر: الأكوع، اسماعيل علي: الزيدية نشأتها معتقداتها، ط٣، الجيل الجديد، صنعاء ٢٠٠٧م، ص ص١٦-١٧، ٨٠-٨٥.

(٣) شايف: الحياة الاجتماعية، ص٤٨.

(٤) العقود ١/١١٨

(٥) ينظر: ابن الديبع: قرة العيون ١/٣٣٨.

(**) الصواب أنها: الحمزيين، لموقعها الإعرابي صفة مجرورة بالياء.

(٦) اللطائف السنية، ص١٣٥.

(٧) أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧٤م، ص١٣٥.

(٨) الغيفي: الدولة الرسولية، ص٥٢.

(٩) الخزرجي: العقود ١/٢٠٧.

للأساليب الأخرى، فما إن إنتهت الحملة العسكرية للمظفر حتى "اضطربت البلاد وخالف أهل المشرق والمغرب وفسدت البلاد من نقيل صيد إلى صعدة"[١].

ولعل هذه المردودات السلبية للحملات العسكرية تُعزى للعامل المذهبي، فمخاليف اليمن الأعلى إن صح التعبير هي مناطق نفوذ زيدية تغلغلت فيها أفكار الزيدية بأهمية الإمام ووجوبية الذود عنه، وهو ما عبّر عنه شهادة إبن فضل الله العمري الذي عاصر تلك الفترة بقوله: "الإمام في هذه البلاد يعتقد في نفسه ويعتقد أتباعه فيه أنه إمام معصوم مفترض الطاعة تنعقد به عندهم الجمعة والجماعة، ويرون أن جميع ملوك الأرض وسلاطين الأقطار تلزمهم طاعته ومتابعته حتى خلفاء بني العباس، وإن جميع من مات منهم مات عاصياً بترك متابعته ومبايعته"[٢].

- الحرص على فرض هيبة الدولة وأبهة الملك:

ولعل ذلك يعود لكون الدولة الرسولية "تمتعت باستقرار سياسي وأمني كبير"[٣]، مكنهما من إيجاد مؤسسات دولة، وبالتالي "ساد شعور عام بالإحساس بوجود مفهوم الدولة... [بعناصرها] السياسية والإدارية والمالية والعسكرية والعمرانية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والعلاقات الدولية"[٤]، وفي ظني أن من أسباب ذلك ما تمتعوا به من حزم في شخصياتهم وتعاملاتهم[٥]. والفصل النسبي بين السلطات وتمركز القرار بيد السلطان "وشدة ضبطهم لبلادهم ومن فيها واحترازهم على طرقها براً وبحراً من كل جهة، فلا يخفى داخل يدخل إليها ولا خارج يخرج منها"[٦]، علاوة على إعمال مبدأ الثواب والعقاب[٧]. أما الوجه الآخر لهيبة الدولة فهو أبهة الملك، فقد انشغل سلاطين بني رسول بإبرازه سواء عبر أزيائهم السلطانية المطرزة بالغالي والنفيس أو أزياء أجنادهم التي كانت "...أقبية إسلامية ضيقة الأكمام مزندة على اليد ومناطق، وعلى رؤوسهم تخافيف القلانس(*)، وفي أرجلهم الدلاكسات"[٨].

---

(١) ابن الديبع: قرة العيون ٣٣٢/١.

(٢) مسالك الأبصار، ص٦٥.

(٣) الفيفي: الدولة الرسولية، ص٥.

(٤) محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٦.

(٥) ينظر: ابن الديبع: قرة العيون ٣٧٥/١، ٣٧٧-٣٧٨.

(٦) ابن فضل الله: مسالك الأبصار، ص٥٦.

(٧) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٧١/١، ٢٣٨/٢، ٢٤٩.

(*) تخافيف القلانس: نوع من غطاء الرأس المعروف بالعصبة. ينظر: ابن فضل الله: مسالك الأبصار، ص٥٢.

(٨) المصدر نفسه والصفحة.

ويبدو أن الاهتمام بهذه الأزياء وإن كان يعد أموراً شكلية لدى البعض، إلا أنه لدى ابن خلدون ركيزة هامة في الفلسفة السياسية للدولة، إذ يقول: "الطراز من أبهة الملك والسلطان ومذاهب الدول"(١). وبالإضافة إلى الطراز أولى سلاطين الدولة بناء القصور أهمية مبالغ فيها واستقدموا المهرة من الصناع والمزخرفين لزخرفتها فضلاً عن فخامة أثاثها وحدائقها ومزروعاتها(٢). وأشار ابن فضل الله العمري إلى هذه القصور وفخامتها بإعجاب، وذلك عند قوله: "أما مساكن الملك فيهما فنهاية في العظمة وفرش الرخام والسقوف المدهونة"(٣).

وحتى عبر طقوس المجالس السلطانية بأشكالها المتعددة بدءاً من جلوس الخاصة السلطانية "لتدبير أمر من أمور السياسة"(٤)، أو مجلس للمظالم، والتشفيع الذي يحرص كل سلطان أن يحضره "عدة من وجوه أهل دولته"(٥)، وأغلب الظن أن هذه المجالس ليست "طقوساً شكلية لا غير، بل هي في جوهرها نظام سلطوي وأداة هيمنة، فالرعية بعامتها وخاصتها تعتقد فيما تشاهد"(٦)، أو عبر مراسم المواكب السلطانية عندما يخرج للركوب، إذ "جعل للسلطان عصائب كثيرة وركب المماليك بالنفخ وجعل منهم طائفة طبردارية وركب السلطان في هذا الزي"(٧).

ولابد من الإشارة إلى أن أبهة الملك تحمل في طياتها وجهاً من الوجوه السلبية ليس للدولة الرسولية فحسب، إنما لكل دولة مالت إلى أبهة الملك حتى خرجت عن الحدود الآمنة لما يمكن تسميته بفرض هيبة الدولة في نفوس الرعية عبر إظهار أبهة الملك، وهو ما حذر منه ابن خلدون بتسميته ترفاً، فإذا "نزل بهم من مهلكة الترف الذي قدمنا فيستولي عليهم الهلاك بالترف"(٨)، وإن كانت كثرة الأموال المتدفقة على خزانات القصور الرسولية حالت دون التأثير

---

(١) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): المقدمة، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص٢٦٦.

(٢) للإطلاع على نماذج من ذلك ينظر: الخزرجي: العقود ٣١١/١، ٣١٣، ٣٢٩، ٣٤٢، ١٣٤/٢، ٢٢٣، الأكوع، اسماعيل بن علي: أعراف وتقاليد حكام اليمن في العصر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م، ص ص ٣٠-٣٢.، شايف: الحياة الاجتماعية، ص ص٤٨-٤٩.

(٣) مسالك الأبصار، ص٤٧.

(٤) العلام، عزالدين: الآداب السلطانية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ع٣٢٤، الكويت ٢٠٠٦م، ص١٢٥.

(٥) الخزرجي: العقود ٢٤٤/٢.

(٦) العلام: الآداب السلطانية، ص١٢٥.

(٧) الخزرجي: العسجد، ص٣٣٢.، وينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٧(حجازي).، اسماعيل الأكوع: تقاليد حكام اليمن، ص ص٢٧-٢٨.

(٨) المقدمة، ص٢٩٥.

السريع لهذه الخاصية المهلكة وأعطت انطباعاً لدى الرعية والخصوم بنجاح هذه الأبهة في إظهار السلطة وجعلها بادية للعيان وشيئاً محسوساً"(١).

ـ تعرض الدولة الرسولية للعديد من الثورات والتمردات(*):

فعلى الرغم من الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي تخلله ازدهار فكري وحضاري، إلا أنه لم يكن مطلقاً بل كان نسبياً(٢)، إذ تخلله العديد من "التمردات(**) والثورات والمؤامرات"(٣) بدءاً من العهود الأولى لتأسيس الدولة على يد المنصور نورالدين عمر الذي "استقر بمستقر ملكه ونزل قصر الجند وثبت عليه جماعة من مماليكه فقتلوه"(٤)، لتتوالى بعد ذلك الصراعات المتعاقبة داخل البيت الرسولي(٥). وعلى النطاق الخارجي للبيت الرسولي عانى سلاطينهم العديد من التمردات والخروج عليهم، فقد "تمرد العيارون(***) ومعهم المماليك والعبيد في زبيد"(٦)، وخرج عليهم "نورالدين محمد بن ميكائيل وكان أميراً على حرض وسُردد من قبل السلطان الأفضل عباس فأعلن تمرده على السلطان"(٧). كما عانت من تمردات قبلية كالقرشية، والمعازبة، التي "أفسدت... فساداً شديداً"(٨)، وقبائل عنس التي تمردت في عهد الأفضل فقبض(****) من مشايخهم "نحواً من ثمانية

---

(١) العلام: الآداب السلطانية، ص١٢٦.

(*) لا يتسع المقام للخوض في تفاصيلها، وإنما الإشارة إلى طرفاً منها لتتكامل أركان الفائدة.

(٢) ينظر: محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٥.

(**) هناك رسالة ماجستير حول هذا الموضوع للباحث/ هديل، طه حسين عوض: التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية وأثرها في الحياة العامة في اليمن (٦٢٦-٨٥٨هـ)، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن ٢٠٠٤م.

(٣) محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٥.

(٤) ابن عبدالمجيد: بهجة، ص٨٧ (حجازي).

(٥) للإطلاع على نماذج من هذه الصراعات، ينظر: الخزرجي: العقود ٨٧/١، ٢٤٠-٢٤١، ٢٥٣.، ١٣/٢، ١٠٣.، نفسه: العسجد، ص ص٢٠٩-٢١٠.، ابن خلدون: العبر ٥١٣/٥-٥١٤.، محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٤.

(***) عن العوارين وثورتهم ينظر: الخزرجي: العقود ١٢٣/٢-١٢٦.

(٦) شايف: الحياة الاجتماعية، ص٤٦.، وينظر: هديل: التمردات القبلية، ص٨٨.

(٧) الأشرف اسماعيل: فاكهة الزمن، ص٩ (مقدمة التحقيق).

(٨) الخزرجي: العقود ١٤٤/٢، وينظر: الوصابي الحبيشي: الاعتبار، ص ص١١٩-١٢١.، ابن الديبع: قرة العيون ٣٦٦/١.، هديل: التمردات القبلية، ص١٠٧، ١٤٢.

(****) ومع هذا الحزم كان الأفضل من أهم السلاطين اهتماماً بالتنمية الحضارية والفكرية في اليمن. ينظر: بامخرمة: ثغر عدن ١٠٥/٢-١٠٧.

عشر شيخاً وقتلهم جميعاً"(١). وفي أحايين أخر يثور "مشايخ العربان والقبائل وملكوا أملاك الملوك ونهبوا جبلة"(٢)، وتارة أخرى تتمرد بيوتات وأُسر بعينها ففي عهد المجاهد "خالف بنو فيروز... واتسعت دائرة الخلاف"(٣).

ولعله من الراجح أن تلك العقبات والصعوبات التي واجهت الدولة الرسولية وإن حاولت الدولة مواجهتها والقضاء على بعضها، إلا أنها أنهكت خزينة الدولة وساهمت في "تفكك الوحدة الإدارية والسياسية في اليمن"(٤)، عند نشوبها كما أثرت بشكل ملموس على الاستقرار الاقتصادي والسياسي، إذ "كانت غالباً ما تعصف بهذا الاستقرار وتؤدي إلى تغييرات سياسية محلية، واستقطاب لقوى وتأثيرات خارجية"(٥)، لاسيما إذا ما أضفنا إلى الصعوبات الداخلية صعوبات خارجية مع العديد من الأقطار المعاصرة أخذت الكثير من إمكانات واهتمامات أولئك السلاطين(*).

---

(١) الخزرجي: العقود ٢/١٢٠.، وينظر: هديل: التمردات القبلية، ص١٥٧.

(٢) ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٣٣ (حجازي).

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٤.، وينظر: هديل: التمردات القبلية، ص ص١٨٥-١٩٦.

(٥) محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٥.

(*) سيتناول الباحث هذه الصعوبات في إطار المحددات الخارجية وفي إطار الصلات مع كل قُطر على حدة.

ب) دولة سلاطين المماليك بين الأساس السياسي والتنوع الحضاري:

ساعدت حالة التشرذم السياسي والتناحر العسكري فيما بين ملوك الأيـوبيين الصـغار "على تراجع دورهم التاريخي أمام دور المماليك الذين رباهم الأيوبيون ليكونوا عدتهم العسكرية ضد بعضهم البعض"(١)، ليتحول هذا الدور إلى انبثاق دولة سلاطين المماليك من ذات الظروف التاريخية التي أحاطت بالأيوبيين الأواخر لتشغل الساحة التاريخية في مصر والشام منذ منتصف القرن السابع الهجري وحتى بدايات القرن العاشر الهجري (٦٤٨-٩٢٢هـ/١٢٠٠-١٥١٧م)(٢).

---

(١) قاسم عبده قاسم: السلطان المظفر سيف الدين قطز، دار القلم، دمشق ١٩٩٨م، ص١٤.

(٢) عن الظروف التاريخية للمماليك، موطنهم وبواكير دولتهم، ينظر:

- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م): مختصر بدائع الزهور في وقـائع الـدهور، اختصار: مدحت الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ص٨٩-٩٥.
- بدرالدين العيني، أبو محمد محمود بن موسى (ت٨٥٥/١٤٥١م): السيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ المحمودي)، تح: فهيم شلتوت ومحمد زيادة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القـاهرة ٢٠٠٣م، ص ص٢٠٢-٢٠٤، ٢٠٨-٢١٠.
- ابن تغرى بردى، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب)، القاهرة، د.ت، ج٧، ص ص١٤-٢٢، ٨/٤، ٩/١٦٥-١٦٦.
- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢/١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيـان المائـة الثامنة، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م، ج١، ص ص٥٠٣-٥٠٧.
- الحسيني، صدرالدين أبو الحسن علي بن ناصر (ت بعد٦٢٢/١٢٢٥م): زبدة التواريخ المسمى أخبـار الأمراء والملوك السلجوقية، ط٢، دار اقرأ ، بيروت ١٩٨٦م، ص ص٣١٩-٣٢٠.
- ابن خلدون: العبر ٥/٣٧٣-٣٧٤، ٣٧٨، ٣٨٠.
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تـح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، د.ت، ج٤، ص١٥٦، ١٥٨.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، مج٢، ج٣، ص ص٤-٥.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن محمد بن عثمان (ت٩١١/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧، ج٢، ص ص١٠٢-١١٢.
- ـــــــــــ: مختصر الطب النبوي، تح: إبراهيم الجمل ونشأت المصري، مكتبـة القـرآن د.ك، د.ت، ص ص١٠-١١.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، تح: أحمـد الارنـاؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٠م، ج٨، ص ص٥٧-٥٩.

- الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت٨٧٢هـ/١٤٦٩م): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ط٢، اعتنى بتصحيحها: بولس راويس، دار العرب للبستاني، القاهرة ١٩٨٨م، ص ص٥٣-٦٨.
- القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الهيئة العامة لقصور الثقافة (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية)، القاهرة ٢٠٠٥م، ج٧، ص١١٩.
- الكتبي، محمد بن شاكر (ت٧٦٨هـ/١٣٦٧م): فوات الوفيات والذيل عليها، تح: إحسان عباس، دار الثقافة ودار صابر، بيروت ١٩٧٣م، ج١، ص٨٧.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤١م، ق٣، ج١، ص ص٦٦٣-٦٦٤.
- المصدر نفسه، ق١، ٢/٤٥-٤٨.
- ابن الوكيل: يوسف الملواني (توفي بعد ١١٤٣هـ/١٧٢٠م): تحفة الأحباب عن ملك مصر من الملوك والنواب، تح: عبدالرحيم عبدالرحمن، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٩٩٨م، ج١، ص ص٧١-٨١.
- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، دار صادر، بيروت ١٩٨٣م، مج٢، ص ص١١٦-١١٧.
- حمدي عبدالمنعم حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٠م، ص ص١٥٣-١٥٦.
- الحويري، محمود: مصر في العصور الوسطى، مركز عين للدراسات والبحوث، القاهرة ١٩٩٦م، ص ص٢٣٧-٢٤٢.
- سالم، السيد عبدالعزيز: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، الإسكندرية ١٩٨٢م، ص ص٢٧٣-٢٧٧.
- السيروليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر، تر: محمد عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٥م، ص ص٣٨-٤٧.
- العبادي، أحمد مختار: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٩م، ص ص١٣٤-١٣٥.
- ـــــــــــــ: في التاريخ الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٢م، ص ص١١٤-١٣٣، ١٦٥-١٨٧.
- الغزالي، عبدالله: المارد والمخاطب في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عربشاه (الباب السابع)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية ٢٢، جامعة الكويت، الكويت ٢٠٠١م، ص ص١٤-١٧.
- قاسم عبده قاسم: الرؤية الحضارية للتاريخ، ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م، ص ص١١٥-١١٦.
- ـــــــــــــ: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مركز عين للدراسات والبحوث، القاهرة ٢٠٠١م، ص ص١٣٩-١٤٢، ١٥٥-١٧٠.
- نفسه: السلطان المظفر، ص ص٤١-٦٣.
- محمد حمزة اسماعيل: السلطان المنصور قلاوون (دراسة في أحوال مصر في عهده ومنشآته العمرانية)، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨م، ص ص٩-١١، ١٥-٢١.

ومثلما اتسمت الدولة الرسولية – المنبثقة هي الأخرى من رحم الدولة الأيوبية – بسمات حفل بها نظامها السياسي، كذلك دولة سلاطين المماليك اتسمت مسيرتها التاريخية ونظامها السياسي هي الأخرى بسمات أبرزها:

- تشكل الأساس السياسي للمماليك على الظروف التاريخية لنشأة دولتهم:

إن المفاهيم السياسية التي سادت في المسيرة السياسية للمماليك "كانت من نتائج الحقيقة القائلة بأن أولئك السلاطين المماليك لم يكونوا من سلالة حاكمة، كما أن أحداً لم ينتخبهم أو يفوض إليهم أمور الحكم، فضلاً عن أنهم قد مسهم الرق بحيث ينتفي عنهم شرط الحرية الذي يعتبر من أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في الحاكم المسلم"[١]. وارتبطت هذه الخلفية القانونية والشرعية لسلاطينهم وأصبحت لازمة تاريخية لنظامهم السياسي، فهذا ابن تغري بردي، يشير إلى مثل ذلك عند قوله: "...وقد تقدم أن الملك المعُز ايبك هذا أول من ملك الديار المصرية من الأتراك الذين مسهم الرق"[٢]، ويعرض المقريزي إلى مثل ذلك بالإشارة عند ذكره للسلطان المنصور قلاوون بقوله: "كان من جنس القبجباق... فجلب إلى مصر وهو صغير واشتراه الأمير علاء الدين اقسنقر الساقي العادلي أحد مماليك الملك العادل أبي بكر بن أيوب بألف دينار فعرف من أجل ذلك بالألفي"[٣].

ولعل هذه المفاهيم السياسية المشكلة للعقيدة السياسية للمماليك والمنبثقة من الظروف التاريخية للنشأة وإن كانت قد عززت الناحية الدفاعية – على المستويين الإعلامي والسياسي – لدى فرق المماليك المختلفة باعتبار السلطنة حق جمعي لهم بلا تفرقة[*]، إلا أنه بالمقابل فإن هذه المفاهيم قد عززت نشوء مبدأ سياسي مغاير لما سبق، وهو المؤامرة السياسية المنبثقة من حق كل مملوك في السلطنة، وكانت الاستهلالة الأولى لهذا المبدأ منذ عهد شجر الدر وما تلاها من حكام حتى عهد الظاهر بيبرس[٤]، ثم تطور هذا المبدأ وبحسب الأحداث وبشكل شبه مستمر بين القرنين السابع والعاشر الهجريين، وهو ما أشار إليه قاسم عبده قاسم بقوله: "إن ظروف قيام

---

(١) قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٥٥.

(٢) النجوم الزاهرة ١٤/٧.

(٣) السلوك، ق٣، ٦٦٣/١.، وينظر: محمد حمزة: السلطان قلاوون، ص ص١٦-١٧.، حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٥٣.

(*) أشار المقريزي إلى مثل هذه الممارسة الجمعية بقوله: "بلغت عدة مماليكه اثني عشر ألف مملوك... تأمر منهم كثير وتسلطنت جماعة". السلوك، ق٣، ٧٥٥/١-٧٥٦.

(٤) ينظر: انسير موير: دولة المماليك، ص ص٤٣-٤٤.

سلطنة المماليك من جهة والوضع القانوني لسلاطين المماليك من جهة ثانية قد حـددت أبعـاد النظرية السياسية لتلك الدولة... [وبالتالي فإن] هذه المفاهيم السياسية تأكدت منذ البداية وتركـت بصماتها على التاريخ السياسي طوال وجود الدولة"[١]، ولذلك ظلت المبررات الدفاعية لشـرعية السلاطين وجلوسهم على عرش السلطنة حتى أواخر دولة سلاطين المماليك[*]. وإن كانت تلـك المبررات لا تلامس الوضع القانوني والشرعي للحاكمية المملوكية.

ـ هيمنة البعدين العسكري والديني على سياسات السلاطين:

البعد الأول: الدينـــي:

إذ حرص سلاطين دولة المماليك على "الاهتمام بالمظهر الديني"[٢]، فعملوا على تقريب (أهل العمامة) من الفقهاء والقضاة وأسندوا إليهم الوظائف القضائية والتدريسية[٣]، على اعتبـار أن (أهل العمامة) سيساعدون السلطان في "حفظ ما افترض الله من الأحكام؛ لأنه ارتضاه مـن بين الأنام... به تقام شعار السنة والفرض"[٤]، وبالإمكان القول: أن الملمح الديني البـارز فـي سياسات المماليك يعود إلى سببين، أولهما: التربية الدينية الممزوجة بالتربية العسكرية الصارمة لهؤلاء المماليك بدءاً من تعليمهم كتاب الله تعالى ثم الخط والتمرين وآداب الشـريعة وملازمـة الصلوات مروراً بتعليمهم الفقه متنقلاً رتبة بعد رتبة، وصولاً إلى مراقبـة سـلوكياتهم الدينيـة والعملية وفق ما تعلموه[٥]، حتى إذا ما شب وتولى من أمور السلطنة شيئاً فظلت هـذه الهيبـة والرهبة تتخللان تعاملاته المرتبطة بالدين متأسياً بالسنة ما أمكن[٦]، وبالتالي فإن سير سلاطين المماليك وفق البُعد الديني بقدر ما كان "الواجهة الدينية التي حرصوا على التخفي وراءها طوال

---

(١) في الأيوبيين والمماليك: ص١٥٥.، وينظر: السيوطي: حسن المحاضرة ١٢٦/٢.

(*) من ذلك إفراد المؤرخ بدرالدين العيني فصلاً كاملاً يسرد فيه تلك المبررات تحت عنوان (فـي اسـتحقاقه السلطنة من حيث تعينه لها لانفراده في زمنه لعدم من يدانيه أو يقاربه). السيف المهند، ص٢٧٦.

(٢) قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٦٤.

(٣) ينظر: ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): رفع الإصـر عـن قضـاة مصر، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٨م، ص٣٤٢.، ابن تغـري بـردي: النجـوم الزاهرة ١٢٢/٧-١٣٦.، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧٤/١.

(٤) غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص٥٣.

(٥) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٦٦/٩.، قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليـك، ص١٥٧، حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٥٦.

(٦) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ١٩٧/٢-١٩٨.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧٢/٩-٧٣.

ذلك العصر"[١]، كسلاطين يحترمون الشريعة وأحكامها فإنهم استفادوا من ذلك السير وفق البعد الديني أن جعلوا من السلطنة "سر من أسرار الربوبية فيها ينال المراد... فيرى من ثمراتها للبلاد الحراسة وللنفوس السلامة والسياسة وللأموال الحفظ وللأرزاق الإدرار وللعلم النشر وللدين الإظهار"[٢].

وأما السبب الثاني في انتهاج البعد الديني والارتباط بأهل العمامة من القضاة والفقهاء محاولتهم كسب شرعية لحاكميتهم فلا تقليد للسلطنة إلا بحضور فقهاء المذاهب، وكلما كثر عددهم زادت شرعية الجلوس على العرش والحكم، فهذا الناصر قلاوون لم يُقرأ له التقليد بالسلطنة إلا عندما "حضر قضاة القضاء الثمانية من المصريين والشاميين"[٣]، وكثيراً ما يستعان بآرائهم في أمور الحكم بهدف كسب مزيداً من الشرعية[٤]، وأحياناً يتم تكليفهم بمهام سياسية[٥].

البعد الثاني: البعد العسكري، فلقد "كان البعد العسكري هو الذي أفرز هذه الدولة"[٦]، وذلك عبر صبغ النظام السياسي للدولة بالصبغة العسكرية وتمثل البعد العسكري في الأساس باعتماد القوة مبدءاً للحكم[٧]. نجح المماليك وفق هذا المبدأ ببناء جيش إتسم بالقوة والصرامة[٨] استطاعوا بواسطته المحافظة على ملكهم "ويتكون الجيش المملوكي من ثلاث طوائف أساسية وهي طائفة المماليك السلطانية، وطائفة مماليك الأمراء، وطائفة أجناد الحلقة"[٩]. واتسمت نظمهم الحربية بالكثير من التنظيم في بناء الثكنات والحصون وحتى في توحيد زي الجيش المملوكي مما يضفي الهيبة والحزم[١٠]. ولعل هذا البناء العسكري وهذه الصبغة العسكرية للنظام السياسي المملوكي إنما يعودان في تقديري إلى سببين رئيسين، الأول: الظرف التاريخي الذي نشأت فيه دولة سلاطين المماليك، الثاني: الأخطار الداخلية والخارجية: فأما الداخلية فيتمثل بالصراع

---

(١) قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٥٥.

(٢) غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص٥٣.، ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة ١٠٢/٢.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات ٥٨/٨، وينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٤/١٢، ٣/١١.

(٤) ينظر: ابن حجر: الدرر ٥٠٥/١.

(٥) ينظر: ابن إياس: مختصر البدائع، ص١٤١.

(٦) قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص٢١٦.

(٧) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٦/١١، ابن حجر: الدرر ٧٩/١.

(٨) ينظر: محمد حمزة: السلطان قلاوون، ص٤١.

(٩) المرجع نفسه والصفحة.

(١٠) ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة ١١٢/٢.

الداخلي للمماليك والثورات الداخلية[١]. والأخطار الخارجية والمتمثل بالدور التاريخي المواجه لـ"اجتياح المغول لبلدان الشرق الإسلامي والقضاء على الخلافة العباسية"[٢]، ووراثة الدور الحربي عن الأيوبيين في مواجهة الصليبيين والقيام بواجب "طرد الصليبيين من بلاد الشام... إذ نجد السياسة المصرية نحو الصليبيين في الشام تتسم بطابع العنف والقسوة"[٣]، ولاشك أن مُجمل تلك الأخطار المحدقة بدولة سلاطين المماليك والتي جبلت على ثقافة القوة في نشأتها وحاكميتها قد أفرزت نظماً حربية وترتيب محكم نسبياً للجيش وتكويناته اعتمد عليه سلاطين المماليك في تنفيذ سياساتهم وتعزيز نظامهم السياسي على المستويين الداخلي والخارجي.

- انتهاج سلاطين المماليك لإسلوب الإقطاع والآمريات في إدارة الدولة:

فالدولة "قائمة على أساس من البناء الإقطاعي والعسكري"[٤]، فقد أقطع السلاطين المماليك كثيراً من المقربين الإقطاعات(*) الموسعة كسباً لهم وهذا الأسلوب الإداري المتبع يبدو أنه كان يحقق عدة أغراض لعل من أبرزها تقسيم الدولة إلى إقطاعات وآمريات بين المماليك والمقربين بحيث يتسنى حكم الدولة عن طريق أمراء الإقطاعات عبر منحهم إمرية هذه الإقطاعات[٥]، وكذلك حفظ ولاء الجيش بتقسيمه إلى فرق مختلفة على رأس كل فرقة أمير وبحسب حجم الفرقة ودورها يمنح أميرها إقطاعه ويخلع عليه بدءاً من أمراء المئين مقدمو الألوف وأمراء الطبلخانة مروراً بأمراء العشرات وأمراء الخمسات(**)، وفي المقابل كانت الإقطاعات تستهدف –أحياناً– المتمردين والخارجين على الإرادة السلطانية، كالسلطان المؤيد الذي لم يقتصر الأمر لديه على العفو عنهم، بل إتجه الأمر إلى "أبلغ من ذلك أنه قد أعطى لبعضهم إقطاعات"[٦]، وفي بعض الأحايين تطال الإقطاعات النساء، فالملك الناصر حسن كان

---

(١) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦/١١.، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٩٠/١.، حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص ص١٦٦-١٦٧.

(٢) قاسم عبده قاسم: الرؤية الحضارية، ص١١٥.

(٣) حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٧٤.

(٤) قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٦٤.

(*) الإقطاع: "ما يقتطعه ولي الأمر لنفسه أو يمنحه لغيره من أرض أو أي نوع من المال الثابت أو المنقول". طرخان، إبراهيم علي: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي للطباعة، القاهرة ١٩٦٨م، ص٤٧٢.،

(٥) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٢٧/١١.، المقريزي: السلوك، ق٣، ٨٤٤/٢.

(**) عن هدف الفرق وإقطاعاتها ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة ١٢٨/٢.، المقريزي: السلوك، ق١، ١٥٣/٢-١٥٦.

(٦) بدرالدين العيني: السيف المهند، ص٢٦٣.

"يعطي إلى النساء الإقطاعات الهائلة"[١]. ولعل ما يلاحظ على النهج الإقطاعي في عصر المماليك بأن حق الامتيازات في الإقطاع تنتهي بوفاة صاحب الإقطاع، ففي سنة (٧٣١هـ/١٣٢٠م) "توفي الأمير قجليس بن عبدالله أمير سلاح... وأنعم السلطان بإقطاعه وهو إمرة مائة على الأمير ساطلمش الجلالي"[٢]، وكذلك يمتاز بتباين حجم الإقطاع وقيمته وجودته بمدى قربه من سياسات السلاطين ومن مركز الدولة الجغرافي (القاهرة)[*]. علاوة على ذلك يمتاز الإقطاع المملوكي بأنه غير جامد يتغير بحسب عزم السلطان على إصلاحه، ففي سنة (٦٩٧هـ/١٢٩٧م) عزم السلطان المنصور لاجين على إحداث تغيرات في النظام الإقطاعي بدءاً من نظام مسح الأراضي الزراعية (الروك)[**]، ومروراً بتوزيع المثالات والملطفات المتعلقة بالإقطاعات، إذ أن "الإقطاعات قد تناقصت عما كانت عليه في الدولة المنصورية قلاوون"[٣]، على أن هناك ملاحظة هامة تتعلق بهذه الإصلاحات والتي تصطدم بأصحاب الامتيازات الذين يعتبرون موارد هذه الإقطاعات حقاً لهم "وبحوزتهم بحكم القوانين الإقطاعية التي نضمت العلاقات داخل الكيان الإقطاعي العسكري الذي جسدته دولة سلاطين المماليك"[٤]، حتى أن المقريزي اعتبر إصلاح النظام الإقطاعي (الروك) قد أثر سلباً على دولة سلاطين المماليك بقوله: "فكان هذا الروك أكبر الأسباب في زوال الدولة"[٥].

ولعل هذه الانفعالية التحليلية من قبل المقريزي إنما كان يعني بها مدى التأثير السلبي لحرمان مماليك الدولة من الامتيازات الإقطاعية، مما يؤثر على تماسك الكيان المملوكي ويفت في عضده وإن كان النظام الإقطاعي برمته غير مرحب به لدى العامة في مصر المملوكية على اعتبار أنه يولد "بناء طبقي حاد"[٦] يمنح فئة الامتيازات والحقوق على حساب الفئات الاجتماعية الأخرى على أنه بالمقابل ينبغي القول: إن أسلوب منح الإقطاعات والأمريات لقوى المماليك

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣١١/١٠.

(٢) المصدر نفسه، ٢٨٧/٩.

(*) لمعرفة هذه التباينات ينظر السيوطي: حسن المحاضرة ١٢٨/٢، محاسن الوقاد: الحجابة زمن سلاطين المماليك ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، حولية التاريخ الوسيط، مج٣، جامعة عين شمس، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ص١١٩-١٢٠.

(**) عن مصطلح الروك ينظر: ضومط، انطوان خليل: الدولة المملوكية (التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري)، دار الحداثة، بيروت، د.ت، ص٣٨٢.

(٣) المقريزي: السلوك، ق٣، ٨٤٦/١.

(٤) قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٦٢.

(٥) السلوك، ق٣، ٨٤٦/١.

(٦) قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٦٢.

المختلفة قد يساهم في وحدتهم وتعزيز الولاء للدولة المملوكية على اعتبار أن الدفاع عن الدولة والمساهمة في تماسكها هو حفاظ لحقوقهم المكتسبة من خلال إقطاعاتهم.

ـ تفشي الصراعات الداخلية بين الأمراء المماليك والسلاطين:

إذ كان ابن خلدون قد حذر من الآثار السلبية للصراعات الداخلية بين أصحاب العصبية الواحدة والانفراد بالمجد والامتيازات للواحد منهم دون الآخرين[١]، فـإن ظـاهرة (المـؤامرة السياسية) بين السلاطين ومن حولهم طغت على المشهد السياسي لمعظم عهود سلاطين المماليك، فمن السلاطين من كان "يسيء الظنون كثيراً بمن حوله من الأمراء أصحاب النفوذ وعلى يقظة دائمة لتخضيد شوكتهم وإخماد أنفاسهم"[٢]؛ ومنهم من يسعى إلى تصفية مراكز القوى المحيطـة به بالاعتقال والعزل كما حدث في عهد المنصور علي بن أيبك (سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م) عنـد أمره بالقبض على عدد من الأمراء ومنهم الاتابك سنجر الحلبي، حيث اعتقلوه "وأنزلـوه إلـى الجب بالقلعة وكان القبض عليه لأمور... [منها] أنه بلغهم أنه ندم على ترك الملك وهو في عزم الوثوب فعاجلوه وقبضوا عليه"[٣]؛ ومنهم من يعتقل مماليكه لاختراقه حدود المسموح بـه فـي مجلس السلطان بكثرة المجاوبات للسلطان كما فعل الناصر سـنة (٧٢٧هـ/١٣٣٦م) بأحـد مماليكه عندما "غضب عليه لكثرة مجاوباته له ويقال بل وجد في مرقـده ورقـة تتضـمن أن الفخري وطشتمر عزما على الفتك به فقبض عليهما"[٤].

بالمقابل كانت مبادئ النشأة الأولى لدولة المماليك القائمة على مبدأ (الحكم لمن غلب) قد أصبحت هاجس الأمراء المماليك على مختلف عرقياتهم "من الترك والمغول والتتار والصـقالبة والألمان والجراكسة"[٥]، لذا فقد عكسوا هذا التوجه السياسي على مواقفهم تجاه السلاطين والتي كانت ما تنتهي غالباً بخلع السلطان وتنصيب آخر، والأمثلة على ذلك كثيرة على امتداد تـاريخ السلاطين المماليك، فالثلاثة السلاطين الأوائل في دولة المماليك قتلوا على يد مماليكهم[٦]، ومنهم من قتل بالسيف على يد مماليكه كالأشرف الذي قتل سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م) والـذي "تنـاوب الأمراء ضربه بالسيوف"[٧]. ومنهم من يخلع عن العرش كما حدث سـنة (٧٤٢هـ/١٣٤٠م)

(١) ينظر: المقدمة، ص١٦٨.

(٢) السيرمويز: دولة المماليك، ص٨٨.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٤٢/٧.

(٤) ابن حجر: الدرر ٢٥٠/٣.

(٥) قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٥٤.

(٦) ينظر: حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص ص١٥٧-١٦٤.

(٧) المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٩٠/١.

عندما اجتمع الأمراء واتفقوا على "خلع الملك الأشرف علاء الدين كجك"(١)، حتى وصل الأمر إلى أن يخلع بعض السلاطين عدة مرات ويُحبسوا ويعادوا للعرش كما حدث للظاهر برقوق سنة (٧٨٤هـ/١٣٨٢م)(٢)، حتى بلغ ببعض المؤرخين إلى القول: بأن "الطريق إلى العرش مفروشاً بدماء الخاسرين في الصراع"(٣).

ومن طريف القول: إن المؤرخ ابن تغرى بردى قد عبر عن تبرمه حيال هذا التذبذب والصراعات المتتابعة بقوله: "كان جل قصد كل أحد منهم ما يوصله إلى سلطنة مصر وإبعاد غيره عنها ويدع الدنيا تنقلب ظهراً لبطن"(٤).

والمتأمل لهذا التتابع التاريخي في الصراع المملوكي – المملوكي على عرش السلطنة يلمس مدى انعكاساته على الاستقرار السياسي والسلام الاجتماعي في مصر وحتى الاستقرار الاقتصادي، بما فيه ارتفاع أسعار السلع بين تضخم وانعدام(٥)، وغياب للكفاءات القيادية الحاكمة حتى تقلد السلطنة سلاطين صغار السن، وتذبذب المستويات القيادية لهم بين ممن اتُخذ كواجهة ليس له من الأمر شيء وبين من يخلط الصالح بالطالح، وبين من كان كثير الفساد واللهو حتى أفسد البلاد(٦).

وفي ظني أن القراءة المستفيضة لتفاصيل تلك الصراعات المتعاقبة والمتتالية لقرابة ثلاثة قرون من الحاكمية المملوكية لمصر، تثير تساؤلاً مشروعاً مفاده: إذا كان المماليك قد حققوا إنجازات حضارية وفكرية (ساقتها لنا أقلام المؤرخين المعاصرين لهم) في ظل تلك الصراعات فكيف كانت ستكون تلك الإنجازات لو لم تكن تلك الصراعات؟ أو على الأقل خفت حدتها عما كانت عليه!!

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٤٨/١٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٢٨٨/١١-٢٨٩.

(٣) قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٥٥.

(٤) النجوم الزاهرة ٢١٧/١٢-٢١٨.

(٥) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٨٠٤/١، ٨١٣، ٨٣٠، ٨٩٣.؛ ابن تغرى: النجوم الزاهرة ٢٩٧/١٢، ٢١٣/٧.

(٦) عن هذه المستويات ينظر: المصدر نفسه، ٤٩/١٠، ١٧٢/٩، ١٧٧، ١٤٠، ٢٩٠/١١، ٣٢٨/٧-٣٢٧.، الصفدي: الوافي بالوفيات ٥٧/٨-٥٨.، غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص١١٢.، ابن حجر: رفع الإصر، ص٣٦٦.

ـ تنظيم البنية الإدارية للدولة وتنوعها الحضاري:

إذ "أتقنت في هذا العصر العلوم السياسية والإدارية والحربية ووضعت فيها الكتب وضبطت قوانينها ونظمها تحت سلطان المماليك"(١). ولا نكون من المغالين إذا قلنا: إن المماليك نجحوا في بناء إداري وتنظيمي لدولتهم عكس نفسه على المخرجات الحضارية والفكرية وبناءً على هذا الارتباط الشرطي بين البناء الإداري للدولة ومخرجاته، فقد شرع سلاطين المماليك وبشكل أكثر تحديداً منذ عهد الظاهر بيبرس في "وضع النظام الإداري لدولة المماليك في مصر ونظم كثيراً من قواعد الحكم فضلاً عن استحداثه بعض النظم الإدارية والوظائف الجديدة التي لم تكن معروفة من قبل"(٢)، بما في ذلك سلك القضاء، وقد حرص السلاطين على "نفوذ القضاة وعلو منزلتهم واحترام الجميع لهم... طالما سلك القضاة سبل النزاهة والاستقامة، وقد ظلت هذه الصور المضيئة طوال العهود المبكرة لدولة المماليك"(٣).

ولأهمية القضاء لم يكتف المماليك بذلك فحسب بل راعى السلاطين المسألة المذهبية في خط سير القضاء وانعكاساته على الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ومدى ما تثيره هذه المسألة من إشكالات على الجوانب سالفة الذكر(٤)، فبادر المماليك منذ وقت مبكر إلى حسم المسألة عندما "ولى الملك الظاهر في سنة ثلاث وستين وستمائة في كل مذهب قاضياً مستقلاً(*) بذاته فصارت قضاة القضاء أربعة"(٥)، كما اتجه سلاطين المماليك إلى استحداث العديد "من الوظائف العسكرية والديوانية والدينية"(٦) كوظيفة كاتب السر، وناظر الجيش، وناظر الخزانة، واتابكية العسكر، وناظر الدواوين، والجاندرية، وغيرها من الوظائف التي لا يتسع المقام لتفصيلها(**).

---

(١) جرجي زيدان: آداب اللغة العربية ١١٨/٢-١١٩.

(٢) محمد حمزة: السلطان قلاوون، ص٣٤.

(٣) ابن حجر: رفع الإصر، ص٦ (مقدمة التحقيق).

(٤) نماذج من الإشكالات المذهبية الناجمة عن وحدة وظيفة القضاء، ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢١/٧-١٢٢.

(*) أورد ابن تغري بردي أسمائهم في كل مذهب على حدة بدءاً من هذا التاريخ حتى القرن التاسع الهجري. ينظر: المصدر نفسه، ١٢٣/٧-١٣٧.

(٥) المصدر نفسه، ١٢٣/٧.

(٦) محاسن الوقاد: الحجابة زمن المماليك، ص١٠٥.

(**) عن هذه الوظائف وتعريفاتها، ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ١٥٤/٧، ١٩٥.، غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص ص٩٨-٩٩.، السيوطي: حسن المحاضرة ١٢٩/٢-١٣٢.، ضومط: الدولة المملوكية، ص ص٢٨١-٢٨٣.، طرخان: النظم الإقطاعية، ص ص٤٧١-٤٧٩.

وقد حددت مهام وصلاحيات كل وظيفة وامتيازاتها، مما خلق جهاز إداري للدولة استطاع، إلى حد ما، في المحافظة على الوحدة الجغرافية والإدارية لأقاليم الدولة وساعد - على الرغم من الصراعات السياسية - على حشد الطاقات وتوجيهها نحو مواجهة المد الصليبي والمغولي(١)، فضلاً عما نتج عن ذلك من "حركة علمية نشطة"(٢) في مدخلاتها ومخرجاتها وتنوعاً حضارياً على كافة المستويات الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية والفنية والعسكرية والدينية، الصحية(*)، علاوة على تنوع العلاقات الخارجية مع الأصدقاء والخصوم(٣).

(١) ينظر: الحويري: مصر، ص ص٢٤٤-٢٥٢.، حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص ص١٧٤-١٨٢.

(٢) قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص٢١٨.

(*) عن هذا التنوع ومخرجاته ينظر: المقريزي: السلوك ق٣، ٨٥٠/١، ٩٥٤.، ق١، ١١٢/٢، ١١٤، ٢١٠.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٤٣/٩، ١٦٦.، ١٥٥/١٠.، ٧١/١١، ١٤٠، ١٥٢.، ابن حجر: بلوغ المرام، ص ص١٢-١٣.، نفسه: الدرر ٢٥٢/٣، ٢٦١، ٣٧٤، ٤٢٩.، الحويري: مصر، ص ص٢٨٤-٢٩٦.، محمد حمزة: السلطان قلاون، ص ص٦٠-٨٧.، السيد سالم: الإسكندرية وحضارتها، ص ص٢٧٣-٢٧٦.

(٣) ينظر: الحجي، حياة ناصر: العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية، (الرسالة الثامنة في التاريخ)، الكويت ١٩٨١م، ص١٠.

ج) أشراف الحجاز بين المكانة الروحية وتنازع النفوذ:

ظلت للحجاز المكانة المقدسة في شتى البقاع والأمصار بما يضمه بين جنباته من أماكن تعبدية مقدسة على الرغم من التحولات السياسية التي صاحبت انتقال الخلافة بين المدينة ودمشق وبغداد والقاهرة، ففي أواخر القرن الثالث الهجري استغل بعض الطامحين من العلويين انشغال العباسيين بثورات وفتن الأتراك واستقلوا بإمارة مكة وأسسوا دولة السليمانيين في العام (٣٠١هـ/٩١٣م) من أبناء الحسن بن علي بن أبي طالب، وفي العام (٣٦٠هـ/٩٧٠م) أعلن طاهر بن مسلم من أحفاد الحسين استقلاله بالمدينة بدعم من الدولة الفاطمية(١) لتبدأ مسيرة الأشراف السياسية في حكم أقاليم الحجاز في ظل الخلافات المتعاقبة، وحتى ما بعد القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وهو النطاق الزمني لهذه الأطروحة(٢)، اتسمت خلالها هذه المسيرة بالعديد من السمات والتي ميزت النظام السياسي لحكم الأشراف منها:

---

(١) ينظر: سرور، محمد جمال الدين: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٦م، ص ص١٩-٢٢.

(٢) عن الأشراف ومسيرتهم السياسية المتعاقبة، ينظر:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ج١٠، ص ص٤٢٦-٤٢٧.
- الأشرف عمر: طرفة الأصحاب، ص١٠٢، ١١١-١١٣.
- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٦/٧، ١١/١٣٨-١٣٩، ١٢/١٤٤.
- ابن حجر: الدرر ١/٣٤٥-٣٤٦، ٢/٧٨-٨٠، ١١١-١١٢.
- الخزرجي: العقود ١/٥٥ ، ٥٨-٥٩.
- ابن خلدون: العبر ٥/٤٣٢-٤٣٣.
- ابن الديبع: قرة العيون ١/٢٩٤ (هامش المحقق).
- السخاوي: الضوء ٣/٥٠ ، ١٦٤ ، ٢١٧.
- الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م، ج١، ص ص١٢٤، ١٦٢، ١٧٣.
- الصفدي: الوافي بالوفيات ١٣/١٢٣.
- العاكش، حسن بن أحمد اليمني (ت١٢٨٦هـ/١٨٦٩م): الدر الثمين في ذكر مناقب والوقائع لأمير المسلمين، تح: عبدالله بن علي أحمد، دار الفكر، دمشق ١٩٧٨م، ص ص١١-١٢.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبدالحي الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ت، مج٣، ج٦، ص٥٣.
- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد علي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م، ج١، ص٢٨، ٤٥٣.

. الاعتماد في تأسيسهم لإماراتهم على البعدين الروحي والعسكري:

فهم يتمتعون بصفة روحية بانتسابهم لفرعي الحسن والحسين إبني علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)(١) منذ أن "حكم بنو سليمان مكة المكرمة من سنة ٣٥٨هـ إلى سنة ٤٥٣هـ ثم تلاهم أسرة الهواشم من سنة ٤٥٥-٥٩٧هـ، ثم بنو قتادة بن إدريس من ٥٩٧هـ حتى نهاية حكم الأشراف"(٢). ويبدو أن هذه المكانة الروحية المتصلة ببيت النبوة مكنتهم من تجاوز الكثير من الصعوبات التي واجهتهم وحصرت الصراع "على منصب الشرافة"(٣) على الأسرة العلوية

=

- ــــــــــــ: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٦٢-١٩٦٧م، ج٧، ص ص٣٩-٤٧.،
- القلقشندي، أحمد بن علي بن عبدالله (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، دار الباز للنشر ودار الكتب العلمية، مكة - بيروت، ١٩٨٤م، ص١٢٥.
- ــــــــــــ: صبح الأعشى ١٩٢/٧-١٩٣.
- الكبسي: اللطائف السنية، ص ص٦١-٦٢.
- ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، ط٣، تح: أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، مج٧، ج١٤، ص٢٢.
- ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب الشيباني (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م): صفة بلاد اليمن وبعض الحجاز (المسمى تاريخ المستبصر)، ط٢، اعتنى بتصحيحها: اوسكرلوفغرين، شركة التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م، ص ص١٠-١١.
- المقريزي: السلوك، ق١، ١٢/٢، ٨٤.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط١٣، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٨، ج٤، ص٢١٦، ٢٧٤.
- حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص ص٢٢٣-٢٣٥.
- السباعي، أحمد: تاريخ مكة (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران)، الأمانة العامة للاحتفال بمئوية السعودية، الرياض ١٩٩٩م، ج١، ص ص٢٥٩-٢٧٤.
- العبيكان، طرفة عبدالعزيز: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٩٩٦م، ص ص٣٩-٤٣.
- قنديل، محمد المنسي: مكة قلب العالم، مجلة العربي، ع٥٣٥، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت ٢٠٠٠م، ص٤٧.
- مالكي، سليمان عبدالغني: بلاد الحجاز (منذ بداية الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد)، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٩٨٣م، ص ص٥٠-٥٩، ٦٦-٧٣.
- محمد عبدالعال: بنو رسول، ص ص٣٥٩-٣٦٤.

(١) ينظر: الأشرف عمر: طرفة الأصحاب، ص ص١١١-١١٣.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٢١/١.

(٢) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٥٠.

(٣) المرجع نفسه والصفحة، وينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٨٢/٢.، نفسه: العقد الثمين ٣٦١/٧-٣٦٢.

بمختلف فروعها عدا بعض الفترات الزمنية التي تخللت حكم الأشراف تحولت فيها إماراتهم إلى ولايات إما فاطمية أو مملوكية أو رسولية(١)، وإن كانت هذه المكانة في بعض الأحايين قد أدت إلى نعتهم بالتشيع الظاهر(٢) في عهود الخلافات السنية، إلا أن ذات المكانة شفعت لهم لينعت بعضهم بأنه "كان بخلاف آبائه وأقاربه يحب أهل السنة وينصرهم على الشيعة"(٣).

وإن كان في ظني أن هذا النعت للآباء والأقارب سالفي الذكر يقصد بهم الطبقة الأولى من الأشراف المنضوية تحت المذهب الفاطمي(٤). ويبدو أن هذه المكانة الروحية للأشراف قد ارتكزت على مبدأ فرض القوة والحكم لمن غلب من بين أفراد الأسر العلوية ذاتها والولاية تنتزع في الغالب لديهم(*). فمؤسس حكم الأسرة الثالثة للأشراف(**) وهي أسرة بنو قتادة التي غلب البعد العسكري في تأسيسها عندما "استطاع أن يجمع الأشراف الحسنيين حوله ويوحد كلمتهم تحت لوائه... فانتزع إمرة مكة من مكثر"(٥). وما لبثت هذه السمة أن شكلت بعداً ظاهراً في شخصيات الحكام الأشراف من أفراد هذه الأسرة سواء في الفعل السياسي أو في رد الفعل، ومن ذلك ما "ظهر من الشريفين رميثة وحميضة في مكة المشرفة من الجور والعنف"(٦)، وكان حميضة قد "استولى على مكة بعد رجوعه من العراق"(٧). وهذا طفيل بن منصور بن جماز أمير المدينة استخدم الأسلوب العسكري في بسط نفوذه مستغلاً موت أميرها ودي بن جماز، وقد أشار ابن حجر إلى ذلك الأسلوب بقوله: "ثم هجم طفيل على المدينة سنة ٤٣(***) بعد موت ودي وأرسل أخاه حميداً إلى مصر فأتاه بالتقليد ثم عزل... فهجم المدينة ونهب ما كان بها للحاج"(٨).

---

(١) ينظر: العبيكان: الحياة العلمية، ص٤٣.

(٢) ينظر: ابن حجر: الدرر ١/٥٣٨-٥٣٩.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/١٣٩.، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ٧/٥٧.

(٤) ينظر: سرور: سياسة الفاطميين، ص ص٢٣-٢٤.

(*) وتطلب أحياناً من الدول ذات النفوذ السياسي والعسكري، وسيتم تناوله في جانب آخر من هذه السمات. ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٧/٤٥-٤٦.

(**) والمعني بها في هذه الأطروحة.

(٥) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٥٦.

(٦) الخزرجي: العقود ١/٣١٦.

(٧) الفاسي: شفاء الغرام ٢/٢٨٨.

(***) يقصد ابن حجر سنة (٧٤٣هـ/١٢٤٢م).

(٨) الدرر ٢/٢٢٣-٢٢٤.

وأغلب الظن أن بروز هذا البعد الذي يميل إلى تغليب العنف والقوة يعود في غالبه إلى طبيعة النشأة البدوية، وطبيعة الصراعات القبلية آنذاك، فضلاً عن كون إمارات الحجاز مهددة على الدوام ببسط النفوذ عليها باعتبارها أماكن مقدسة تصبغ على صاحبها الشرعية والحاكمية، وفوق هذا وذاك فقد كان التكوين المتداخل للأشراف والمتشعب يتطلب الحزم والعنف في التعامل فيما بينهم، وإلا تضررت أمور تلك الإمارات والقاصدين إليها من البقاع والأنحاء، وهو ما أشار إليه ابن خلدون، في توثيقه لطرف من تلك السياسة عند قوله: "...إن كنيش بن عجلان أقام على خلافه وحاصره بمكة فقتل في حومة الحرب سنة تسع بعدها وساء أثر عنان وعجز عن مغالبة الأشراف من بني عمه وسواهم وامتدت أيديهم إلى أموال المجاورين وصادروهم عليها ونهبوا الزرع الواصل في الشواني من مصر إلى جدة"[١]. وإن كانت سياسة إعجال السيف قد طالت غير الأشراف كما أخبر الفاسي "بأن قتادة قتل إمام الحنفية وإمام الشافعية بمكة ونهب الحاج اليمنيين"[٢].

ويبدو أنه على الرغم من الممارسات الخاطئة لبعض أشراف الحجاز في تلك الفترة، إلا أن المكانة الروحية للأشراف والنزعة العسكرية في بسط النفوذ قد ساهما إلى حد ما في إطالة أمد حكمهم (بغض النظر عن الفرع الذي يحكم) لأطول فترة زمنية ممكنة.

- اعتماد مبدأ الشراكة في الحكم في الإمارة الواحدة واستقلالية كل إمارة عن الأخرى:

هاتان سمتان سار وفقهما أشراف الحجاز على امتداد نظامهما السياسي، ففي الوقت الذي تحكم مكة بالمشاركة السياسية بين اثنين من الأشراف فإنها تتمتع بشخصية مستقلة عن إمارة المدينة على اعتبار أن مكة متوارث حكمها في فرع الحسن بن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)[٣]، والمدينة المنورة في فرع الحسين بن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)[٤]، وباقي الإمارات تدور في فلكهما وولائهما بين الفرعين[٥]. ويمكن القول: "إن أشراف المدينة الحسينيين امتاز حكمهم بعدم تدخلهم في شؤون إمارة مكة اللهم إلا ما حدث في عهد أبي الفتوح وابنه شكر في عهد مكثر وقتادة ولم يحدث أي خلافات بعد ذلك فيما بينهم وبين أشراف مكة"[٦]، على أقل

---

(١) العبر ٥/٥٠٥.

(٢) العقد الثمين ٤٧/٧.

(٣) ينظر: الأشرف عمر: طرفة الأصحاب، ص ص١١١-١١٣.

(٤) ينظر: سرور: سياسة الفاطميين، ص٢٢.

(٥) ينظر: أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٦٣/١-٢٦٤.

(٦) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٦٢.

تقدير في القرنين الثامن والتاسع الهجريين اللذين أعقبا مرحلة التأسيس للأسرة الثالثة من الأشراف لإمارة مكة[١].

أما فيما يتعلق بمبدأ الشراكة في حكم الإمارة الواحدة فيورد المؤرخون من النصوص ما يجعل هذا المبدأ جزئية أساسية في النظام السياسي[*] للأشراف، فهذا ابن تغري بردى يشير في سياق ترجمته للشريف عزالدين عجلان بن رميثة (ت٧٧٧هـ/١٢٧٥م) إلى مثل ذلك فيقول: "ولي إمرة مكة غير مرة نحو ثلاثين سنة... شريكاً لأخيه ثقبة مدة وشريكاً لإبنه أحمد هذا مدة"[٢]، وإلى مثل تلك الثنائية في الحكم يشير الفاسي في أحداث صراع أشراف المدينة بقوله: "وليها بعد عطية جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسيني واستقل بها حتى شاركه في الإمرة بالمدينة ابن عم أبيه"[٣]. أما المقريزي فيصف مبدأ الشراكة في الحكم بنصف الإمرة في قوله: "ذلك أن الشريف مقبل بن جماز بن شيحة أمير المدينة تنافس مع أخيه منصور فتركه وقدم إلى القاهرة فولاه الملك المظفر نصف الإمرة"[٤]. وهذا ابن خلدون يتطرق إلى تلك الثنائية في الحكم بالإشارة إليها عند قوله: "...ثم توفي سنة ثنتين وسبعمائة وولي مكانه ابناء رميثة وحميضة"[٥]، أما ابن حجر فيميل إلى وصف هذه الثنائية بالشراكة إذ يقول: "...واستمر هو وأخوه ثقبة شريكين"[٦].

ومهما يكنْ المسمى لهذه الثنائية والمبدأ السياسي فإنها رافقت النظام السياسي للأشراف، إلا أن هناك ثلاث ملاحظات حولها ينبغي عدم إغفالها:

- الأولى: إن هذا المبدأ لم يكن مطلقاً، بمعنى أن هناك من قد يتولى الإمارة باستقلالية ذاتية لحكمه دون شراكة فيستقل بها أميرٌ واحدٌ وإن كانت ما تلبث أن تعود الشراكة[٧].
- الثانية: إن النصف من الإمارة قابل للتوريث أو التنازل بحدوده المتفق عليها، ويشير إلى ذلك ابن تغرى بردى، في سياق ترجمته لعزالدين بن عجلان فيقول: "...وكان قبل موته

---

(١) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٧٨/٢.، نفسه: العقد الثمين ٤١/٧-٤٣.

(*) كان أول ابتداع لهذه الشراكة في عهد الحسن بن علي بن قتادة عندما اتخذ ولده أبو نمي شريكاً له في الإمارة. ينظر: أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٧٤/١.

(٢) النجوم الزاهرة ١٣٩/١١.

(٣) العقد الثمين ٤٣٨/٣.

(٤) السلوك، ق١، ٨٤/٢.

(٥) العبر ٤٣٢/٥.

(٦) الدرر ٤٥٤/٢.

(٧) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٣٩/١١، الفاسي: العقد الثمين ٤٣٨/٣.

نزل لولده السيد الشريف أحمد بن عجلان عن نصف إمرة مكة"[١]، تأسيساً – على ما سبق – فإن هذه الشراكة السياسية أدت إلى غياب مبدأ ولاية العهد كقاعدة للحكم كما هو بارز لدى المماليك والرسوليين.

- الثالثة: إن هذا المبدأ أكثر وضوحاً في مكة منه في المدينة وباقي الإمارات[٢].

ـ اللجوء إلى التحالفات الداخلية والخارجية في تدعيم النفوذ السياسي لكل إمارة:

وهي من السمات التي راهن عليها الأمراء الأشراف كثيراً، فأما التحالفات الداخلية فبدأت تلوح مظاهرها باعتماد الأسرة الثالثة من أشراف بني قتادة على هذا النوع من التحالفات بزعامة قتادة بن إدريس "الذي استطاع أن يجمع الأشراف الحسنيين حوله ويوحد كلمتهم تحت لوائه وكذلك الأعراب الذين التفوا حوله"[٣]. وانتزع إمارة مكة انطلاقاً من ينبع التي ظلت تحت نفوذه وامتدت تحالفاته إلى حلي على ساحل البحر الأحمر من جهة الجنوب الغربي لمكة[٤]، وفي المدينة بدأت تحالفاتها الداخلية منذ وقت مبكر بتحالف قبيلتي بني هلال وبني عامر مع الشريف شكر "وبمناصرة هاتين القبيلتين استطاع شكر الاستيلاء على المدينة"[٥]. ويشير ابن خلدون إلى تحالف الأشراف وتوحد كلمتهم ضد صبي من بني عجلان أرادت مصر تنصيبه عليهم بقوله: "أتبع الأشراف واجتمعوا على منابذة علي بن عجلان وشيعته"[٦]. أما قبائل الطائف فقد دخلت في تحالف مع قتادة بعد معارك انتهت بانتصار قتادة و"ترك نائباً عنه في الطائف ليحكمها"[٧]. وبالمقابل "سيطر الحسينيون أشراف المدينة على الجزء الشمالي من الحجاز"[٨].

وإذا كان هناك من ملاحظة على التحالفات الداخلية، فيمكن القول: أنها كانت خاضعة لعوامل نفعية ووقتية يغلب عليها محالفة الأضعف للأقوى والمُنهزم للمنتصر، والتي سرعان ما تنهار بما يستجد عليها من ظروف ومسببات داخلية وخارجية[٩].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٣٩/١١.

(٢) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٨٤/٢، ٩٤.، القلقشندي: صبح الأعشى ١٩٢/٧-١٩٣.، الفاسي: شفاء الغرام ٢٣٧/٢.

(٣) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٥٦.

(٤) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٣٧/٢.

(٥) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٦٠.

(٦) العبر ٥٠٥/٥.

(٧) أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٦٤/١، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٥/٧.

(٨) محمد عبدالعال: بنو رسول، ص٣٦٢.

(٩) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢٠١/١-٢٠٢، ٥٣٠-٥٣١.، السخاوي: الضوء ٤/٣.، محمد عبدالعال: بنو رسول، ص٣٦٢.

أما التحالفات الخارجية لأشراف الحجاز فتكاد تكون المهيمنة على المشهد السياسي والعسكري في تاريخ الأشراف بدءاً من نشأة حكم الأشراف وتنازع الخلافتين العباسية والفاطمية النفوذ على مكة والمدينة[١]، ثم تنازع النفوذ والسيطرة عليهما بين الأيوبيين والعباسيين[٢]، وصولاً إلى الصراع بين المماليك في مصر والرسوليين في اليمن على السيطرة على مكة والذي اتخذ أبعاداً سياسة ومراحل زمنية مختلفة[*]، تناوب فيها الطرفان حكم الحجاز بطريقة مباشرة وغير مباشرة[٣]، ويتجاوز مرامي وأغراض القوى الإقليمية المحيطة بالحجاز في تلك الفترة ورغبتها في بسط نفوذها على المقدسات الإسلامية، فإن اعتماد الأشراف على القوى الإقليمية وتوظيفها في حسم الصراعات الداخلية وتعزيز نفوذها السياسي على المنطقة تعددت أهدافه كما تعددت أسبابه، وبالتالي تعددت نتائجه، أما من حيث أسبابه والذي دفع الأشراف إلى إقامة مثل هذا التحالف التدهور السياسي في إمارات الحجاز، والصراعات الداخلية، فالمؤسس قتادة الذي كان قد تمكن من بسط الأمن والاستقرار، "ثم أخذ ينشر نفوذه السياسي في أنحاء الحجاز واليمن ولكن الأحوال السياسية تدهورت عقب وفاته... ثم أصبحت مكة مسرحاً لصراع دار بين الأيوبيين من جهة والرسوليين من جهة أخرى"[٤]. وحصل ذات التدهور في المدينة والطائف وينبع وجدة[٥]، وبالتالي أصبح التحالف مع الآخر ضرورة ملحة لإعادة المكانة السياسية لهؤلاء الأشراف، وقد رأينا سابقاً كيف أن "الشريف مقبل بن جماز بن شيحة أمير المدينة تنافس مع أخيه منصور فتركه وقدم إلى القاهرة فولاه الملك المظفر نصف الإمرة"[٦]، وكذلك لجأالشريف راجح بن قتادة إلى نورالدين بن رسول في اليمن أثناء صراعه مع شيحة فما كان من السلطان إلا أن "جهز ابن النصري والشريف راجح إلى مكة في عسكر جرار فلما سمع بهم الشريف شجه[**] وأصحابه خرجوا من مكة هاربين فتقدم شجة إلى مصر"[٧].

---

(١) ينظر: مرور: سياسة الفاطميين، ص ص٢٣-٢٨.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢١٨/١-٢٢٠.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ٢٦٦/١.

(*) يتناولها الباحث بشكل أكثر تفصيلاً في المحددات الخارجية لنشوء الصلات الحضارية.

(٣) للاطلاع على مراحل من هذا الصراع ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٣٨/٢-٢٣٩، ٢٤٢.، نفسه: العقد الثمين ٣٩٥/٣-٣٩٩، ٤٣٤.، الخزرجي: العقود ٦٤/١-٦٧، ٧٠-٧١.، ابن حجر: الدرر ٧٨/٢-٨١، ٤٩/٣-٥٠.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٣٠/١٠، ٢٦٤.، محمد عبدالعال: بنور رسول، ص ص٣٤٦-٣٦٠.

(٤) العبيكان: الحياة العلمية، ص٤٠.

(٥) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٨٤/٢، ٢٨٩، ٢٤٧.، القلقشندي: صبح الأعشى ١٩٣/٧-١٩٤.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٦٤/١.، غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص١٦.، ابن حجر: الدرر ١١١/٢-١١٢.

(٦) المقريزي: السلوك، ق١، ٨٤/٢.

(**) يورده الخزرجي بهذه التسمية وهو في الأصل شيحة، ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ١٢/٢.

(٧) الخزرجي: العقود ٦٦/١.

ولا يتوقف الأمر عند رغبة كل شريف في بسط نفوذه السياسي أو إذكاء نزعته الانتقامية ضد منافسيه فحسب، بل تعداه إلى استقطاب موارد رزق خصبة عوضاً عن المكوس – الضرائب – التي تثير استياء لدى الحجاج، إذ "أن دخل مكة لا يفي بمصالح أهلها وهذا ما يضطره – [أي شريف مكة]– إلى أخذ المكوس"(١)، وهو ما تحصل عليه الأشراف منذ عهد الأيوبيين وحتى امتد نفوذ الرسوليين فقام الملك المنصور بإلغاء المكوس على الحجاج والتجار(٢).

وفي عهد المماليك درّ هذا التحالف عليهم دخلاً كبيراً، منها ما هو على شكل خلع ومنها ما هو إقطاع أو منح سنوية، فهذا الظاهر بيبرس "وزع على الأشراف عطاءً سخياً وأغدق على الأهلين في المدينتين مبالغ طيبة ورتب لكثير من العائلات فيهما منحاً سنوية"(٣). ولعله من الجدير القول: أن هذه الهبات والجرايات وإن كانت تأتي تحت دعوى رعاية المقدسات والتخفيف من أعباء الحجاج(٤)، إلا أنها تحقق أهداف سياسية ومادية للطرفين المتحالفين وإن غاب عنصر التكافؤ، ولعل من أهداف الأشراف – كذلك – عدم التصادم مع تلك القوى الإقليمية التي تفوق الأشراف عدة وعتاداً ولو على حساب استقلال كل أمير بإمارته وتحولها إلى "إمارة... متمتعة بالحكم الذاتي"(٥)، إذ أن التصادم غالباً ما يجعل تلك الإمارات وحكامها يفقدون حتى ميزة الحكم الذاتي، بل يتحولون إلى مطاردين سياسياً ويصادروا ويقتلوا(٦). ومثلما تعددت المرامي والأسباب لهذه التحالفات من وجهة نظر الأشراف على الأقل، فقد تعددت وسائلها التي هي في ذات الوقت أهداف للقوى الإقليمية والمتمثلة بعدة أمور منها "الدعاء لهم على منابر البلاد... وإشراكهم في ذلك على منبر مكة"(٧). في الخطب المعتادة أو أثناء مواسم الحج ورعاية السُبل والمصالح وتقبل الإهداءات للكعبة(٨). وسواء كانت هذه السيادة مباشرة أو إسمية فإن ارتباط أي

---

(١) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٩٩.

(٢) ينظر: ابن الديبع: قرة العيون ٣٠٧/١.

(٣) أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٩٣/١، وينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٨٩/٢.

(٤) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٨٩/٢.

(٥) العبيكان: الحياة العلمية، ص٤٣.

(٦) ينظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م): وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تح: بشارة عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٥م، ج١، ص٥٢.

(٧) أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٨٠/١.

(٨) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٨٩/٢، نفسه: العقد الثمين ٤٨٩/٧، الخزرجي: العقود ٦٥/١ ، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦٩/١١-٧١، بدرالدين العيني: السيف المهند، ص٩٢، المقريزي: السلوك، ق١، ١٩٥/٢-١٩٧.

سلطان بنفوذ ما "على مكة يضفي على صاحبها شرفاً ورفعة وتجعله في نظر المسلمين أكثر الحكام تمتعاً بالشرعية لكونه خادماً للحرم الشريف وحامياً له ولحجاج بيته الحرام"(١)، غير أن هناك ملمحاً تاريخياً يتعلق بهذه التحالفات لابد من الإشارة إليه تحرياً للموضوعية وهو أن هذه التحالفات لم تكن تنحصر على القوى الرئيسة في المنطقة كمصر واليمن، بل كانت تخرج بعض الأحيان عن ذلك الطابع المألوف إلى الطابع غير المألوف عندما "لجأ بعض هؤلاء الأشراف إلى إيلخانات المغول بفارس والعراق يستمدون العون منهم لتثبيت مركزهم"(٢)، وقد أثار هذا التحالف حفيظة ابن حجر الذي وصف زعيم المغول في العراق بالتعصب والرفض عندما قال: "إتصل بخربندا وأقام ببلاده وتعصب الدلقندي الرافضي وساعده..."(٣).

- تأثر الاستقرار السياسي والاجتماعي بالصراعات الداخلية:

شهد حكم الأشراف بفرعيه الحسني والحسيني للحجاز، كوحدات إدارية وسياسية مستقلة العديد من الصراعات الداخلية فيما بين حكام الإمارة الواحدة أو تنازع النفوذ بين إمارة وأخرى أو تنازع النفوذ بين إمارتي مكة والمدينة على باقي أقاليم الحجاز حتى أشار بعض الباحثين إلى هذه الصراعات وتأثيراتها بقوله: "يكاد الباحث في الأحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الأشراف أن يقرر عدم فاعلية هذه الطبقة الجديدة التي حكمت كلاً من مكة المكرمة والمدينة المنورة بشكل استقلال ذاتي"(٤)، وذلك لكثرة الصراعات الداخلية والتي بدأت مع بداية الاستهلالة الأولى لحكم الأشراف(٥)، وكذلك مع بداية عهد الأشراف من بني قتادة الذي "اختلف مع إبنه حسين فقتله"(٦)، مما فتح الخلاف بين أبناء المؤسس، راجح والحسن، انتهت بتولية راجح بن قتادة وبدعم من حلفائه في اليمن(٧)، لتمتد آفة الصراعات الداخلية إلى القوى المحلية الأخرى في معظم الأقاليم، ففي المدينة كان الصراع بين قوى الأسرة الحسينية سمة بارزة في مجريات الأحداث(٨) لا يحسم في كثير من الأحايين إلا بالتحالف مع إحدى القوى الإقليمية، كالخلاف الذي ثار بين الشريف منصور بن جماز وأخيه ودي بن جماز فتدخلت دولة المماليك وأفرجت "عن الشريف

---

(١) العبيكان: الحياة العلمية، ص٤٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٤١.، وينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٢/١٤٧-١٤٨.

(٣) الدرر ٢/٨٠.، وينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢/٢٤٣-٢٤٤.، نفسه: العقد الثمين ٤/٢٣٨-٢٣٩.

(٤) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٥٠.

(٥) ينظر: سرور: سياسة الفاطميين، ص٢٤.

(٦) أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٢٦٥.

(٧) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢/٢٤٠.، ابن الديبع: قرة العيون ١/٣٠٢.

(٨) ينظر: ابن حجر: الدرر ١/٣٤٦-٣٤٧، الفاسي: العقد الثمين ٣/٤٣٥-٤٤١.

منصور... وأعيد إلى ولايته عوضاً عن أخيه ودي"[١]، ليستمر هذا النوع من الصراعات الداخلية بين قوى الأشراف في المدينة[٢]، ولتدخل في فلك هذا الصراع الأقاليم الرئيسة الأخرى في الحجاز بما في ذلك الطائف التي انطوت تحت نفوذ مكة بعد قتال شديد لم يخلُ من الفعل ورد الفعل[٣]. وتابعتها على ذلك ينبع التي تأرجحت في ولائها السياسي بين سيطرة شريف مكة والولاء للرسوليين في اليمن[٤]، وكذلك جدة التي أصبحت "تابعة لأمير مكة"[٥]، وبذلك أفرزت تلك الصراعات سيطرة الأشراف الحسنيين على مكة وما يليها جنوباً "في حين سيطر الحسينيون أشراف المدينة على الجزء الشمالي من الحجاز"[٦]، مع تذبذب في هذا النفوذ بين وقت وآخر بحسب حدة الصراعات وقوة التحالفات مع القوى الإقليمية، على أنه ينبغي القول: أن هذه الصراعات كانت لها آثار سلبية متعددة منها: "عدم القدرة أو النجاح في تأمين الحجاج بتأليف العربان ومنعهم من الاعتداء على قوافل الحجاج والتجار أثناء مواسم الحج"[٧].

ويذكر الفاسي أن هذا النوع من الانفلات قد تضرر منه الأشراف أنفسهم بقوله: "حصل للحاج تشويش بعرفات وهوشة في نفس مكة ونُهِبَ خلقٌ كثيرون... وحصل لأبي نمي صاحب مكة من الجمال المنهوبة خمسمائة جمل"[٨]، فضلاً عن الصراعات بين أشراف مكة وفئات مختلفة من المجاورين وحصلت بينهم مواجهات[٩]، وتدخل العبيد في مجريات الأحداث في مكة وحملوا السلاح، والذي كان هو الآخر من إفرازات الضعف المتولد عن تلك الصراعات[١٠]. وكذلك ارتفاع وتيرة النزعة الانتقامية فيما بين الأشراف أنفسهم ونضبت الثقة فيما بينهم[١١].

---

(١) المقريزي: السلوك، ق١، ٢/١٧٥.

(٢) للاطلاع على المزيد من صراعات أشراف المدينة ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣/٤٣٦-٤٤١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨/٢٧٨-٢٨١.

(٣) ينظر: أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٢٦٤.

(٤) ينظر: الخزرجي: العقود ١/٧٠.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٢.

(٥) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٠٠.

(٦) محمد عبدالعال: بنو رسول، ص٣٦٢.

(٧) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٥٠.، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ٧/٤٦.

(٨) شفاء الغرام ٢/٢٩٢.

(٩) ينظر: المصدر نفسه، ٢/٣٠٠.

(١٠) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٢/٤٢، ١٩٠.

(١١) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢/٢٨٢.، حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص٢٣٤.

وفي ظني أن من أهم أسباب تلك الصراعات غياب قاعدة محددة للحكم يسير وفقها الأشراف، إذ ظل مبدأ التوارث مشوشاً، أضف إلى اعتماد مبدأ الشراكة في الحكم وهو ما لم يحصل - في التاريخ الإسلامي - إلا في حالات نادرة، سواء في عهد بعض الدويلات المستقلة في اليمن، أو كما فعل هارون الرشيد عندما قسم الخلافة بين ولديه الأمين والمأمون، علاوة على ذلك دور القوى الإقليمية في ذلك الصراع والتدخل في مجرياته.

- نجاحهم في إيجاد جهاز إداري وحركة علمية مزدهرة:

على الرغم من الصراعات السياسية الداخلية بين الأشراف والتجاذبات الإقليمية حول إمارات الحجاز، إلا أن بعض الأشراف حاولوا تأمين استقرار سياسي(*) وأسسوا أشكالاً مختلفة من التنظيمات الإدارية والمالية، إذ "قاموا ببعض الإصلاحات العمرانية والإدارية"(١)، ويأتي على رأس هذه التنظيمات الإدارية منصب القضاء، فعملوا على الارتقاء بهذه الوظيفة لما لها من أثر على النظام السياسي والسلم الاجتماعي، فجعلوا على رأس كل مذهب قاضياً وإماماً حتى صاروا "أربعة أئمة سنية وإمام خامس لفرقة... الزيدية"(٢). ولم يكتفوا بهذا الإجراء بل "من الملاحظ أن وظيفة القاضي في الحجاز تعتبر الوظيفة الثانية بعد ولاية مكة والمدينة المنورة، ولابد أن يكون قاضي البيت الحرام والمسجد النبوي من كبار العلماء والفقهاء"(٣). وقد تناوب على هذا المنصب الكثير من مشاهير العلماء في ذلك العصر(٤). والوجه الآخر للتنظيمات الإدارية التنظيمات المالية: فقد عملوا على تنظيم الموارد من المكوس والضرائب والتي كانت تخضع للظرف السياسي وحاجة الدولة للنفقات، إذ كان الأشراف "يعتبرون المكوس موارد مالية رئيسية لهم"(٥)، والاهتمام بتنظيم مدن الموانئ كينبع وجدة والجار وتنظيم الجبايات من هذه المنافذ البحرية سواءً كانت على التجارة أو على الحجاج، إذ "يقوم بجبايتها وتحصيلها في ميناء جدة مشرف من قبل أمير مكة... ويقبض لوازمها وصدقاتها ومكوسها وعشورها"(٦)،

(*) ومن هؤلاء الأشراف: شهاب الدين أحمد بن عجلان (ت٧٨٨هـ/١٣٨٦م) الذي كان "حسن السيرة في البلاد والعباد وفي أيامه رغب كثيراً من التجار في سكنى مكة لعدله وحسن سيرته". الخزرجي: العقود ١٥٩/٢.

(١) قنديل: مكة، ص٤٧.، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ٥٣/٧.

(٢) أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٨٨/١.

(٣) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص٢٠٩-٢١٠.

(٤) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣٩/٣، ٨٣، ١٣٩.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٨٥/١١.، ابن حجر: الدرر ٣٤٨/٣، السخاوي: الضوء ٣٣٣/٤-٣٣٤.

(٥) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٧٠.

(٦) المرجع نفسه، ص١٠٠.، وينظر: غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص ص١٤-١٥.

علاوة على ذلك أبدى بعض الأشراف اهتماماً كبيراً بالنواحي العلمية والتأليفية وإقامة العلاقات العلمية[١].

كما شهدت مكة انفتاحاً كبيراً على الآخر المسلم وباقي أقاليم الحجاز وعلى رأس هذه الفئات التجار والمجاورين. ويشير إلى ذلك ابن خلدون بقوله: "امتلأت مكة بالمجاورين والتجار حتى غصت بيوتها بهم"[٢]. ولاشك أن هؤلاء المجاورين والتجار قد أثروا الحياة بمختلف أوجهها العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية[٣]. وكذلك أدخل الأشراف إلى بلادهم قوالب تستخدم في سك النقود[٤]، والتي تعتبر من أهم مقومات الاستقلال وأحد عناوينه الرئيسة وإن جاءت في فترة متأخرة نسبياً في أوائل القرن التاسع الهجري.

ولعل هذه التنظيمات والإصلاحات واكبتها حركة عمرانية مزدهرة كبناء الأسوار حول المدن، والبيمارستانات، والمتاجر، وبنيت المدارس[٥]، والبرك، ورتبت الأسواق وعمرت الأربطة[٦]، وخصصت لتلك الأربطة مكتبات ملحقة بها[٧]. وإن كان هذا الازدهار النسبي متأثر بحركة الازدهار الحضاري والفكري في مراكز الدول الإسلامية الأكثر بروزاً في الساحة كمصر والعراق واليمن، فإنه استطاع بشكل أو بآخر الاستفادة منه وإعادة إنتاج لمدخلاته الفكرية والحضارية في ضوء معطيات الظرف السياسي والطابع الروحي لمكة والمدينة باعتبارهما مركزي الانفتاح على ثقافات وحضارات الآخرين، فإنهما وإن أصبغتا على الأشراف الحجازيين مكانة روحية مكنتهما من تأسيس إمارات ذات طابع مستقل استقلالاً كاملاً أحياناً وذاتياً في أحايين أخرى إلا إنهما لم تسلما من تنازع النفوذ عليهما سواءً أكان التنازع ذات طابع محلي (أشراف – أشراف) أو طابع إقليمي (أشراف – قوى خارجية) لجأ خلالها الأشراف إلى نهج الموازنات السياسية وفقاً لما تقتضيه المصلحة وتغير موازين القوى.

---

(١) ينظر: السخاوي: الضوء ١٣/٣.، الزركلي: الأعلام ٢٧٤/٣.

(٢) العبر ٤٨١/٥.

(٣) لمعرفة المزيد عن هذا الأثر ينظر: البغدادي، محمد بن محمود بن هبة الله (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م): الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، (منشور مع كتاب شفاء الغرام)، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م، ص٣٨٣.، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٩٠، ٢٢٩-٢٣٢.

(٤) ينظر: أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٤٣/١.

(٥) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٦/١، ٢٨-٢٩.، نفسه: العقد الثمين ٤٠٥/٣.

(٦) ينظر: ابن الديبع: قرة العيون ٣١٢/١.، السخاوي: الضوء ١٠٤/٣، ١٦٤، ٢٥٦.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٦٣، ٦٥، ٦٧، ٧٢-٧٥، ٨١.

(٧) الطبري، علي بن عبدالقادر بن يحيى (ت١٠٧٠هـ/١٦٥٩م): الأرج المسكي في التاريخ المكي، مخطوط بجامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، رقم ٢٠١/٥٠، ص٤.

الباب الأول

المحددات الداخلية والخارجية للصلات الحضارية بين اليمن والبلاد الإسلامية (مصر والحجاز)

الفصل الأول : المحددات الداخلية للصلات الحضارية بين اليمن والبلاد الإسلامية (مصر والحجاز).

الفصل الثاني: المحددات الخارجية للصلات الحضارية بين اليمن والبلاد الإسلامية (مصر والحجاز).

الفصل الأول

المحددات الداخلية للصلات الحضارية بين اليمن والبلاد الإسلامية (مصر والحجاز)

شهدت اليمن على مدى قرنين وثلث حكم الدولة الرسولية (٦٢٦هـ/١٢٢٩م-٨٥٨هـ/١٤٥٤م)، وخلال هذه الفترة عاشت اليمن نهوضاً حضارياً وفكرياً، حتى غدت الدولة الرسولية "أبرز دول اليمن الحضارية، وأخلدها ذكراً، وأبعدها صيتاً، وأغزرها ثراءً وأوسعها كرماً وإنفاقاً... عصرها أخصب عصور اليمن ازدهاراً بالمعارف المتنوعة وأكثرها إشراقاً بالفنون"(١)، بل أن هنالك "من المؤرخين من يشبه الدولة الرسولية في اليمن بدولة العباسيين في العراق"(٢).

هذا التعدد في مظاهر النهوض الحضاري ساعد في تنامي الصلات الحضارية لليمن مع البلدان والشعوب الأخرى، بما فيها مصر والحجاز، وأغلب الظن أن هناك جملة محددات داخلية تقف وراء تشكل تلك الصلات، أبرزها:

أ) الانتعاش الاقتصادي والازدهار الإداري:

يعد العامل الاقتصادي من أهم الأسباب "في استمرار وتقدم وازدهار الدولة الرسولية"(٣)، هذا الانتعاش تعددت أوجهه كماً وكيفاً تبعاً لاهتمامات السلاطين بهذه الأوجه وكانت أولى تلك الاهتمامات في السياسة الاقتصادية للدولة الرسولية أن "اهتمت بالموانئ اليمنية"(٤)، بما في ذلك مدن الموانئ، حيث سار سلاطين الدولة في مسارين منفصلين: الأول إداري، والثاني إنشائي، أما الإداري: فقد حرص السلاطين على الإشراف المباشر على مُدن الموانئ وتيسير الإجراءات وإبطال المكوس والضرائب التي كانت تعوق تنامي للحركة التجارية مع بلدان وشعوب العالم، ومن ذلك ما أورده الخزرجي، من زيارة السلطان المؤيد داوود لميناء عدن في سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٨م)، وكان التجار يقدمون الأموال كهدايا، فيقول: "وقدم التجار المقيمون بالثغر المحروس التقاديم النفيسة على عوايد الملوك فردها السلطان وأمر بإفاضة الخلع عليهم

---

(١) اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص١٤.

(٢) الزركلي: الأعلام ٥/٥٦.، وينظر: اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص٢٢.

(٣) الأشرف اسماعيل: فاكهة الزمن، ص١١ (مقدمة التحقيق).

(٤) محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٥.

والتشاريف والمراكب من البغال المختارة بالعُدد الكاملة والسروج المذهبة"(١). ولم يقتصر الأمر عند التجار المقيمين في عدن، بل تعداه إلى التجار والهنود وكل وافد إلـى عـدن، إذ "أجـرى نواخيذ الهند على جاري عادتهم وأمر بإكرام النواخيذ والتجار المترددة إلى الثغر وأمر بضمان بيت الحل"(٢). ولاشك أن هذه الإجراءات الإدارية وإن كانت قد أنعشت حركة التجارة في ميناء عدن، فإنها ساهمت كذلك في توفير الأمن الاقتصادي لمسـتثمري ذلـك العصـر المعـروفين بالنواخيذ والتجار الكارمية، إذ أشار إلى ذلك الخزرجي، في تعليقه على إفرازات تلك الإجراءات الإدارية بقوله: "وسارت النواخيذ والتجار الكارمية ناشرين لواء عدله في أمصارهم وابتسم الثغر عن مقالته"(٣). ولعل من الجدير ملاحظته أن مثل هذه الإجراءات رافقتها سن القوانين المنظمـة للحركة التجارية في مدن الموانئ خاصة والمدن اليمنية عموماً(*)، والتي بموجبها ألغيت بعـض الامتيازات في التسهيلات والضرائب، ويشير السخاوي إلى مثل ذلك في حادثة تعزز هذا الطرح بقوله: "عادة أهل عدن أن من كان حمله من التجار أكثر بُدئ بوزنه فاتفق اجتماع جماعة وفيهم خصي يقال له يمن عتيق الشجاعي وكان حمله أكثر ونورالدين الفوي أحد التجار المقيمين بعدن ممن له وجاهة عندهم وتقدُم في السن فأرادوا تقديمه فلم يمكنهم الخصي من ذلك وسألهم الجري على العادة أو يكاتب السلطان ويمتثل ما يرسم به فكاتبوه... فأرسل إليهم أن قـدموه(**)، وأراد شراءه فوجده عتيقاً"(٤).

أما المسار الثاني، فيتضح بجلاء في الاهتمام بمدن الموانئ وحركة التجارة فيها، وهـو مسار إنشائي "فقد اهتم السلاطين بتشييد العديد من المنشآت التجارية بمدينة زبيد ومنها الخـان المجاهدي الذي أقامه السلطان المجاهد الرسولي سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م والمتجر الـذي أقامـه السلطان الأشرف إسماعيل الرسولي سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٦م، فضلاً عن الاهتمام ببناء مرسى - ميناء - زبيد حيث أمر السلطان الناصر أحمد الرسولي سنة ٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠٠-١٤٢٢م بعمارة المرسى"(٥). وكذلك اهتمت الدولة بالبُعد الإنشائي لثغر عدن حتى غـدت "مـن أعظـم

---

(١) العسجد، ص٢٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص ص٢٩١-٢٩٢.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(*) سبق الإشارة إلى مثل هذه المنظومة المسماة نور المعارف. ينظر هذه الأطروحة، ص٢٣.، أيمـن سـيد: مصادر اليمن، ص ص١٦٥-١٦٦.

(**) أي قدموا الخصي على التاجر ذو الوجاهة.

(٤) الضوء ٤/٢١٢.

(٥) الحداد، عبدالله عبدالسلام صالح: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد منذ نشأتها حتى نهاية الدولة الطاهريـة (٢٠٤-٩٢٣هـ/٨١٩-١٥١٧م)، دراسة أثرية معمارية، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م، ص٧٣.

المراسي... وهي خزانة مال ملوك هذا الإقليم"[١]. ولعل هذا الاهتمام لم يقتصر على مدن الموانئ فحسب بل تعداه إلى الاهتمام بتشييد الأسواق والمخازن والخانات "المخصصة لسكنى التجار الوافدين وتخزين بضائعهم ومبيت دوابهم"[٢]. ولاشك أن ازدهار الحركة التجارية جعل من "موانئ اليمن مراكز مهمة للتجارة الدولية بالإضافة إلى الطرق البرية... وبواسطتها ينتقل العلماء والطلاب والكتب والأفكار من مختلف البلاد إلى اليمن"[٣]. كذلك حرص سلاطين الدولة الرسولية على إجراء إصلاحات اقتصادية شملت المكاييل والعيارات ووحدات القياس كلما احتاج الأمر إلى ذلك[٤]، بما فيها اهتمامه بالجانب الزراعي "وخاصة زراعة النخيل لما يمثله هذا المحصول من أهمية كبيرة في اقتصاد الدولة الرسولية، ونستدل على ذلك الاهتمام بقيام الملك الأشرف... بإحصاء لأشجار النخيل في وادي زبيد بعد أن لاحظ انقراض أعداد كبيرة منه وتضرر الأهالي من ذلك"[٥]. ومن الإصلاحات في هذا الجانب إلغاء "مصالحة العطب في وادي زبيد وغيره"[٦]، والاستناد إلى مرجعية إحصائية في فرض أية مترتبات إدارية ومالية على النخيل وتوفير الحبوب وجلبها إذا ارتفع ثمنها[٧].

ونتيجة لهذا الانتعاش في الجوانب الاقتصادية المختلفة "الذي عاشته اليمن في تلك الفترة تمتعت هذه البلاد بثروات طائلة ساعدتها على تدعيم النشاط الحضاري والعلمي"[٨]، وتشييد مؤسسات اقتصادية كبيرة كالموانئ والأسواق والخانات "ولعل الاهتمام بإقامة هذه المؤسسات الاقتصادية والعمل على تجديدها وحراستها يمثل أحد مظاهر التطور الحضاري"[٩]. وهذا المحدد الداخلي والمتمثل بالانتعاش الاقتصادي انسحب أثره على ارتفاع وتيرة التواصل الحضاري مع الآخر إذ إن "المكاسب المتعددة لليمن مثل كثرة الأموال التي يسرت الحياة المالية للمجتمع اليمني وازدهار التجارة الخارجية والداخلية والانتعاش الزراعي والصناعي ساعدت

---

(١) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٠.

(٢) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٤٠٦.

(٣) فاروق أحمد حيدر: التعليم في اليمن في عهد بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، إصدارات جامعة صنعاء، صنعاء ٢٠٠٤م، ص٤٧.

(٤) ينظر: الخزرجي: العقود ١٥٤/٢.، جازم: نور المعارف ٢٦٧/١-٢٧١.

(٥) الأشرف اسماعيل: فاكهة الزمن، ص١١ (مقدمة المحقق)

(٦) الخزرجي: العقود ١٩٢/٢.

(٧) ينظر: المصدر نفسه، ٢٥٠/١.، ابن الديبع: قرة العيون ٣٣٩/١، ٣٧٦.

(٨) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول ص٤٨.

(٩) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٤٠٩.

على قوة الاتصالات والروابط بين اليمن والدول والشعوب الأخرى سواء العلاقات التجارية أم العلمية والحضارية"(١).

الوجه المصاحب للانتعاش الاقتصادي هو الازدهار الإداري: فعلى الرغم من ارتكاز بني رسول على الحكم الوراثي المطلق، إلا أنهم نجحوا نسبياً في إنشاء مؤسسات وتكوينات الدولة و"وحدت إدارياً وسياسياً في بعض فتراتها الأرض اليمنية قاطبة"(٢)، ومن ثم اتجهوا "لتأسيس نظام إداري... فاستحدثوا وأوجدوا طرق إدارة الدولة بأن خصصوا لها الوظائف الوزارية بصلاحيات ونفوذ ربما لم يكن معمولاً به من قبل مجيئهم اليمن"(٣). وتطورت تلك التنظيمات وأصبحت أكثر مؤسسية، هذه الاستحداثات أدت بدورها إلى إفراز وظائف إدارية ذات طابع حضاري، وذات صلاحيات معينة، حصرها ابن فضل الله العمري، في عدة وظائف قائلاً: "وباليمن أرباب وظائف من النائب والوزير والحاجب وكاتب السر وكاتب الجيش وديوان المال وبها وظائف الشاد والولاية"(٤)، ولكل وظيفة من الوظائف - سالفة الذكر- مهام ومزايا، فالوزير من مزاياه إذا استوزر مثلاً "ركب بالطُرحة على عادة وزراء مصر"(٥)، وفي بعض الأحايين يتم الجمع بين وظيفتي الوزارة والقضاء(*) كما حصل في عهد المظفر للقاضي بهاء الدين العمراني الذي كان "أول من جمع بين ا لوزارة وقضاء القضاة"(٦).

وفي ظني أن هذه الاستحداثات للوظائف والهياكل والتنظيمات الإدارية تطلبت كادراً بشرياً مؤهلاً للقيام بمسؤوليات تلك المهام، وبالتالي كان لابد من التواصل الحضاري وفقاً لذلك، وعليه فقد اعتمد الرسوليون "في أول أمرهم على الخبرات العربية القادمة من خارج اليمن"(٧)، مما حدا ببعض المؤرخين أن ينتقد إكثار الرسوليين من الاعتماد على ذلك الكم من الخبرات في تسيير شؤون الدولة وعدها من المثالب التي ساهمت بزعزعة الاستقرار ورفض الشرائح الاجتماعية التجاوب مع إدارتهم(٨).

---

(١) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٤٧.

(٢) محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٥.

(٣) قايد عثمان: الرسوليون، ص٢٥.

(٤) مسالك الأبصار، ص ص٤٩-٥٠.

(٥) ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٨ (حجازي)

(*) وهو ما يعني الجمع بين سلطتين الشرعية والتنفيذية أو المدنية والشرعية. ينظر: الحبشي: حياة الأدب، ص٢٩.

(٦) الجندي: السلوك ٤٩١/١-٤٩٢.

(٧) الحبشي: حياة الأدب، ص٢٧.

(٨) ينظر: قايد عثمان: الرسوليون، ص٢٦.، الحبشي: حياة الأدب، ص٢٣، ٤٦-٤٧.، هديل: التمردات القبلية، ص ص٨٣-٨٨.

ولكن من الملاحظ أننا إذا أمعنا النظر في ركون الدولة الرسولية المبالغ فيه على غير اليمنيين في تسيير شؤون الدولة فإنه ينبغي علينا إدراك عدة أمور أولاها: أن هذا الركون إنما كان "في بداية عهدها في الحكم... إلا أنها أخذت تقلل من الركون عليهم وخاصة في الجيش بعد قتل مؤسس الدولة"(١).، ثانيها: أن هذا الاستقدام لهذه الخبرات شكل جسراً للتواصل الحضاري، فالبعض وإن ولي بعض المراكز الإدارية إلا أنه بالمقابل أفاد كثيراً في الجانب الحضاري(٢).، ثالثها: إذا كانت هناك ثمة سلبيات لبعض تلك العناصر الإدارية بحكم التأسيس - كما أسلفنا - إلا أن تلك السلبيات والموقف منها "قطعاً لا يُعمم جزافاً على كل من أوكلت إليه مسؤولية إدارية أو سياسية أو عسكرية أو اقتصادية في الدولة الرسولية، حيث نجد من خدم وأخلص بخدمته حكامه وأفاد اليمن فائدة كبيرة"(٣)، ومنهم الأمير علاء الدين كشدغدي الذي أعاد ترتيب الجيش على أسس مملوكية جديدة(٤).

ذلك - إذاً - كان الازدهار الإداري والذي شكلت استحداثاته وأنظمته حافزاً للتواصل الحضاري مع الشعوب والبلدان، بما فيها مصر والحجاز، وشكل في ذات الوقت عامل جذب لتلك الخبرات لملئ تلك الشواغر والاسترزاق ومن ثم استفادت اليمن وجهازها الإداري فضلاً عما حملته تلك الخبرات من مضامين فكرية وحضارية بحكم طبيعة تأهيلهم المستندة إلى الموسوعية وتكامل المعرفة المستقاة من ازدهار الأوعية الحضارية وتنوعها في بلدانهم التي وفدوا منها.

---

(١) قايد عثمان: الرسوليون، ص٢٧.

(٢) ينظر: السخاوي: الضوء ٣/١٣٧.، الفاسي: العقد الثمين ٣/٢٩١-٢٩٣.

(٣) قايد عثمان: الرسوليون، ص٢٦.

(٤) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٧، (حجازي).

ب) ازدهار حركة التأليف وتنوع المصنفات:

فقد "وفر حكم بني رسول الحامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي للفكر التنـويري"(١) لليمن على البلدان والشعوب الأخرى وتقبّل النتاجات التنويرية لتلك الشعوب، كمصر والحجاز، مما جعل عصر بني رسول يشهد نتاجاتٍ تأليفيةً زاخرةً. وبالتأمل في مسيرة التأليف في ذلـك العصر، نجده قد اتسم بالآتي:

- **بروز ظاهرة تصنيف العلوم في التأليف** على أساس موضوعاتها ومجالاتها ومناهج البحث فيها لنجدها، تصنف على قسمين: التأليف في مجال العلوم النقلية وتشمل العلوم الدينية مـن قراءات وتفسير وحديث وفقه وتوحيد(٢)، وعلوم عقلية شملت علوم السياسة والفلك والمساحة والطب والمنطق والزراعة والكيمياء والملاحـة والفلسـفة(٣)، ولتشـمل "الهندسـة وعلـم المجسطي"(٤)، وربما جاء هذا التصنيف لكثرة اشتغال العلماء بالتأليف وتنوع موضـوعات التأليف وبالتالي ظهرت الحاجة إلى مثل هذا التصنيف لمواكبة النمو المتسارع والمتشعب في حركة التأليف مما يسهل الرجوع إلى علوم تلك الفترة لاسيما وقد زخر ذلك العصر بالعديد من المكتبات المتضمنة العلوم من كل فن، التي تحتاج إلى مثل ذلـك التصـنيف(٥). وهـذا التنوع بدوره أثرى مدخلات الازدهار الفكري الذي بدوره عزز حركة التواصـل الفكـري مع الآخر وانتقال المؤلفات والأفكار، وتبادل المصادر المغذيـة لحركـة التـأليف بشـقيها العقلي والنقلي.

- **سعة ثقافة علماء ذلك العصر وتنامي قدرتهم التأليفية**: وذلك بحكم كثرة "المؤلفات والكتب في مختلف العلوم والفنون"(٦)، مما أدى بدوره إلى تضلع جمهرة علماء ذلك العصـر بتلـك العلوم والفنون مما يعزز القدرة الإبداعية لهم، فهذا عبدالله بن أبي بكر العيدروس المولـود (٨٢١هـ/١٤١٨م) "يقول عن نفسه، لو شئت أن أصنف في حرف الألـف مائـة مجلـدة

---

(١) عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري الحديث لليمن جذوره وتأثيراته عربيـاً وإسـلامياً، بحـث مقـدم لنـدوة أيام الايسسكو الثقافية في اليمن، صنعاء ٢٠٠٤م، ص٥.

(٢) ينظر: الكبسي: اللطائف السنية، ص١٥٣.، الحبشي: حياة الأدب، ص٦٤.

(٣) ينظر: الحبشي، عبدالله محمد: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، د.ت، ص ص٤٧٣-٤٩٩.

(٤) الخزرجي: العسجد، ص٣٣٣.

(٥) ينظر: ابن الديبع: قرة العيون ٣٤٩/١.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١١٧.

(٦) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٥٩.

لفعلت"[1]، وهو قول وإن كان ينم عن زهو مبالغ فيه إلى حد ما، إلا أنه يعكس إلى أي مدى وصلت إليه المرجعيات العلمية المغذية لحركة التأليف في ذلك العصر كماً وكيفاً، كما أن ذلك لا يعني كذلك أن علماء ذلك العصر غلبوا الأسس الكمية للتأليف على حساب جودة المنتج العلمي فقد حرصوا على الجودة فيما يكتبون مع وجود رؤية مسبقة لكتاباتهم، فعلماء ذلك العصر لم يشتغلوا في "مجال التصنيف إعتباطاً كما نجده عند أكثر علماء الإسلام الذين ولعوا بالكتابة لمجرد تكثير أسماء مصنفاتهم وتعدادها... وربما مات العالم منهم [في اليمن] عن مصنف واحد"[2].

- **المسار المشترك لحركة التأليف بين الوافدين وعلماء الداخل:** إذ أسهم الزخم التأليفي لذلك العصر في نتاجات أدبية امتدت تأثيراتها إلى عصرنا وأصبحت من أسس العلوم التي ألفوا فيها، ومن هؤلاء مجدالدين الفيروز آبادي الذي قدم اليمن (٧٩٦هـ/١٣٩٣م) واستوطن فيها، والذي "أنجز كتابه الشهير القاموس المحيط في اللغة وجعل إهداءه في مقدمته إلى السلطان الأشرف"[3]، مما حدا ببعض علماء اليمن إلى السير على ذات المنوال في التأليف، ومنهم اسماعيل المقري (ت٨٣٧هـ/١٤٣٢م) الذي ألّف موسوعته (عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي)[4]. ولعل هذه الارتباطية بين مساري الوافدين وعلماء اليمن في مجال التأليف لاشك أنه أدى إلى نتاجات تأليفية إبداعية غذت جسور التواصل الفكري بين اليمن موطن هذه المؤلفات والبلدان الأخرى كمتلقي لمثل تلك الإبداعات التي اتسمت – غالباً – بالجدة الدائمة والموسوعية.

- **مشاركة نساء ذلك العصر في التأليف:** حيث برزت نساء ولعن بالتأليف وتفرغن للدرس والعلم، من هؤلاء "صفية بنت المرتضى [ت٧١٨هـ/١٣٦٩م]... وكانت كاتبة فصيحة ولها خط حسن"[5]، ودهماء بنت يحيى (ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م) التي ألفت الأنوار شرح كتاب الأزهار في أربعة مجلدات، وكتاب شرح منظومة الكوفي في الفقه والفرائض[6]. وبالتوقف عند هذه المشاركة والتي وإن كانت محدودة، إلا أنها تنم عن ما يعتمل في ذلك العهد من حراك ثقافي وتأليفي امتدت تأثيراته إلى شرائح مختلفة منها النساء، وبالتالي قدرة هذا

---

(١) الحبشي: مصادر الفكر، ص٢٨٢.

(٢) نفسه: حياة الأدب، ص٩٠.

(٣) اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص٢٠.

(٤) ينظر: الشوكاني: البدر الطالع ٩٦/١، طه أبو زيد: المقري، ص٥٩.

(٥) الحبشي: مصادر الفكر، ص١٨٨.

(٦) ينظر: المرجع نفسه، ص١٩٨.

الازدهار على التأثير والتأثر بمحيطه الإقليمي والإسلامي، وعلى نحو أكثر تحديداً مع مصر والحجاز، كما أن اتساع دائرة التأليف في ذلك العصر يستدعي الاعتماد على مصادر إسلامية إمداد الآخر بالمصادر اليمنية.

- **إسهامات سلاطين الدولة الرسولية في حركة التأليف**: فلم يكن سلاطين الدولة بمنأى عن النهضة التأليفية في اليمن، بل كانوا "من بين هؤلاء المؤلفين الذين ساهموا بمؤلفاتهم... وتحوي المكتبة اليمنية الحالية أكثر من ثلاثين مؤلفاً في مختلف العلوم لهؤلاء الملوك"[١]. وبعيداً عن (مسألة تأليف الحاكم) ومدى شرعيتها وصحة مصنفاتها[*] إليهم فإن ظهور مؤلفات بأسماء هؤلاء الحكام أضفى صبغة حضارية على ملكهم وعبر عن "نهضة فكرية ونشاط علمي غير مسبوق في تاريخ اليمن"[٢]، لاسيما وقد "تميزت مؤلفاتهم بالاهتمام بالمقام الأول بالجانب العلمي... في علوم الطب والفلك والبيطرة والزراعة وغيرها من فنون العلوم التطبيقية"[٣]، فضلاً عن أهمية مؤلفاتهم في تعزيز التواصل الحضاري مع البلدان والشعوب الأخرى والذي من أبرز شواهده تأليف السلطان الأفضل بن المجاهد (ت٧٧٨هـ/١٣٧٦م) لكتابه المسمى (القاموس) الذي احتوى على ما يقرب من ألف ومائتي كلمة تتعلق بعلم التشريح والصحة والطبخ والملابس مدوناً باللغة العربية وبجوار كل كلمة ترجمتها إلى اللغات الفارسية والتركية والإغريقية والبيزنطية القديمة والصقلية والأرمينية والمغولية في أعمدة موازية لها[٤]. وهذا القاموس بدوره يلبي متطلبات هذا النوع من التواصل لاسيما وطبيعة المرحلة والظروف السياسية التي أفرزها الواقع العسكري والسياسي الذي انبثق عنه هيمنة العنصر الأعجمي سواء كان تركياً أو مغولياً على مراكز هامة في الخارطة العربية والإسلامية كمصر والشام والعراق، مما وفر له فرصة لفرض ثقافته الأعجمية بألفاظه ومصطلحاته، وبالتالي تولد عبء لفظي ومصطلحي – إن جاز لنا التعبير – لليمنيين في

---

(١) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص ص٥٩-٦٠.

(*) حيث أثيرت مسألة صحة الكتب المنسوبة لهؤلاء السلاطين من عدمها وانقسمت الآراء بين مؤيد نسبتها بالكلية ومكذب لذلك بالمطلق وباحث عن حلول وسطى، وللاطلاع على تلك الرؤى، ينظر: السخاوي: الضوء ٢٩٩/٢.، الأشرف عمر: فاكهة الزمن، ص ص٢٥-٢٨ (مقدمة التحقيق).، الفاسي: العقد الثمين ٨٣/٣.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١١٧.، علي عقيل: آل رسول، ص ص١٤١-١٤٥.، الأكوع، إسماعيل: أضواء على مؤلفات علي بن الحسن الخزرجي المؤرخ اليماني، مجلة المؤرخ العربي، ع٤، بغداد ١٩٧٧، ص ص١٢٣-١٢٩.

(٢) عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٥.

(٣) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٥٤.

(٤) ينظر: اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص١٦.

داخل اليمن[١]، حتى أن ابن تغري بردى أشار إلى مثل هذا النوع من فرض الثقافات الأعجمية بقوله: "كان الملك الظاهر –رحمه الله– يسير على قاعدة ملوك التتار وغالب أحكام جنكيرخان من أمر اليسق والتورا، واليسق: هو الترتيب، والتورا: المذهب باللغة التركية"[٢]. وعليه تبرز أهمية المصطلح اللغوي في بنية التواصل الفكري والحضاري[*] وهو ما يوفر جزءاً منه، تأليف مثل هكذا قواميس.

تأسيساً – على ما سبق – فإن المساهمة التأليفية لسلاطين الدولة الرسولية وإن كانت لا تخلو من دوافع سياسية ودعائية إلا أنها عكست الازدهار الحضاري والفكري الذي تشهده اليمن في ظل حاكميتهم، كما أنها عززت التواصل الحضاري مع البلدان والشعوب واستقطاب مؤلفاتهم[٣]، وإمدادهم بالمؤلفات اليمنية المضمنة إفرازات ذلك الازدهار.

- **تخطي النهضة التأليفية لقصور التواصل مع الآخر:** وهو القصور الذي نشأ بفعل عزلة اليمن المبكر عن مركز الخلافة الإسلامية، وبالتالي استجابة الحركة التأليفية في اليمن لهذا الاستقلال المبكر عن جسد الدولة الإسلامية[٤]. ومع الازدهار الفكري الذي شهدته اليمن اتجهت حركة التأليف إلى كسر حاجز العزلة والانفتاح على الآخر، فهذا صاحب كتاب (الدُرتين) الشراحيلي (ت٦٤٠هـ/١٢٤٢م) يصنف كتاب أسئلة على مشكلات التنبيه والتي كان قد بعث بمجموع أسئلة على كتاب التنبيه إلى علماء بغداد فأجابوه عليها[٥]. وهذا السلطان الأفضل، يجتاز منهجية النسابة المحليين بالتركيز على أنساب القبائل اليمنية في مصنفاتهم إلى تصنيفه كتاب يوثق لنسب الآخر العربي والأعجمي سماه: بغية ذوي الهمم في معرفة أنساب العرب والعجم[٦]، كما "اختصر تاريخ ابن خلكان"[٧]، وألف الشريف الحسيني (ت بعد ٨١٥هـ/١٤١٢م) ملخص الفطن والألباب ومصباح الهُدى والكتاب حاول أن يستوعب المصطلحات الإدارية والجمركية الوافدة على اليمن والمهيمنة على ثقافة إدارة

---

(١) للاطلاع على جوانب من هذه الألفاظ والمصطلحات ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٩/٧، ضومط: الدولة المملوكية، ص ص٢٨١-٢٨٥.

(٢) النجوم الزاهرة ١٨٢/٧-١٨٣.

(*) خصوصاً مع مصر المملوكية التي يتصدر مؤسساتها السياسية والفكرية آنذاك العنصر الأعجمي. ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٦٩٢/١، ٧٥٦.

(٣) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٦٥/٢، اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص ص١٩-٢٠.

(٤) ينظر: أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٠-١٤.

(٥) ينظر: الحبشي: مصادر الفكر، ص١٧٧.

(٦) ينظر: بامخرمة: ثغر عدن ١٠٧/٢.

(٧) المصدر نفسه والصفحة.

الدولة[1]. ولاشك أن كسر حاجز العزلة في الساحة التأليفية تطلب الاعتماد على مصادر تلك الأقطار، وفي طليعتها مصر والحجاز، وذلك لتوثيق مادة الكتاب المؤلف، ومن ثم زيادة التواصل الفكري والحضاري بزيادة الاعتماد على مصادر تلك الأقطار.

تلك إذاً كانت قراءة متأنية للمشهد التأليفي في اليمن أبان عصر الدولة الرسولية كأحد المحددات الداخلية الذي ساعد على تكوين واقع ثقافي مزدهر لليمن، مما أتاح للفكر التنويري في اليمن أن يواصل عطاءه – تأثيراً وتأثراً – مع البلدان والشعوب الأخرى بما فيها مصر والحجاز، ويفسر الكثير من أوجه التشابه في المضامين الحضارية بين اليمن وتلك البلدان.

(١) ينظر: أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٦٥-١٦٦.

ج) انتشار المدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى:

ففي "هذه الفترة التي توفرت فيها العديد من العوامل المشجعة على انتشار التعليم والقدرة على تمويله ازداد الإقبال على إنشاء المؤسسات التعليمية... [ومنها] المدارس والمساجد والزوايا والكتاتيب"[١]، وهذه المؤسسات شكلت الوعاء الحضاري والأساس الذي ارتقت على ظهرانيه علمية العصر وثقافته، وأبرز المحددات الداخلية التي شجعت اليمن على التواصل الحضاري مع البلدان والشعوب الأخرى، بما فيها مصر والحجاز، وبالتوقف عند هذا التوسع في إنشاء هذه المؤسسات والتي تأتي في صدارتها المدرسة تتبدى لنا عدة ملامح:

- **الملمح الأول: إن هذا العصر يُعد بحق عصر الانتشار المدرسي**، إذ غدت المدرسة فيه أهم المؤسسات التعليمية والتي جعلت من "عصر الدولة الرسولية... أخصب عصور اليمن ازدهاراً بالعلم"[٢]، فشيدت "المدارس في كل مدينة وفي القرى وخصوصاً المدن الأربع عدن والجند وتعز وزبيد وملحقاتها"[٣]. ولكن يبدو أن هذا الانتشار على الرغم من اتساع قاعدة الكمية "في مدن اليمن الأسفل مثل تعز والجند وذي جبلة، كما انتشرت كذلك في زبيد ونواحيها"[٤]، إلا أن المتأمل لا يجد للرسوليين "مدرسة واحدة في اليمن الأعلى"[٥]. ولعل هذه الإشارة لا تعني اختلال التوازن في مفهوم الازدهار الذي شهدته اليمن في ذلك العصر وتكامله بقدر ما تُعزى أسبابه إلى تنازع النفوذ بين الرسوليين والقوى الزيدية على تلك المناطق، مما غيب الفرصة عن بني رسول للتوسع في انتشار المؤسسات التعليمية عموماً والمدارس خصوصاً[٦]، وإلى انتشار المساجد والهجر في اليمن الأعلى والتي توازي دور المدارس في اليمن الأسفل[٧]، وإن تباينت في بعض خصوصيات الأنظمة والرؤى المنهجية والمذهبية[٨].

---

(١) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص١٠٩.

(٢) الأكوع، اسماعيل علي: المدارس الإسلامية في اليمن، دار الفكر، دمشق ١٩٨٠م، ص٧.

(٣) الجندي: السلوك ٣٦/١ (مقدمة التحقيق).

(٤) اسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٧.

(٥) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٧.

(٦) المرجع نفسه والصفحة.

(٧) عن هذه الهجر وأدوارها ينظر: و.ف. مادلونج: أصول الهجرة اليمنية، (منشور ضمن كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي)، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء ٢٠٠٢م، ص ص١٢-٣٤.

(٨) ينظر: الشوكاني: البدر الطالع ٨٤/١-٨٥.، الكبسي: اللطائف السنية، ص ص١٥٢-١٥٣.

- **الملمح الثاني: التنوع العلمي والمنهجي في هذا التوسع:** "فكان لكل مذهب مدارسه الخاصة المرخصة والممولة من الدولة... كالمدارس الخاصة بالحديث والسنة وعلوم القرآن وأصول الدين"[١]، ويرجع عبدالعزيز السنيدي، هذا التنوع المذهبي إلى "وجود مذهبين سنيين متنافسين وهما المذهب الشافعي والمذهب الحنفي"[٢]. واقتراباً من الرؤية الموضوعية حيال ذلك التنوع فإنه لم يكن استجابة للتنافس المذهبي فحسب، بل كان استجابة للتنوع الفكري وبروز "مراكز فكرية وعلمية متعددة قوي شأنها وأصبحت تضاهي غيرها من المراكز العلمية المنتشرة في العالم الإسلامي"[٣]، وللتنوع في مشارب الازدهار في اليمن في تلك الفترة في جانبي العلوم العقلية والنقلية[٤]، وفي المقابل فكما تنوعت المؤسسات التعليمية في الأسس التي قامت عليها، فقد "تنوعت المناهج التعليمية"[٥] لهذه المؤسسات بين الدراسات الدينية والعلوم المساعدة كعلوم القرآن الكريم والتفسير والحديث وعلم الفقه وأصوله وعلوم النحو واللغة والأدب والعروض[٦]، وبين علوم "الفلك والزيج"[٧]، وعلم الطب والبيطرة والمنطق التي ألفت فيهما الكتب والمصنفات[٨]، وعلوم "الهندسة وعلم المجسطي"[٩]، وإن كان هذا التنوع في المناهج ومؤلفات ذلك العصر لا يعني تساوي درجة الاهتمام بالوجهين من العلوم، إذ كانت "العلوم الشرعية والعلوم المساعدة المالية لها هي أساس المنهج"[١٠]، والعلوم الدنيوية وسائر العلوم التجريبية والنظرية، فقد كانت تدرس بشكل أضعف[١١]، وهذا التنوع في المناهج الذي غذيت به المؤسسات التعليمية في ذلك العصر وفر أساس مادي للتواصل مع البلدان والشعوب، كمصر والحجاز، عبر الوافدين العارفين "بعلوم الأوائل من الهيئة

---

(١) عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٦.

(٢) المدارس اليمنية، ص ص٦٦-٦٧.

(٣) عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٦.

(٤) ينظر: الجندي: السلوك ١/٣٨-٣٩.، الكبسي: اللطائف السنية، ص١٥٩.، الفاسي: العقد الثمين ٧/٤٨٩.

(٥) الأغبري، بدر سعيد علي: عوامل ازدهار التعليم في عصر الدولة الرسولية، بحث منشور في كتاب ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠٣م، ص٢٢١.

(٦) ينظر: السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢١٩.

(٧) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٩.

(٨) ينظر: الجندي: السلوك ١/٣٩.، الفاسي: العقد الثمين ٧/٤٨٩.

(٩) الخزرجي: العسجد، ص٣٣٣.

(١٠) الأغبري: عوامل ازدهار التعليم، ص٢٢٣.

(١١) ينظر: المرجع نفسه، ص٢٢٠.

والهندسة وعلم المجسطي... [وضاربين] في كل علم بنصيب"(١)، أو عبر أهل اليمن الراحلين "إلى بعض الأقطار الإسلامية طلباً للعلم أو التجارة وهؤلاء رأوا هذه المدارس"(٢) في تلك الأقطار وفي بلدانهم، وبالتالي اتخذوا من المؤسسة التعليمية ومنهجها واسطة للتواصل الحضاري والفكري مع تلك البلدان وعلى وجه الخصوص مصر والحجاز.

- **الملمح الثالث: التنوع في الأهداف المتوخاة من هذه المؤسسات:** فكما تعددت الأسس وتنوعت المناهج لهذه المدارس والتي جاءت استجابة لما يعتمل في اليمن من "نهضة علمية شاملة حتمت إنشاء المدارس"(٣)، فإنها كذلك تنوعت في الأهداف المتوخاة من إنشائها مثل سد "حاجة البلاد من التخصصات المختلفة وتنفيذ الأحكام الشرعية، وضبط البلاد، وخاصة بعد أن توسعت مهام الدولة وجابهت العديد من التحديات استدعى كل ذلك زيادة الطلب على الموظفين والمدرسين"(٤)، لاسيما وقد عرضنا – سابقاً – لمدى التطور المؤسسي الذي اعترى نظام الدولة الإداري، مما اقتضى تعدد وظائفه(٥)، وبالتالي تولدت الحاجة إلى إعداد كوادر تتولى شغل مثل هذه المناصب؛ ووفقاً لهذه الارتباطية فإن هذا الهدف المتوخى من المنشأة التعليمية أصبح بدوره دافعاً للتواصل الحضاري مع الآخر، إذ أن "المهارات والتخصصات التي لم تستطع مؤسسات البلاد توفيرها، فقد تم استقدامها من خارج البلاد"(٦)، وهذا الاحتياج بدوره أعطى لليمن قابلية للتواصل الحضاري والفكري الذي قد يتعدى الإطار المحدد للاحتياج إلى أطر حضارية وفكرية تسمح بتبادل التأثير والتأثر وفقاً للإرتباطية المذكورة آنفاً(٧) بين غرض متوخٍ وآخر. كما أن هناك هدف آخر ارتبط بنشأة المدارس وهو "مقاومة المعتقدات الإسماعيلية والمذهب الزيدي"(٨).

ومع تسليمنا بأهمية هذا الهدف والذي يشير إلى الاختلاف المذهبي، إلا أنه لا يشكل في ظني تلك الدرجة من الخطورة (وإن كان يبقى هدفاً رسولياً) لاسيما والحديث عن هذا الهدف يرتبط بنشأة الدولة وبداية الاهتمام بالتأسيس وإلا فقد بدأ هذا الهدف يتراجع في قائمة

(١) الخزرجي: العسجد، ص ص٣٣٣-٣٣٤.

(٢) المنيدي: المدارس اليمنية، ص٦٩.

(٣) المرجع نفسه، ص٦٦.

(٤) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٧٤.، وينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص ص١٢٥-١٢٦، ١٢٨ (حجازي).، السخاوي: الضوء ٣/١٠٩-١١٠.

(٥) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص٤٩-٥٠.

(٦) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٧٤.

(٧) للاطلاع على نموذج ينظر: السخاوي: الضوء ٣/١٣٧.

(٨) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص١٠٩.

أولويات حكام بني رسول وتخف حدته بظهور دعوات معاصرة لهم من الجانب الزيدي تحذر من "خطورة هذه الصراعات... [و] تدعو إلى ترك التقليد للمذاهب ونبذ الخلافات الواقعة بين أهل الفرق المختلفة"(١). وإن كانت حدة هذا الهدف ترتفع تبعاً لحدة الصراع السياسي وتنخفض تبعاً لذلك إلى أن حلت فكرة المناظرات المباشرة أو المناظرات التأليفية محل ذلك الصراع وفقاً لرغبة المذهب في التعايش وحل الخلافات المذهبية بأسلوب ودي وعلمي(٢).

- **الملمح الرابع: ارتباط سلاطين بني رسول بذلك التوسع في إنشاء المدارس وتخصيص موارد مالية وكوادر بشرية لها:** إذ "إنه ما من ملك من ملوكهم المشهورين إلا وقد بنى له مدرسة(*) أو مدرستين ومنهم من بنى أكثر من ذلك"(٣)، ويشير عبدالعزيز السنيدي إلى دور هذه المشاركة في التواصل الحضاري تأثيراً وتأثراً وخاصة مع مصر المملوكية وذلك عند قوله: "يبدو أن من عوامل انتشار المدارس أيام الدولة الرسولية... تأثر بني رسول في هذه الناحية بمعاصريهم من حكام مصر الذين تربطهم معهم صلات جيدة فأدى ذلك إلى تقليدهم في إنشاء المدارس"(٤)، وهو قول وإن كان يحمل جزءاً كبيراً من الصحة إلا أن ربط نشأة المدارس في اليمن بتأثر الرسوليين بالمماليك في مصر فقط، قول فيه مجافاة لجزء كبير من الحقيقة، إذ يعود تاريخ ظهور المدارس إلى ما قبل قيام الدولة الرسولية(٥) لا إلى عهدها، وإن كان هذا التقاطع لا يمنع من حدوث مثل هذا النوع من التأثر الذي لا ريب أنه لم يتوقف عند ذلك الحد، بل عمل سلاطين الدولة الرسولية على تطوير الإنشاءات المعمارية لتلك المدارس حتى أصبح لبعضها "تكوين عجيب"(٦) لتنتقل هذه التقنية المتطورة إلى إنشاء الملاحق التعليمية كالخانقاوات والأربطة(٧). ولما كان هذا الاهتمام يهدف إلى استمرارية الفائدة والثواب وديمومة تحقيق الأهداف المتوخاة من إنشاء المدارس فإنهم كذلك سعوا إلى

---

(١) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٦٣.

(٢) ينظر: الجندي: السلوك ٢٨٤/٢.، عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٥.

(*) حتى أصبحت هذه المنجزات التعليمية لازمة تاريخية لترجماتهم لدى المؤرخين المعاصرين لهم، ينظر: الخزرجي: العقود ٨٢/١، ٢٣٣، ٣٥٩.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٤٦/١١.، ابن حجر: الدرر ٩٩/٢-١٠٠.، ابن العماد: شذرات الذهب ٢٦/٧.، الكبسي: اللطائف السنية، ص ص١٣٠-١٣١.

(٣) اسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٧.

(٤) المدارس اليمنية، ص٦٩.

(٥) ينظر: اسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٧.

(٦) الخزرجي: العقود ٢٦٠/٢.

(٧) ينظر: السخاوي: الضوء ١٢٧/٣، الخزرجي: العقود ١٠٦/٢.

تأمين الإمدادات المادية والبشرية، أما المادية، فقد "وقفوا عليها كرائم أطيانهم الزراعية لإنفاق محاصيلها على المدرسين وعلى طلبة العلم وعلى القائمين بخدمة الدارسين والعاملين عليها وتوفير لوازم الانتفاع وصيانتها"(١)، وأما البشرية فقد حرص سلاطين الدولة الرسولية على تزويدها بالكادر المؤهل الذي يغذي المسيرة التعليمية لهذه المدارس(*)، بدءاً من اختيار نوع الطلبة وعددهم، مروراً بالدرجات العلمية للمدرسين بين معيد، ومدرس، ومتصدر قراءات ومعلم(٢)، على أن الكادر البشري المؤهل في علوم بعينها قد يقل مما يستدعي حكام بني رسول استدعاء "الخبرات العربية والإسلامية"(٣)، وخاصة في الجوانب التطبيقية والتجريبية والجانب الإداري ومنهم جاء بدعوة من ملوك بني رسول "من علماء مصر لإثراء الحركة الفكرية ببلاد اليمن... وتنقل في التدريس بين تعز وزبيد وعدن"(٤)، مما يعزز دور المؤسسات التعليمية كمحدد داخلي في تعزيز ورفع وتيرة التواصل الحضاري بما يمكن تسميته – إن جاز التعبير – الانتقالات الحضارية للتجارب التعليمية بين اليمن والأقطار الإسلامية بما فيها مصر والحجاز.

---

(١) اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص١٤.

(*) تعارف المؤرخون على تسمية هذا التزويد بمصطلح (ترتيب) فيقال "...رتب بها مدرساً ومعيداً وعشرة من الطلبة" ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١١٦ (حجازي).

(٢) للاطلاع على هذه الفروق والتمايزات المهنية، ينظر السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص١٩٩-٢١٢، اسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص ص١١-١٢.

(٣) عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٦.

(٤) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٠.

د) عقلية الحاكم المشجعة للازدهار والانفتاح:

يعتبر "حكم بني رسول من أخصب وأسعد فترات الحكم في اليمن على كل المستويات"[1]، لما تمتع به سلاطين الدولة الرسولية من مستوى ثقافي وعلمي وانفتاح على الآخر، وذلك وفق سياسة داخلية اتسمت بتنمية محاضن الازدهار بمستوياته المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والتعليمية والمعمارية، وهذه السياسة التشجيعية للحاكم سارت وفق مسارات متعددة:

المسار الأول: الاهتمام بالعلماء وتقريبهم:

فقد "احتلت فئة العلماء مكانة رفيعة وكان الحكام يكرمُون العلماء والفقهاء على اختلاف هويتهم وأصنافهم ويمتثلون أقوالهم"[2]، وبالتوقف عند هذا الجانب فقد اتخذ عدة صور منها: تقريبهم للعلماء والإعلاء من شأنهم، فقد "كان تقرب سلاطين بني رسول إلى العلماء يمثل صورة واضحة لتعظيمهم للعلم وتبجيلهم لأهله، وقد علت همة بعضهم في سبيل النهوض بالمستوى الفكري للبلاد"[3].

وثمة شواهد على هذا التقدير والتبجيل والتي منها ما ذكره الجندي، عن علاقة مؤسس الدولة المنصور نور الدين بأحد العلماء ومدى تبجيله لهذا العالم وخفض جناح الهيبة السلطانية له، إذ يقول الجندي: "...وكان الملك المنصور بن علي بن رسول يحبه ويعتقده فلما بنى مدرسته التي بدرجة المغربة المعروفة بالوزيرية لم يزل يتلطف له ويتوسل إليه حتى نزل من بلده وقعد في المدرسة مدرساً"[4]. وهذا الخزرجي يشير إلى تقدير المظفر للعلماء وزيارته لأحد العلماء بقوله: "...لما تحقق السلطان الملك المظفر صلاحه زاره إلى منزله بسهفنة ودخل مدينته وسأل أن يطعمه شيئاً"[5]. كما يمتثل السلاطين لنصح العلماء، فعندما توفي القاضي سعيد الحرازي سنة (٦٧٨هـ/١٢٨٠م) في عهد المظفر "ترحم عليه [ابن المظفر] الأشرف وقال لقد كان يردنا عما لا يليق بنا"[6].

وقد شكل هذا النوع من التقدير جزءاً من التهيئة لترابط حضاري عبر التقدير والتبجيل ذاته للوافدين، فهذا الفيروز آبادي عندما وصل إلى عدن سنة (٦٩٧هـ/١٢٩٧م) "أكرمه

---

(١) الأغبري: عوامل ازدهار التعليم، ص٢١٣.

(٢) عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٥٠، وينظر: الخزرجي: العسجد، ص٤٤٩٠، ابن حجر: الدرر ٩٩/٢-١٠٠٠، الفاسي: العقد الثمين ١٦١/٣-١٦٢، ٤٨٩/٧.

(٣) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٤٥.

(٤) السلوك ٤٦٠/١.

(٥) العقود ١٥٥/١.

(٦) المصدر نفسه، ١٨٨/١.

السلطان وأنصفه وأنزله منزلة تليق بحاله وحمل إليه للفور أربعة آلاف درهم جُدد برسم الضيافة"(١). ولاشك أن هذا العطاء قد أمد الفيروز آبادي (الذي كان علماً من أعلام عصره) بحافز البقاء، وبالتالي الاستفادة الفكرية من عطاءاته، وهو ما أشار إليه الخزرجي صراحة بقوله: "...وانتفع به الناس انتفاعاً عاماً وكان في عصره شيخ الحديث والنحو واللغة والتاريخ والفقه ومشاركاً فيما سوى ذلك مشاركة جيدة وله مصنفات(*) مفيدة"(٢). ومثل هذا التقدير "جرى للزكي بن الحسن بن عمران البيلقاني الفقيه الأصولي المنطقي فإنه حينما قدم إلى عدن كتب محمد بن الفارسي إلى السلطان... يعلمه بقدومه إلى عدن وأنه من أكابر علماء العجم فأجاب عليه بأن يجهزه ويسيره إليه فلما قدم إلى المظفر أكرمه وعظمه"(٣).

وفي ظني أن هذا التقدير والتبجيل الذي تعددت شواهده(**) يعود إلى ارتفاع المستوى العلمي والثقافي لسلاطين هذه الدولة ورغبتهم في بناء دولة ذات مشارب حضارية وفكرية متعددة، كتلك التي في مصر، ويظهر ذلك جلياً في "تشجيعهم العلماء والأدباء والمهرة في مختلف الفنون والمبالغة في إكرامهم، فاستقدموهم من مختلف الأقطار ورغبوهم في الإقامة في اليمن للمشاركة في نشر العلم ونهضة البلاد"(٤)، وهذا هو جوهر التواصل الحضاري والفكري الذي نعنيه والذي كان من محدداته عقلية الحاكم المشجعة لمثل هذا الازدهار.

والصورة الأخرى من هذا التقريب والتقدير: إصباغ المظاهر الاحتفالية على نتاجاتهم الأدبية وإثابتهم عليها وهذه الاحتفالات العلمية كتكريم لعالم من العلماء لنتاج فكري أتمه، وهنا صورتان تاريخيتان تناقلها المؤرخون لمثل هذا النوع من الاحتفالات، الأولى: حفل تكريم الأشرف اسماعيل (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م) للعلامة جمال الريمي نقلها لنا الخزرجي بقوله: "حمل كتاب التفقيه في شرح التنبيه تصنيف القاضي الأجل جمال الدين محمد بن عبدالله الريمي على رؤوس المتفقهة من بيت المصنف إلى مقام السلطان مزفوفاً بالطبلخانة وكان أربعة وعشرين جزءاً

---

(١) الخزرجي: العقود ٢/٢١٨-٢١٩.

(*) امتد هذا التأثير إلى تصنيفه عدة كتب في تاريخ مدن الحجاز، كمكة، المدينة. ينظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سيناء، القاهرة ١٩٨٩م، ص١٦٢، ١٦٦.

(٢) الخزرجي: العقود ٢/٢١٩.

(٣) اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص١٩.

(**) للمزيد من هذه الشواهد ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص ص١٢٥-١٢٦ (حجازي).، ابن حجر: الدرر ٢/٩٩-١٠٠.، الفاسي: العقد الثمين ٣/٢٩١-٢٩٣.، ابن العماد: شذرات الذهب ٧/٢٦.

(٤) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٥٩.

فحباه السلطان بثمانية وأربعين ألف درهم تعظيماً للعلم ورفعاً لدرجته إذ هو بركة الدنيا والآخرة"[1]. أما الصورة الأخرى فهي للفيروز آبادي[*] المحتفل به عند قدومه هو هذه الصورة تمثل "الاحتفاء به وبعلمه في صورة أخرى"[2]، والمتمثلة بالاحتفال بكتابه الفقهي (الإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد)، الذي فرغ من تأليفه في عام (٨٠٠هـ/١٣٩٧م)، حيث ينقل إلينا الخزرجي كشاهد حال لهذه الاحتفالية بقوله: "...أفرغ القاضي مجدالدين محمد بن يعقوب الشيرازي كتابه المسمى بالإصعاد وحمل إلى باب السلطان مرفوعاً بالطبول والمغاني وحضر سائر الفقهاء والقضاة والطلبة وساروا أمام الكتاب إلى باب السلطان وهو ثلاث مجلدات يحمله ثلاثة رجال على رؤوسهم فلما دخل على السلطان وتصفحه أجاز مصنفة المذكور بثلاثة آلاف دينار"[3].

ولا يتوقف الأمر في تكريم العلماء وتبجيلهم عند هذا فحسب، بل تعداه إلى توليتهم مناصب ذات أهمية سياسية كبيرة كالوزارة والقضاء، كالعلامة الفيروز آبادي الذي قدم إلى اليمن كجزء من عملية التواصل الفكري والحضاري مع الآخر المسلم "فأعطي منصب القضاء واستمر فيه حتى وفاته سنة ٨١٧هـ"[4]، والقاضي محمد بن أسعد العمراني (ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م) الذي كان "أول من جمع بين الوزارة وقضاء القضاة"[5]، وهذا الجمع بين هذين المنصبين وإن كان ينم عن تحديث إداري إلا أنه يدل في ذات الوقت عن مدى التقدير والثقة التي بلغها علماء ذلك العصر عند سلاطين الدولة بما فيهم الوافدين[**].

وبالتأمل في مدى حرص هؤلاء السلاطين على توليتهم مناصب إدارية مهمة يجد مدى ما سيعكس من خبرات تطويرية بفعل هذا التواصل الحضاري مع هؤلاء الصفوة من الخبرات الفنية في بلدانهم وزمانهم، بل بلغ ببعض السلاطين إلى دمج هؤلاء الوافدين في الحياة

---

(١) الخزرجي: العسجد، ص٤٤٩.، وينظر: نفسه: العقود ٢/١٦٠.

(*) عن الفيروز آبادي ومؤلفاته ينظر: البغدادي، اسماعيل باشا: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الفكر، بيروت، د.ت، مج٦، ص١٨٠.

(٢) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٤٦.

(٣) الخزرجي: العقود ٢/٢٤٤، وينظر: اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص١٩.

(٤) الحبشي: حياة الأدب، ص٣٧.

(٥) الجندي: السلوك ١/٤٩١-٤٩٢.

(**) لم يكن الفيروز آبادي هو أول وافد ولي منصب القضاء في اليمن، فقد تقلده قبله محمد بن أحمد بن صقر الدمشقي المتوفى (٧٨٥هـ/١٣٨٤م) وهو أول من ولي منصب القضاء من الوافدين في عهد الرسوليين في اليمن. ينظر: الخزرجي: العسجد، ص٤٤٣.، الحبشي: حياة الأدب، ص٣٧.

الاجتماعية كالفيروز آبادي الذي "تزوج الأشرف ابنته ليشد وثاقه إلى اليمن حتى لا ينفك عنها"[١]، على اعتبار أن احتضان اليمن لعلم من الأعلام كالفيروز آبادي صاحب القاموس وإن كان يشكل نفعاً مجتمعياً ورافداً إضافياً للنهوض الفكري والحضاري في اليمن فإنه يشكل بحد ذاته كذلك عامل جذب للوافدين من الدول الإقليمية كالحجاز ومصر للاستفادة من خبراته والدراسة على يديه مما يعزز التواصل الحضاري مع الآخر من تلك البلدان[*].

ذلك – إذاً – كان إجلال سلاطين بني رسول للعلماء والاحتفاء بنتاجاتهم، وهذا التقدير يعطي صورة واضحة لمدى اهتمامهم بنشر العلم ورفع مكانته فضلاً عن كسب السمعة الحسنة ورفع الصيت الحسن في مصاف البلدان والملوك، فكل هذا جعل كثيراً من العلماء مولين وجوههم شطر اليمن منيخين فيها ركابهم وملقين عصا الترحال فيجدون من التكريم والتقدير أكثر مما يأملون وفوق ما يتوقعون[٢].

المسار الثاني: إقتناء بني رسول للكتب النفيسة ونسخها وإنشاء خزانات الكتب:

شكل الكتاب والأمور المرتبطة به من مكتبات ونساخة عنواناً عريضاً للازدهار الفكري، وفي ذات الوقت وسيطاً مباشراً للتواصل الفكري والحضاري تأثيراً وتأثراً، لذا حرص سلاطين بني رسول على انتهاج جمع الكتب ونسخها، وتبدت مظاهر هذا الاهتمام من خلال الآتي:

١- اقتناء الكتب النفيسة وجمعها: فهذا السلطان المؤيد جمع "الكتب النفيسة مشتملة على مصنفات غريبة المعاني من التفسير والفقه والحديث واللغة والنحو والتصريف، وبها أمهات الكتب من كل فن غريب"[٣]، وهذا الحرص من قبل سلاطين بني رسول دفع بكثير من العلماء الوافدين إلى تعزيز هذا النوع من التواصل في اقتناء نفائس الكتب، فهذا ابن حجر يشير إلى مثل هذا التواصل في سياق ترجمته لأبرز نساخي ذلك العصر، فيقول: "...كان له نظم حسن وخط بديع جداً قلت ملكت بخطه خريدة القصر للعماد الكاتب في أربع مجلدات في قطع الكبير

---

(١) اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص٢٠.

(*) فقد قصده عدد من طلاب العلم من مصر والحجاز أثناء استيطانه في اليمن، ينظر: الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م): نخبة الرشاف من خطبة الكشاف، تح: عمر علوي بن شهاب، دار الثقافة العربية للنشر وجامعة عدن، الشارقة – عدن ٢٠٠١م، ص ص١٩-٢٠.

(٢) ينظر: ابن العماد: شذرات الذهب ٢٦/٧، الأشرف اسماعيل: فاكهة الزمن، ص٢٣ (مقدمة التحقيق).، الفاسي: العقد الثمين ٤٨٩/٧.، اسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٧٠، الأغبري: عوامل ازدهار التعليم، ص٢٢١.

(٣) ابن عبدالمجيد: بهجة ص٢٢٠ (حبشي)، وينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٥٣/٩.

وقدمتها لصاحب اليمن فأثابني عليها ثواباً جزيلاً جداً"[١]. ولم تكن هذه المبالغ الثمينة التي تدفع ثمن لاقتناء تلك الكتب[*] النفيسة إلا إدراكاً من سلاطين الدولة لأهميتها في الازدهار الفكري في اليمن، وفي كونها تبقي اليمن على اتصال مستمر ودائم مع نتاجات العصر في تلك البلدان في مختلف النواحي، وذلك يعزز عملية التواصل المعني بها في هذا الطرح، فـ"الكثير من الكتب دخلت اليمن عن طريق الوافدين... مما يزيد في رصيد المكتبة اليمنية ويضيف إليها أشياء جديدة"[٢]، على اعتبار أن الكتاب سيد الوسائط الثقافية للتواصل بين الشعوب في ذلك الزمان.

٢- إنشاء خزانات الكتب: فقد حرص سلاطين الدولة على تكوين مكتبات علمية متنوعة في محتوياتها العلمية، وهو ما تجلى في حرص السلاطين على تكوين خزانة كتب لكل مدرسة، كالمؤيد الذي ابتنى المدرسة المؤيدية "ووقف فيها خزانة من الكتب النفيسة"[٣]، وبدوره أنشأ الأشرف اسماعيل (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م) مدرسة في تعز "ووقف فيها عدة من الكتب النفائس في كل فن"[٤]. وفضلاً عن خزانات الكتب الملحقة بالمدارس هناك مكتباتهم الخاصة، فالمؤيد أنشأ خزانة كتب ضخمة حتى "قيل أن خزانة كتبه اشتملت على مائة ألف مجلد"[٥]. ومما ينبغي قوله: حول مثل هذا الرقم المرتفع نسبياً لأعداد الكتب المشتملة عليها مثل هذه المكتبة لاسيما وقد سبق الإشارة إلى معيار الجمع المبني على النفيس والنوعي من الكتب، إذ كيف سيكون أثره على الازدهار الفكري والحضاري، ومن ثم كيفية تشكيله كمعبر للتواصل الحضاري مع منشأ تلك المؤلفات ومؤلفيها، و"تشجيع الوافدين ومكافأتهم... لجلبهم الكتب النفيسة"[٦].

٣- نسخ الكتب وضبطها: وذلك عبر اهتمام بني رسول بـ"توظيف النساخ لنسخ الكتب وتعيين مقابلين للتأكد من صحتها ثم إيداعها لخزائن الكتب الخاصة بهم"[٧]، فهذا الخزرجي يشير

---

(١) الدرر ٣٦٥/٢.

(*) للمزيد عن ذلك ينظر: الجندي: السلوك ٤١/١.، ابن العماد: شذرات الذهب ٢٦/٧.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص٣٨-٤٠.

(٢) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٧١.

(٣) الخزرجي: العقود ٣٥٨/١-٣٥٩.

(٤) المصدر نفسه، ٢٦٠/٢.

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٥٣/٩.

(٦) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٦٩.

(٧) المرجع نفسه، والصفحة.

إلى مثل هذا التحري في الضبط عند المظفر بقوله: "حدثني الفقيه جمال الدين محمد بن عبدالله الريمي... يقول: طالعت أمهات كتب الحديث من كتب مولانا الخليفة المرحوم فوجدتها كلها مضبوطة بخط يده"(١)، وهذا الضبط والتحري ارتبط باهتمام بني رسول بالنساخة(*)، حتى إن بعض السلاطين بلغ عدد النساخين في مكتبته "زيادة على عشرة نساخ ينسخون الكتب وترفع إلى خزانته بعد مقابلتها وتحريرها"(٢)، وآخر "ببابه العالي فيه من النساخ ما ينيف على عشرة بذالون في الكتابة ويرفع ما ينسخ إلى خزانته العالية بعد المقابلة لها بالضبط الحسن"(٣). وهذا الازدهار في حرفة النساخة أدى إلى الازدهار في صناعة الكتاب وأدواته التي تلزمه واستجلاب بعض المواد من البلدان(٤) التي ازدهرت فيها هذه الصناعة(**)، والذي بدوره يشكل جانباً من جوانب التواصل الحضاري والفكري مع البلدان والشعوب الأخرى.

---

(١) الخزرجي: العقود ٢٣٤/١.

(*) المعنى بها نسخ الكتب.

(٢) ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٨ (حجازي).

(٣) المصدر نفسه، ص١٨١ (حبشي).

(٤) ينظر: الجندي: السلوك ٢٢٨/٢.، شايف: الحياة الاجتماعية، ص٥٣.

(**) وهذا الازدهار عبر عنه تأليف المظفر الرسولي (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م) لكتاب أسماه: المخترع في فنون من الصنع، أفرد جزءاً منه لصناعة الكتاب ومتعلقاته. ينظر: الحبشي: مؤلفات حكام اليمن، ص٥٥٣.

هـ) السلم الاجتماعي والتسامح المذهبي:

- المسار الأول: السلم الاجتماعي:

شهدت اليمن في عصر بني رسول توافر "الحامل... الاجتماعي للفكر التنويري"[١]، وتبدت قواعد هذا السلم الاجتماعي على وجهين:

١ - الاهتمام بإنشاء المؤسسات الاجتماعية:

إذ "إزداد الاهتمام بإنشاء المؤسسات والمرافق الاجتماعية كالخانات والوكالات ودور الضيافة وإصلاح الطرق وبناء السبل للإنسان والحيوان وتجلت العناية بالأيتام بإنشاء مكاتب تعليمهم ورعايتهم"[٢]، فهذا السلطان نورالدين إبتنى ما يقارب خمس مدارس في أماكن متفرقة "ورتب في كل مدرسة... أيتاماً يتعلمون القرآن"[٣]، وكذلك في المدرسة المؤيدية التي بناها المؤيد "جعل فيها... أيتاماً يتعلمون القرآن"[٤]. وفي ظني أن الاهتمام بتهيئة القاعدة المادية للمؤسسات الاجتماعية يحقق الدمج للمستفيدين من هذه المؤسسات – الذين يعوزهم التضامن الاجتماعي – في منظومة البناء الجاد للدولة حضارياً وفكرياً، وبالتالي يصبحون شكلاً من أشكال المدخلات البشرية في هذه المنظومة، مما يحقق أساساً مهماً من أسس السلم الاجتماعي الذي يُعد الركيزة الأولى لازدهار أي مجتمع، وإذا تحقق هذا السلم توفر عامل جذب آخر من عوامل التواصل الحضاري مع الآخر، فضلاً عن الحاجة للخبرات العربية والإسلامية في هذا الجانب[٥].

٢ - المشاركة المجتمعية في تحقيق الازدهار المجتعي والسلم الاجتماعي:

حيث ساهم المجتمع مساهمة جادة في مدخلات النهوض الحضاري وفق رؤية تكاملية بين طبقات المجتمع المختلفة "وأقبل المجتمع على المساهمة في بناء المدارس والمساجد والزوايا والكتاتيب، وفتح العلماء والفقهاء منازلهم لطلبة العلم... وانتشرت المكتبات الخاصة"[٦]، إلا أن ثمة ملاحظة مفادها، أن هذه الصورة المتفائلة لهذه الأنواع من التكافل الاجتماعي لا يعني بالمطلق إنتفاء الطبقية والتشكيل الطبقي في المجتمع، إلا أن سلم الطبقات الاجتماعية كان مرناً يسمح بالتنقل من طبقة إلى أخرى صعوداً ونزولاً عدا فئة السادة خاصة الأئمة الزيديين[٧]،

---

(١) عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٥.

(٢) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص١٧٩.

(٣) الخزرجي: العقود ٨٢/١.

(٤) المصدر نفسه، ٣٥٨/١.

(٥) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٩١/٣-٢٩٣، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص١٧٩.

(٦) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص١٠٩.

(٧) ينظر: شايف: الحياة الاجتماعية، ص٤٧.

وكذلك لا تعني هذه الصورة اختفاء أشكال الصراعات الاجتماعية وإن كانت قد خفت حدتها عما كانت عليه أيام الأيوبيين(*)، والذي ولد "الرغبة العارمة لدى مختلف القوى الاجتماعية اليمنية في قيام سلطة مستقلة"(١) قوية تحقق السلم الاجتماعي وتؤسس لاستقرار دائم. ولم تقتصر المشاركة المجتمعية في تبني المؤسسات الحضارية على الطبقات العليا دون السفلى أو على الرجال دون النساء، بل برزت "المشاركة الكبيرة من النساء والخدم والتي تعتبر... سمة بارزة في النهضة العلمية التي شملت اليمن في عصر بني رسول"(٢).

تأسيساً على ما سبق فإن السلم الاجتماعي ساعد على تعزيز النمو الحضاري والازدهار الفكري، وبالتالي توافرت الظروف والمناخات الملائمة والأمن الاجتماعي في التواصل مع الآخر، إذ "ساعدت الحياة الاجتماعية وكثرة المؤسسات الاجتماعية وحياة النعيم والاستقرار في المدن اليمنية على جذب الجم الغفير من العلماء المهرة في الصناعات من مختلف البلاد للقدوم إلى اليمن والاستقرار بها"(٣).

ـ المسار الثاني: التسامح المذهبي:

وهو المعادل الآخر للسلم الاجتماعي فهو التسامح المذهبي: فقد "تميز هذا العصر بالتسامح الديني والمذهبي والتعدد الفكري"(٤)، والقبول بصيغة التعايش المشترك للمذاهب والمدارس الفكرية المتعددة، وقد تجلى هذا النوع من التسامح في صورتين:

١- المناظرات الفكرية:

"فقد ورث هذا العصر عدداً من المذاهب والتيارات التي كثيراً ما تنازعت بشكل سلمي"(٥)، وهو شكل من أشكال الاختلاف وسار وفق مسارين رئيسين: الأول: عبر المجالس العلمية التي تعقد في بيوت أحد العلماء أو قصور الملوك والأمراء، فيتناقش علماء الصوفية أو الفقهاء أو حتى الزيدية في مسألة علمية بحضور محكمين محايدين وبرعاية من السلطان يحاول فيها كل طرف إبطال حجج الطرف الآخر(٦). وقد امتد هذا الشكل ليساهم في تعزيز التواصل

(*) للمزيد عن هذه الصراعات ينظر: شايف عبده سعيد: الصراع الاجتماعي في اليمن في عهد الأيوبيين والرسوليين، مجلة سبأ، ع٧، قسم التاريخ، جامعة عدن، عدن ١٩٩٨م، ص ص٨٧-١١٠.، طه هُديل: التمردات القبلية، ص ص١٠٤-١٠٥.

(١) محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣١.

(٢) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٦٤.، وينظر: اسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٧.، نفسه: الدولة الرسولية، ص١٤.، الحبشي: حياة الأدب، ص ص٨٠-٨١.

(٣) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص١٧٩.

(٤) عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٥.

(٥) المرجع نفسه والصفحة.

(٦) نموذج لهذا النوع من الاختلاف ينظر: الجندي: السلوك ٢/١١١-١١٣، ١٤٢-١٤٣.

الحضاري عندما نشأت مناظرة فكرية بين علماء يمنيين وعراقيين استجابة لهذا النوع من التباين في الطروحات المذهبية(١)،، والمسار الثاني من هذه المناظرات، ما يمكن تسميته بمؤلفات النقائض التي ارتكزت على التأليف والتأليف المضاد(٢).

وإذا أمعنا النظر في هذين الشكلين من المناظرات، وعلى الرغم من التنازع فيما بينهما والذي انطلق من رؤية كل طرف لغالب المسائل والأصول الفقهية من خلال منظومته العقدية والفكرية، إلا أنها رفدت المكتبة بالكثير "من المؤلفات القيمة"(٣)، كما أنها ساهمت وبشكل كبير في دخول التيارات الفكرية المختلفة إلى اليمن والتي تعزز مواقف كل طرف وهذا بدوره يعزز بشكل غير مباشر الصلات الفكرية مع مواطن هذه التيارات(٤).

٢- الأمن الفكري للتعايش المذهبي المبني على التسامح:

على الرغم من أن الدولة الرسولية حفظت للصوفية الدور الذي أدته في التمهيد لقيامها(٥)، وكذا إقبال ملوكها على الفقهاء وتوليتهم المناصب(٦)، إلا أن هذه الدولة سارت وفق سياسة توازن ترعى هذه التباينات الفكرية، وعندما تجتاز الخط المسموح به في التأثير على قواعد هذا التسامح هب سلاطينها لحفظ الأمن الفكري المبني على التعايش، ومن ذلك تدخل المظفر عندما اشتدت هجمات الفقهاء على الصوفية فكتب إلى الفقهاء رسالة تهديدية شديدة التقريع يقول في جانب منها: "أخللتم الضياء وخبطتم في عشواء فاقتصروا من هذه الأهواء واشتغلوا بالنصوص... والحذر الحذر فمن حذر فقد أنذر، فإن اقتصرتم وإلا قصركم السيف عن طول اللسان"(٧). وهذه الرسالة في ظني لا تعني بأية حال من الأحوال(*) التحيز لطرف ضد آخر وإنما هو من باب حفظ الأمن الفكري لهذا الاختلاف بما يثري الساحة الفكرية وبما ينعكس إيجاباً على واقع الازدهار الفكري وعلى بنية التواصل الحضاري مع التيارات الفكرية في البلدان الأخرى لاسيما مصر والحجاز(٨).

---

(١) ينظر: الأهدل: بدر الدين الحسين بن عبدالرحمن (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م): تحفة الزمن في تاريخ اليمن، تح: عبدالله الحبشي، منشورات المدينة، بيروت ١٩٨٦م، ص٣٠١.

(٢) للاطلاع على نماذج من هذه المؤلفات ينظر: الحبشي، عبدالله محمد: الصوفية والفقهاء في اليمن، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ١٩٧٦م، ص ص٩٧-١٠١.

(٣) عصام عبدالرؤوف الفقي: اليمن في ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام بني رسول (مع ملحق عن الحياة الفكرية في عصر بني رسول)، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٤م، ص٣٢١.

(٤) ينظر: الحبشي: الصوفية والفقهاء، ص٣٣، ٦٩، ٧٢،، عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٦.

(٥) ينظر: الحبشي: الصوفية والفقهاء، ص٤٦.

(٦) ينظر: الشوكاني: البدر الطالع ١/٩٥-٩٦.

(٧) للاطلاع على النص الكامل للرسالة، ينظر: الجندي: السلوك ٢/١١٢-١١٣.

(*) برر الجندي هذا التدخل بقوله: "فخشي أن يسرع الفقهاء إلى شقاق كبير يصعب علاجه فكتب إليهم..." المصدر نفسه والصفحة.

(٨) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢/٣٧٣-٣٧٤.

و) استقرار الأوضاع السياسية وأبهة الملك وترف السلاطين:

اختلفت أوضاع اليمن خلال حكم الرسوليين عما كانت عليه في زمن الأيوبيين، "وطرأ تطور واضح المعالم نتيجة لذلك على الأوضاع الداخلية... للإقليم اليمني وتأثيره وتأثره الحضاري"(١)، وبوسعنا القول: أن حاكمية الدولة الرسولية لليمن شكلت منعطفاً دقيقاً أثر بشكل بالغ ليس في الحقل السياسي اليمني فحسب بل امتد تأثيره إلى المحيط الإقليمي الإسلامي وحدوث تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية، والتي جاءت استجابة منطقية للاستقرار النسبي الذي عمل على تأمينه سلاطين بني رسول لإدراكهم "أنه كلما شهدت الأوضاع السياسية في اليمن حالة من الهدوء والاستقرار كلما تسارعت خطوات نمو وازدهار التجارة والاقتصاد، وبالتالي الاستقرار والتطور الاجتماعي والحضاري"(٢)، ومن دلائل هذا الاستقرار(*):

- طول الفترة الزمنية لحكم بعض سلاطين بني رسول:

هناك من السلاطين من "كانت مدة سلطنته ستاً وأربعين سنة وأحد عشر يوماً"(٣)، كالسلطان المظفر (٦٤٧-٦٩٤هـ/١٢٣١-١٢٤٩م)، ومنهم من حكم ما يقارب ربع قرن من الزمان كالسلطان المؤيد (٦٩٦-٧٢١هـ/١٢٩٦-١٣٢١م)، ومنهم من امتد حكمه أكثر من ذلك فبلغت حاكميته زهاء الأربعين عاماً كالسلطان المجاهد(٧٢١-٧٦٤هـ/١٣٢١-١٣٦٢م)(٤)، وهذه المدد الزمنية - سالفة الذكر - وإن كانت تدل على استقرار نسبي للأوضاع السياسية، فإنها في ذات الوقت فتحت "المجال لازدهار علمي وثقافي وحضاري ووحدة عامة للبلاد اليمنية ولعلاقات دولية هامة"(٥)، كمصر والحجاز وغيرهما، نجح خلالها حكام بني رسول "في ان يكون لهم مركز مرموق لدى ملوك هذه الدول وشعوبها"(٦)، وبالتالي قدرة هذا الأساس السياسي المتميز على استيعاب النظم الحضارية والثقافية للأخر، والتفاعل معها تأثيراً وتأثراً.

- ترف السلاطين واحتفالاتهم ومواكبهم:

إذ "تمتع السلاطين الرسوليون بالترف والنعيم وبلغت قصورهم من الكثرة إلى درجة أنهم إذا أرادوا النزول بأي مكان أثناء أسفارهم داخل نطاق الدولة وجدوا قصراً ينزلون به"(٧)،

---

(١) محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٢٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٢.

(*) لم يتناول الباحث هنا النجاحات الاقتصادية والإدارية للرسوليين لتناوله إياها في محدد سابق.

(٣) الفاسي: العقد الثمين ٤٨٩/٧،. وينظر: الخزرجي: العسجد، ص٢٧٢.

(٤) ينظر: الشوكاني: البدر الطالع ٣٠٤/١-٣٠٥، إسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص٥٠.

(٥) محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٢.

(٦) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٤٠.

(٧) شايف: الحياة الاجتماعية، ص٤٨،. وينظر: الخزرجي: العقود ٣١١/١، ٣١٣، ١٣٤/٢، ١٤٣،. ابن حجر: الدرر ١٠٠/٢.

وتعددت مظاهر الترف بناء القصور إلى المواكب السلطانية والمراسم الرسمية وإغـداق الخلـع وضرب الطبلخانات[١]، والبذخ في الحفلات الرسمية ذات الطابع الاجتماعي كالزواج والختـان، أو ذات الطابع العسكري كالانتصارات العسكرية[٢]. وقد انسحب الأثر الاحتفالي على التواصل الحضاري مع البلدان والشعوب عبر الاحتفالات والمراسم المقامة للوفود والسفارات[٣]، يضاف إلى ذلك صورة أخرى للترف السلاطيني مفادها أنه "كان ملوك الدولة الرسولية لهم الولع التـام بالصيد حتى أنهم كانوا يخصصون أياماً معلومة للخروج لنزهة الصيد"[٤]، فضلاً عـن ميلهم للألعاب كالشطرنج والصيد بالجوارح[٥]، والتي بدورها ساهمت في تعزيز التواصل الحضـاري عبر تضمينها هدايا ملوك اليمن إلى البلدان والشعوب بما فيها مصر[٦].

وهنا يبرز استفهام مشروع مفاده، هل كان هذا الترف السلاطيني المنبثق من الاستقرار النسبي والرخاء الاقتصادي بمعزل عن الحياة الاجتماعية؟ بمعنى آخر ألم يكـن هنـاك تـرف مجتمعي كأحد مؤشرات الاستقرار؟ هذا الملمح الاستفهامي أشار إلى إجابتـه ابـن فضـل الله العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) بقوله: "ولأهل اليمن سيادات بينهم محفوظة وسـعادات عنـدهم ملحوظة ولأكابرها حظ من رفاهية العيش والتنعم والتفنن في المأكل"[٧]، ثم يمضي فيفصل ألوان هذا الترف مُعدداً ألوان المآكل والعطور والبخور والإماء والمباني والجواهر والفُرش[٨].

تأسيساً على ما سبق، فإن الاستقرار السياسي شكل حجر الزاوية الذي أفرز الازدهـار الاقتصادي والحضاري، مما أسس لعلاقات متميزة مع البلـدان والشـعوب "ذات الحضـارات المشهورة... [ومكن] اليمنيين من الرحلة إلى هذه البلاد لطلب العلم ونشره واقتبـاس مظـاهر الحضارة وقدوم علماء هذه البلاد مع ما يحملونه من كتب ومهارات وخبرات ثقافية إلى الـيمن ومشاركتهم في الحياة العلمية"[٩].

---

(١) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص ص١٠٨-١٠٩ (حجازي).

(٢) عن هذه الأنواع، ينظر: المصدر نفسه، ص١٠٨ (حجازي).، الخزرجي: العقود ٢٧٢/١، ١٩٤/٢-١٩٦، ٢٤٩.، نفسه: العسجد، ص٣٥٣.

(٣) عن هذه المراسم، ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجـة، ص ص١٢٦-١٢٧ (حجـازي).، الخزرجـي: العقـود ٢٩٨/١، ٢٤٤/٢.، ابن الديبع: قرة العيون ٣٨٨/١.

(٤) الناشري، تقي الدين أبي العباس حمزة بن عبدالله بن علي (ت٩٢٦هـ/١٥١٩م): انتهاز الفرص في الصيد والقنص، تح: عبدالله الحبشي، دار التنوير، بيروت ١٩٨٦م، ص٦.

(٥) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٦٦/١٢-٦٧، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٥ (حجازي).

(٦) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٦٧/١٢.

(٧) مسالك الأبصار، ص٥٥.

(٨) ينظر: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(٩) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٤٠.

ز) انتعاش الحركة الصناعية والعمرانية:

أبدى سلاطين بني رسول اهتماماً متميزاً بجانب الصناعات والحرف اللتين شكلتا مدخلاً رئيساً من مدخلات الازدهار الحضاري في اليمن في تلك الفترة، وقد أشار ابن فضل الله العمري إلى هذا الاهتمام منذ البدايات الأولى للدولة الرسولية، ودور هذا الاهتمام في تشكل شكل تطبيقي من التواصل الحضاري مع بلدان وأرباب تلك الصنائع وذلك بقوله: "ولقد كان الملك المظفر ثم ولده الملك المؤيد رحمهما الله تعالى مقصودين من آفاق الأرض، قل أن يبقى مُجيد في صنعة من الصنائع إلا ويصنع لأحدهما شيئاً على إسمه ويجيد فيه بحسب الطاقة ثم يجهزه إليه أو يقصده به ويقدمه إليه من يده فيقبل عليه ويقبل منه ويحسن نزله ويسني جائزته"(١). ويبين في موضع آخر أسباب الاستقدام لهؤلاء الصناع فيقول: "ولا تزال ملوك اليمن تستجلب من مصر والشام طوائف من أرباب الصناعات لقلة وجودهم باليمن"(٢).

وعليه يمكن القول: إن وجود مثل هؤلاء الصناع في اليمن وقربُهم من السلاطين الذين أمدوهم بالدعم(٣)، مما هيأ المناخات الملائمة للاستفادة المثلى من نتاجاتهم الإبداعية وتغذية قطاعات الازدهار المختلفة بتجارب صناعية عززت مسيرته ومكنته ليس فحسب في المجال الحضاري المادي وإنما تعداه إلى توافر صناعة الكتاب ومتعلقاته، مما يعزز المسيرة الفكرية التأليفية في تغذية الازدهار الفكري من ثم التواصل الفكري(٤).

وقد تنوعت الصناعات في هذا العصر حيث "امتاز اليمنيون في عهد بني رسول بالصناعات الجلدية والصناعات المعدنية"(٥)، بل اشتهروا في "معرفة تطييب النفط وعجن اللك لدخان الخرط وعمل الكحال للذهب"(٦). وبعض الصناعات تطلبت بالإضافة إلى مهارات بشرية فإنها تطلبت مواد خام يتم استيرادها من بعض البلدان(٧)، وهذا بدوره شكل جسراً من جسور التواصل الحضاري مع تلك البلدان، وعلى نحو أخص مصر والحجاز.

---

(١) مسالك الأبصار، ص ص٥٦-٥٧.

(٢) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥١.، وينظر: الخزرجي: العسجد، ص٣١٢.

(٣) ينظر: الأشرف، يوسف بن عمر الرسولي (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م): المخترع في فنون من الصنع، تح: محمد عيسى صالحية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت ١٩٨٩م، ص١٨ (مقدمة التحقيق).

(٤) عن هذا الدور ينظر: الجندي: السلوك ٢٢٨/٢، الأشرف يوسف: المخترع، ص٧٠.، ابن حجر: الدرر ٦٥/٢.

(٥) شايف: الحياة الاجتماعية، ص٥٣.

(٦) الأشرف يوسف: المخترع، ص٢٠١.

(٧) ينظر: جازم: نور المعارف ٤٣٥/١، ٤٣٩.، شايف: الحياة الاجتماعية، ص٥٣.

والوجه الآخر للصناعات ازدهار الحرف المرتبطة بتلك الصناعات، فصناعة النسيج مثلاً تتطلب عمل حرفي بما "يرتبط بها من صباغة وزخرفة"(١). ويعدد الخزرجي عدداً من الحرف المرتبطة بالأبنية السلطانية فهم "ما بين نجار ودهان ونحاس وصانع ومكندج ومرخم ومزخرف ومصور"(٢)، فضلاً عن عمل الخزرجي ذاته في زخرفة العمائر(٣). وتكمن أهمية هذه الحرفة في ما أشار إليه الخزرجي من العمل المشترك بين الحرفيين المجلوبين من الخارج وحرفيي "البلاد وهم أضعاف أضعافهم"(٤)، وبالمقابل فقد أدى انتعاش جانب الصناعات والحرف إلى ازدهار النشاط العمراني، حيث "ازدهرت صناعة البناء بدورها في بلاد اليمن وساعد على ذلك اهتمام ملوك اليمن وسلاطينها بإقامة العمائر المختلفة"(٥)، بحيث أصبح بناء القصور سمة بارزة من سمات الازدهار في اليمن(٦)، حتى وصفت بعض هذه القصور بالقول: "أجمع أرباب اختراق الآفاق أنه لا مثل له في شام ولا عراق وأنهم لم يشاهدوا مثله أبداً"(٧). وهذا لا يعني أن الازدهار في الحركة العمرانية لا يعني تفرد طبقات الحكام في تلك الفترة عن بقية الطبقات، فامتداد الازدهار وتكامله كان على المستويين الرأسي والأفقي عبر مشاركة طبقات المجتمع الأخرى وهو ما أشار إليه ابن فضل الله العمري مع احتفاظ السلاطين ببعض خاصية التميز عن هذه الطبقات عند قوله: "...ولهم الديارات الجليلة والمباني الأنيقة إلا الرخام ودهان الذهب واللازورد فإن هذا من خواص السلطان لا يشاركه فيها مشارك من الرعايا ولا من الأعيان"(٨).

تأسيساً على ما سبق فإنه بقدر ما انعكست هذه الحركة العمرانية النشطة على وقع الازدهار الحضاري في اليمن فإنها شكلت محدداً – داخلياً – تكونت في طياته صلات حضارية مع البلدان والشعوب الأخرى بما فيها مصر والحجاز وذلك على وجهين، الأول: صناعي ومعماري، تمثل في استقدام الخبرات العربية والإسلامية في الصناعات المرتبطة بالحركة

---

(١) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٢٨٧.

(٢) العقود ٣١١/١.، وينظر: نفسه: العسجد، ص٣١٢.

(٣) ينظر: نهى صادق: المؤرخ الخزرجي وعمله في زخرفة العمائر (منشور ضمن كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي)، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء ٢٠٠٢م، ص ص٢٠٧-٢١١.

(٤) العقود ٣١١/١.

(٥) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٣٨.

(٦) نماذج لهذه القصور ينظر: الخزرجي: العقود ٣١١/١، ٣٢٩، ١٣٤/٢، ١٤٣.، ابن حجر: الدرر ١٠٠/٢.، شايف: الحياة الاجتماعية، ص ص٤٨-٤٩.

(٧) الخزرجي: العقود ٣١١/١.

(٨) مسالك الأبصار، ص٥٥.

العمرانية وامتزاج هذه الخبرات مع البنائين والصناع اليمنيين وحدوث تبادل تجارب برعاية رسمية من الدولة الرسولية[١]، ونقل التجارب المعمارية اليمنية إلى تلك البلدان[٢]. الوجه الثاني: صلات فكرية، إذ أدى تمرس اليمنيين في ابتكار الأنمطة المعمارية إلى إضفاء الصبغة العلمية "فأثروا المكتبة العربية بما ألفوه في... هندسة المباني وزخرفتها"[٣]، وإطلاع الوافدين من البلدان الإسلامية على هذه المؤلفات ونقلها إلى أقطارهم.

تلكم كانت نظرة متأنية للمحددات الداخلية التي ساهمت في تشكل الصلات الحضارية مع البلدان العربية والإسلامية بما فيها مصر والحجاز – المعني بهما في هذه الأطروحة – برزت خلالها عوامل الانتعاش الاقتصادي والازدهار الإداري كوسيط داخلي لتشكل هذه الصلات من خلال إعداد البنية التحتية للتبادل التجاري بما فيها تطوير الموانئ والأسواق والمؤسسات الاقتصادية الأخرى وارتفاع القوة الشرائية والمناخات الإدارية المصاحبة، والتي سهلت الممارسات التجارية البينية وبناء منظومة قانونية وإدارية نظمت العملية الاقتصادية والإدارية ليأتي دور التأليف وتصنيف الكتب والإجراءات المشجعة عليه في استقطاب الوافدين وتبني مؤلفاتهم، والاحتفالات العلمية المصاحبة لهذه المؤلفات، حتى غدا الكتاب – بما فيها مُؤلِف الحاكم – سفيراً حضارياً وجسراً للتواصل، وعامل جذب للوافدين إلى اليمن، لتأتي بعدها المؤسسات التعليمية كالمدارس والزوايا والكتاتيب وقصور السلاطين وبيوت العلماء التي شكلت روافد رئيسة ارتكزت عليها نهضة العصر، وبالتالي شكلت هذه المحاضن التعليمية جسراً للتواصل عبر استقدام الخبرات للتدريس وطلبة العلم الوافدين من مصر والحجاز، فضلاً عن ما يجلب معهم من مصنفات وتجارب وما يأخذونه من اليمن من مصادر وخبرات. وهذا الازدهار الحضاري ما كان له أن يتشكل وفق هذه الصورة ما لم تتوافر له مناخات سياسية، تمثلت بعقلية الحاكم المشجعة على الازدهار والتواصل وكسر حاجز العزلة والانفتاح على الآخر بكافة صوره الاقتصادية والسياسية والصناعية والفكرية، مع الاحتفاظ بالخصوصية الثقافية للشخصية اليمنية، وكذلك توافر استقرار سياسي اتسم بالنسبية ودلت عليه مؤشرات طول فترة حكم السلاطين، ومظاهر الترف الرسولية، والمراسم والمظاهر الاحتفالية، ومراسم استقبال السفارات

---

(١) عن هذه الخبرات ينظر: الخزرجي: العسجد، ص٣١٢.، نفسه: العقود ٣١١/١.، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥١.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٢٨٧.

(٢) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٨٩/٧.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٦٩.

(٣) اسماعيل الأكوع: دور المدارس اليمنية في نشر التعليم، بحث منشور في كتاب ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠٣م، ص٢٠٨.

والوفود كجسر للتواصل مع دول هذه الوفود، فضلاً عن متطلبات الترف ومتعلقاتها من اقتناء نفائس الموجودات وما تضمنته هدايا الوفود من تحف وغرائب.

والوجه الأخر للمحدد السياسي هو السلم الاجتماعي الذي يعد انعكاساً للازدهار الاقتصادي والاستقرار السياسي والذي تمثل بالتسامح المذهبي وتشجيع المناظرات الودية المثرية للواقع الفكري والتدخل السياسي لحفظ توازن هذا التعايش وكذلك المشاركة المجتمعية في مدخلات الازدهار والانفتاح على الآخر، بما فيها مشاركة النساء والعبيد في بناء المؤسسات التعليمية والفكرية. والمحدد الداخلي الأخير الذي ساهم في نسج خيوط التوصل الحضاري مع البلدان الإسلامية، وعلى نحو أخص مع مصر والحجاز، هو انتعاش الحركة الصناعية والعمرانية وما رافقها من استقدام للخبرات الصناعية والحرفية وحدوث تبادل خبرات مع هؤلاء الفنيين القادمين من بلدانهم تأثر وتأثيراً، لاسيما وقد اتسمت هذه الحركة بالصبغة العلمية عبر ظهور مؤلفات صناعية وحرفية في هندسة المباني وزخرفتها، اطلع عليها الوافدون ونقلوها إلى أقطارهم بعد أن استفاد مؤلفوها في الداخل من أطروحاتهم إزاءها.

الفصل الثاني

المحددات الخارجية للصلات الحضارية بين اليمن والبلاد الإسلامية (مصر والحجاز)

تمثل الصلات الحضارية والفكرية أعمق صور العلاقات بين الشعوب والبلدان وتعبيراً عن الإنجازات الحضارية لليمن أولاً، ولتلك البلدان ثانياً، واليمن وإن كان قد شهد عزلة نسبية عقب استقلاله المبكر عن الخلافة الإسلامية بفعل النزعة الاستقلالية لشخصية اليمن التاريخية[1]، إلا أنه شهد مع مطلع القرن السابع الهجري/الثاني عشر الميلادي، قيام الدولة الرسولية التي عاشت الحياة الحضارية في اليمن في عهدها عصورها الزاهرة، انتهجت خلالها سياسة انفتاح مع البلدان العربية والإسلامية، مما أفسح المجال لتشكل صلات حضارية وصلت إلى مرحلة متميزة من التفاعل والتلاقح الحضاري، وهذا التفاعل استند في أسُسه إلى جملة محددات داخلية[*] وخارجية، ومن أبرز المحددات الخارجية:

أ) المحدد الجغرافي:

- الموقع الاستراتيجي لليمن:

كان "لموقع اليمن الجغرافي... أثر كبير في حياة هذا القطر الثقافية والسياسية"[2]، إذ تعتبر "آخر أرض آسيوية تشكل جنوب غرب آسيا تقترب كثيراً من القرن الأفريقي، حيث لا يفصلها سوى مضيق باب المندب"[3]. ويصف ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) موقع اليمن في سياق تفصيله لأقاليم المعمورة السبعة معتبراً اليمن يمثل الجزء السادس من الإقليم الأول، حيث يقول: "وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر[**] في الجزء السادس من هذا الإقليم بلاد اليمن كلها"[4]، ويحده "من القبلة الموضع المعروف بطلحة المَلِك[***]..."[5].

---

(١) ينظر: أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٧.، محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٢٩.

(*) تم تناول المحددات الداخلية في الفصل الأول من هذا الباب.

(٢) عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٤.

(٣) الخفاف، عبده علي وحياة ردمان: الخصائص الجيوبولوتيكية لدولة الوحدة، الندوة العلمية (اليمن وحدة الأرض والإنسان) عبر التاريخ ١٤/٢/٢٠٠١م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠١م، ص١٧.

(**) يشير إلى المحيط الهندي، ينظر: المقدمة، ص٥٧.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

(***) موضع يحد بين عمل مكة وعمل اليمن، ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٣.

(٥) المصدر نفسه والصفحة.

وعليه "تتميز اليمن بموقع جغرافي على جانب كبير من الأهمية منذ العصــور(*) القديمــة"(١)، ساعدها على تكوين صلات حضارية مع سائر البلدان الإسلامية بما فيها مصر والحجاز.

- الجوار الجغرافي لليمن والطرق البرية:

ويقصد به "الدول المحيطة والمجاورة لليمن"(٢)، والمعني بها "جزيرة العــرب وتشــتمل على بلاد اليمن وبلاد الشحر في شرقيها على ساحل هذا البحر الهندي وعلــى بــلاد الحجــاز واليمامة"(٣)، فالحجاز بذلك يمد نطاقه الجغرافي على شمال الجزيرة(٤) العربيــة والــيمن "فــي الطرف الجنوبي الغربي مكن شبه الجزيرة العربية عند نقطة تقترب منها القارة الآسيوية مــن القارة الأفريقية جعلها حلقة اتصال بين هاتين القارتين"(٥)، كما أن عنصر الجــوار الجغرافــي المشترك المتمثل حلقة اتصال هو غور تهامة وهو "الغور الضيق الذي يســاير بحــر القلــزم ضارباً من الجانب الغربي لشبه جزيرة طور سيناء إلى أقصى الجنوب من بلاد اليمن، ويختلف عرضها اختلافاً كبيراً، فهي بين الطور والسويس جزء ضيق من الساحل وأوسع موضــع فــي تهامة هو ساحل جدة"(٦). واليمن بهذه الصورة "من الدول القليلة الجيران"(٧)، وهي سمة وإن كان في ظاهرها سلبية من الناحية الاقتصادية، إلا أنها من ناحية أخرى أكثر إيجابية على وجهــين، الأول سياسي – احترازي – يقلل من خطر الاعتداءات الخارجية وهو ما عبر عنه ابن فضــل الله العمري، (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) بقوله: "وصاحب اليمن لا عدو له لأنه محجوب ببحر زاخر وبر منقطع من كل جهة... وهو لهذا قرير العين خالي البال"(٨).

(*) يرى الباحث قراءة الأثر الجغرافي لموقع اليمن وفق المقاييس الجغرافية لذلك العصر مع الاستعانة بمفردات الجغرافية الحديثة.

(١) الأغبري: عوامل ازدهار التعليم، ص٢١٧.

(٢) الخفاف: الخصائص الجيوبولوتيكية، ص١٧.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص٥٦.، وينظر: نفسه: العبر ٢٢١/٤.

(٤) عن النطاق الجغرافي للحجاز والتسمية الجغرافية ينظر: ابــن المجــاور: صــفة بــلاد الــيمن، ص٣٩.، القلقشندي: نهاية الأرب، ص٢٥.، ابن خلدون: المقدمــة، ص٥٦، ٥٨.، الحميــري، محمــد عبــدالمنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، ط٢، تح: إحسان عباس، مؤسســة ناصــر للثقافــة، القاهرة ١٩٧٥م، ص١٨٨.

(٥) الأغبري: عوامل ازدهار التعليم، ص٢١٧.، وينظر: الحجري، محمد بن أحمد: مجمــوع بلــدان الــيمن وقبائلها، تح: اسماعيل الأكوع، ط٣، مكتبة الإرشاد، صنعاء ٢٠٠٤م، مج٢، ج٤، ص٧٨٦.

(٦) السُلمي، عرام بن الأصبغ (من علماء القرن الرابع الهجري/الثامن الميلادي): أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة، تح: محمد صالح شناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ص٤.

(٧) الخفاف: الخصائص الجيوبولوتيكية، ص١٧.

(٨) مسالك الأبصار، ص٥٨.، وينظر: الحجري: بلدان اليمن ٧٨٦/٤.

والوجه الثاني: أن هذا الجوار المحدود بالمقاييس العددية، لكنه متميز من خلال نوعية الجوار الجغرافي المتمثل بالحجاز الذي يحتضن مركز النبوة ومهد الرسالة ومقصد الزوار والوافدين والانعكاسات الحضارية والفكرية على اليمن من جراء هذا الحراك المتعاظم والدوري، حيث "كانت بلاد الحجاز الأكثر من حيث توافد العلماء عن طريقها"(١)، ومن خلال مساهمة "موسم الحج في تجميع أعداد كبيرة من مُختلف علماء العالم الإسلامي من مختلف المذاهب والفرق والأجناس والثقافات يحرص كل منهم على... الذهاب إلى بعض المراكز العلمية اليمنية للالتقاء بمشاهير العلماء بها يأخذ عنهم ويأخذون عنه"(٢).

وقد ارتبطت اليمن بجوارها الجغرافي بطريقين بريين، مع كلٍ من الحجاز ومصر، فأما مع الحجاز فارتبطت اليمن معه عبر ثلاثة طرق برية هي الطريق الساحلي وطريق السهل الشرقي والطريق الجبلي(٣)، ومع مصر "طريق بري يصل بين زبيد ومصر مروراً بأرض الحجاز وهو الطريق الذي اعتادت قوافل الحج على اجتيازه من مصر إلى مكة ومن مكة إلى اليمن وبالعكس عند رحلة العودة"(٤). ولاشك أنه قد تكونت أواصر حضارية – تأثيراً وتأثراً – مع الحجاز ومصر عبر "الطرق البرية التي كانت تسير بها القوافل... بما تحمله من أنواع البضائع وبواسطتها ينتقل العلماء والطلاب والكتب والأفكار من مختلف البلاد إلى اليمن"(٥).

- **الممرات المائية ونشاط الملاحة البحرية:**

إذ "تحتل اليمن المنفذ الجنوبي للبحر الأحمر (القُلْزُم) في حين أن مصر تحتل المنفذ الشمالي له"(٦)، ويتخلل المسافة بين المنفذين موانئ البلدان المطلة على البحر الأحمر – القلزم– بما فيها موانئ الحجاز، مما ساهم في تعزيز التواصل الحضاري بين اليمن

---

(١) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٨٢.، وينظر: الجندي: السلوك ٤٢٩/٢، ابن حجر: الدرر ٣٤٤/٢.

(٢) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٩.، وينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٣٦/١٠.

(٣) عن هذه الطرق ينظر: أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٨٦/١.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٣٤٩-٣٥١.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٦٢.، وينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦٩/٧.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٨٦/١.

(٥) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٤٧.، وينظر: السخاوي: الضوء ١٢٦/٤.

(٦) السروري، محمد عبده: عوامل ازدهار النشاط التجاري بين مدن بحر القُلْزُم في العصر الإسلامي من ق٣ حتى ق٧هـ، مجلة الإكليل، ع٢٧، وزارة الثقافة، صنعاء ٢٠٠٢م، ص١٧.

وتلك البلدان[١]، حتى قيل إن اليمن ومصر "وحدهما معاً بحر القلزم وطرق الجزيرة العربية البرية"[٢]، وبالتالي ساهم في تطور فن الملاحة وزيادة الرحلات البحرية المتعددة الأغراض بين الموانئ اليمنية والموانئ المصرية[٣]، والحجازية بما فيها عيذاب، جدة، والينبوع، والجار، جدة، وعدن، زبيد[٤]. وكانت الموانئ الحجازية المصرية المطلة على البحر الأحمر – القلزم – تصل مراكبها إلى زبيد وعدن، الأمر الذي زاد من أهمية وحتمية التواصل الأهمية المتزايدة لعدن والبحر العربي وباب المندب كنقطة عبور وجسر أساس لتواصل مصر مع بلدان آسيا بما فيها الهند والصين وانتقال التأثيرات الحضارية عبر اليمن إليها[٥]. وبالمقابل شكلت مصر نقطة عبور لتواصل اليمن مع بلاد المغرب، وهو ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "السويس من أعمال مصر من جهة المغرب كما تراه في مصور الجغرافيا، فلا يجد السالكون من اليمن إلى المغرب طريقاً من غير السويس"[٦]، وهذه الثنائية في تبادل محاضن العبور للتواصل مع أمم آسيا بالنسبة لمصر ومع بلاد المغرب بالنسبة إلى اليمن أسهمت في رفع وتيرة التواصل الحضاري، مما أدى بدوره إلى تنشيط حركة الملاحة البحرية عبر البحر الأحمر وباب المندب وميناء عدن الذي حقق طفرات في الازدهار الحضاري والفكري حتى غدا وسيطاً حضارياً بين الشرق والغرب وتصله أنواع السفن التجارية الشرقية والغربية[٧]. وهذه الحركة الملاحية إذا كانت قد أدت إلى الازدهار الاقتصادي فإنها في الوقت ذاته ساهمت بدفع "موانئ اليمن وخاصة ميناء عدن [وزبيد]

---

(١) عن هذه الإطلالة ينظر: ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص ص٥٠-٥١.، ابن خلدون: المقدمة، ص ص٥٦-٥٧.، المقريزي: السلوك، ق١، ١٩٦/٢.، غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص١٤، ١٦.

(٢) محمد سعيد شكري: العلاقات الثقافية والفكرية بين مصر واليمن ١٧٩٨-١٩٤٨م، مجلة سبأ، ع٧، قسم التاريخ، جامعة عدن، عدن ١٩٩٨م، ص١٢١.

(٣) ينظر: شهاب، حسن صالح: فن الملاحة عند العرب، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٢م، ص٤٤.

(٤) عن هذه الموانئ وأهمية البحر الأحمر ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٦٤/١٠، ٦٩/٧.، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص ص٥٠-٥٢.، السخاوي: الضوء ٢٧٥/٤-٢٧٦.، عبدالملك سعيد عبده: الأهمية التاريخية والإستراتيجية والاقتصادية والأمنية للبحر الأحمر، مجلة أبحاث سياسية، ع٧، وزارة الخارجية اليمنية، صنعاء ٢٠٠١م، ص ص١٥-١٦.، السروري: عوامل ازدهار النشاط التجاري، ص ص١٨-٢٠.

(٥) عن دور الملاحة البحرية في التأثيرات الحضارية للصين ينظر: النجيدي، حمود بن محمد: التأثيرات الحضارية المتبادلة بين المسلمين والصينيين، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ٢٠٠٧م، ص ص٣٥-٣٧.

(٦) المقدمة، ص١٢.، وينظر: نفسه: العبر ٢٢١/٤.

(٧) ينظر: شهاب، حسن صالح: ملامح من تاريخ الملاحة في البحر الأحمر، مجلة الثقافة اليمنية، ع٦٧، وزارة الثقافة، صنعاء ٢٠٠٢م، ص ص٢٦-٢٨.، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٤٧.

من المدن اليمنية الأخرى بالاتصال بالحضارات المختلفة وما تمثله من ثقافات وعلوم... جعلها على اتصال وثيق بالمراكز التجارية والثقافية المهمة آنذاك"(١)، وبروز صور التشابه في المضامين الحضارية بين اليمن وتلك البلدان.

ب) المحدد السياسي والعسكري:

حرصت الدولة الرسولية – في توجهاتها السياسية – على "توطيد علاقتها مع العديد من الدول [مثل] مصر والحجاز والعراق والجاليات الأفريقية والآسيوية"(٢)، مما أكسب اليمن في تلك الفترة ثقلاً سياسياً عربياً وإسلامياً، انعكست آثاره على البناء الحضاري لليمن آنذاك. وقد اعترت العلاقات السياسية والعسكرية لليمن مع مصر والحجاز العديد من المتغيرات المتسارعة، مما أكسب هذه "العلاقة جوانب اختلاط وامتزاج بشري وحضاري"(٣)، وأبرز تلك المتغيرات كانت على وجهين:

الوجه الأول: الصراع المصري – اليمني في بسط نفوذهما على الحجاز:

شكل الحجاز أرضية مشتركة للنشاط السياسي والعسكري لكلٍ من اليمن ومصر بدأ بالأيوبيين قبل قيام دولة المماليك، حيث "أصبحت مكة مسرحاً لصراع دار بين الأيوبيين من جهة والرسوليين باليمن من جهة أخرى"(٤)، تعددت خلالها صور هذا الصراع(٥)، حتى عهد الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول والذي سقطت في عهده الدولة الأيوبية سنة (٦٤٨هـ/١٢٤٩م) وقامت دولة المماليك مما ساعده على استغلال انشغال المماليك الأوائل في تثبيت دعائم دولتهم فسارع إلى تثبيت سيطرته على الحجاز وتوطيد سلطانه عليها(٦).

- الطور الأول للصراع على الحجاز:

فبعد انهيار الدولة الأيوبية بدأ نوع جديد من صراع السيطرة هو الصراع المملوكي – الرسولي على الحجاز والذي تعددت أطواره ووسائله وأهدافه، فأما أطواره فاتسم بطورين

(١) الأغبري: عوامل ازدهار التعليم، ص٢١٧.، وينظر: الخزرجي: العقود ٢/٢١٨-٢١٩، ٢٤٢.، السروري: عوامل ازدهار النشاط التجاري، ص١٨.

(٢) الأغبري: عوامل ازدهار التعلم، ص٢١٨.

(٣) محمد شكري: العلاقات بين مصر واليمن، ص١٢١.

(٤) العبيكان: الحياة العلمية، ص٤٠.

(٥) عن هذا الصراع في هذه الفترة ينظر: الخزرجي: العقود ١/٦٤-٦٧.، الفاسي: شفاء الغرام ٢/٢٨٥-٢٨٦.، نفسه: العقد الثمين ٣/٤٣٤.، ابن الديبع: قرة العيون ١/٣٠٢-٣٠٣، ٣٦٣.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٢٧٢-٢٧٣.

(٦) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢/٢٨٨.، نفسه: العقد الثمين ٧/٤٨٨-٤٨٩.، الخزرجي: العسجد، ص ص٢٣٨-٢٣٩.، محمد عبدالعال: بنو رسول، ص ص٣٦٤-٣٦٥.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٤.

رئيسين، الأول: بسط النفوذ المباشر على بلاد الحجاز(*) لكلا الطرفين: وفيها حاول بنو رسول "الانفراد بالسيادة على تلك البلاد عن طريق القوة العسكرية والقضاء على النفوذ المصري فيها ونجحوا في السيطرة على مكة المكرمة"(١)، وتارة ينجح المماليك في بسط نفوذهم على الحجاز وحاكميتهم على الأشراف بأن على كل شريف "أن يستمر بإفراد الخطبة والسكة بالإسم الشريف المنصوري"(٢).

وكانت مرتكزات الصراع والسيطرة تنحصر في بسط النفوذ على مكة، وكسوة الكعبة وغسلها والخطبة له على منابرها وهي مرتكزات سعى كلّ من المماليك والسلاطين الرسوليين لتملكها – وإن اختلفت الوسيلة – ووثقها المؤرخون، فهذا الفاسي يشير إليها في معرض توثيقه لحج المظفر بقوله: "غسل الكعبة بنفسه وطيبها ونثر عليها الذهب والفضة وكسا البيت... وكان يخطب له في مكة في غالب مدة سلطنته"(٣). وفي وصف مماثل للحفاوة المملوكية ببيت الله الحرام أثناء حج الظاهر بيبرس سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م) يقول ابن تغرى بردي: "...وصعد الكعبة وغسلها بماء الورد وطيبها بيده"(٤). وفي معرض إشارة المقريزي لبعض هذه المرتكزات أثناء أخذ اليمين من الشريف أبو نمي سنة (٦٨١هـ/١٢٥٩م) بقوله: "حلَف الشريف أبو نمي أمير مكة للسلطان وولده بالطاعة لهما وأنه التزم تعليق الكسوة الواصلة من مصر على الكعبة في كل موسم، وأنه لا يعلق عليها كسوة غيرها، وأن يقدم علم الملك المنصور على كل علم في كل موسم وألا يتقدمه علم غيره...، وأن يستمر بإفراد الخطبة والسكة بالإسم الشريف المنصوري"(٥). وهذه المرتكزات(٦) وإن كانت غير ذات جدوى من الناحية الاستراتيجية العسكرية لأنها لا تلغي حاكمية الأشراف الفعلية لبلاد الحجاز وإن اعترفوا بولائهم لهذا الطرف

(*) من المفيد الإشارة إلى نجاح السلطان نورالدين في السيطرة المباشرة على مكة باسم الملك المسعود الأيوبي سنة (٦١٩هـ/١٢٢٢م)، مما أكسب البيت الرسولي أسبقية وخبرة في الكيفية المباشرة للسيطرة على بلاد الحجاز. ينظر: السروري، محمد عبده محمد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) إلى (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م، ص٣٥٣.

(١) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٨.، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٨٨/٧-٤٨٩.

(٢) المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٠٧/١.

(٣) شفاء الغرام ٢٨٨/٢.، وينظر: نفسه: العقد الثمين ٤٨٩/٧.

(٤) النجوم الزاهرة ١٤٦/٧-١٤٧.

(٥) السلوك، ق٣، ٧٠٦/١-٧٠٧.

(٦) للمزيد عنها ينظر: الخزرجي: العقود ٥٩/١، ١٢٤-١٢٥.، الفاسي: شفاء الغرام ٢٩٤/٢.، بامخرمة: ثغر عدن ١٤٧/٢-١٤٨.، ابن حجر: الدرر ٢٠٢/١، ٤٩/٣-٥٠.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٢٦/١٠.

أو ذلك إلا أنها "تضفي على صاحبها شرفاً ورفعة وتجعله في نظر المسلمين أكثر الحكام تمتعاً بالشرعية لكونه خادماً للحرم الشريف وحامياً له ولحجاج بيته الحرام"(١). وعندما تكتمل هذه المراسم التشريفية للكعبة تكون هي السيادة المعني بها وهو ما أشار إليه محمد عبدالعال، في خاتمة توثيقه لحج الظاهر بيبرس السالف الذكر بقوله: "...وقام بالإضافة إلى ذلك بكسوة الكعبة، وهكذا استرجعت مصر سيادتها على الحجاز"(٢).

وبالإضافة إلى هذا الهدف التشريفي المضمن إصباغ الشرعية على فاعله فقد كان ثمة هدف استراتيجي لكلٍ من الرسوليين والمماليك، فأما الرسوليون فقد كانوا يهدفون إلى إيجاد منطقة عازلة – Polar State – تحول دون اتخاذ المصريين الحجاز منطلق لغزو اليمن وزعزعة نفوذهم في الحجاز، سواء كان مملوكياً أو أيوبياً، وهو ما سعى إليه نورالدين مؤسس الدولة بـ"طرده العساكر المصرية عن مكة المشرفة مرة بعد أخرى... وطردهم عنها وعن الحجاز"(٣).

وفي تقديري أن المصريين كانوا يهدفون كذلك إلى اتخاذ الحجاز نقطة وثوب على اليمن رغم تهيبهم فعل ذلك في كثير من الأحيان(٤)، بالإضافة إلى أهداف اقتصادية وتجارية وحتى ثقافية لكلا الطرفين(٥).

- الطور الثاني للصراع على الحجاز:

أما الطور الثاني لمد النفوذ الرسولي – المملوكي – على الحجاز، فهو الأسلوب غير المباشر، وهي "المرحلة الثانية [في بسط الرسوليين نفوذهم] وهي بعد قيام الدولة المملوكية وانتصارها على المغول أصبح واضحاً أن بني رسول لن يجرؤوا على استخدام القوة العسكرية"(٦). واعتمدوا على الأساليب الإمدادية غير المباشرة في تحقيق أهدافهما السياسية في بلاد الحجاز، وخلال هذين الطورين المباشر وغير المباشر تنوعت أساليب التنفيذ بين تنصيب أشراف موالين لكل طرف(٧)، واتباع سياسة الإغراء المادي عبر الأعطيات والهبات والوظائف

---

(١) العبيكان: الحياة العلمية، ص٤٠.
(٢) بنو رسول، ص ص٣٧٢-٣٧٣.
(٣) الخزرجي: العقود ٨١/١-٨٢، وينظر: ابن حاتم: السمط، ص٢٠٦، اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص٣٦.
(٤) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص٢٧٩ (حبشي).
(٥) ينظر: العبيكان: الحياة العلمية، ص ص١٨٠-١٨١.
(٦) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٨.
(٧) ينظر: ابن حجر: الدرر ٤٥٣/٢-٤٥٦؛ بامخرمة: ثغر عدن ١٧٧/٢، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٠٦/١-٧٠٧، الفاسي: شفاء الغرام ٣٠٠/٢، السخاوي: الضوء ١٠٣/٣-١٠٥.

والإمريات للأشراف والقبائل الحجازية(١).، وامتد هذا الأسلوب ليشمل جذب سكان البلاد المقدسة "وذلك بصرف الأموال ومساعدة العلماء والمجاورين وإنشاء المؤسسات الخيرية والدينية والتعليمية في الحرمين"(٢). وهذا العامل ساهم "في اجتذاب العلماء وتشجيعهم على التأليف في العلوم الدينية وعلوم العربية وغيرها"(٣)، وحتى امتد الأمر إلى إيواء المتمردين أو الفارين بما يمكن تسميته باللجوء السياسي لبعض القادة المصريين والحجازيين(٤)، كما آوت مصر الفارين من سلاطين بني رسول، أشار لذلك ابن فضل الله العمري عند قوله: "ولقد وقعت وحشة بين هذا المجاهد وبين بعض أمرائه وهو علي بن عمر بن يوسف الشهابي فجاء إلى مصر وأقام بها"(٥). ومن المفيد القول: إن "هروب العلماء من الحكام أحياناً يوفر لهم فرصة ثمينة للتزود العلمي وتأليف الكتب النافعة"(٦)، وهو ما يحقق مطلباً فكرياً للتواصل الحضاري بين اليمن ومواطن أولئك العلماء. ومن الأساليب المستخدمة – كذلك في الصراع المصري – اليمني، على الحجاز الاعتقالات والأسر الذي قد يمتد ليطال سلاطين اليمن وأشراف الحجاز(*).

ومهما تعددت الأساليب السياسية المتبعة، إلا أنها لم تلغ حتمية المواجهات المباشرة وإرسال الحملات العسكرية لفرض الأمر الواقع وتحقيق أهداف كل طرف "فما أن يبعث المماليك جيشاً يخضع مكة حتى يسارع الرسوليون إلى إرسال جيش في العام التالي"(٧).

---

(١) ينظر: الخزرجي: العقود ٦٤/١-٦٥، ٨٢.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٦٠/٩.، المقريزي: السلوك، ق١، ٢٠١/٢.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٣.

(٢) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٩.

(٣) الحسامي، عبدالملك عبدالوهاب: التراث اللغوي في اليمن، مجلة بحوث جامعة تعز، ع٨، تعز ٢٠٠٦م، ص٢٤.

(٤) ينظر: الخزرجي: العقود ١٤٨/٢-١٤٩، المقريزي: السلوك، ق١، ٢٠٩/٢.، السخاوي: الضوء ٧٩/٤.، الكبسي: اللطائف السنية، ص٦٢.

(٥) مسالك الأبصار، ص٥٢.

(٦) الحسامي: التراث اللغوي، ص٢٤.

(*) ومن ذلك اعتقال المماليك للسلطان المجاهد سنة (٧٥١هـ/١٢٥٣م) ومعه الشريف ثقبة بن رميثة، وقد تعددت روايات المؤرخين حيال هذه الحادثة وآثارها على العلاقات بمختلف أوجهها على اليمن ومصر والحجاز. عن هذه الحادثة ينظر: ابن حجر: الدرر ٤٩/٣-٥٠، الفاسي: شفاء الغرام ٢٩٩/٢، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٢٦/١٠-٢٢٩، ٢٦٤-٢٦٥.، بامخرمة: ثغر عدن ١٤٧/٢-١٤٨.، الشوكاني: البدر الطالع ٣٠٥/١.، ابن الديبع: قرة العيون ٣٦٢/١-٣٦٣.، السخاوي: وجيز الكلام ٥٢/١.

(٧) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (العهد المملوكي)، ط٥، المكتب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٠م، ج٧، ص٩٨، وينظر: الخزرجي: العقود ١٠٩/١، ١١٢.، ابن الديبع: قرة العيون ٣٠٢/١.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٢٦/١٠، ٢٣٠.

وعلى الرغم مما ولدته هذه المواجهات من آثار سلبية على أمـن الحجـاج والنشـاط الاقتصادي وانتهاك لحرمة المقدسات الإسلامية[١]، إلا أنها ساهمت كذلك في تعزيـز القـدرات الدفاعية وبناء الجيوش لكل طرف وتعزيز أمن محامل الحج لكل طرف من تلك الأطـراف[٢]، وكذا الاستفادة من الأساليب العسكرية المستخدمة من قبـل كـل طـرف، وانتقـال الأسـلحة والأدوات القتالية والمصطلحات العسكرية[٣]، وهو ما شكل نوعاً من أنواع التلاقح الحضاري في الجوانب العسكرية - تأثيراً وتأثراً - لاسيما وقد تولى قيادة جيوش اليمن أمـراء مصـريين وحجازيين[٤]. وعلى الرغم من هذا النزاع فقد استمرت الخطبة في مكة لـ"ملوك اليمن... بعـد ملوك مصر"[٥].

الوجه الثاني: توجس كل طرف من أطماع الطرف الآخر في مد نفوذه إلى بلده:

وهذا التوجس في ظني ينطلق من القدرة العسكرية التي ساعدت كل طرف علـى مـد نفوذه إلى الحجاز واليمن، ومن غياب جسور الثقة بين سلاطين بني رسول ومماليك مصر. فأما النجاحات العسكرية فقد استطاع الشريف قتادة في فترة من الفترات أن "ينشر نفوذه السياسي في أنحاء الحجاز واليمن"[٦]، وبالمقابل "استتب الأمر لبني رسول في السيادة علـى بـلاد الحجـاز عام ٦٣٩هـ/١٢٣٨م"[٧]، وفي عهد الظاهر بيبرس "تمكن من إعادة نفوذ الأشراف له وعـودة سيطرة مصر على مكة والحجاز عامة"[٨].

ولم يكن أئمة الزيدية بمنأى عن هذه الأطماع، فالإمام المهـدي أحمـد بـن الحسـين بن القاسم (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) "بلغت دعوته كل مبلغ أدى إليه الواجبـات، سـكان الحجـاز وينبع والصفراء"[٩].

---

(١) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣٩٧/٣، أحمد السباعي: تاريخ مكـة ٢٧٨/١.، العبيكـان: الحيـاة العلميـة، ص٤٠، ١٧٣، ١٨٠.

(٢) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص ص١٢٦-١٢٧ (حجازي).، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢١٨/١٠.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ٧٠/١، ابن تغري بردي: النجوم ٢٧٣/١١، ٥٣/١٢، ٦٧.، هـديل: التمـردات القبلية، ص ص١٧٠-١٨٠.

(٤) ينظر: الخزرجي: العقود ١٣٩/١، بامخرمة: ثغر عدن ١٧٧/٢.، الفاسي: العقد الثمين ٤٨٨/٧، ٣٩٦/٣.

(٥) الفاسي: شفاء الغرام ٢٨٨/٢، وينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٠٧/١.

(٦) العبيكان: الحياة العلمية، ص٤٠.، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ٥٣/٧، ابن خلدون: العبر ٢٢١/٤.

(٧) قايد عثمان: الرسوليون، ص١٥ (الهامش).

(٨) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ١٠٠/٧.

(٩) حسين العرشي: بلوغ المرام، ص٥٧.، وينظر: الكبسي: اللطائف السنية، ص١١٣.

وما ينبغي الإشارة إليه أن أطماع المصريين لم تكن تنحصر في الحجاز فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى اليمن "التي اشتهرت آنذاك بكثرة مواردها ووفرة خيراتها وكذلك ثغر عدن وبذلك [يستطيعون] السيطرة على تجارة البحر الأحمر"(١)، حتى أشار إلى ذلك السلطان الناصر محمد بن قلاوون بقوله: "وهذه المملكة اليمنية قد اجتمع فيها من الأموال ما يربى عن الحصر والحد ويزيد على الإحصاء والعد"(٢). لذا كان سلاطين مصر يتحينون الفرصة السانحة ليمدوا نفوذهم إلى بلاد اليمن، سواء عبر استغلال الصراعات الداخلية بين الرسوليين في اليمن وطلب المعونة المصرية من الطرف الأضعف في اليمن كاستدعاء المجاهد عسكر مصر لنجدته سنة (٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، مما أسفر عنه حلف سياسي وعسكري ثلاثي (رسوليون ومماليك وأشراف) خاضت معارك في اليمن أدى إلى تبادل الخبرات والمؤن العسكرية والسياسية بين أطراف الحلف، غير أنها لم تحقق للمصريين آمالهم بالسيطرة على منابع الثروة في اليمن(٣)، أو حتى عن طريق طلب المعونة من قبل أمراء رسوليين في تمرداتهم على السلاطين كطلب الأمير الكامل معونة المصريين في حربه ضد السلطان نور الدين(٤). وهذه الأطماع المملوكية في اليمن قابلتها أطماع يمنية في مصر ظلت حبيسة الأماني والنوايا ويعبر عنها بالمرائي وأفلاك المنجمين كالمنصور نور الدين المؤسس الذي أفصح عن بشارة في المنام تبشره "بالملك من عدن إلى عيذاب"(٥)، والسلطان المجاهد الذي سفح دموعه على ضفاف النيل، لأن "بعض المنجمين ذكر له أنه يملك الديار المصرية ويسقي فرسه من النيل"(٦)، ولما أسر في مكة وأُخذ إلى مصر نازعه فرسه، يريد أن يشرب وهو على النيل، عندئذٍ أدرك تفسير قول المنجمين(٧).

تأسيساً على ما سبق، يمكن القول: إنه مهما يكن من متغيرات سياسية وعسكرية شابت العلاقات بين الرسوليين والمماليك أو بين الرسوليين وأشراف الحجاز، إلا أنها ساهمت في تعزيز الصلات الحضارية بين اليمن وتلك البلدان سلباً وإيجاباً وفق ارتباطية شرطية، فإذا ارتفعت وتيرة العلاقات مع مصر والحجاز أثرت "تأثيراً كبيراً في مجال الإنشاء والتعمير وسهلت لطلاب العلم والعلماء القيام برحلاتهم العلمية والتعليمية، كما مكنت اليمن من معالجة ما

---

(١) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٤٠.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ٣٥٠/٧.

(٣) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٢٥٩/٢-٢٦٨.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧٨/٩-٨٧.، الخزرجي: العقود ٣٧/٢.

(٤) ينظر: ابن حجر: الدرر ٤٩٩/٢.، الخزرجي: العقود ١٢٨/١.

(٥) الجندي: السلوك ٥٤١/٢.

(٦) ابن حجر: الدرر ٥٠/٣.

(٧) المصدر نفسه والصفحة.

كانت تواجهه من نقص في الكثير من المجالات فاستقدمت منها المهارات والصناعات والأيـدي العاملة الماهرة وفي استجلاب بعض المواد الخام الأولية للعديد من الصناعات"[١]. أضف إلـى ذلك أنه "عندما اشتدت المنافسة بين مصر واليمن للسيطرة على الحجاز الأمر الذي ساعد علـى تقدم وازدهار صناعة النسيج في اليمن"[٢].

وكلما أصاب تلك العلاقات الفتور أو التوتر تباطأت وتيرة التواصل الحضاري مع تلـك البلدان وأعيقت حركة التجارة والعبور الحضاري من شرق آسيا إلى الحجاز ومصر وتـأثرت المقدسات الإسلامية وسكينة الحجاج وتناقص أعداد الوافدين إلى اليمن والمسافرين من اليمن إلى تلك البلدان، وتعرضت قوافل اليمن – الجلاب – للنهب والسطو[٣]. وإن كانت تلك الصـراعات من ناحية ثالثة رفعت وتيرة الاهتمام بالمقدسات الإسلامية وتعزيز القدرات الأمنيـة والدفاعيـة والدبلوماسية لكل من اليمن ومصر والحجاز.

وفي تقديري أن ذلك الصراع السياسي والعسكري بين مختلف الأطراف الثلاثة[*] تولـد عنه جانب مشرق نسبياً وهو ارتفاع وتيرة الاهتمام بالمضامين الحضارية لتلك البلـدان وعلـى نحو أدق تبني الإنجازات الحضارية في المشاعر المقدسة في الحجاز – كما سنرى لاحقاً فـي سياق الأطروحة – ناهيك عن ما أفرزه ذلك التنازع من تبادل للسفارات والهـدايا والأسـاليب والأدوات العسكرية وغيرها من صور التواصل الحضاري بين اليمن ومصر والحجاز.

---

(١) الأغبري: عوامل ازدهار التعليم، ص٢١٨.

(٢) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣١١.

(٣) عن هذه النواحي السلبية، ينظر: الخزرجي: العقود ٣٠٨/١، ابن تغري بردي: النجـوم الزاهـرة ٢٤/٧، الفاسي: شفاء الغرام ٣٠٣/٢.، نفسه: العقد الثمين ٣٩٦/٣.، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٨٠.

(*) الرسولي والمملوكي وأشراف الحجاز.

ج) المحدد الاقتصادي:

تكمن أهمية "العلاقات الاقتصادية... وازدهار التجارة الخارجية والداخلية والانتعاش الزراعي والصناعي في [أنها] ساعدت على قوة الاتصالات والروابط بين اليمن والدول والشعوب الأخرى سواء العلاقات التجارية أم العلمية والحضارية"(١)، بما فيها مصر والحجاز، ولازمت هذه العلاقات الاقتصادية سمات أبرزها:

- تأثر العلاقات التجارية بالمؤثرات السياسية التي تربط اليمن مع تلك البلدان:

إذ "يعتبر العامل السياسي من أهم العوامل التي تؤثر في زيادة النشاط التجاري فيما بين البلد نفسها أو فيما بينها وبين البلدان الأخرى"(٢)، وهذه الارتباطية في التأثير بين المؤثرات السياسية والأنشطة التجارية يمكن حصرها في وجهين، إجراءات سياسية داخلية في الأبنية لتلك البلدان، وارتباطات سياسية خارجية فيما بين كل طرف والآخر، فأما الإجراءات الداخلية لتلك البلدان فكلما نهجت الدولة نهجاً مشجعاً للتجارة ارتفعت حركة التجارة، وبالمقابل تتضاءل حركة هذا النشاط بتضييق السياسات الداخلية على التجارة في تلك البلدان. ففي اليمن(*) "واصل سلاطين بني رسول اهتمامهم بتنشيط حركة التجارة"(٣) وازدهارها "فيما بين مدن اليمن وفيما بين اليمن والكثير من البلدان الأخرى من أهمها مصر ثم الحجاز والحبشة والهند والصين"(٤).

ويمكن الإشارة إلى نموذجين رسوليين للسياسة التجارية الداخلية أحدهما إيجابي والآخر سلبي على سبيل الاستشهاد، النموذج الأول: الإجراءات التي اتخذها السلطان المؤيد سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٨م) لتنشيط حركة التجارة من تقديم التسهيلات وإلغاء المكوس وإبطال التقاديم للسلطان من قبل التجار والأشراف المباشر على تنفيذ هذه الإجراءات(٥). والنموذج الآخر ما حدث في عهد الناصر أحمد الرسولي (ت٨٢٧هـ/١٤٢٤م) الذي عمد إلى "تغيير سياسته ومعاملته الحسنة للتجار واتبع معهم سياسة تقوم على الجور، من ذلك طرحه للسلع كالحرير مثلاً وبيعها للتجار بأكثر من ثمنها، وقد أدى هذا الجور بالتجار إلى الهرب من عدن

---

(١) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٤٧.

(٢) السروري: عوامل ازدهار النشاط التجاري، ص٢٦.

(*) تم مناقشة إجراءات الدولة الرسولية – كمحدد داخلي – لتشجيع التجارة في الفصل الأول من هذا الباب. ينظر هذه الرسالة ص ص٥٤-٥٦.

(٣) محمد عبدالعال: بنو رسول، ص٤٣٤.

(٤) السروري: عوامل ازدهار النشاط التجاري، ص٢٦.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٦٨/١.، نفسه: العسجد، ص٢٩١.

والالتجاء إلى جدة وغيرها تخلصاً من المظالم التي تعرضوا لها"[١]. وإن كانت إجراءات الناصر تستهدف رفع موارد الخزينة التي كانت تعاني من تناقص في الموارد[٢].

أما في مصر فثمة نموذجان داخليان للدلالة على الارتباطية سالفة الذكر، الأول، في عهد السلطان قلاوون (ت٦٩٨هـ/١٢٩٠م) الذي "عمل على تنشيط التجارة بمختلف الطرق... كذلك حرص السلطان قلاوون على تأمين طرق التجارة داخل مصر حتى تصل البضائع سليمة من موانئ البحر الأحمر"[٣]، مما أدى إلى تدفق الأموال إلى خزينة الدولة وانعكس ذلك على النهوض الحضاري والفكري في عهده[٤]. النموذج الثاني: إتباع السلاطين الذين سبقوا المنصور قلاوون سياسة جمركية سلبية – نسبياً – "كان لها أبعد الأثر في إضعاف أهمية البحر الأحمر... بحيث بلغ ما يسدده تجار الفرنج من رسوم ما يصل مقداره ثلثي قيمة البضائع أحياناً مما كان مثار احتجاج هؤلاء التجار ودافعاً لهم على ترك التعامل مع الموانئ المملوكية والتوجه إلى الطرق التجارية التابعة للمغول لما يلاقونه من تسهيلات كبيرة لديهم"[٥].

وبالتطرق إلى سياسة الأشراف التجارية يمكن الإشارة إلى نموذجين مختلفين، الأول في عهد حميضة (ت٧٢٠هـ/١٣٢٠م)، والذي أدت سياسته إلى تضاؤل التجارة الداخلية والخارجية وخصوصاً عندما "أخذ أموال التجار والمياسير"[٦]. وبالمقابل كان نموذج الشريف أحمد بن عجلان بن رميثة (ت٧٨٨هـ/١٣٧٦م) المتسم بالعدل والسياسة التجارية المتزنة حتى "رغب كثيراً من التجار في سكنى مكة"[٧] خلال فترة حكمه لها.

أما المؤثرات الخارجية لسياسة كل طرف على العلاقات التجارية بينهما، ففي تقديري أن كل طرف اتخذ من التعامل التجاري مع الطرف الآخر وسيلة ضغط سياسية وغاية اقتصادية نفعية في الوقت ذاته فنتيجة للإحساس "بأهمية بلاد اليمن وموقعها المهم على طريق التجارة العالمية وضماناً لسلامة التجار لجأت الدول التجارية إلى الارتباط بعلاقات الود مع البلاط الرسولي وتوافدت رسلهم بالهدايا النفيسة إلى اليمن"[٨]. وبهذا الصدد فقد "حرص بنو رسول

---

(١) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٣٩٣-٣٩٤.، وينظر: محمد عبدالعال: بنو رسول، ص ص٤٥٤-٤٥٧.

(٢) ينظر: مجهول: تاريخ الدولة الرسولية، ص١٦٠، ١٦٩، ١٧٢.

(٣) محمد حمزة: السلطان قلاوون، ص ص٦٨-٦٩.

(٤) ينظر: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ٢٠٨/٨-٢١٣.

(٥) محمد عبدالعال: بنو رسول، ص ص٤٥١-٤٥٢.

(٦) ابن حجر: الدرر ٧٩/٢.

(٧) الخزرجي: العقود ١٥٩/٢، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ٩٦/٣.

(٨) محمد عبدالعال: بنو رسول، ص٤٣٤.

والمماليك الجراكسة على توثيق العلاقات الاقتصادية بينهما"[١]، وذلك عبر الهدايا المتبادلة والسفارات بين الطرفين[*]، وذلك "حفاظاً على تسهيل تجارة العبور في البحر الأحمر"[٢]، مما يعود على البلدين، بالموارد المالية المستمدة من حركة العبور (سالفة الذكر) ومن البضائع والجمارك المتدفقة عليهما[٣]، وكذلك الحجاز التي تميز موقعها بـ"أهمية بالغة للنشاط التجاري داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها"[٤]، بما فيه مصر واليمن، إذ "تتصل جنوباً ببلاد اليمن، وكذلك تتصل بمصر براً وبحراً"[٥]. لذا نهج الأشراف في الغالب نهجاً ترحيبياً إزاء تجار اليمن وأصبغوا عليهم المكانات الرفيعة سياسياً واجتماعياً[٦]، وبالمقابل أبطل الرسوليون عن "مكة سائر المكوسات والجبايات والمظالم وكتب بذلك مربعة وجعلت قبالة الحجر الأسود"[٧].

ومع كل هذه السياسات الحسنة المستهدفة تحسين العلاقات التجارية بين الأطراف الثلاثة كغاية بحد ذاتها، إلا أنها لم تخلُ من توظيف الحركة التجارية كورقة ضغط سياسية وذريعة لتحقيق مكاسب سياسية وعسكرية، ومن ذلك ما حدث سنة (٧٠٥هـ/١٣٠٥م) عندما أرسل سلطان المماليك خطاب إنكار وتهديد إلى السلطان هزبر الدين داوود سلطان اليمن بسبب ما أسماه تقديم عدة تجار شكوى به ودعاه إلى تقديم الهدية المعتادة التي كان قد قطعها[**] مشفوعاً بخطاب حاد اللهجة من الخليفة العباسي[٨]. وبالمقابل وظف المؤيد العلاقات التجارية كورقة ضغط لمنع الحملة العسكرية بقيادة الأمير بيبرس فمنع الكارم من التجارة[٩]، وذات الأسلوب

---

(١) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٨٩.

(*) عن هذه الهدايا والسفارات ينظر: الخزرجي: العقود ١٥٥/٢، ١٥٨، ١٦٧-١٦٨، ٢٣٣.، ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ٦٦/١٢-٦٧.، المقريزي: السلوك، ق١، ١٠٧/٢، ٢٠٧.، بدرالدين العيني: السيف المهند، ص٣٤٤.، القلقشندي: صبح الأعشى ٣٦٤/٧-٣٦٥.، مجهول: تاريخ الدولة الرسولية، ص٧٤، ٩٣، ١٢٨، ١٧٥.

(٢) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٨٩.

(٣) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٣.، ابن خلدون: المقدمة، ص١٢، ٥٦.، السخاوي: الضوء ١٢/٤.

(٤) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٧.

(٥) المرجع نفسه والصفحة.

(٦) ينظر: السخاوي: الضوء ١٢٧/٣، ٢١٠.

(٧) الفاسي: شفاء الغرام ٢٨٦/٢.

(**) ما يدل على اتخاذ هذه الشكوى كذريعة فقط هو الربط بينها وبين التأكيد على إعادة ما قطع من هدية المؤيد لاسيما وقد أنكر محقق النص وقوع تعد من قبل المؤيد، ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٧/٢ (هامش التحقيق).

(٨) ينظر: المصدر نفسه والصفحة.

(٩) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٠٨/١.

استخدمه الرسوليون مع أشراف الحجاز فعندما تسوء العلاقات السياسية تستخدم تجارة اليمن الواردة إلى الحجاز كوسيلة ضغط لإحداث أزمات اقتصادية في بلاد الحجاز(١).

- دور الطرق التجارية ومدن الموانئ في تعزيز التواصل الحضاري:

تميزت "اليمن بموقع تجاري مهم... مما جعلها مقصداً لكثير من التجار من مختلف البلدان، وقد أدى ذلك إلى نشوء عدد من الطرق البرية والبحرية"(٢)، فأما البرية "فقد أخذت القوافل التجارية القادمة من اليمن تسير عبر أراضي الحجاز... وتمر القوافل التجارية في طريقها بمدن مهمة جداً كصنعاء ومأرب ومكة المكرمة والمدينة المنورة ومنها إلى مدائن صالح ثم غزة وجنوبي الشام وبعضها يسير إلى مصر"(٣)، و"طريق بري يصل بين زبيد ومصر مروراً بأرض الحجاز، وهو الطريق الذي اعتادت قوافل الحج على اجتيازه من مصر إلى مكة ومن مكة إلى اليمن، وبالعكس عند رحلة العودة"(٤). أما الطريق البحري "لبلاد الحجاز فقد كانت المراكب التجارية تسير إلى مصر واليمن عبر ثغور الحجاز على البحر الأحمر وفي نفس الوقت كانت هذه الثغور الحجازية على البحر الأحمر تستقبل سفناً تجارية من... مصر فضلاً عن اليمن"(٥)، وفرع ينطلق من زبيد، ويبدأ من ميناء غلافقة إلى مصر عن طريق موانئ مصر الشهيرة آنذاك كعيذاب(*) والطور والسويس(٦).

---

(١) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣/٣٩٦، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٧٣، ١٧٩-١٨٠.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٦٩.

(٢) الشميري، فؤاد عبدالحميد: الحياة الاقتصادية في اليمن (التجارة والصناعة) في القرنين الأول والثاني الهجريين ٦٢٢-٨٢٢م، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، صنعاء ٢٠٠٦م، ص١٤٠.

(٣) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٧.

(٤) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٦٢، وينظر: ابن تغرى بردى: النجوم ٦٩/٧ (هامش التحقيق).، الشميري: الحياة الاقتصادية في اليمن، ص ص١٤٠-١٤١.

(٥) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٧.

(*) من أشهر المراسي في مصر في العصر الوسيط، بدأ نشاطه منذ القرن الثالث الهجري مع اليمن والحجاز، وظل حجاج وتجار مصر والمغرب يعبرون صحراء عيذاب لمدة مائتي عام حتى عام (٧٦٦هـ/١٣٦٤م) عندما تحولت التجارة إلى طريق السويس بالعقبة، فالساحل الشرقي للبحر الأحمر. ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٦٩/٧ (هامش التحقيق).، أيمن فؤاد سيد، مدينة القاهرة في عصر المماليك، مجلة التسامح، ع٧، وزارة الأوقاف العمانية، مسقط ٢٠٠٤م، ص٢٩١. السروري: عوامل ازدهار النشاط التجاري، ص٢٤.

(٦) عن الطريق البحري ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة ٢٦٦/٢-٢٦٧، ابن خلدون: المقدمة، ص٥٦.، جازم: نور المعارف ٧٣/١.، السروري: عوامل ازدهار النشاط التجاري، ص ص٢٤-٢٥، ٢٧.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٦٢.، أيمن سيد: القاهرة، ص٢٩١.، شهاب: فن الملاحة، ص٤٤.

وعلى الرغم من التسليم بأهمية هذه الطرق بوجهيها البري والبحري في تفعيل النشاط التجاري بين البلدان التي تمر عبرها، إلا أنه لا يمكن تجاهل الدور الحيوي الذي شكلته هذه الطرق في تعزيز التواصل الحضاري والفكري بين اليمن ومصر والحجاز، وذلك "بما تحمله من أنواع البضائع وبواسطتها ينتقل العلماء والطلاب والكتب والأفكار من مختلف البلاد إلى اليمن"[١]. أما مدن الموانئ فقد "اشتهرت عدة مدن في اليمن بالنشاط التجاري، الأمر الذي ساعد على توثيق العلاقات بين اليمن وعديد من الأقطار المحيطة بها"[٢]، وخاصة مصر والحجاز ومن أهم المدن التجارية التي لها نشاط تجاري بحري مع مصر والحجاز عدن، جدة، القلزم، عيذاب، وقوص والينبع والجار[٣]. وقد "تميزت موانئ اليمن... بالاتصال بالحضارات المختلفة وما تمثله من ثقافات وعلوم"[٤]، كما قامت المراكز الساحلية دوراً بارزاً في تعزيز التواصل الحضاري والفكري، وحيث شكلت محاضن رئيسة للتأثير والتأثر مع العديد من البلدان بما فيها مصر والحجاز[٥]، حتى غدت "المدن الساحلية عدن وزبيد تحوي الكثير من الأقوام المختلفة ذوي الثقافات والمذاهب المتنوعة"[٦].

- دور تجار الكارم في مد جسور التواصل الحضاري مع الحجاز ومصر:

لقد "احتكر تجار الكارمية تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي"[٧]، وقد تجاوز تجار الكارم[*] الأدوار التجارية إلى الأدوار السياسية كإقراض المجاهد أربعمائة ألف دينار الفدية

---

(١) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٤٧.

(٢) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٦٠.

(٣) عن هذه المدن ينظر: غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص ص١٣-١٤، ١٦.، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص ص٥٠-٥١، ١٠٦.، السروري: عوامل ازدهار النشاط التجاري، ص ص٢٢-٢٥.، محمد كريم: عدن، ص ص٣٣٦-٣٤٤.

(٤) الأغبري: عوامل ازدهار التعليم، ص٢١٧.

(٥) للاطلاع على نماذج من ذلك، ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٧ (حجازي).، السخاوي: الضوء ٤/٢٧٥-٢٧٦، ٢٨١.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص٢٨١-٢٨٣.، محمد عبدالعال: بنو رسول، ص٤٣٤.

(٦) الأغبري: عوامل ازدهار التعليم، ص٢١٧.

(٧) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٩٣.

(*) الكارم لفظ اصطلاحي يطلق على التاجر الكبير الذي يتاجر في البضائع الهندية كالبهار وكانت تطلق على التجار الحضرميين خصوصاً واليمنيين عامةً، لأنهم كانوا الواسطة في نقل البضائع الهندية ثم عممتهم إلى غيرهم من التجار في مصر، ويطلق الكارم على الكهرمان. ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/١٣٢.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٩٣.، وينظر: أيضاً:

- Labib, Subhi. KARIM, in: Encyclopaedia of Islam, Vol.4, P P. 666 FF.

المطلوبة لفك أسره بطلب من والدته(١)، وكذا إقراض الدولة المملوكية المال(٢)، ونقلوا السفارات بين مصر واليمن والهدايا(٣)، وساهموا في نقل المواد والبضائع إلى تلك البلدان(٤)، وأدوا أدواراً حضارية كتولي المناصب الإدارية في اليمن، ونقل العلماء من مصر والحجاز إلى اليمن عبر تجاراتهم، وساهموا في تعزيز الصلات القضائية بين اليمن ومصر، تبنوا إنشاء المنشآت الاجتماعية والأسبلة وتقلدوا الوظائف الرسمية في الحجاز(٥)، وعبرت تجاراتهم عبر البحار والمحيطات دخلت اليمن المواد الخام والمنتجات الصناعية لمصر والحجاز على مختلف أشكالها وحملوا من اليمن السلع الاقتصادية على مختلف أشكالها أيضاً وشكلوا بذلك وسيطاً اقتصادياً أمدت اقتصاديات البلدان الثلاثة بالمدخلات المادية للأنشطة الاقتصادية، وبالتالي ارتفاع وتيرة التواصل(٦) بين البلدان الثلاثة.

تلكم – إذاً – كانت تأثيرات المحدد الاقتصادي في مد جسور التواصل الحضاري والفكري مع البلدان الإسلامية بما فيها مصر والحجاز، حيث تداخلت فيها المتغيرات السياسية والطبيعية – الطرق والموانئ – والبشرية – الكارم – تشكل أرضية تكاملية أفرزت صوراً مبهجة من التفاعل والتلاقح (تشابهاً أو تأثيراً وتأثراً) فحمل تجار الكارم عبر الطرق البرية والبحرية مستفيدين من الرعاية الرسمية للأنشطة التجارية – الوافدين والكتب ونقلوا السفارات والهدايا ونقلوا التجارب النهضوية ومشاريع التحديث في تلك البلدان وثقافاتها وأمدوا بلدان مصر واليمن والحجاز بالمدخلات المادية – المواد الخام – للازدهار الصناعي والعلمي، وأدوا أدواراً سياسية واجتماعية، ونقلوا التجارب الإدارية والقضائية مستفيدين من تلاقي الخطوط التجارية بوجهيها البري والبحري وبتوجهات حكام اليمن ومصر والحجاز الجادة في تنشيط حركة التجارة ورعايتها.

---

(١) ينظر: Noha Sadek, "Rasulid Women: Power and Patronage", Seminar on Arabian Studies, vol.19, London 1989, P. 123.

(٢) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ١٠٢/٢.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٣٣/٢، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة٦٦/١٢-٦٧.، الفاسي: العقد الثمين ٢٥/٣.

(٤) ينظر: جازم: نور المعارف ٩٦/٢، ١٠٥.

(٥) للاطلاع على هذه النماذج ينظر على التوالي: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٧(حجازي)، ابن حجر: الدرر ٤٦٨/١.، السخاوي: الضوء ١٢٧/٣، ٧٩/٤.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٩٣.

(٦) ينظر: جازم: نور المعارف ٦٦/١، ٢٦٥.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٣٥٢-٣٥٩.

د) المحدد الديني والاجتماعي:

أولاً: المؤثرات الدينية ودورها في تشكل الصلات الحضارية مع مصر والحجاز:

ساعد "العامل الديني في ذلك العصر على توطيد العلاقات المختلفة بين اليمن والدول الإسلامية"[١] بما فيها مصر والحجاز، على اعتبار أنه من المسائل الأساسية التي توضح مدى الترابط الحضاري بين اليمن وتلك البلدان[*]. ومن خلال تتبع تأثيرات ذلك المحدد يمكن تناول الأبعاد التأثيرية على تلك الصلات من خلال عدد من الملامح أبرزها:

- الحج وأثره في مد جسور التواصل:

ساهم الحج كركن خامس من أركان الإسلام بموسميته في جمع المسلمين من شتى بقاع المعمورة إلى مكة "مهبط الوحي ومنطلق الرسالة المحمدية إلى الناس كافة وبها الكعبة المشرفة قبلة المسلمين والمسجد الحرام مأوى أفئدتهم وبها المشاعر المقدسة التي يحج إليها كل عام مئات الآلاف من مختلف بقاع الدنيا"[٢]، ومنهم أهل اليمن الذي كان يخرج محملهم للحج كل عام[٣]، فيلتقون بغيرهم من حجاج البلدان الإسلامية فتتشكل صوراً متعددة من التواصل الحضاري، سواءً مع مصر أو مع الحجاز الحاضن للمشاعر المقدسة، فعلى المستوى السياسي ساهم الحج إلى حد كبير في رسم كثير من المواقف السياسية والعسكرية بين مصر واليمن، بل والمواجهات المباشرة[٤].، وامتدت الصلات التجارية بين اليمن والحجاز إلى مستويات متقدمة حتى تاجر السلاطين بأموالهم في مواسم الحج[٥]، وتحول الحجاز إلى نقطة عبور لتجار مصر إلى اليمن[٦].

وقد أشار السيوطي إلى أهمية محمل الحج اليمني في سياق ذكره لأهم أربعة محامل حج في ذلك الوقت بقوله: "المحامل السلطانية وجماهير الركبان لا تخرج إلا من أربع جهات: مصر

---

(١) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٥٨.

(*) فالأرضية التي أثرت بشكل رئيس وبالدرجة الأولى على هذه الصلات هي الإسلام كديانة رسمية للبلدان الثلاثة.

(٢) الزيلعي، أحمد بن عمر: المؤرخ المكي جمال الدين الشيبي وكتابه الشرف الأعلى، مجلة جذور، ع٢٠، النادي الثقافي، جدة ٢٠٠٥م، ص٢٢.

(٣) عن خروج محمل الحج اليمني آنذاك ينظر: يحيى بن مطهر بن اسماعيل (ت٨١٧هـ/١٦١٨م): بلغة المرام في الرحلة إلى البيت الحرام وإلى المدينة النبوية، تح: عبدالله محمد الحبشي وحسني ذياب، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي ٢٠٠٦م، ص٢٢.

(٤) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣/٤٩-٥٠، الخزرجي: العقود ١/١٢٤-١٢٥.، بامخرمة: ثغر عدن ٢/١٤٧-١٤٨.، الفاسي: شفاء الغرام ٢/٢٩٢-٢٩٣.

(٥) ينظر: ابن حاتم: السمط، ص ص٢٢١-٢٢٢.، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٧٦.

(٦) ينظر: السخاوي: الضوء ٣/١٣٨-١٣٩.

ودمشق وبغداد وتعز"(١). وإذا استثنينا محمل الحج العراقي الذي انقطع دوره بفعل اجتياح المغول لبغداد ودخول محمل الحج الشامي تحت عباءة السلطة المملوكية على خلفية التبعية السياسية لمصر فستتبدى لنا فاعلية محمل الحج اليمني بجوار محمل الحج المصري. وقد أشار الخزرجي إلى مثل تلك الفاعلية عندما تزاحم محمل الحج المصري ومحمل الحج اليمني أيهما يقدم علمه على الآخر بقوله: "طلعت أعلامه الشريفة وأعلام صاحب مصر فقال له الأمير عز الدين... هلا أطلعت أعلامك يا مولانا السلطان قبل أعلام المصريين فقال له أترانى أؤخر أعلام ملك كسر التتر بالأمس وأقدم أعلامي"(٢).

ويمتد تأثير الحج إلى المستوى الاجتماعي مع مصر والحجاز عبر إكرام حجاج مصر من قبل سلاطين اليمن وتوزيعهم للصدقات في الحجاز وسكان مكة، "حتى وصلت... إلى كل منزل بمكة وعمت جميع الحاج على اختلاف ألوانهم وجهز حاج مصر بالإنعام والمراكب والأزواد"(٣).

ومن نافلة القول: إن الحجاج أنفسهم كان لهم دور في تعزيز الصلات السياسية بين مصر واليمن عبر نقلهم للهدايا المتبادلة بين البلدين(٤)، كما ساهم الحج في إمداد اليمن بنتاجات العالم الإسلامي الفكرية من علماء ومصنفات، حيث "كان يساهم موسم الحج في تجميع أعداد كبيرة من مختلف علماء العالم الإسلامي من مختلف المذاهب والفرق والأجناس والثقافات... وكان بعض هؤلاء بعد انتهائه من فريضة الحج يحرص على الذهاب إلى بعض المراكز العلمية اليمنية للالتقاء بمشاهير العلماء بها يأخذ عنهم ويأخذون عنه"(٥)، لاسيما وأن محامل الحج اليمنية كان يتصدر قيادتها العلماء وتنسب إليهم في الغالب(٦).

ومن هنا يمكن القول: إن موسم الحج لم يكن مجرد ركن من أركان الإسلام يؤدى ولا تنسحب على تأديته آثار أخرى بقدر ما كان إلى جانب ذلك ملتقى تفاعلي تأثرت اليمن بمدخلاته الحضارية والفكرية وأثرت في مخرجاته، وعلى نحو أخص مع مصر والحجاز.

---

(١) حسن المحاضرة ٢٦٦/٢.

(٢) العقود ١٢٤/١.

(٣) الخزرجي: العسجد، ص٢٣٩.

(٤) ينظر: نفسه: العقود ٢٤٦/٢.

(٥) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٩.، ولمزيد من النماذج العلمية العابرة لليمن بعد مواسم الحج، ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣٣٦/١٠-٣٣٧.، الخزرجي: العقود ٢٠٢/٢.، السخاوي: الضوء ١٤٧/٣-١٤٨.

(٦) ينظر: بامخرمة: أبو محمد الطيب بن عبدالله (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تح: محمد يسلم عبدالنور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م، مج٣، ص ص٣٠٨٠-٣٠٨١.

- المذهبية والتسامح الديني ودورهما في توطيد التواصل الحضاري:

وذلك على المستويين الرسمي والشعبي، فعلى المستوى الرسمي، ساهم عاملان رئيسان في تعزيز التواصل الحضاري والفكري مع تلك البلدان، الأول: التقارب المذهبي الرسمي، فكلا البلدين مصر واليمن – الرسوليين – كانتا من الدول ذات المذهب السُني المشبع بالنفس الصوفي[١]، والحجاز المتقارب مع زيدية اليمن من حيث النسب كان بعيداً عن التعصب المحارب للسنة، فكان منهم من "يحب أهل السنة وينصرهم على الشيعة وربما كان يذكر أنه شافعي المذهب"[٢].

وهذا التناغم المذهبي أُتبع بعامل ثانٍ هو رعاية التسامح المذهبي والديني حتى "تميز هذا العصر بالتسامح الديني والمذهبي والتعدد الفكري"[٣]، وتبنى سلاطين اليمن ومصر وأشراف الحجاز رعاية هذا التسامح الذي كان من أبرز صوره التعايش المذهبي، وتنصيب قاضي رسمي لكل مذهب، وتبني منهجية المناظرات الفكرية كبديل سلمي للتصارع المقيت[٤]. وهذان العاملان يجرانا إلى الحديث عن أثرهما في انتعاش المد الصوفي وأثر ذلك على اليمن، إذ من الملاحظ على "التصوف أنه لا ينتعش إلا في ظل الدول السنية"[٥]، وهو ما حصل في عهد الدولة الرسولية في اليمن الذي كان أساساً من أساسات قيامها[٦]، وفي عهد الدولة المملوكية في مصر الذين قربهم السلاطين وتشاوروا معهم[٧]. وهذا التوافق في تقديم المذهب الصوفي على غيره ساعد على زيادة تأثير مصر والحجاز بوجهيهما الصوفي، إذ "كانت مصر من بين أهم الدول التي أثرت في اليمن في... المؤسسات الصوفية والتجارية وانتشار الأفكار والطرق الصوفية"[٨] ذات الخلفيات المتعددة كأفكار ابن عربي والغزالي[٩].

---

(١) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٢/١١٤.، الصفدي: الوافي بالوفيات ٨/٥٨.، الجندي: السلوك ٢/٥٤١-٥٤٢.، الخزرجي: العقود ١/٣٢٠.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١١/١٣٩.

(٣) عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٥.

(٤) عن صور التسامح المذكورة ينظر: ابن حجر: رفع الإصر، ص ص١٤-٢١.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٩/٢٦٥، الجندي: السلوك ٢/٥٤١-٥٤٢، الخزرجي: العقود ١/٢٧٠-٢٧١، ٣٠٤، ٣٥٥.، الأهدل: تحفة الزمن، ص٣٠١، الفاسي: شفاء الغرام ٢/٣١٢.، نفسه: العقد الثمين ٣/٩٦.

(٥) الحبشي: الصوفية والفقهاء، ص٤٠.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقود ١/٥١-٥٢.

(٧) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٩/١٤٤-١٤٥.

(٨) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٧.

(٩) ينظر: الجندي: السلوك ٢/١٢٠، الخزرجي: العقود ١/٣٢٠، الحبشي: الصوفية والفقهاء، ص ص٦٩-٧٠.

أما الحجاز فتأثيرها الصوفي على اليمن يشير إليه الخزرجي في ترجمته للفقيه رضي الدين اليحوى (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) عند قوله: "تصوف وصحب الأكابر من الصوفية كأبي السرور وغيره وحج مكة فلقي فيها جمعاً من الأكابر وانتسخ كتباً من كلام ابن العربي الصوفي، فعكف عليها واعتقد ما فيها، ثم لما عاد إلى اليمن أقبل عليه أعيان الأمراء والملوك والخواتين وصار لهم معتقد عظيم"(١).

وهذا التأثير أفرز صلات مذهبية وصوراً للتواصل المذهبي أثرت المشهد الفكري في اليمن ومصر والحجاز(٢)، ولأن الشيء بالشيء يذكر فإن التسامح المذهبي قد انسحب أثره على أتباع الديانات الأخرى الذين تمتعوا بنظام إداري في تلك الفترة يحدد لهم الواجبات ويمنحهم الحقوق(٣)، وأدمجوا في مدخلات الازدهار الفكري والحضاري حتى برعوا في الصناعات المختلفة كالذهب والنحاس، حتى "إن السلطان نورالدين عمر الرسولي كان له طبيب يهودي، كما أنهم اشتغلوا بالتجارة ضمن تجار الكارم"(٤)، وبلغ بيهود مصر أن تولى بعضهم مناصب رسمية في إدارة المماليك(٥). ونتيجة لذلك شكلوا جزءاً من التواصل الحضاري والفكري سواء على المستوى الرسمي كالمشاركة في السفارات وحمل الهدايا بين مصر واليمن، والمضمنة خبرات يهودية طبية لليمن(٦)، أو المراسلات والمكاتبات المباشرة بين يهود اليمن ومصر(٧).

ولعل قلة حدة تأثير عامل الذميين في التواصل الحضاري والفكري بين الحجاز واليمن إنما يعود بالدرجة الأولى لمنطلقات دينية وتشريعية تحرم على الذميين دخول مكة والمدينة مركز التأثير المتبادل، بل وتحث على إجلائهم عن جزيرة العرب(٨).

---

(١) العقود ٣٢٠/١، وينظر: الجندي: السلوك ١٢٠/٢.

(٢) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٧٣/٢-٣٧٤، السخاوي: الضوء ٩١/٤، ٣٠٤-٣٠٥.، بامخرمة: قلادة النحر ٣١٤٨/٣-٣١٤٩.، عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٦.

(٣) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ١٨٢/٢.، الجندي: السلوك ٢٤٧/٢-٢٤٨.، جازم: نور المعارف ٧٦/١-٧٧.

(٤) شايف: الحياة الاجتماعية، ص٤٥.

(٥) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٧١٤/١.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٤٣/٢.

(٧) ينظر: أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص٢٨-٢٩.

(٨) ينظر: الغبان، محمد بن عبدالله عايض: فضائل مكة، دار ابن الجوزي، الدمام ١٤٢١هـ، ج١، ص ص٤٤-٥٦.

ثانياً: دور المؤثرات الاجتماعية في تشكل الصلات الحضارية مع مصر والحجاز:

فقد "ساعدت الحياة الاجتماعية وكثرة المؤسسات الاجتماعية وحياة النعيم والاستقرار في المدن اليمنية على جذب الكثير من العلماء المهرة... من مختلف البلاد للقدوم إلى اليمن والاستقرار بها"[١]. وقد تعددت أشكال المؤثرات الاجتماعية التي ساعدت على تنمية جسور التواصل الحضاري مع مصر والحجاز والتي من أبرزها:

- مرونة السُلم الاجتماعي في البلدان الثلاثة واستيعابه للغرباء:

فـ"شبه الجزيرة العربية شمالها وجنوبها لها تلك الميزة... وهي القبيلة"[٢]، كا شكلت القبيلة مكوناً هاماً في سلم مصر الاجتماعي آنذاك[٣]. وقد شهد السُلم الاجتماعي تغيراً كبيراً في طبقاته بدخول طبقات اجتماعية متشابهة، فقد طرأ على السُلم الاجتماعي في مصر تغير بدخول المماليك أنفسهم "من الترك والمغول والتتار والصقالبة والألمان والجراكسة"[٤]، كما "تعددت عناصر سكان اليمن في العهد الرسولي... منهم الغُز – الأتراك السلاجقة التركمان والأكراد إلى جانبهم الأحباش والهنود والزيالعة الصومال والمصريون العرب، إضافة إلى الأشراف السادة وهم عرب حجازيون وغير حجازيون"[٥]. كما ضم "المجتمع الحجازي شتاتاً من مختلف بلاد العالم الإسلامي"[٦].

ولعل السُلم الاجتماعي للبلدان الثلاث حفل بوجود فئة مؤثرة ومركزية هي فئة الأشراف[٧]، ولعل هذا الحراك في السُلم الاجتماعي وقبول الغرباء فيه ساهم في توطيد التواصل وتطعيم المجتمعات الثلاثة بخبرات تلك الفئات – تأثيراً وتأثراً –[٨] وهذا التأثر يفضي إلى شكل آخر من أشكال التواصل وهو الزواج أو التزاوج، فقد كان سلاطين بني رسول "يتزوجون من نساء الغُز جلبن من مصر والشام"[٩]، كما زوجوا بناتهم على بعض أشراف مكة[١٠]. وزواج

(١) الأغبري: عوامل ازدهار التعليم، ص٢٢٣.

(٢) طه أبو زيد: المغري، ص٨.

(٣) ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٧/١٦٠-١٦٢.

(٤) قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٥٤.

(٥) شايف: الحياة الاجتماعية، ص٤٣.

(٦) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٠٩.

(٧) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٧/٣٩، ٥٧، ١١٧.، القلقشندي: نهاية الإرب، ص١٢٥.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٢١٠.، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص١٠.، ابن الإنف: روضة الأخبار، ص٢٥.

(٨) ينظر: السخاوي: الضوء ٣/١٢٧.، هديل: التمردات القبلية، ص٨٨.

(٩) شايف: الحياة الاجتماعية، ص٤٧.

(١٠) ينظر: الجندي: السلوك ٢/٥٤٤.، الخزرجي: العسجد، ص٢٠٧.

المصريين ببنات الوزراء في اليمن(١)، لينسحب هذا الشكل الاجتماعي على العلماء وعامة طبقات المجتمع حتى تناسلت الأسر المتداخلة مع تلك البلدان وتعددت المصاهرات وتعززت جسور التواصل(٢)، وهذا التواصل ساهم في نقل العادات الاجتماعية في تلك البلدان(٣). وهذا بدوره أفضى إلى التأثيرات بالمراسم والحفلات الرسمية والشعبية كحفلات الزواج أو الختان أو الحفلات ذات الطابع العلمي(٤)، وحتى في الملابس السلطانية والشعبية(٥).

- **المشاركة الاجتماعية والاستيطان:**

لعل أهم وجهين اجتماعيين ساهما في رفع وتيرة التواصل هما: المشاركة المجتمعية في التواصل، والاستيطان الحضري للوافدين في تلك البلدان، أما الوجه الأول فقد ساهمت شرائح المجتمع في مد جسور هذا التواصل كالتجار والعلماء وحتى النساء اللاتي انتقلن بفعل الزواج أو الزيارات العلمية(٦)، والوجه الآخر هو الاستيطان، إذ ساهم عدد من الوافدين في الاستيطان في اليمن أو الاستيطان في الحجاز - المجاورون - بجنسياتهم المختلفة، ومنهم - بطبيعة الحال- المصريون واليمنيون "وقد انعكس وجود هؤلاء المجاورين على التكوين الاجتماعي للمجتمع المكي"(٧). وهذا الاستيطان سواء كان في اليمن أو في مصر أو في الحجاز(٨)، وفر بيئة خصبة للتلاقح الحضاري وأفرز عدد من الصور الحضارية المعززة لهذا التواصل على مختلف المستويات(٩). وإن اختلفت حدة التأثير باختلاف درجة المشاركة المجتمعية ونوع الاستيطان مؤقت أم دائم.

---

(١) ينظر: ابن حجر: الدرر ١٤٩/٢، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٦ (حجازي).

(٢) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٥/٣-٣٦، السخاوي: الضوء ١٥/٤، ٧٤، ١٦٧، ٣١٠-٣١١.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٠٦.

(٣) ينظر: السخاوي: الضوء ٢١٢/٤، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٣٢.

(٤) ينظر: الخزرجي: العقود ١٩٤/٢-١٩٨.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٦٥/٧، ٢٩٧/١٢-٢٩٨.

(٥) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٨٦٥/١.، الفاسي:شفاء الغرام ١٦٤/١.، اسماعيل الأكوع: تقاليد حكام اليمن، ص ص١٨-١٩.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١١٤.

(٦) عن هذه التأثيرات ينظر: السنيدي: المدارس اليمنية، ص٦٩.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٤٧٦-٤٨١.، شايف: الحياة الاجتماعية، ص ص٥٨-٥٩.

(٧) العبيكان: الحياة العلمية، ص١٤٤.

(٨) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ١٧٣/٣، ٤٩٨/٧.، السخاوي: الضوء ٢١٠/٣، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٠١.

(٩) ينظر: جميل حرب حسين: الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، دار تهامة، جدة ١٩٨٥م، ص١٩٧.، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص ١٤٤-١٤٨.

تأسيساً على ما سبق، فقد وفرت المؤثرات الدينية والمذهبية أرضية مناسبة للتنوير العربي الإسلامي أن يمد أثره لليمن عبر التفاعل والاحتكاك مع مدخلاته سواء أكان موسم الحج وتأثيراته الحضارية والفكرية، أو عبر أهميته السياسية والرمزية، أو حتى عبر ما شكله من ممر للفرق والاتجاهات والهجرات العلمية والمصنفات، وبما مثلته هذه المؤثرات من تسامح مذهبي وازدهار للصوفية وتسامح مع الفرق، وتبني الاختلاف السلمي عبر المناظرات لحل التباينات أو التعامل المتسامح مع الذميين ليشكلوا مدخلاً بنيوياً للتواصل والازدهار في تلك البلدان لتأتي المؤثرات الاجتماعية(*) عبر ما شكله التناغم في السُلم الاجتماعي من أساس لصور التواصل والتأثير سواء عبر مؤسسة الزواج الرسمية والشعبية، أو عبر انتقال العادات والمظاهر الاجتماعية والتي شكلا ركناها الأساسيان المشاركة المجتمعية في توطيد جسور التواصل والاستيطان الحضري بوجهيه الدائم والمؤقت لتشكل كل تلك الإفرازات في مجملها جداولاً فرعية وشرايين ممتدة غذت نهر التواصل الكبير (الحضاري) مع مصر والحجاز.

(*) لعل من أهم المؤرخين الذين درسوا مجتمعاتهم والمؤثرات الاجتماعية فيها وسجلوا نتائج دراساتهم تلك في كتبهم كان عبدالوهاب السبكي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، ينظر: السبكي، تاج الدين عبدالوهاب (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م): معيد النعم ومبيد النقم، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٣م، ص١٦.

هـ) المحدد الثقافي والإداري:

أولاً: المؤثرات الثقافية ودورها في تشكل الصلات الحضارية:

تعد المؤثرات الثقافية من أهم أسس المستوى المتقدم الذي وصلت "إليه النهضة العلمية الشاملة الإسلامية وتطورها في عصر الدولة الرسولية، وذلك بسبب تنوع مصادر الثقافة وتعدد مواردها"(١)، إذ لم تكن اليمن في ذلك العصر "منعزلة فكرياً عن بقية الأقطار العربية الإسلامية، وإنما كانت ضمن الدائرة الشاملة للأمة"(٢) العربية والإسلامية بما فيها مصر والحجاز – بطبيعة الحال – على الوجهين التأثيري والتأثري، ومن هذه المؤثرات:

- الوافدون وأثرهم الفكري:

حيث "شهد اليمن في العصر الرسولي وفود بعض العلماء البارزين على مستوى العالم الإسلامي"(٣)، وهم على ضربين، الأول: وافدون أقاموا في اليمن حتى وفاتهم، استجابة لطلب سلاطين بني رسول الذين ما فتئوا ينزلونهم "منازل العز والكرامة ويغدقون عليهم النُزل طيلة إقامتهم ويحاولون ترغيبهم بالبقاء للاستفادة بمعارفهم ويغرونهم بشتى المغريات"(٤) كالفيروز آبادي قدم عام (٧٩٦هـ/١٣٩٣م)، والجيلوني (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، وابن العجمي (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)(٥). والضرب الثاني: "من الوافدين إلى اليمن من العلماء والفضلاء من أقطار شتى ولم تكن وفاته فيه"(٦)، وكان وفوده إلى اليمن "بنية الزيارة فقط لينال من رفد وكرم ملوك بني رسول... ويجيز ويستجيز"(٧)، كالحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، وابن الجزري (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م)، وعبدالرحمن الواحدي المكي (ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م)(٨).

---

(١) اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص١٨.

(٢) المقالح، عبدالعزيز: الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري، مجلة دراسات يمنية، ع٥٠، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٩٣م، ص١٧.

(٣) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٨٢.، وينظر: بامخرمة: قلادة النحر ٣١٥٣/٣، الفاسي: العقد الثمين٨٣/٣، ٢٩١-٢٩٣.

(٤) الجندي: السلوك ٤٢/١.، وينظر: الخزرجي: العقود ٢٠٢/٢-٢٠٣، السخاوي: الضوء ١٠٩/٣-١١٠، ابن العماد: شذرات الذهب ٢٦/٧.

(٥) عن هؤلاء ينظر: الخزرجي: العقود ٢١٨/٢، اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص١٩.، الحبشي: مصادر الفكر، ص٢٧٧.، اسماعيل البغدادي: هدية العارفين ١٨٠/٦.

(٦) البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن (ت٩٠٤هـ/١٤٩٨م): طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، تح: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء ١٩٩٤م، ص٣٣٩.

(٧) اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص ص٢١-٢٢.

(٨) عن هؤلاء ينظر: ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٧٢م، ج٣، ص ص٤٦٦-٤٦٧.، البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٣٩، ٣٤٥-٣٤٧.، السخاوي: الضوء ٩٦/٤، ابن العماد: شذرات الذهب ٢٦/٧.

وبتقصي الجهات التي وفد منها العلماء إلى بلاد اليمن، فقد كانت متباينة "وكانت بلاد الحجاز الأكثر من حيث توافد العلماء عن طريقها... ومصر وبلاد المغرب"[(١)]، مما جعلهم يشكلون جسراً متيناً في أبنية التواصل الحضاري و"دور هام في إغناء وتطور الحركة العلمية والأدبية"[(٢)] في اليمن على كافة المستويات تأثراً وتأثيراً[(٣)].

- الرحلات العلمية وأثرها في تعزيز التواصل الحضاري:

فهناك "العديد من العلماء الذين خرجوا من أنحاء اليمن في طلب العلم ورحلوا إلى شتى الأقطار الإسلامية حيث المناهل والروافد الفكرية المتعددة"[(٤)]، فمنهم من "سافر إلى مكة المشرفة... ثم سافر إلى مصر فقرأ على فقهائها طرفاً من العلوم وأجازوا له"[(٥)]، وقد شكلت تلك الرحلات العلمية مؤشراً رئيساً على التفاعل والتمازج – تأثيراً وتأثراً – مع البلدان الإسلامية بما فيها مصر والحجاز، حيث كان "من هؤلاء من يتولى مناصب تدريسية في البلاد التي يرحل إليها بعد ثبوت جدارته بذلك المنصب... كمصر والشام ومكة"[(٦)]، مشكلين بذلك جسراً ثقافياً آخر للتواصل مع تلك البلدان[(٧)].

- الصلات العلمية بين اليمن ومصر والحجاز:

شكلت العلاقات العلمية بين اليمن وتلك البلدان، سواء كانت بين العلماء والسلاطين، أو العلماء والعلماء، لبنة أخرى في بناء التواصل الفكري مع تلك البلدان، والتي غالباً ما "اتسمت بالطابع العلمي والأدبي"[(٨)]، متخذة أشكالاً متعددة كتبادل الزيارات أو تبادل الكتب والمصنفات أو تبادل الإجازات والسماعات، أو حتى المطارحات الشعرية والمخترعات[(٩)].

---

(١) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٨٢. وينظر: الجندي: السلوك ٥٥٥/٢.، البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٠، ٣٤٣.
(٢) المقالح: الحياة الفكرية، ص١٧.
(٣) ينظر: الجندي: السلوك ٥٥٥/٢، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص ص١٢٦-١٢٧ (حجازي).، الخزرجي: العقود ٣٥٤/١.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٣٦/١٠، ابن حجر: إنباء الغمر ٢٨٦/٣.
(٤) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧١.، وينظر: بامخرمة: قلادة النحر ٣١٥١/٣.
(٥) البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٣٣.
(٦) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٩٥.
(٧) ينظر: الخزرجي: العقود ١٣٠/١، ابن حجر: الدرر ٢٣٥/١، ٢٤٨/٢-٢٤٩.، السخاوي: الضوء ٢٥٩/٣، ٢٥١/٤.، بامخرمة: قلادة النحر ٣١٥١/٣.
(٨) طه أبو زيد: المقري، ص٥٨.
(٩) عن هذه الأشكال ينظر: الخزرجي: موفق الدين علي بن الحسن (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م): طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم (٢١٤٠) ميكروفلم، ق٥٧ب.، ابن حجر: الدرر ٣١٥/٢-٣١٨.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٤/٧.، البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٣٣.، الشوكاني: البدر الطالع ٩٥/١-٩٧.، السخاوي: الضوء ١٤٦/٣، ٢٥٩، ٢٦٧.، الزركلي: الأعلام ٧٢/٣.

ولعله من نافلة القول: إن الصلات العلمية قد تتعدى الأشكال التقليدية بين العلماء ونظرائهم، أو بين السلاطين والعلماء، إلى شكلٍ أكثر عمقاً عندما تنشأ صلات علمية بين بعض من علماء الحجاز وبعض من عامة اليمن ومراسلتهم والرد على استفساراتهم الواردة إليهم(١).

تأسيساً على ما سبق، فلاشك أن مجموع هذه المؤثرات الثقافية قد ساهمت بشكل ملحوظ في تشكل صلات فكرية وحضارية مع تلك البلدان (تأثيراً وتأثراً) وأثرت التفاعل والتمازج، لاسيما وقد تعددت وسائطها كالعلماء والمصنفات والرحلات العلمية وتبادل الإجازات والسماعات والصحبة العلمية (الملازمة) وتشييد المؤسسات التعليمية في الحجاز ومصر واليمن(٢)، وهجرة المؤلفات وكلها لاشك تشكل روافد حية تغذي مجرى تلك الصلات وترفع من درجة تأثيرها كماً وكيفاً.

ثانياً: المؤثرات الإدارية ودورها في تعزيز الصلات الحضارية مع مصر والحجاز:

ساهمت المؤثرات الإدارية العربية والإسلامية في البناء المؤسسي للرسوليين وعلى نحو أخص مماليك مصر، حيث "تأثروا بهم في مجال استخدام النظم الإدارية"(٣) في إدارة الدولة وبطبيعة الحال امتدت هذه التأثيرات إلى الحجاز بحكم الروابط السياسية والجغرافية إن لم نقل بحكم السيطرة المباشرة – في بعض الفترات – للرسوليين على الحجاز(٤)، وهذا – بدوره – أوجد وسائط جديدة لتوطيد التواصل الحضاري والفكري بين اليمن وتلك البلدان عبر الأوجه الإدارية المختلفة، ففي الإدارة المدنية وأنماطها "يظهر لنا جلياً أن ملوك بني رسول قد حملوا معهم أنماطاً جديدة جلبوها معهم من مجتمعاتهم الأولى مصر والشام والعراق"(٥).

ومن المؤرخين من وصف هذا التأثر بالإدارة المملوكية، باقتفاء الأثر في كل جديد لدى المماليك(٦)، وهذا الاقتفاء يستدعي إنشاء جهاز مؤسسي بوظائفه المتعددة وبصلاحيته المقننة وفق النمط المملوكي المستقى بدوره من النمط المغولي (التتاري)(*)، الذي اقتضى إنشاء وظائف

---

(١) ينظر: عبدالرحمن صالح عبدالله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الشروق، جدة ١٩٨٢م، ص٤١، ٤٣-٤٤.

(٢) ينظر: ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد المكي (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تح: فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة، د.ت، ج٣، ص٦٠.

(٣) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٨.

(٤) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٧/٤٨٨-٤٨٩، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص٧٦-٧٧.

(٥) الحبشي: حياة الأدب، ص٢٧.

(٦) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٧.، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٨.

(*) أشار إلى ذلك ابن تغري بردي عند قوله: "كان الملك الظاهر رحمه الله يسير على قاعدة ملوك التتار وغالب أحكام جنكيزخان... والملك الظاهر هذا هو الذي ابتدأ في دولته بأرباب الوظائف". ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٨٢-١٨٣.

متعددة في الجهاز الإداري السلطاني ووظائف فرعية عنه[١]، وهذا بدوره كان يستدعي كادراً وظيفياً متمرساً لشغل هذه الوظائف، لذا "وصل إليهم جمع كبير من كتاب الدواوين والخبراء في الشؤون الإدارية"[٢]، وبالتالي شكلت هذه الخبرات جسراً من جسور التواصل الحضاري ولاسيما في المجالات التي تتطلب علماء موسوعيين لغةً وعلماً كديوان الإنشاء الذي قام المظفر "بمحاولة تنظيم كتابة الرسائل والإنشاء على غرار النظام السائد بمصر المملوكية، فقام باستدعاء عدد من كتاب الدرج بمصر"[٣]، الذين كانوا من الخبرات المعتد بها في بلدانهم ونجحوا في "ترسيخ قواعد كتابة الإنشاء وقوانينها[*] في بلاد اليمن حتى صار يتولاها بعد ذلك جماعة من أساطين الأدب في اليمن"[٤]. وينسحب هذا الأثر على باقي وظائف المؤسسات الرسولية ودور الوافدين في إدارتها والتأثير فيها[٥].

وهذا النوع من المؤثرات لم يكن يعني أن اليمن كان في وضع المُستقبِل فحسب لهذه المؤثرات، بل كان مؤثراً أيضاً وإن كان تأثيره في هذا الجانب لم يكن بذلك المستوى التأثيري لمماليك مصر على اليمن، فقد شغل يمنيون وظائف الدرج والإنشاء وإدارة المؤسسات الصحية والتعليمية في مصر[٦]. كما نقل بنو رسول أنماطهم الإدارية المنقولة عن المماليك أو الخاصة بهم إلى الحجاز – بحكم السيطرة المباشرة لأجزاء منه–[٧]. ومن الحجازيين من تقلد وظائف هامة في مؤسسات الدولة الرسولية وأثروها بخبراتهم[٨]، وهذه التبادلية في التأثير امتدت إلى إدارة المؤسسات التعليمية وترتيب وظائفها الإدارية[٩].

أما في الجانب العسكري فهو الآخر على جانب من الخصوبة والغنى في تأثيره، سواء على مستوى تنظيمه "على قاعدة الجيوش المصرية"[١٠]، أو على مستوى تسليحه ووظائفه

---

(١) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص٤٩-٥٠.

(٢) الحبشي: حياة الأدب، ص٢٧.

(٣) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٩٦.، وينظر: الخزرجي: العقود ٢٣٨/١.

(*) إذ لها شروط وقواعد متعارف عليها حتى في الابتداءات والأجوبة. ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى١١٣/٧-١١٢، ٢٣٢.

(٤) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٩٥.

(٥) ينظر: الجندي: السلوك ١٤٤/٢-١٤٥، الخزرجي: العسجد، ص٤٤٣.، الحبشي: حياة الأدب، ص٣٧.

(٦) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣١٥/٢-٣١٦، السخاوي: الضوء ٩١/٤.

(٧) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٨٦/٢، ٢٨٨.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٧٣/١.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٠٠.

(٨) ينظر: الخزرجي: العقود ١٤٨/٢-١٤٩.، ابن حجر: الدرر ٢٦٥/١-٢٦٧.، السخاوي: الضوء ٢٢١/٤-٢٢٢.

(٩) ينظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (٩٠٢هـ/١٤٩٦م): التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تح: أسعد طربزوني الحسيني، دار نشر الثقافة، القاهرة ١٩٧٩م، ج٢، ص٢١٩.، ابن الديبع: قرة العيون ٣٨٠/١.، السيوطي: حسن المحاضرة ٢٣٠/٢.

(١٠) ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٧ (حجازي).

والمصطلحات العسكرية الواردة إلى اليمن والمستخدمة في الجيش[١]. وعن طريق التحالفات العسكرية أو انضواء عسكريين مصريين وحجازيين تحت قيادة السلطان الرسولي[٢].

كما أن المؤثرات العسكرية سالفة الذكر لا تعني أن اليمن ظل مستقبلاً لها دون عطاء عسكري من قبله، فقد أُرسلت الأسلحة إلى مصر ضمن الهدايا، بل إن من المؤرخين من أشار إلى إرسال إمدادات عسكرية يمنية للمشاركة في حرب الصليبيين[٣]. وبالمثل امتدت التأثيرات العسكرية على الحجاز لتشمل تبادل القادة العسكريين في جيوش البلدين والاشتراك في الحملات العسكرية المشتركة بينهما[٤]، وتبادل الخبرات والخطط والأساليب العسكرية[٥].

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن الدولة الرسولية تأثرت بالمؤثرات الإدارية الأيوبية والمملوكية مع معاصرتها في النشأة للدولة العباسية في نهايتها، وفي تقديري أن ذلك يعود لكون الدولة الأيوبية كان قد تأثرت إلى حدٍ كبير بالتنظيمات الإدارية للعباسيين وهو ما ورثته عنهم دولة المماليك وتأثر به سلاطين الرسوليين، كما أن الدولة العباسية لم تكن من القوة في تلك الفترة ما يؤهلها إلى إحداث تأثيرات في غيرها من الدول المعاصرة، لاسيما وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة آنذاك.

تأسيساً على ما سبق، فقد شكلت المؤثرات الإدارية بوجهيها المدني والعسكري قناة أخرى من قنوات الترابط الحضاري بين اليمن والبلدان الإسلامية بما فيها مصر والحجاز بدءاً من البناء المؤسسي والوظيفي للدولة الرسولية بتعدد وظائفها وصلاحيتها، ومروراً بتبادل الخبرات الإدارية والوظيفية بين اليمن ومصر والحجاز عبر تقلد موظفين من كل بلد لوظائف في البلد الآخر، وانتهاءً بتبادل التأثيرات العسكرية بما فيها نُظم الجيوش والأسلحة والمصطلحات العسكرية والخطط والحملات المشتركة والمواجهات المباشرة، وكذلك قيادة قادة عسكريين لجيوش في بلد كل طرف، وانضمام خبرات عسكرية عالية لتلك الجيوش أو حتى أجناد صغار، مما يجعل من مجمل تلك المؤثرات – سالفة الذكر – حلقة ماضية الأثر في سلسلة الصلات الحضارية بين اليمن وتلك البلدان.

---

(١) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٧٩/١، ٣٥٢، ٣٥٨، ٢٧/٢، ٢٣٠.، السيوطي: حسن المحاضرة ١٢٨/٢-١٣٠.

(٢) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٢٦٥/٢.، الخزرجي: العقود ٥٨/١، ٦٦.، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص٢٧٩(حبشي)

(٣) عن تلك الإمدادات والهدايا، ينظر: الجندي: السلوك ٥٥٢/٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦٧/١٢.

(٤) ينظر: الخزرجي: العقود ٥٨/١، ٦٦.، ابن حجر: الدرر ٤٩/٣-٥٠.، الفاسي: شفاء الغرام ٢٨٤/٢-٢٨٥.، ابن الديبع: قرة العيون ٣٠٢/١، الكبسي: اللطائف السنية، ص٦٢.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ٧٠/١.، الفاسي: العقد الثمين ٣٩٥/٣-٣٩٩.

و) سقوط بغداد وإحياء المماليك للخلافة العباسية:

يمثل "سقوط بغداد بأيدي التتار بقيادة هولاكو عام ٦٥٦هـ/[١٢٥٨م] نكبة عظيمة تركت آثارها على العالم العربي والإسلامي"(١) بجوانبه الحضارية كافة، وكان لهذا السقوط لقاعدة الخلافة الإسلامية بغداد واجتياح المغول لبلدان الشرق الإسلامي التأثير الأبرز على الصعيد الفكري، إذ "انهار الدور الذي كانت تقوم به بغداد في الحياة الثقافية العربية والإسلامية"(٢)، وكذلك "أحرقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي ما كانت في الدنيا"(٣). وفقدت الأمة المرجعيات الفكرية بما قُتل من علماء وما هُدم من مؤسسات تعليمية لتلقي بظلالها القاتم على المشهد العربي والإسلامي بمختلف تكويناته(٤)، غير أن هذا المنعطف التاريخي لم يكن خاتمة المطاف على طريق النهوض العربي والإسلامي بقدر ما كان تحول في المركزية الحضارية للبلدان ذات الثقل الحضاري والفكري كمصر واليمن والحجاز بما يمكن تسميته (الاستجابة الحضارية) الموازية للحدث التاريخي المهدد لثقافة وهوية الأمة(٥)، فشكلت اليمن إحدى المراكز البديلة للثقل الحضاري للعباسيين بحيث أدت تلك "الظروف السياسية الطارئة وخاصة بعد سقوط بغداد بيد التتار أن استقبلت اليمن الكثير من العلماء مما دفع الحياة العلمية والتعليمية إلى الازدهار"(٦).

والحال كذلك مع مصر التي غدت بعد هذه الفاجعة "مقصداً للعلماء والفقهاء وطلاب العلم من شتى أرجاء العالم الإسلامي"(٧)، مما أدى إلى الازدهار المعرفي في شتى النواحي الحضارية والفكرية، وهذا بدوره جعل من اليمن ومصر جناحي الثقل الحضاري البديل للثقل الحضاري للدولة العباسية حتى شُبهت الدولة الرسولية بالدولة العباسية من حيث الازدهار

---

(١) جرادة، محمد سعيد: الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور، دار الفارابي، بيروت ١٩٧٧م، ص٢٠١.

(٢) قاسم عبده قاسم: الرؤية الحضارية، ص١١٦.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥١/٧.

(٤) عن هذه الآثار ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات ١٥١/١-١٥٢، ابن خلدون: العبر ٣٦٤/٥، ٣٦٩، ٥١٥-٥١٧.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥٠/٧-٥٢، ٥٩-٦٠، ٧٨.، ابن حجر: الدرر ١١٩/١-١٢٠.، السيوطي: حسن المحاضرة ٦٩/٢-٧٠.، حسين العرشي: بلوغ المرام، ص٥٨.، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ٤٢/٧-٤٣.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٤.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٧٥/١.، جرجي زيدان: تاريخ اللغة العربية ١١٦/٢-١١٧.، قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٨٥، ٢١٨.، حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٦١، ١٦٨.، الزركلي: الأعلام ١٤٠/٣.

(٥) ينظر: قاسم عبده قاسم: الرؤية الحضارية، ص١١٦.

(٦) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص١٧٨.، وينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧٨/٧.

(٧) قاسم عبده قاسم: الرؤية الحضارية، ص١١٥.

والانفتاح[١]. وكان الحجاز من مؤشرات هذه المركزية الحضارية والتي أشار إليها الفاسي في توثيقه لحج الملك المظفر بقوله: "...هو أول من كسا البيت بعد الخلفاء العباسيين وقام بمصالح الحرم"[٢]. وهذه الإشارة وإن كانت رمزية لكنها أسهمت في زيادة الصلات مع الحجاز ودلت كذلك على انتقال الإرث الرمزي (كسوة الكعبة) من العباسيين إلى الرسوليين وهو ما تنبه إليه المماليك وحاولوا إعادته إليهم ليستقر في الأخير الخطبة للرسوليين والمماليك جنباً إلى جنب على منابر الحرم مع اختلاف التقديم والتأخير بعد أن كان حقاً تاريخياً للعباسيين[٣].

ولم تتوقف هذه المركزية المشتركة بين مصر واليمن عند هذا الحد، بل تعدته إلى استقبالهما مع الحجاز الموجات البشرية النازحة من جراء همجية وعنف المغول[٤]، والاستفادة من الخبرات العراقية التي عبرت الحجاز إلى اليمن[٥]، ودور علماء مصر في نقل مؤلفات نسخها نساخون عراقيون[٦]. كما شكلت انتصارات المماليك على التتار في مواقعها المختلفة بادرة تحسن في العلاقات السياسية ولها انعكاساتها الفرائحية في اليمن[٧]، وأدت إلى تبادل خطابات التهنئة كوسيلة اتصال حضارية[٨].

وعليه، فإن سقوط بغداد وإن كان قد مثل جرحاً عميقاً في جسد الأمة الإسلامية وانهياراً مروعاً لقاعدة الخلافة الإسلامية، إلا أنه مثل تحدياً حضارياً للبلدان الثلاثة – اليمن، مصر، الحجاز– لمواصلة الدور الحضاري للمسلمين وهذا بدوره استدعى زيادة الصلات فيما بينها دفاعاً عن هويتها المشتركة، فضلاً عن استفادة كل بلد من هذه الأطراف بتحول قبلة العلماء باتجاه كلٍ منها مما أنعش الواقع الحضاري والفكري في تلك البلدان، وإن كانت الحاجة إلى رابط رمزي للأمة قد دفع المماليك إلى إحياء الخلافة العباسية من جديد في مصر.

وبالوقوف ملياً عند مسألة إحياء المماليك للخلافة العباسية في مصر ودورها في مد جسور التواصل مع الحجاز واليمن تستوقفنا بعض الملاحظات كالآتي:

---

(١) ينظر: اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص٢٢.، الزركلي: الأعلام ٥/٥٦.

(٢) شفاء الغرام ٢/٢٨٨.، وينظر: نفسه: العقد الثمين ٧/٤٨٨–٤٨٩.

(٣) ينظر: نفسه: شفاء الغرام ٢/٢٨٨.

(٤) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٧/٧٨، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص١٧٨.

(٥) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢/٣٤٤.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ٢/٣٦٥.

(٧) ينظر: الخزرجي: العسجد، ص٣٠٣.، نفسه: العقود ١/٢٨٩.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٥٠٠–٥٠١.

(٨) ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٧/٣٤٤.

- على الرغم من أن المماليك قد حفظوا للخلافة العباسية عدم انقراضها كجزء من هوية الأمة، إلا أن سلطة هؤلاء الخلفاء كانت "قاصرة على الأمور الدينية"(١) فقط، كما كان وجودها استجابة لصراعات الداخل وإصباغ الشرعية على كل سلطان يلي مقاليد الأمور، إذ إن كل سلطان كان يدرك أن "مصر كانت محاطة بالأعداء من كل جانب، وكان يخشى أن ينجم له ناجم في الداخل من بني أيوب... فرأى أن يبايع لأحد ذرية بني العباس بالخلافة بعد أن قرضها المغول في بغداد"(٢).

- إن المماليك لم يعاملوا الخلفاء من بني العباس إلا كموظفين في إدارتهم(*)، وهو ما أشار إليه السيوطي في أحد عناوينه بقوله: "ذكر سلاطين مصر الذين فوض إليهم خلفاء مصر العباسيون فاستبدوا بالأمر دونهم"(٣)، وإذا ما خرج عن إرادتهم أو لم ينهج وفق ما أرادوه فُرضت عليه الإقامة الجبرية ومنع الناس من الدخول عليه(٤)، حتى بلغ ببعض الخلفاء أن خُلع لعدة مرات ويعاد، كالخليفة المتوكل على الله الذي خُلع في سنة (٧٨٥هـ/١٣٨٣م)، وفي سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م)(٥)، وبعضهم وصل به الأمر إلى أن يستجدي النفقة لينفق على من حوله كالواثق بالله الذي تقلد بين عامي (٧٣٦-٧٤٢هـ/١٣٣٥-١٣٤١م) الذي "كانت العامة تسميه المستعطي فإنه كان يستعطي من الناس ما ينفقه"(٦).

- إن الخلفاء من بني العباس في مصر في الوقت الذي وفروا فيه الصبغة الشرعية لحاكميتهم فإنهم قدموا خدمات جليلة ومواقف تضامنية استفاد منها المماليك على المستويين الداخلي والخارجي(٧).

---

(١) حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٧٤.، وينظر: السيوطي: حسن المحاضرة ٧٦/٢.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١٠/٩ (هامش التحقيق).

(*) حتى قال أحدهم على لسان الخليفة سليمان المستكفي بالله (ت٧٤٠هـ/١٣٣٩م): "لهم الملك الصريح ولسليمان الريح". ينظر: أبي الفدا، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، تقديم حسين مؤنس، تح: محمد زينهم ويحيى سيد، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٩م، ج٤، ص ص١٥٢-١٥٣.

(٣) حسن المحاضرة ١٠٢/٢.

(٤) ينظر: ابن حجر: الدرر ١٤١/٢-١٤٤.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٦١/١١.، السخاوي: الضوء ١٩/٤-٢٠.، أبي الفدا: المختصر ١٥٦/٤.

(٥) ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة ٩٢/٢-٩٤؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ٤٢/٧.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٥١/٩.

(٧) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٧/٢.، القلقشندي: صبح الأعشى ١٢١/٧-١٣٤.، السيرموير: دولة المماليك، ص٤٩.، أبي الفدا: المختصر ١٥٦/٤.

- إن إحياء الخلافة العباسية قد أسهم في تعزيز الصلات الحضارية والفكرية مع اليمن، وذلك بتوظيف المماليك لمكانة الخليفة العباسي ودفعهم إلى مخاطبة سلاطين اليمن باسم خلفاء بني العباس لحث بني رسول إعلان التبعية للخلافة العباسية بمركزيتها المصرية وذلك بقول الخليفة: "...فوجدنا قطر اليمن خالياً من ولايتنا في هذا الزمن"(١)، أو بحَثِّ الرسوليين على حمل الأموال والهدايا المعتادة للسلاطين في مصر(٢).

- إن إحياء الخلافة العباسية في مصر قد ساهم بدوره في تعزيز الصلات بين اليمن والحجاز: ونستشف ذلك من خلال الخطاب الذي وجهه الخليفة العباسي للسلطان المؤيد يحثه فيه على التواصل وينكر عليه قطع الصلة بقوله: "اتصل بمواقفنا الشريفة أمور صدرت منك منها، وهي العظمى التي ترتب عليها ما ترتب، قطع الميرة عن البيت الحرام، وقد علمت أنه واد غير ذي زرع ولا يحل لأحد أن يتطرق إليه بمنع"(٣)، وهذا الأمر وإن كان رغبة مملوكية مصدرة بلسان الخليفة العباسي، إلا أنها تنم عن إقرار بالمركزية المشتركة بين مصر واليمن تجاه الحجاز ومقدساته.

يجدر بنا اقتراباً من الموضوعية القول: مهما يكن أغراض ومرامي المماليك من إحياء الخلافة العباسية، فإنهم شكلوا الخط الأمامي المدافع عن هوية الأمة بعد سقوط قاعدة الخلافة في بغداد، ومثلوا حائط صد توقفت عنده هجمات المغول باتجاه الشرق الإسلامي، مما أعطى الأمة الأمل بمواصلة دورها الريادي والحضاري، كما شكلتا مصر واليمن مراكز ثقل حضارية بديلة لبغداد يمم شطرهما العلماء والمصنفات وكل ما يتعلق بالجوانب الحضارية، كما أسهمت الانتصارات على التتار في مد جسور التواصل عبر المظاهر الاحتفالية والمراسلات وتبادل الدعم المادي والمعنوي، وامتد أثر الخلافة إلى الحجاز التي حث خلفاؤها العباسيون على مد جسور التواصل معها، باعتبارها مركزية الأمة الدينية، ومهوى أفئدتهم(٤)، كما شكل الحجاز المحطة الأولى التي مرت عبرها كل الوسائط الحضارية المشمولة في هذا الطرح، فأثرت فيه وتأثرت به.

---

(١) القلقشندي، أحمد بن علي بن عبدالله (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ط٢، تح: عبدالستار أحمد فراج، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت ١٩٨٥م، ج٣، ص٢٥٩.

(٢) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٢/٧.

(٣) القلقشندي: مآثر الإنافة ٣/٢٦١.

(٤) ينظر: إبن فهد: إتحاف الورى ٣/٦٠، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص١٧١، ١٧٧.، بامخرمة: قلادة النحر ٣/٣١٠١.، أبي الفداء: المختصر ٤/٨٦، ٨٨.

تلكم – إذاً – كانت نظرات متأنية ومقاربـات تحليليـة لمُجمـل المحـددات الداخليـة والخارجية تداخلت وتفاعلت لتشكل في تمازجها أرضية تكاملية نُسجت عليها صوراً مبهجة من الصلات الحضارية بين اليمن والبلدان الإسلامية بما فيها مصر والحجـاز – تشـابهاً وتـأثيراً وتأثراً – نخلص فيها إلى بعض النتائج كالآتي:

- أسهم الانتعاش الاقتصادي والازدهار الإداري في تشكل الصلات الحضـارية بـين الـيمن ومصر والحجاز بما أفرزه من وفرة في الإمكانات المادية والبنية التحتية للتبادل التجـاري، من حيث تطوير الموانئ ومنظوماتها القانونية والإدارية واسـتحداث الجهـاز المؤسسـي الإداري، وما تطلبه من خبرات خارجية.

- كان للازدهار في حركة التأليف في ذلك العصر دورٌ بارزٌ في تعزيز الصلات الحضـارية مع البلاد الإسلامية من خلال كثرة المؤلفين بما فيهم سلاطين الدولة وإسهاماتهم في التأليف، وتنوع المصنفات بين نقلية وعقلية وموسوعية، وحاجة المشهد التأليفي لمصـادر القـاهرة ومكة وغيرهما، تخطي الحركة التأليفية لحاجز العزلة المحلية ليغدو الكتاب والمؤلف جسري تواصل مع المصريين والحجازيين.

- شكلت المؤسسات التعليمية كالمدارس والزوايا والكتاتيب وقصور السلاطين وبيوتات العلماء روافد رئيسة لنهضة ذلك العصر وحاضن لاستقدام الخبرات التدريسية المصرية والحجازية وغيرها (علماء، طلاب، مناهج تعليمية)، مما أسهم في تشكل جسر آخر للتواصل الفكـري مع تلك البلدان.

- أمنت عقلية الحاكم الرسولي المناخات السياسية المشجعة على حدوث اتصال حضاري مـع الآخر من خلال تبني سياسة الانفتاح مع الحفاظ على الخصوصية الثقافية للبلـد، وتـوفير استقرار سياسي نسبي، واقتناء نفائس الموجودات من مصر والحجـاز، وإقامـة العلاقـة العلمية، وترغيب الوافدين ودعوتهم، وتبني الاحتفالات العلمية للمؤلفين والمؤلفات.

- تبني صيغ حضارية للاختلافات المذهبية تمثلت بالمناظرات ومؤلفات النقـائض المذهبيـة ومراقبة الدولة الرسولية للتوازن المذهبي وتأمين عدم اختلال بنية التسامح الديني والمذهبي مما وفر سلم اجتماعي – نسبي – شجع على المشاركة المجتمعية وإثراء مدخلات الازدهار بما يحقق واقع أفضل ومشجع للصلات الحضارية والفكرية مع تلك البلدان.

- ازدهار الحركة العمرانية والصناعية والحرفيــة وتنــوع أشــكالها، كاستجابة للانتعــاش الاقتصادي والترف المجتمعي، مما تطلب استقدام خبرات فنيــة، شــكلت بــدورها جســراً للتواصل مع بلدانهم (تأثيراً وتأثراً).

- أدت المؤثرات الجغرافية (المحدد الجغرافي) دوراً بارزاً في توطيد صلات الــيمن بالعــالم وعلى نحو أخص بمصر والحجاز، والمتمثلة بالجوار الجغرافي لليمن، وما وفرته من طرق برية وموقع اليمن الاستراتيجي وما يسيطر عليه من ممرات مائية وبمــا فيهــا الإطلالــة المشتركة على البحر الأحمر، وما وفرته من طرق بحرية توطدت على خطوطها صــلات اليمن بتلك البلدان، من خلال ما حملته من كتب ووافدين وأفكار واتجاهات وسفارات وهدايا.

- مثلت العلاقات السياسية والعسكرية مع مصر والحجاز حجر الزاوية في التأثير على توطيد الصلات الحضارية بينهما في ذلك العصر وما شابها من متغيرات أبرزها الصــراع علــى الحجاز، وما استخدمته الأطراف من أساليب سياسية وعسكرية – أثرت في الواقع السياسي والعسكري في اليمن – وبتعدد الأساليب تعددت صور التواصل، وكلمــا ارتفعــت وتيــرة العلاقات مع مصر والحجاز تزايد منسوب التواصل الحضاري والفكري معهما ويتراجع هذا المنسوب – بطبيعة الحال – باستياء العلاقات معهما وفق ارتباطية شرطية – نسبية–.

- شكلت العلاقات التجارية (التبادل التجاري) أساساً تكاملياً مع تلك البلدان بعناصره الرئيسة: التشجيع الرسمي للتبادل، وأدوار مدن الموانئ، والطرق التجارية، وتجار الكارم قادة هــذا التبادل، والتي ساهمت في نقل التجارب النهضوية ومشاريع التحديث من وإلى اليمن، وبمــا لعبه الكارم من أدوار سياسية واجتماعية وإدارية وما حملوه إلى تلك البلدان من مواد خــام صناعية غذت مشاريع الانتعاش الاقتصادي في تلك البلدان.

- عمقت المؤثرات الدينية والاجتماعية جذور الصلات بين اليمن وتلك البلدان عبــر واحديــة الدين – الإسلام – ومواسم الحج وتأثيراتها الحضارية والفكرية علــى الــيمن والتقــارب المذهبي مع مصر وانتعاش المد الصوفي في تلك البلدان – برعاية رسمية – وما شكلته تلك المعابر من هجرة للأفكار والاتجاهات المذهبية ومصنفاتها، فضلاً عن تناغم سُلم الطبقــات الاجتماعية والتزاوج للمجاورين والوافدين والاستيطان الحضري لتلك الشرائح.

- وفرت المؤثرات الثقافية والإدارية لتلك البلدان على اليمن قنوات أكثر وضــوحاً للتواصــل الحضاري والتي تمثلت بالوافدين وآثارهم الفكرية والاجتماعية والإدارية، والرحلات العلمية إلى الخارج، وما حملته من أفكار وخبرات كالصلات العلمية مــع علمــاء تلــك الأقطــار

وأشكالها التأثيرية من زيارات، وتبادل كتب، وتبادل إجازات وسماعات ومطارحات شعرية، وما مثله التأثر بالنموذج الإداري المملوكي من استقدام خبرات مصرية تحقق هذه المحاكاة كان لها الأثر في إثراء المشهد التواصلي مع تلك البلدان.

- أن النموذج الإداري الأيوبي والمملوكي لم يخلو بدوره من التأثيرات الإدارية العباسية سواء عبر الأيوبيين أو خلفاء العباسيين في مصر.

- شكل سقوط بغداد بين أيدي المغول تحدياً حضارياً وفقداناً للمركزية العربية والإسلامية، استجابت له تلك البلدان وتنافست على شغل فراغ تلك المركزية عبر رعاية المقدسات الإسلامية واستيعاب العلماء العراقيين، أو من حول وجهته عن بغداد من علماء الأمصار، وإمداد المماليك بالإمدادات لمواجهة المد المغولي نحو الشرق الإسلامي، إحياء المماليك للخلافة العباسية والتي وإن أضفت الصبغة الشرعية على حكم المماليك، فإنها بمراسلاتها لسلاطين اليمن – لحثهم على رعاية المقدسات الإسلامية في الحجاز – ومكانتها الروحية شكلت جسراً آخراً من جسور التواصل ورابطاً محورياً بين اليمن ومصر والحجاز.

الباب الثاني

الصلات الحضارية بين اليمن ومصر

الفصل الأول: الصلات الإدارية والاقتصادية والمعمارية والاجتماعية بين اليمن ومصر.

الفصل الثاني: الصلات الفكرية بين اليمن ومصر.

الفصل الأول

الصلات الإدارية والاقتصادية والمعمارية والاجتماعية بين اليمن ومصر

أ) الجذور التاريخية للصلات الحضارية بين اليمن ومصر:

تمتد "العلاقات اليمنية المصرية بجذورها في أعماق التاريخ، وتكتسب خلودها وقدمها من قدم تاريخ البلدين الشقيقين وحضارتهما"(١)، تمازجاً وتفاعلاً – تأثيراً وتأثراً – عبر معظم المراحل التاريخية، وعند بدايات القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي كانت تلك الصلات قد وصلت إلى مستوى متميز، وبتتبع تلك المراحل يمكن حصرها بثلاثة أطوار:

الطور الأول: الموغل في القدم:

حيث اتصلت "الحضارات اليمنية القديمة بالحضارات المختلفة كالحضارة المصرية القديمة"(٢)، والتي كانت أكثر وضوحاً في عهد الأسرة الخامسة (٢٥٦٠-٢٤٢٠ق.م) عندما اهتمت تلك الأسرة ببلاد بونت – الصومال وإرتيريا – و"ما يقابل هذه المناطق من الجنوب والجنوب الغربي من الجزيرة العربية أي اليمن"(٣)، والتي كانت تشتهر بالبخور واللبان والمُر والصمغ "وهي المواد اللازمة لطقوس العبادة اليومية في المعابد وللتحنيط"(٤). وبالمقابل كانت المعابد اليمنية وخاصة المعينية منها تستعين بعدد من النساء لخدمة المتَعبدين واللاتي "كن يجلبن من عدد من بلدان الشرق الأدنى القديم ومنها سوريا ومصر"(٥). وكانت مملكة "سبأ تنقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر... فكانت السلع والأطياب تأتي من الهند والحبشة إلى شواطئ العرب فينقلها السبئيون على قوافلهم إلى مصر"(٦).

---

(١) محمد شكري: العلاقات بين مصر واليمن، ص١٢١.، وينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٧ (مقدمة التحقيق).

(٢) شيحة، مصطفى عبدالله: دراسة زخرفية لسيف الوزير ناصر بالسودان وأربعة سيوف يمانية معاصرة، الإكليل، ع١، وزارة الثقافة، صنعاء ١٩٨٥م، ص٦٨.

(٣) هبو، أحمد راحيم: تاريخ الشرق القديم (مصر)، دار الحكمة اليمانية، صنعاء ١٩٩٥م، ص١٢١.

(٤) المرجع نفسه والصفحة.

(٥) العريقي، منير عبدالجليل: الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم (من ١٥٠٠ ق.م حتى ٦م)، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٢م، ص١١١.

(٦) ميرنا إبراهيم وآخرون: قصة وتاريخ الحضارات العربية، بيروت ١٩٩٩م، ج١٥، ص٣٩.

ولا ريب أن لهذا الاحتكـاك الحضـاري مـع مصـر "أثـره الفنـي علـى عمـارة وفنون اليمن"[١].

الطور الثاني: طور الفتوحات الإسلامية والدويلات المستقلة:

يبدأ هذا الطور من الصلات الحضارية بين اليمن ومصر عندما عزم الخليفة عمر بـن الخطاب في العام (١٨هـ/٦٣٩م) فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص "فعقد له على أربعة آلاف رَجُل كلهم من عك"[٢] إحدى قبائل اليمن[*]، ليكوِّن لهم الحظ الأوفر في شرف دخول الإسلام إلى مصر والتي كانت من أبرز إفرازات هذه المشاركة – بطبيعة الحال – ارتفاع وتيرة التمـازج والتفاعل الحضاري لليمن مع مصر عن طريق استيطان قبائل يمنية لمناطق مختلفة مـن مصـر فـي الوجهين القبلي والبحري كجذام، هوراة، والجمار، وعك، وعرك، وبنو الثعل في عريش مصر[٣].

وبقيام الدولة الفاطمية وبسط نفوذها على مصر ظل النفوذ الفاطمي في اليمن "يتـأرجح بين القوة والضعف حتى قام بأمر الدعوة الفاطمية أمراء الصليحيين باليمن فبـذل كـلٌ مـنهم قصارى جُهده في سبيل توثيق عرى الصداقة[**] مع الخلفاء الفاطميين في مصر"[٤]، وخاصـة السيدة الحرة التي كانت علاقتها بالخليفة الآمر بأحكام الله "علاقة طيبة وحميمة"[٥].

---

(١) شيحة: دراسة زخرفية، ص٦٨.، وينظر: منير العريقي: الفن المعماري، ص٢٠٤.، تيمور، أحمـد باشـا: التصوير عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦م، ص ص٢٠١-٢٠٣.

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة ٨٨/١.

(*) عك: من قبائل اليمن ثم من الأزد من ولد عك بن عدثان – بالثاء المثلثة – بن عبدالله بن الأزد، وقد التبس على محقق كتاب حسن المحاضرة فنسبها إلى عكا في فلسطين. ينظر: الأشرف عمر: طرفة الأصـحاب، ص٥٣.، الحجري: بلدان اليمن ٦٠٨/٣، السيوطي: حسن المحاضرة ٨٨/١ (هامش التحقيق)، القلقشـندي: نهاية الأرب، ص٣٣٢.

(٣) ينظر: الأشرف عمـر: طرفـة الأصـحاب، ص٦٣.، القلقشـندي: نهايـة الإرب، ص ص١١٦-١١٧، ١٢٢-١٢٣، ١٣٥، ٣٣٢.، ميرنـا إبـراهيم: تـاريخ الحضـارات، ص٤٣.، محمـود السـيد: تـاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية، مؤسسـة شـباب الجامعـة، الإسـكندرية ١٩٩٨م، ص ص٤٠-٤١، ٤٣، ٤٦.

(**) من تلك الصور الحضارية التي وصلت إلينا سك الدنانير الصليحية في مصر وإن كان قد أثير جدل حول ذلك. ينظر: بلعفير، محمد صالح: المسكوكات الفاطمية المحفوظة في متحف الآثار بعـدن، مجلـة سـبأ، ع١٢، قسم التاريخ، جامعة عدن، عدن ٢٠٠٣م، ص ص١١٠-١١١.

(٤) سرور: سياسة الفاطميين، ص٤.

(٥) السروري: الحياة السياسية، ص١٦٣.

وشكل عمارة اليمني (ت٥٦٩هـ/١١٧٤م) وجهاً بارزاً من أوجه التواصل الحضاري مع مصر الفاطمية آنذاك[١].

الطور الثالث: من الدولة الأيوبية وحتّى المملوكية:

تكاد تكون المرحلة الأكثر تمازجاً وتأثيراً في مجرى الصلات الحضارية بين مصر واليمن عندما بدأت اليمن تحتل جانباً مهماً في سياسات الأيوبيين، فوجهوا أنظارهم نحو اليمن لأسباب مختلفة، منها السياسي والاقتصادي والمذهبي[٢]، ليحكموا اليمن خلال الفترة (٥٦٩هـ/١١٧٤م – ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) نجحوا خلال تلك الفترة في جعل "المملكتان كالمملكة الواحدة"[٣]، ارتقت خلالها الصلات الحضارية، وارتفعت وتيرة التأثير والتأثر، وتنوعت صوره ووسائله[٤].

ولعل الملمح الأكثر بروزاً أن الدولة الأيوبية شكلت المحضن السياسي والحضاري للماليك في مصر والرسوليين في اليمن والمدرسة السياسية لمبتدأ أمرهم، بما يمكن تسميته الأواصر المشتركة للمماليك والرسوليين وانحدارهم من أصول إثنية واحدة[*]، إذ "أطلقت تسمية الغُز... على كل من الأيوبيين والمماليك والرسوليين"[٥]، إلى جانب نسبتهم إلى القومية التركية أو الكردية أو الشركسية[٦].

---

(١) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٧/٣٢-٣٣، أبي الفداء: المختصر ٣/٧٠-٧١، سفيان عثمان المقرمي: عمارة اليمني ومنهجه في كتابه تاريخ اليمن، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية، بغداد ١٩٩٦م، ص ص٢٥-٢٧.

(٢) ينظر: أبي شامة، عبدالرحمن بن اسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م): مختصر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والصلاحية)، تصنيف: محمد بن حسن الشريف، دار الأندلس الخضراء، جدة ١٩٩٩م، ص ص١٧٠-١٧١.، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص ص٧٦-٧٧ (حجازي).، القلقشندي: نهاية الأرب، ص٣٨١.، أبي الفداء: المختصر ٣/٧٠.، السروري: الحياة السياسية، ص ص٢٦٠-٢٦٢.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى ٧/٣٤٠.

(٤) عن ذلك ينظر: أبي شامة: مختصر الروضتين، ص ص١٧٢-١٧٤.، الخزرجي: العسجد، ص١٥٤، ١٧٣.، أبي الفداء: المختصر ٣/٨٢-٨٣.، السروري: الحياة السياسية، ص ص٥٧٨-٥٧٩.

(*) رغم تباين اتجاهات المؤرخين حيال هذه القضية كما ورد في التمهيد لهذه الأطروحة. ينظر: هذه الأطروحة ص١٦، ٣٢.

(٥) جازم: نور المعارف ١/٥٧ (هامش التحقيق).

(٦) ينظر: ابن خلدون: العبر ٥/٥١٠، ٥١٥.، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٢٨.، الجندي: السلوك ٢/٣١٥.، القلقشندي: صبح الأعشى ٧/٣٣٩-٣٤٠.، المقريزي: السلوك، ق٣، ١/٦٦٣.، الفقي، عصام عبدالرؤوف: معالم تاريخ الإسلام، مكتبة الفلاح، بيروت ١٩٩٠م، ص٢٧٣.

وفي ظني أن هذه الانبثاقية الموحدة من رحم الدولة الأيوبيـــة للمماليـــك والرســـوليين وانحدارهم من أصول إثنية واحدة، ساهمت بدورها في تطور وتنوع صور الصلات الحضارية بين البلدين لاسيما وهما يتناغمان كذلك في مذهب واحد هو مذهب أهل السنة.

تأسيساً – على ما سبق – يمكن القول: إن المستوى المتطور للصلات الحضارية بـــين اليمن ومصر في عهد الرسوليين والمماليك لم يكن حصيلة ظروف عصره فحسب بقدر ما كان كذلك حصيلة تراكمات تاريخية متعددة الأطوار منها ما هو موغل في القدم للحضارتين القديمتين المصرية واليمنية، أو بطورها الإسلامي إبان الفتوحات(*) وانتقال القبائل اليمنية لاستيطان مصر أو حتى في عهد الدويلات المستقلة بما فيها الفاطمية التي شهدت تناغماً مذهبياً مع اليمن وحتى في طورها الأيوبي الذي شكل القاسم المشترك، والمحضن الأول للمماليك والرسوليين لاســيما وهما ينحدران من أصول إثنية واحدة، مما عزز وتيرة التواصل الحضاري(**) – كما سنراه في هذا الفصل – انعكست آثاره على المشهد الحضاري في اليمن ومصر في تلك الفترة.

(*) من التأثيرات الحضارية لليمنيين أثناء فتح مصر تولي مجموعة من اليمنيين من قبائـــل مختلفـــة تخطـــيط (الفسطاط) بأمر من عمرو بن العاص. ينظر: الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد: اليمن في صدر الإســـلام، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧م، ص٣٢٥.

(**) من تلك الصور الحضارية، الصلات بين المؤسسات التعليمية فـــي البلـــدين. ينظـــر: الحـــديثي، نـــزار عبداللطيف: أهل العلم في عدن في القرون الخمسة الهجرية الأولى، مجلة اليمن، ع٢١، جامعـــة عـــدن، عدن ٢٠٠٥م، ص٥٦، ٧١.

ب) الصلات الإدارية بين اليمن ومصر:

شكلت الصلات الإدارية جانباً مهماً من جوانب الصلات الحضارية مع مصر في تلك الفترة، إذ "تأثرت الدولة الرسولية حضارياً في الإدارة المدنية والعسكرية... بمؤثرات عربية وإسلامية خارجية في غالبها تأثيرات مصرية مملوكية"(١). وقد سارت تلك الصلات وفق عدة اتجاهات هي:

أولاً: الصلات القضائية بين البلدين:

تأتي أهمية الصلات القضائية بين اليمن ومصر من سمو مكانة القضاء في البلدين – في تلك الفترة –، ففي مصر يعتبر "منصب القضاء في المناصب بمنزلة المصباح الذي به يستضاء أو بمنزلة العين التي عليها تعتمد الأعضاء"(٢). وكذلك هو منصب القضاء في اليمن "درجة عالية من الوظائف الحكومية تأتي في الأهمية بعد الوزارة"(٣)، وعلى اعتبار أن النظام القضائي في البلدين يستندان إلى إرث عريق يمتد إلى صدر الدولة الإسلامية(٤).

وعليه فقد تنوعت أشكال الصلات القضائية بين اليمن ومصر إبان عصر الدولة الرسولية – تأثراً وتأثيراً، تشابهاً – إما عبر استقدام الرسوليين قضاة مصريين إلى اليمن للعمل في مجال القضاء أو في مؤسسات الدولة المختلفة، كاستقدام المجاهد (ت٧٦٤هـ/١٣٧٦م) للقاضي مختار الدولة أبي محمد الحسن بن محمد (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م) للعمل في مؤسسات الدولة الرسولية الإدارية(٥)، "وكان من كبار قضاة مصر"(٦)، واستقدام الأشرف اسماعيل (ت٨٠٣هـ/١٤١٠م) القاضي محمد بن أبي بكر الذروي المصري (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م)، وأسند إليه حسبة زبيد(٧)، أو تولي يمنيين مناصب قضائية في مصر كالفقيه الشهاب الصنعاني

---

(١) محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٥٠، وينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ٤٧، ٤٩-٥٠، الخزرجي: العسجد، ص٣٣٢.

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة ١٤٧/٢، وينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات ٥٨/٨، ٦١.

(٣) الحبشي: حياة الأدب، ص٣٥٠، وينظر: الخزرجي: العقود ٢٤٩/٢، بامخرمة: قلادة النحر ٣٣٨٣/٣.

(٤) ينظر: ابن حجر: رفع الإصر، ص ص٣-٢٠، السيوطي: حسن المحاضرة ١٣٢/٢-١٥٣، السروري: الحياة السياسية، ص ص٤٠١-٤١٣.

(٥) ينظر: الأفضل، العباس بن علي بن داوود الرسولي (ت٧٧٨هـ/١٣٧٧م): العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تح: عبدالواحد عبدالله الخامري، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م، ص ص٣٠٨-٣٠٩.

(٦) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٩٦.

(٧) ينظر: العبادي: الحياة العلمية، ص٤٣٧.

(ت٧٣٥هـ/١٣٣٤م) الذي "قدم إلى القاهرة... وتولى بعض المناصب القضائية فيها"(١)، أو قد تأتي هذه الصلات عبر إرسال قضاة يمنيين كسفراء إلى مصر كالقاضي فتح الدين عمر بن محمد الخطباء الذي ندبه المجاهد سفيراً إلى مصر(٢)، واسماعيل بن أبي بكر المقري الذي ندبه الأشرف اسماعيل الثاني (ت٨٠٣هـ/١٤١٠م) سفيراً إلى مصر(٣)، كما أرسل الأشرف اسماعيل بهدية إلى مصر "صحبة القاضي برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلي"(٤)، والقاضي محي الدين البيلقاني الذي حمل هدية المظفر إلى المنصور قلاوون(٥).

وبالمقابل، وصول قضاة مصريين كسفراء لسلاطيين مصر كالقاضي جمال الدين محمد بن علي الفارقي الذي وصل إلى اليمن سنة (٧٦٨هـ/١٣٦٦م)(٦)، والقاضي علاء الدين العلامي المعروف بابن بنت الأعز متولي حسبة القاهرة (ت٦٩٩هـ/١٢٩٩م) الذي دخل اليمن قبل وفاته(٧).

وقد تأتي تلك التأثيرات القضائية عبر التأثر بأنماط المحاكمات والمحاققات وذيوع صيتها حتى بلغت مصر، فتأثروا بها(٨)، وثمة جانب آخر لتبادل تلك التأثيرات وهو الزيارات العلمية – الشخصية – لقضاة مصر إلى اليمن(٩)، وتلقيهم العلم على أيدي قضاة يمنيين وإجازتهم(١٠). وقد تتأتى تلك التأثيرات من خلال تعيين قضاة يمنيين في مناصب قضائية بعد أن كانت لهم مهام سابقة في مصر(١١)، أو تولية قضاة في مناصب قضائية مصرية بعد أن كانت لهم مهام سابقة في اليمن(١٢).

---

(١) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٦٥.

(٢) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٤٨٥.، الخزرجي: العقود ٨٣/٢، ١٠١.

(٣) ينظر: الشوكاني: البدر الطالع ٩٦/١، طه أبو زيد: المقري، ص٥٠.

(٤) الخزرجي: العقود ٢٣٣/٢.

(٥) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٠٢/١.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقود ١١٧/٢.

(٧) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٨٩/٨-١٩٠، المقريزي: السلوك، ق٣، ٩٠٤/١.

(٨) ينظر: الجندي: السلوك ٢٢٣/٢.

(٩) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣٣٦/١٠، البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٠.، الشوكاني: البدر الطالع ٦١/١-٦٤.

(١٠) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٧٩/١.

(١١) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٦٢٣.، وابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٧.

(١٢) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣٣٦/١٠، المقريزي: السلوك، ق٣، ٩٠٤/١.، البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٠.

وإن لم نكن من المغاليين فقد بلغت درجة التأثر حد المسميات الوظيفية، وهو ما شد انتباه الجندي، فعبر عن ذلك بقوله "...تلقب بالقاضي على عادة المصريين"(١)، ولعله من المفيد الإشارة إلى مشهدين منفصلين عن درجة التشابه والتماثل السياسي لدى سلاطين مصر واليمن في الاهتمام بالقضاء، رسمهما الرحالة أبي عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، الأول في مصر، حيث "كان الملك الناصر رحمه الله يقعد... ويقعد القضاة الأربعة عن يساره"(٢)، والمشهد الثاني في اليمن، حيث كان إذا "قعد السلطان... يؤتى بالطعام وهو طعامان طعام العامة وطعام الخاصة، فأما الطعام الخاص فيأكل منه السلطان وقاضي القضاة والكبار من الشرفاء والفقهاء والضيوف"(٣).

وعليه يمكن القول: أن الصلات القضائية بين اليمن ومصر تمتعت بخصوصية متميزة انبثقت من التشابه والتماثل السياسي في الاهتمام بالمناصب القضائية ومن عاملي النهوض الحضاري والانفتاح الفكري الممزوج بالتعدد المذهبي المتسامح آنذاك.

ثانياً: الصلات في مجال الإدارة المدنية والعسكرية وأنماطها:

تتبدى مدى أهمية تلك الصلات بين مصر واليمن في تلك الفترة من خلال "ما عرف عن سلاطين بني رسول منذ عهد المظفر ومن خلفه كالمؤيد، من حرص بالغ على تنظيم قواعد الدولة الرسولية وفقاً لنُظم ورسوم المماليك في مصر"(٤)، ويمكن تناول هذا الجانب من تلك الصلات على وجهين، وجه وظيفي (استحداثات إدارية واستقدام خبرات)، ووجه أسلوبي (أنظمة إدارية).

١- الوجه الوظيفي (استحداث الوظائف والمصطلحات واستقدام الخبرات):

وهو على ضربين، الضرب الأول: استحداث الوظائف والمصطلحات الإدارية، إذ حذا سلاطين الدولة الرسولية "حذو سلاطين المماليك"(٥) في استحداث الوظائف الإدارية والموظفين(٦)، وهذه الاستحداثات أشار إليها ابن فضل الله العمري، وربطها بالتأثيرات المملوكية فقال: "...وله

---

(١) السلوك ٢/١٧٢-١٧٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ط٢، دار صادر للنشر، بيروت ٢٠٠٥م، ص٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(٤) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٩٦.، وينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٧.

(٥) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٧.

(٦) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٦٩٣.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٩/١٤٣، ١٠/٢٨٠.، المقريزي: السلوك، ق١، ٢/١١٣-١١٤.، غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص ص٩٣-٩٨.

أرباب دولة ووظائف، ينحو في أموره منحى صاحب مصر، يتسمع أخباره ويحاول اقتفاء آثاره في أحواله وأوضاع دولته"[١]؛ وكنتيجة لذلك التأثير المملوكي[*] اتسعت المكونات الوظيفية لجهاز الدولة الرسولية الإداري بما اشتمله من وظائف ذات مسميات مصرية كالأتابك، الأستادار، الحاجب، الوزير، كاتب السر، أمير العلم، البشمقدار، أمير جاندر، الجامكية، الزمام، الدويدار، السلحدار، صاحب الزاردخانه، حوائج خاناة، الطواشي، المشدين، النظار، النائب، الكشاف، السنجقدار، الشرابخانة[٢].

الضرب الثاني من الوجه الوظيفي: استقدام الخبرات الإدارية، فقد "كانت مصر من بين أهم الدول التي أثرت في اليمن... حيث استقدمت اليمن منها الكثير من الخبرات الإدارية والعسكرية"[٣]، تصدرها علماء ومتخصصون ذاع صيتهم، فدعاهم سلاطين الرسوليين و"هيأوا لهم كافة السُبل التي ترغبهم في البقاء عن طريق إسناد الوظائف العلمية والإدارية"[٤]. وقد أشار الخزرجي إلى مثل ذلك النوع من الاستقدام وطُرقه بقوله: "وفي هذه السنة وصل الأمير بدر الدين حسن بن الأسد من الديار المصرية وصحبته جماعة كثيرة ممن طلبهم السلطان"[٥]، بل هناك من "فرح السلطان بوصوله فرحاً شديداً"[٦].

ومن النماذج الإدارية التي تم استقدامها من مصر، أبي محمد بن الحسن المعروف بمختار الدولة (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م)[٧]، والأديب محمد بن تميم

٦٩١٦٥٧

(١) مسالك الأبصار، ص٤٧.

(*) من المفيد الإشارة أن ذلك التأثير لم يكن مملوكياً بحتاً بقدر ما كان مشمولاً بتأثيرات الحقبة الأيوبية في اليمن، وكذا التأثيرات التتارية على الإدارة المملوكية. ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٨٢-١٨٣.

(٢) عن هذه الوظائف ومسمياتها ينظر: الشريف الحسيني، الحسن بن علي (ت٨١٥هـ/١٤١٢م): نبذ من كتاب ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب، تح: طلال جميل الرفاعي، منشورات المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٩٩٢م، ص ص٥٥-٧٠.، القلقشندي: صبح الأعشى ٧/١٥٤-١٦٥، ١٨٢.، غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص ص٩٣-٩٨.، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص٤٩-٥٠.، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٣١٥، ٣١٨.، ابن العماد: شذرات الذهب ٧/٩٥.، طرخان: النظم الإقطاعية، ص ص٤٧٧-٤٨٥.، ضومط: الدولة المملوكية، ص ص٣٨١-٣٨٥.

(٣) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٧.، وينظر: الخزرجي: العسجد، ص ص٣٣٣-٣٣٤.، المقريزي: السلوك، ق٣، ٢/١٥٨.

(٤) الأشرف اسماعيل: فاكهة الزمن، ص٢٣ (مقدمة التحقيق).، ينظر: الجندي: السلوك ٢/٤٢ (مقدمة التحقيق).

(٥) العسجد، ص٣٣٣.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٣٤.

(٧) ينظر: الجندي: السلوك ٢/١٤٤-١٤٥، الأفضل: العطايا السنية، ص٣٠٨.، الخزرجي: العقود ٢/٥٣.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٩٦، ٥٨٠.

الاسكندراني (ت٧١٥هـ/١٣١٥م)[١]، وصلاح الدين بن إبراهيم المعروف بابن البرهان الجرائحي (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م)[٢].

وبالمقابل، كان هناك أثراً يمنياً في مجال الوظائف الإدارية على مصر، وإن كان محدوداً وضئيلاً مقارنة بالأثر المصري، وأبرز نماذجه تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) الذي أورد المؤرخون أنه كتب الإنشاء لسلطان المماليك، وتقلد نظارة الديوان في إقليم الدقهلية والمرتاحية، وولي إدارة البيمارستان المصري، ودرس بالمشهد النفيسي[٣].

٢- الوجه الثاني من الصلات الإدارية، الوجه الأسلوبي (أنظمة الإدارة):

فمع استتباب الأمر لبني رسول في اليمن أخذوا "يمهدون لتأسيس نظام إداري على غرار ما كان عليه في مصر"[٤]، وخاصة النظام الإداري للمماليك الذين "تأثروا بهم في مجال استخدام النظم الإدارية والدواوين"[٥]. وعندما قارن ابن فضل الله العُمري النظم الإدارية في البلدين خرج بنتيجة عن مُعاصره من سلاطين بني رسول مفادها إنه "يتشبه بالأحوال المصرية"[٦]. ووفقاً لهذه الارتباطية سالفة الذكر فقد تعددت الأنماط (الأساليب) الإدارية الموازية للأنماط الإدارية في مصر، كالنمط الإقطاعي، فقد سعى سلاطين الدولة الرسولية لإقامة "نظاماً إقطاعياً يشبه ذلك النظام الذي أحدثه المماليك في مصر"[٧]، إذ إن دولة المماليك كانت في نظامها "قائمة على أساس من البناء الإقطاعي"[٨]. ومما يلفت النظر أنه على الرغم من تشعب جزئيات هذا النمط وتداخل مكوناته، إلا أن الرسوليين ومع تأثرهم بالنمط الإقطاعي المملوكي، قد راعوا الخصوصية التضاريسية والاجتماعية لليمن أثناء تطبيقه[٩]. وثمة نمط إداريٌ ثانٍ يتشابه في

---

(١) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ١٥٨/٢.، العبادي: الحياة العلمية، ص٤٣٣.

(٢) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٢٨.

(٣) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢، ١٤ (حجازي).، ابن حجر: الدرر ٣١٥/٢-٣١٨.، الأفضل: العطايا السنية، ص٤٨٠.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٠٤/١٠.، بامخرمة: ثغر عدن ٢٥١/٢-٢٥٢.، جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٨٨.

(٤) قايد عثمان: الرسوليون، ص٢٥.

(٥) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٨.

(٦) مسالك الأمصار، ص٥٠.

(٧) الحبشي: حياة الأدب، ص٤٤.، وينظر: أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص١١١.

(٨) قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص١٦٤.

(٩) عن جوانب التأثر وخصوصية التطبيق، ينظر: الحسيني: ملخص الفطن، ص ص٥١-٥٢.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٨٧/٩.، الخزرجي: العقود ٢٣٤/١، ٣٠٢-٣٠٣.، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٢٦٣.، المقريزي: السلوك، ق٣، ٨٤٤/١.، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٦٢٤-٦٢٥.، السيوطي: حسن المحاضرة ١٢٨/٢.، بامخرمة: قلادة النحر ٣١١٧/٣، ٣١٤٤.، جازم: نور المعارف ٥٥/٢-٥٨.

البلدين وهو مجالس الحكم والتشفيع والذي شكل وعاء لتبادل الصلات الإدارية – تأثيراً وتأثراً – إما بحضور يمنيين لمجالس الحكم المملوكية كالمجاهد عند اعتقاله في مصر وصحبته للأمـراء والمماليك[١]، أو في اليمن في مجلس الأشرف اسماعيل الثاني عندما "حضر مقام التشفيع عـدة من وجوه أهل دولته وحضر... سفير صاحب مصر"[٢].

وهناك نمط إداري ثالث ساد في البلدين، هو الجمع بين أكثر من وظيفة في يد شـخص واحد، كالجمع في اليمن بين وظيفتي القضاء الأكبر والوزارة، وبـين وظيفتـي نظـر الثغـر المحروس ووظيفة الشد الخاص[٣]، وكذا في مصر كان يجمع بين الأستادارية والوزارة وبـين نظر الاستيفاء والوزارة أو بين نظر الخزانة والوزارة[٤].

كما تشبه سلاطين الدولة الرسولية بالمماليك بـنمط إداري رابـع وهـو المسـامحات والمصادرات[*]، وقد حظي بالمسامحات المُقربين والمواليين، فيما وقعـت المصـادرات علـى المناوئين والمعارضين[٥].

أما النمط الإداري الخامس فهو إنشاء الدواوين – الشدود[**] – ومرونة استحداثها وفـق الحاجة والظرفية القائمة كاستحداث المظفر ديوان العدل للمظلـومين[٦]، واسـتحداث المماليـك ديوان نظر تجار الكارم اليمنيين الذي يهتم بالتجارة الواردة من اليمن[٧].

---

(١) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٢٩/١٠-٢٣٠، ابن حجر: الدرر ٤٩/٣-٥٠.، الأفضل: العطايا السنية، ص٤٨٢.، بامخرمة: ثغر عدن ١٤٧/٢-١٤٨.، السخاوي: وجيز الكلام ٥٢/١.

(٢) الخزرجي: العقود ٢٤٤/٢.

(٣) ينظر: الجندي: السلوك ٤٩١/١-٤٩٢، الخزرجي: العقود ٢٤٤/١-٢٤٥، ٢٨٨، ٣٣١.، الأفضل: العطايا السنية، ص٢٦٠، ٤٠٤، ٤٨٢.

(٤) ينظر: ابن تغرى بردى: النجـوم الزاهـرة ١٥٢/١١، ١٧٥/١٢.، المقريـزي: السـلوك، ق١، ٧٥/٢، ١٦٨-١٦٩.

(*) المعنى بهما الامتيازات (الإعفاءات الضريبية، الخراجية)، والعقوبات (المالية والنفي والحبس).

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ١٤٩/٢-١٥١، المقريزي: السلوك، ق١، ١٩/٢، ١٣٦.، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٧.، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٢٦٢.، جازم: نور المعارف ٤٠٤/١.

(**) التي تعتبر المرجعية الإدارية والمالية لمنظومة الوظائف ومنها: الشد الكبير، شد الخاص، شد الوقف، شد الاستيفاء، ديوان النظر، ديوان الجيش. ينظر: ابن حجر: الـدرر ٣٩٥/١، السـخاوي: الضـوء ٢٥١/٤، الحسيني: ملخص الفطن، ص ص٦٣-٧٠.، خديجة الماوري: السلطة المحلية، ص٤١.

(٦) ينظر: الأفضل: العطايا، ص٦٩٣.

(٧) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ١٧٢/٢ (المتن والهامش).

وخاتمة تلك الأنظمة الإدارية النمط السادس، وهي الإدارة العسكرية، فقد تأثر الرسوليون بالإدارة العسكرية المملوكية، بدءاً من ترتيب "الجيش اليمني على قاعدة الجيوش المصرية"(١)، ومروراً بالإدارة المشتركة للمعارك الحربية عبر التحالفات العسكرية(٢). وتولي مصريون وظائف إدارية في الجيش اليمني آنذاك(٣)، وانخراط عساكر مصرية مملوكية في ثنايا الخدمة في الجيش اليمني مع قاداتهم(٤)، وبالمقابل انخراط عساكر يمنية(*) في الجهاد في صفوف المصريين ضد الصليبيين(٥)، مما ساعد على انتقال الأساليب الحربية كإسلوبي الاستمالة للقادة المناوئين وإغرائهم، سياسة الأرض المحروقة (الهدم والتخريب(٦)) وانتقال مصطلحات الإدارة العسكرية وأدوات القتال(٧).

وفي تقديري أن تلك الصلات الإدارية في جانبها العسكري مع مصر قد تجاوزت ترتيب الجيش إلى التكتيكات الحربية المتمثلة في وضع الخطط الحربية لخوض المعارك ومسائل التموين وترتيب نفقات الجيش وتوزيع ثكناته، وترتيب الفرق العسكرية، وضرب الكوسات والطبلخانات، ولعل ذلك يعود لكون الرسوليين هم في الأصل انخرطوا مع الجيوش المصرية إبان الحقبة الأيوبية وهي ذات الحقبة التي ارتكزت عليها الإدارة العسكرية المملوكية بعد نشأة دولة المماليك، ومن ثم شكلت معبراً لتبادل التأثيرات وارتفاع وتيرة التشابه في مكونات نظام الإدارة العسكرية في البلدين.

---

(١) ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٧ (حجازي).، وينظر: الخزرجي: العقود ٣٥٤/١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١٣٩/١.، المقريزي: السلوك، ق١، ٢٦٥/٢.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٧٨/٩-٨٧.

(٣) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٧.، ابن حجر: الدرر ١٤٩/٢.

(٤) ينظر: الخزرجي: العقود ٤٥/٢.

(*) فقد تقلد ابن عبدالمجيد اليماني وظيفة ناظر فى الجيش المصري في طرابلس، ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٤ (حجازي).

(٥) ينظر: الجندي: السلوك ٥٥٢/٢، محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٦.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقود ٦٤/١، ٧٠.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٧٣/١١، ٥٣/١٢، ٦٧.، هديل: التمردات القبلية، ص ص١٧٠-١٨٠.

(٧) ينظر: الجندي: السلوك ١٩٤/٢، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٧٨/٩-٨٧، ١٢٤/١١، ٦٧/١٢.، الأشرف يوسف: المخترع، ص١٩ (مقدمة التحقيق).، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٢٣٩.، الخزرجي: العقود ٢٧٩/١، ٣٥٨، ٥٤/٢، ٦٠.، طرخان: النظم الإقطاعية، ص٤٧٦، ٤٨٥.

ج) الصلات بين اليمن ومصر في الجوانب السياسية والمراسيم:

أولاً: السفارات والهدايا والتحف والمكاتبات بين مصر واليمن:

- السفارات بين البلدين:

استهدفت السفارات الإسلامية آنذاك، سواء ما خرج من مصر أو اليمن أو غيرهما، توثيق الروابط السياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية، ناهيك عن إنهاء حالات التوتر بين كل طرف مع الآخر(١). وعليه فإن "العلاقات بين اليمن وحكام مصر من المماليك ظلت على ما يرام [نسبياً] فكانت الوفود أو ما كانت تسمى بالسفارات تتوالى بين تعز والقاهرة"(٢)، فقد "أوفد المظفر... سبع سفارات إلى القاهرة مقابل سفارتين أرسلها السلطان المملوكي"(٣). أما في "عهد المؤيد فقد سجلت ثمان سفارات يمنية إلى القاهرة مقابل ثلاث سفارات مملوكية"(٤)، ليصبح تبادل السفارات مع مصر عُرفاً سياسياً وتقليداً دبلوماسياً على امتداد حاكمية الرسوليين لليمن مع تباين في عددها وأهميتها(٥). وقد حظي السفراء في البلدين بمراسيم استقبالية احتفالية ذهاباً وإياباً(٦).

ولكي يؤدي أولئك السفراء المهام المنوطة بهم بنجاح، فقد كان يتم اختيارهم بعناية ووفق معايير، كالأمانة وعدم الخيانة، الكفاءة العلمية والدينية والمكانة السياسية والاجتماعية، والمظهر الحسن، والقدرة البدنية(٧).

---

(١) عن تلك الأهداف ينظر: إبراهيم أحمد العدوي: السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٧م، ص ص١٣-٢٢.

(٢) جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٨٨.، وينظر: بدرالدين العيني: السيف المهند، ص٣٤٤.، جازم: نور المعارف ١٠٧/١ (هامش التحقيق).

(٣) فنيشيا بورتر: الزجاج المزخرف المصنوع للعائلة الرسولية في اليمن، ملحق مع كتاب الدولة الرسولية في اليمن، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م، ص٦٩.، وينظر: الخزرجي: العقود ١٣٦/١، ١٥٢، ٢٣٤.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٤١/٧.، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٠٢/١-٧٠٤.

(٤) فنيشيا بورتر: الزجاج المزخرف، ص٦٩.، وينظر: الخزرجي: العسجد، ص٣٠٦، ٣١٢.، المقريزي: السلوك، ق١، ٢٦/٢-٢٧، ٥٢، ١٠٧.

(٥) للإطلاع على نماذج منها ينظر: الخزرجي: العقود ٢٨٩/١، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣٤٨، ٨٢/٢، ١٣٢، ٢٤٦.، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٣٤٤، ٣٦٩.، الأفضل: العطايا السنية، ص٦٥٨.

(٦) ينظر: بدرالدين العيني: السيف المهند، ص٣٤٤.، الخزرجي: العقود ٢٨٩/١، ٣٠٣، ٣٤٨، ١١٧/٢، ٢٤٢.، شايف: الحياة الاجتماعية، ص ص٥٧-٥٨.

(٧) عن تلك المعايير ينظر: الجندي: السلوك ٤١٩/٢، الخزرجي: العقود ١٥٤/٢، ابن الديبع: قرة العيون ٣٧٨/١، إبراهيم العدوي: السفارات الإسلامية، ص ص٢٩-٣٩.

ومن أبرز سفراء اليمن إلى مصر، الأمير أسد الدين محمد بن نور، بدر الدين حسن بن الأسد، القاضي برهان الدين بن المحلي، والأمير عباس التغلبي، والقاضي جمال الدين محمد بن علي الفارقي، والطواشي افتخار الدين فاخر، وأبو الفضائل نجيب بن عبدالله، وأبو عبدالله محمد بن عمر بن الفضل(١).

ومن أبرز سفراء مصر إلى اليمن شمس الدين محمد بن عدلان، والقاضي زين الدين مفلح، وبدر الدين مكتوب المرقبي، ومبارز الدين الطوري، والأمير علاء الدين اليوسفي الناصري(٢).

- **الهدايا والتحف بين البلدين:**

ترتبط ارتباطاً نسبياً بالسفارات، إذ قد تصل الهدية عبر السفير أو التجار وحتى الحجاج(٣)، ونظراً لما تمثله الهدايا المتبادلة بين البلدين من دلالة رمزية لتحسُن العلاقات بينهما، فقد روعي في الإعداد والتهيئة للهدية، عدة أبعاد، منها البُعدين الكمي والنوعي، وبما "يليق بحال المُهدي والمُهدى إليه"(٤)، إذ اقتضى البُعد النوعي اشتمالها على "الأشياء الطريفة والتُحف الغريبة"(٥)، وأن تكون "جليلة المقدار... [فيها] ما يستحسن ويستطرف"(٦).

وعليه فقد اشتملت هدايا البلدين على مكونات نوعية ضمت فرائد الطيور والحيوانات والحسن من الطيب والعطور والفاخر من الأقمشة وسائر الحلي من الذهب والفضة، وباقي المعادن النادرة، والغريب من النتاجات الصناعية، وسائر الألعاب(٧).

وكان ذلك التنوع يرافقه تعدد كمي في كل جزئية من جزئيات الهدية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، حُمل من النسيج مائة قفص، ومن المسك ألف مثقال، ومن الحرير الخام سبعمائة رطل، ومائة مضرب غالية، ومن المماليك ثلاثون، ومن الخيول اثنا عشر رأساً مُغرقة، هدية

---

(١) عن هؤلاء ينظر: الأشرف اسماعيل: فاكهة الزمن، ص١٣(هامش التحقيق).، الأفضل: العطايا السنية، ص٦٢٤، ٦٥٨.، الخزرجي: العقود ٢٨٩/١، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣٤٨، ١١٧/٢، ٢٣٣.

(٢) عن هؤلاء ينظر: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ١١٣/١١، المقريزي: السلوك، ق١، ٧٠/٢.، الخزرجي: العقود ٢٨٩/١، ٣٠٣.، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٣٤٤.

(٣) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٥/٣، الخزرجي: العقود ١٦٧/٢-١٦٨، ٢٤٦.، ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ٦٦/١٢-٦٧.

(٤) الخزرجي: العقود ١١٧/٢.

(٥) بدرالدين العيني: السيف المهند، ص٣٤٤.

(٦) الخزرجي: العقود ١٦٨/٢.

(٧) عن ذلك التنوع ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٦٦/١٢-٦٧، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٠٢/١-٧٠٣.، الخزرجي: العقود ١٦٨/٢، ٢٤٢.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٣١٠-٣١٢.

أخرى جاء حجمها ما يناهز مائة حمال(١)، حتى وصف الخزرجي هدية مصر بقولـه: "شـيء كثير لا يدخل تحت الحصر"(٢).

وبالمقابل وصف بدرالدين العيني هدية اليمن بقوله: "في هذا اليوم قدمت تقدمة صاحب اليمن... بجملة مقومة مستكثرة"(٣)، مع ملاحظة أن هدية اليمن كانت تستهدف استرضاء سلطان المماليك، وهو ما أشار إليه ابن فضل الله العمري بقوله: "وصاحب اليمن يهادي صاحب مصر ويداريه"(٤)، حتى تحولت في فترة من الفترات إلى عادة مستحقة – إتاوة أو خراج – للمماليـك في اليمن، بدليل أنها قد ترفض أو تقبل(٥).

وفي تقديري أن كلا الطرفين راعيا كذلك أبعاداً أخرى في هداياهم، كالابتكار، والإبهار، وكذلك عكس القدرات المحلية في الصناعات(٦)، وتلك الرغبة في التفرد أفضت إلى حالـة مـن التنافس على التحف وغرائب الأشياء بين بعض سلاطين مصر واليمن، والتـي منهـا تنـافس سلطاني مصر واليمن على قطعة زمردة زنتها مائة وخمسة وسبعون مثقالاً(٧)، حتى غدت تلـك الحالة من البحث عن غرائب الأشياء ونوادر الموجودات محل توثيق لدى بعـض المـؤرخين المعاصرين لتلك الفترة(٨).

– المكاتبات بين البلدين:

مثلت حلقة وصل مهمة بين مصر واليمن، فكانت "رسائل السلاطين... تحمل على أيدي الخصيان أو الطواشية"(٩)، أو التجار(١٠)، ناهيك عن السفراء وأصحاب البريد(١١). وقد تفرعـت

---

(١) عن تلك الأبعاد الكمية، ينظر: بدرالدين العيني: السيف المهند، ص٣٤٤.، الخزرجـي: العقـود ٢/٢٤٢، ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ١٢/٦٦-٦٧.

(٢) العقود ٢/٢٤٢.

(٣) السيف المهند، ص٣٤٤.

(٤) مسالك الأبصار، ص٥٠.

(٥) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٢/٧، ٢٠-٢١، ٣٢-٣٣.، فنيشيا بورتر: الزجاج المزخرف، ص٦٧.

(٦) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٢/٦٧، القلقشندي: صبح الأعشى ٧/٣٦٣، الخزرجي: العقـود ٢/١١٧، ٢٤٢.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٣١٠، ٣١٢.

(٧) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٢/١٢.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٠/٣٣٦ (هامش التحقيـق).، ابن حجر: الدرر ٢/١٤٩.

(٨) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص٥٦-٥٨.، القلقشندي: صـبح الأعشـى ٧/٣٦٣، المقريزي: السلوك، ق١، ٢/١٢.

(٩) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٩٧.

(١٠) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣/٢٥، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٢/٦٦-٦٧، الخزرجي: العسجد، ص٣٣٣.

(١١) للفصل بين المفهومين ودلالة كلٍّ منهما ينظر: الشيباني، أحمد بن أبي الفتح الدمشقي(ت٧٠٢هـ/١٣٠٢م): رصف الفريد في وصف البريد، تح: سمير الدروبين منشور في مجلة المنارة العلمية، مج٤، ع٣، جامعة آل البيت، عمّان ١٩٩٥م، ص ص٣٢-٣٣.

تلك المكاتبات إلى عدة صور، منها ما هو بين سلاطين بني رسول وسلاطين المماليك، سواءً ما كان منها يحمل طابع البشارة بالنصر على التتار أو فتح مدينة كطرابلس[١]، أو مناسبة اجتماعية أو حتى طلب نجدة كما فعل المجاهد[٢]، ناهيك عن التهديد والوعيد من سلاطين المماليك لسلاطين اليمن بسبب موقف ما، أو قطع هدية معتادة[٣]. وإن كان هذا النوع من المكاتبات يقابل في بعض الأحايين بالتجاهل كما هو الحال في الخطاب الموجه للمؤيد يحمل تهديداً ووعيداً، وعند رصد ردة فعل سلطان اليمن نجده كما أورده المقريزي "...فلم يعبأ به الملك المؤيد ولا أجاب عن الكتاب بشيء"[٤].

وثمة صورة أخرى للمكاتبات والتي كانت بين سلاطين بني رسول وخلفاء بني العباس في مصر[٥]، وقد تتعدى تلك الصورة من المكاتبات إلى مكاتبة سلطان مصر لشرائح في اليمن من غير السلاطين، كبعض أعيان اليمن أو قواته العسكرية المتواجدة لمهام معينة في اليمن[٦]. وبالمقابل كانت هناك مكاتبات مماثلة بين سلاطين اليمن وبعض أمراء وأعيان مصر وعلمائها[٧]، وتارة أخرى تكون هناك سفارات ومراسلات بين أعيان مصر وأعيان اليمن[٨].

وأغلب الظن أن هذا التنوع في صور المكاتبات قد إنعكس على التنوع في مواد كتابتها كالورق الذي يختلف باختلاف مناسبة الكتابة، فاللون الأزرق للمناسبات السياسية، فيما الأصفر للمناسبات الاجتماعية، ناهيك عن الكتابة على القمصان (الأقمشة) ككتابة سلطان مصر صك

---

(١) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٣٢٢-٣٢٣، الخزرجي: العقود ٢٨٩/١، القلقشندي: صبح الأعشى ٧/٣٥٣-٣٥٧.

(٢) ينظر: ابن حجر: الدرر ٤٩/٣، القلقشندي: صبح الأعشى ٧/٣٥٧-٣٦٠.

(٣) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٧/٢، ٢٠-٢١.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢١٧/٨.، حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص٢٣٦.

(٤) السلوك، ق١، ٢١/٢.

(٥) ينظر: القلقشندي: مآثر الإنافة ٢٥٦/٣-٢٦٤، المقريزي: السلوك، ق١، ٧/٢.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقود ١٢٨/١، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٠٢/١.، ابن الديبع: قرة العيون ٣٥٥/١.

(٧) ينظر: الأدفوي، كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تح: سعد محمد حسن، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ٢٠٠١، ص ص٥٩٥-٥٩٦.، القلقشندي: صبح الأعشى ٣٦٦/٧.، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٢٨.، الأشرف يوسف: المخترع، ص٢٣.

(٨) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٦٢٤.

أمان لأهل اليمن، على أحد القمصان[١]. كما ينم هذا التنوع عن مدى تأثر كتابة الإنشاء في اليمن وبالمصطلح المصري الشريف[*] في سبك الخطابات ورتب المخاطبات وألقاب التفخيم[٢]. ولعل ذلك التأثر والتشابه يعود أيضاً إلى استقدام كتاب درج من مصر المملوكية وعمل يمنيين في كتابة الإنشاء في مصر ثم تولوا ديوان الإنشاء في اليمن مثل ابن عبدالمجيد (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م)[٣]. كما ارتبطت أهمية هذه الكتابات بالقدرات الأدبية لكاتبيها سواءً كان ابن الأثير، أو ابن عبدالمجيد، أو محي الدين بن عبدالظاهر، أو ابن فضل الله العمري[٤]، حتى تحولت بعض تلك المكاتبات إلى لوحات أدبية حرص بعض المؤرخين على تطعيم مؤلفاتهم ببعض نصوصها استحساناً منهم لجماليات سبكها[٥].

---

(١) عن نوع الورق ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٣٥٧/٧، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٠٢/١.

(*) المعني به رتب المكاتبات الداخلية والخارجية أو ديوان الإنشاء الذي منه توجه المكاتبات الخارجية وغيرها، ينظر: عنان، محمد عبدالله: مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، مؤسسة مختار للطباعة، القاهرة ١٩٩١م، ص ص٧٣-٧٤.

(٢) ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٣٦٢/٧، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣٢٢/٧-٣٢٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٩٦-٩٧.

(٣) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢، ١٤٨ (حجازي)، الخزرجي: العقود ٢٣٨/١، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٩٦.

(٤) ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات ١٦٣/٨-١٦٨، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٢٣/٧، القلقشندي: صبح الأعشى ٣٦٦/٧، جرادة: الأدب والثقافة، ص ص٢٨٩-٢٩٠.

(٥) ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٣٦٢/٧، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣٢٢/٧-٣٢٣، جرادة: الأدب والثقافة، ص ص٢٨٩-٢٩٠.

ثانياً: المراسيم والتوقيعات بين مصر واليمن:

- المراسيم والاحتفالات:

يُعنى بالمراسيم "مجموع الاحتفاء بالناس في أمور السياسة والقيام بهـا"(١)، كمراسـيم التنصيب، والاستقبال للوفود، والمجالس السلطانية بأنواعها، ولبس التشريفات (الطراز) والتـي كانت من لوازم الملك(٢).

من "المعروف أن الرسوليين قد حاكوا المماليك في حياتهم وهيكلة دولـتهم والاهتمـام بالأبهة التي يظهر بها ملوكهم"(٣)، سواءً في مراسيم تنصيب السلاطين في استهلالات عهودهم(٤)، أو مراسيم إسنادهم ولاية العهد لأبنائهم ومنحهم التقليد بذلك(٥)، ناهيك عن مراسيم تقليد الوظائف العليا كالقضاء والوزارة وما يتم فيها من مراسيم كرفع الدواة وعقد الطيلسان ولُـبس الطرحـة على عادة وزراء مصر(٦). وفي مراسيم استقبال السفراء والوفود، ترتيب المجالس السـلطانية وآدابها(٧)، كالتحايا المؤداة إلى السلاطين وعقد المجالس وانفضاضها ومراتب الجلوس(٨)، فضلاً تشريفات الملابس السلطانية ذات الأبهة والفخامة(٩). وكذلك الحال في منح التشريفات السلطانية والتي ترتبط بالسلطان وأعطياته(١٠).

---

(١) الزركاني، خليل حسن: المراسيم والتشريفات في التراث العربي، مجلة تراث، ع٧٦، نادي تراث الإمارات، أبو ظبي ٢٠٠٥م، ص١٠٣.

(٢) ينظر: ابن خلدون: المقدمـة، ص ص٢٥٧-٢٦٨.، العـلام: الآداب السـلطانية، ص١٢٥.، الزركـاني: المراسيم والتشريفات، ص١٠٤.

(٣) فنيشيا بورتر: الزجاج المزخرف، ص٦٧.، وينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٧، ٥٠.

(٤) ينظر: ابـن تغـرى بـردي: النجـوم الزاهـرة ٨/٥٥-٥٧، ١١/١٤٩.، الخزرجسي: العقـود ١/٩٠، ٢/١٣٤-١٣٥.، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٧.

(٥) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ١/٧٥٦.، الخزرجي: العقود ١/٢٣١-٢٣٢.، أسـامة حمـاد: مظـاهر الحضارة، ص٥١.

(٦) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٨ (حجازي).، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهـرة ١١/٨١، ١٢/٢٦.، الخزرجي: العقود ١/٢٥٤.

(٧) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٢٧، ١٤٥-١٤٦.، الخزرجي: العقـود ٢/٨٠، ٢٤٢، ٢٤٤.، بـدر الدين العيني: السيف المهند، ص٣٤٤.

(٨) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٢٧، ١٤٥-١٤٦.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٩.، طه أبو زيد: المقري، ص ص٢٧٢-٢٧٤.

(٩) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٧/٣٣٠-٣٣١، ١١/١٤٩، ١٢/٥٣.، ابن فضـل الله العمـري: مسالك الأبصار، ص٥٢.، جازم: نور المعارف ٢/٤٤(هامش التحقيق)، فنيشيا بورتر: الزجاج المزخرف، ص٦٧.

(١٠) ينظر: الخزرجي: العقود ١/١٢٥، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٢/٧٢-٧٥.

وترتبط بتلك المراسيم التشابه في الاحتفالات، فقد "كثرت الاحتفالات في عهد الدولة الرسولية"(١)، على غرار ما كان سائداً في مصر المملوكية، وذلك في الاحتفالات ذات الطابع الاجتماعي كالختان، الزواج، وعادة السبوت، المشابهة لعيد الربيع في مصر(٢)، أو في الاحتفالات العلمية وبالأعياد الدينية، أو الاحتفاء بمحامل الحج(٣)، فضلاً عن الاحتفالات اليمنية بمناسبات مصرية والاحتفالات المصرية بمناسبات يمنية ترتبط باليمن(٤).

وكما اهتم بنو رسول بتلك المناسبات، فقد حاكوا المماليك في الاهتمام بمضامينها من بذخ ولهو وتنوع في الأسمطة والأطعمة(٥)، وحتى في حمل الشموع في تلك الاحتفالات(٦).

- المواكب والأعلام والرنوك:

يقصد "بالمواكب الاحتفال بخروج السلطان في المناسبات والاحتفالات المختلفة من دينية وقومية، وقد تعددت المواكب... في عهد بني رسول"(٧)، والتي تأثرت بالمواكب المملوكية كخروج السلاطين المعتاد وفي المناسبات(٨)، وفي الخروج للصيد والقنص(٩)، وفي مواكب خروج السلاطين للحج وما يصحبها عادة من احتفالات(١٠). ويلاحظ أن التأثيرات المملوكية على مواكب بني رسول تبدو جلية في الطابع العسكري والاستعراضي لتلك المواكب(١١)،

---

(١) شايف: الحياة الاجتماعية، ص٥٦.، وينظر: أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٤٨٢-٥٠٠.

(٢) ينظر: الخزرجي: العقود ١٩٤/٢-٢٠٠، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٨٥/١-٧٨٦.، جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٠٠.

(٣) عن تلك الأنواع ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣١١/٧، ١٠٧/٩.، الخزرجي: العقود ٦٥/٢، ١٦٠، ٢٤٥.، طه أبو زيد: المقري، ص ص٢٧١-٢٧٤، شايف: الحياة الاجتماعية، ص ص٥٦-٥٨.

(٤) عن هذه التبادلية ينظر: الخزرجي: العقود ٢٨٩/١، ابن حجر: الدرر ٤٩٩/١، السخاوي: وجيز الكلام ٥٢/١.

(٥) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٧٧/٢.، الخزرجي: العقود ١٩٤/٢-١٩٨.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٨٥/٩-٨٦.

(٦) ينظر: الخزرجي: العسجد، ص٤٩٧.، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٨٠/١.

(٧) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٤٩٧.، وينظر: اسماعيل الأكوع: تقاليد حكام اليمن، ص ص٢٧-٢٨، المقري: طه أبو زيد، ص٢٧٤.

(٨) ينظر: ابن عبدالمجيد، بهجة، ص١٢٧ (حجازي).، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٥٦/١، ٧٨٠.، الخزرجي: العقود ٦٥/٢.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٧٨/٩-٧٩، ٨٥.

(٩) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٩٥٥/١.، الناشري: انتهاز الفرص، ص٦.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٥١٢-٥١٣.

(١٠) ينظر: الخزرجي: العقود ٦٥/٢، المقريزي: السلوك، ق١، ١٩٥/٢-١٩٧.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٦٩/١١-٧٠.

(١١) ينظر: غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص ص٨٦-٨٧.، ابن عبدالمجيد: بهجة، ١٢٧(حجازي)، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٤٩٧.

سواءً في حُسن ترتيب الفرق العسكرية وفرزها أو في العصائب السلطانية، وضرب الكوسات والطبلخانات[١].

يبدو أن من جملة الوسائط التي أسهمت في انتقال تلك التأثيرات، استقدام الخبرات المملوكية لغرض ترتيب تلك المواكب، وكذا اشتراك سلاطين اليمن – كالمجاهد – في مواكب مشتركة مع مماليك مصر[٢]، وصاحبت تلك المواكب (إن لم يكن سائر المناسبات) أعلام السلاطين كما هو الحال في مصر المملوكية[٣]. فضلاً عن تأثرهم بمكونات علم (سنجق) دولتهم بعلم المماليك، إذ تكون من مجموعة من الزهور، على خلفية بيضاء مع تفاوت في أشكال تلك الزهور وعددها[٤].

والحال كذلك في الرنوك، فقد "درج السلاطين والأمراء المماليك بل وموظفو الإدارة السلطانية على اتخاذ شعارات لهم وهي المعروفة باسم الرنوك"[٥]. وتأثر بذلك سلاطين الرسوليين في رنوكهم – شعار السلطنة – والذي عادة ما يكون موضوعاً على خاتم السلطان، أو ملابسه، أو على إنجازاته الحضارية كالمنشآت المعمارية، فبمقارنة علامة – رنك – أختام مملوكية بأخرى رسولية وجد "أن علامة سلاطين بني رسول في اليمن كانت مشابهة لهذه العلامات لسلاطين المماليك بصورة من الصور"[٦].

- **التوقيعات وألقاب التفخيم:**

يُعنى بالتوقيعات "الأوامر المكتوبة التي تصدر... في تعيين الأمراء والحكام والقضاة وغيرهم من عمال الدولة في عهد المماليك بمصر"[٧]، ومدى تأثر الرسوليين بتلك التوقيعات، والذي أشار إليهما ابن فضل الله العمري بقوله: "رأيت علامة والد هذا السلطان القائم بها الآن

---

(١) ينظر: الخزرجي: العقود ٦٤/١، ٣٤٨، ٢٧٢، ٢٠٠/٢.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥٤/١١-٥٥، ٦٩-٧١.، غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص٨٧.، اسماعيل الأكوع: تقاليد حكام اليمن، ص١٨.

(٢) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٣٠/١٠، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٧ (حجازي).، اسماعيل الأكوع: تقاليد حكام اليمن، ص١٩، ٢٧-٢٨.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ١٢٤/١، ٢٦٣، ٢٧٦، ٢٠٠/٢.، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٥٦/١.، اسماعيل الأكوع: تقاليد حكام اليمن، ص١٩.

(٤) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٥.، اسماعيل الأكوع، تقاليد حكام اليمن، ص١٩.، فنيشيا بورتر: الزجاج المزخرف، ص ص٧١-٧٢.

(٥) محاسن الوقاد: الحجابة، ص١٥٤.

(٦) جازم: نور المعارف ٤٤/٢ (هامش التحقيق)، وينظر: فنيشيا بورتر: الزجاج المزخرف، ص٧٢.

(٧) خليل الزركاني: المراسيم والتشريفات، ص١٠٤.

على توقيع وهو على المصطلح المصري"[١]. ويشير جازم إلى مثل ذلك بقوله: "ولاشك أن علامة سلاطين بني رسول في اليمن كانت مشابهة لهذه العلامات لسلاطين المماليك بصورة من الصور وإن كانت، وهذا طبيعي، مختلفة عنها في الرسم"[٢]. وتتعلق تلك التوقيعات بالمناصب القضائية ومراسمها[٣]، والوظائف العلمية[٤]، ناهيك عن مناشير التكليفات بمهسام عسكرية أو إدارية أو سياسية[٥].

وثمة وجه آخر للتوقيعات، والمتمثل بتوقيعات الصناع والحرفيين على نتاجاتهم وتناقل تلك المنتجات بين البلدين[٦]، ويرتبط بتلك التوقيعات، ألقاب التفخيم، حيث شهد ذلك العصر "كثرة ألقاب التفخيم في المخاطبات وفي تراجم العلماء والوجهاء"[٧].

وكان سلاطين الدولة الرسولية "قد حاكوا المماليك في... الألقاب التي تسبق أسمائهم"[٨]، كالمنصور، المظفر، الناصر، المؤيد، الأشرف[٩]، وما صاحبها من نعوت تفخيمية، كالجناب العالي، الركاب العالي، الدار الشمسي، الجهة الكريمة، الأدر الكريمة، المقام السامي[١٠]، إلى غيرها من تلك الألقاب التشريفية التي كانت ذات أصول تركية أو تتارية وافدة على كلا

---

(١) مسالك الأبصار، ص٤٨.، وينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٢٣٧/٧، اسماعيل الأكوع: تقاليد حكام اليمن، ص١٦.

(٢) نور المعارف ٤٤/٢ (الهامش).

(٣) ينظر: الجندي: السلوك ١٤٧/٢-١٤٨، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٦/١٢-٢٧، المقريزي: السلوك، ق٣، ٨٦٤/١.

(٤) ينظر: الجندي: السلوك ٣٠٧/٢، الخزرجي: العقود ٢٤/٢-٢٥، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٢٩/١.

(٥) ينظر: السخاوي: الضوء ٢١٢/٤، الخزرجي: العقود ٦٠/٢، ٨٣، ١٩٢.، ابن الديبع: قرة العيون ٣٥٥/١.، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٠٢/١، ٧٦٩.، جازم: نور المعارف ٤٢/٢-٤٣.

(٦) ينظر: ربيع حامد خليفة: توقيعات الصناع والفنانين على الآثار والفنون الإسلامية، مجلة الإكليل، ع٣، ٤، وزارة الثقافة والإعلام، صنعاء ١٩٨٨م، ص ص٨٣-٨٤.، فنيشيا بورتر: الزجاج المزخرف، ص ص٦٧-٧٣.

(٧) جرجي زيدان: تاريخ اللغة العربية، ص١١٩.، وينظر: بدرالدين العيني: السيف المهند، ص ص٨٥-٩٠.

(٨) فنيشيا بورتر: الزجاج المزخرف، ص٦٧.، ينظر: بدرالدين العيني: السيف المهند، ص٩١.

(٩) ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات ٥٧/٨، الخزرجي: العقود ٨٧/١، ٢٥١، ١٤١/٢.، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص ص٨٩-٩٢.، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ٣٥/٧.

(١٠) ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٢٢٢/٧-٢٢٣، ٣٥٤.، الخزرجي: العقود ٢٣٨/١، ٢٤٥، ٢٧٢، ٨٠/٢، ٢١٢.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٤٨/١١، ١٥٥-١٥٦.

البلدين[١]. وكما حاكى الرسوليون المماليك في تلقبهم بالسلاطين فقد حاكوهم بتلقيب أبنائهم بالملوك[٢].

- الخُلع والعطايا:

انبثقت من واقع الظرف الاقتصادي والسياسي للبلدين، وكانت تستهدف كسب الولاءات والاسترضاءات، فحاكى الرسوليون المماليك في الخلع على مخدوميهم بالوظائف والإمريات والإقطاعات[٣].

وتشابهت، إلى حد ما، خلع الرسوليين بخُلع المماليك في مضامينها كأحمال الطبلخانات والأعلام والكساوي والأموال[٤]. ولعل ما يثير الاهتمام في مسألة الخلع والعطايا كذلك أنها شكلت جسراً من جسور تعزيز الصلات بين البلدين، سواءً عندما خلع سلطان مصر على السلطان المجاهد أثناء تواجده بمصر[٥]، أو بأعطيات السلطان الرسولي وخلعه على حجاج مصر، ناهيك عن أعطيات بعض سلاطين اليمن الدائمة والدورية لبعض أعلام مصر آنذاك أو الحجاج المصريين[٦]، فضلاً عن خلع سلاطين البلدين على سفراء كلاً منهما[٧].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن شيوع مكرمات السلاطين وخلعهم في البلدين لا يعني بالضرورة أنها كانت عادة مستحدثة من قبل الرسوليين أو المماليك، بقدر ما كانت طبيعة المرحلة في سائر الأقطار الإسلامية هي التي جعلت سلاطينها يعولون عليها كثيراً في استقرار ممالكهم ناهيك عن كونها إرث تاريخي ورثته تلك الحقبة عن الدولة العباسية ومن قبلها الدولة الأموية.

---

(١) ينظر: بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٨٩.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٢٦/١١.

(٢) ينظر: بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٨٩.، إسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص١٤(الهامش).

(٣) ينظر: الخزرجي: العسجد، ص٢٨٢، ٣٠٠، ٤٧١.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٦١/١١، ٣٣١، ٣٥/١٢.، جازم: نور المعارف ٥٤/٢-٥٥.

(٤) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٠٢/١، ٣٣٦، ٢٤٢/٢، ٢٤٥.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥٤/١١-٥٥، ٧٠-٧١، ٣٥/١٢.، ابن الديبع: قرة العيون ٣٦٧/١.

(٥) ينظر: السخاوي: وجيز الكلام ٥٢/١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٢٩/١٠.

(٦) ينظر: الأدفوي: الطالع السعيد، ص ص٥٩٥-٥٩٦.، الأفضل: العطايا السنية، ص٤٨١.، الخزرجي: العقود ١٢٥/١.

(٧) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٢٩/١.، الخزرجي: العقود ٢٨٩/١، ٣٠٣.

د) الصلات الاقتصادية بين اليمن ومصر:

شكلت الصلات الاقتصادية مكوناً رئيساً في أبنية الصلات الحضارية للبلدين في تلك الفترة، إذ "حرص بنو رسول والمماليك الجراكسة على توثيق العلاقات الاقتصادية بينهما"[١]، والتي يمكن حصرها بثلاثة مستويات:

أولاً: الصلات التجارية بين البلدين:

سعى بنو رسول منذ تأسيس دولتهم إلى الدخول "في علاقات سياسية وتجارية مع... المماليك في مصر الذين دخلوا معهم في تحالف ثنائي لمجابهة المخاطر التي كانت تعترض سير العملية التجارية في البحر الأحمر"[٢]، والتي تبدت مظاهرها على وجهين:

الوجه الأول: الصادرات والواردات بين البلدين:

كانت السلع الواردة من مصر إلى اليمن تتضمن في الغالب الأرز والسكر والصابون والحنطة والدقيق والأشنان والرمان وزيت الزيتون والأقمشة المذهبة والعادية والورق واللؤلؤ والزمرد الأخضر والزجاج، والرصاص الأسود، والمرجان، وكميات محدودة من عسل النحل[٣].

فيما اشتملت صادرات اليمن إلى مصر على العنب بأنواعه، وأنواع أخرى من المنتجات الزراعية، كالسفرجل والخوخ والمشمش وأنواع الطيب والعطور كالمسك والعنبر والصندل والزعفران وأنواع مختلفة من الحلي والأحجار النادرة، كالعقيق، وكذا السيوف والخناجر والثياب اليمنية الفاخرة والحرير الخام، والصبغيات والمعادن كالنحاس[٤].

---

(١) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٨٩.

(٢) عثمان، قايد حميد: تجارة الكارم ودور مدينة عدن في النشاط التجاري منذ عهد الزريعين حتى نهاية حكم بني رسول (٥٣٢-٨٥٨هـ/١١٣٧-١٤٥٤م)، مجلة اليمن، ع٢٣، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن ٢٠٠٦م، ص٦٠.

(٣) عن تلك السلع ينظر: الجندي: السلوك ٢/٢٢٨، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٣، ٥٥.، جازم: نور المعارف ١/٣٢٤-٣٢٥، ٤٧٩-٤٨٥، ٢/١٠٥.، سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ص٥١٨-٥١٩.، قايد عثمان: تجارة الكارم، ص٥٧.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٥٨.

(٤) عن هذه السلع ينظر: الأدفوي: الطالع السعيد، ص٤٣.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٦٦-٦٧، جازم: نور المعارف ١/٤٨٥، سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ص٥١٨-٥١٩.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٣٥٢-٣٥٥، ٣٦٤.، قايد عثمان: تجارة الكارم، ص٥٧.

الوجه الثاني: تجارة الكارم وأدوارهم المختلفة بين البلدين:

بتحسن العلاقات مع مصر، ينعكس "هذا التحسن المطرد في العلاقات السياسية على العلاقات التجارية، فازدهرت التجارة وخاصة تجارة الكارم"[١]، الأمر الذي مكنهم من لعب أدوار سياسية، سواءً أثناء اختلاف البلدين "فكان تجار الكارم في مثل تلك الخلافات رسُل سلام بين الدولتين لتهدئة الأمور ومنع وصولها إلى حد يعكر سير تجسارتهم"[٢]. ونقلوا المكاتبات والهدايا وتصدروا السفارات بين البلدين[٣]، ودخلوا في شراكات تجارية مع السلاطين ومنحوا القروض لسلاطين الدولتين[٤]. كما شكلت تجارتهم الوسيط المباشر في التبادل التجاري ونقل البضائع والمواد الخام بين البلدين[٥]، وإنعاش تجارة العبور التي تمر عبر اليمن إلى مصر، أو عبر مصر إلى اليمن[٦].

وإن كانت تجارة الكارم قد تأثرت تارة بالعقبات السياسية والأمنية، وتارة أخرى بالعوائق الطبيعية، كغرق المراكب والشعاب المرجانية[٧]، إلا أنها رغم تلك العقبات – السياسية والأمنية والطبيعية – قد شكلت صورة مبهجة للتكامل الاقتصادي بين البلدين، فضلاً عما قدموه من أدوار سياسية وفكرية، وحتى اجتماعية[٨].

ثانياً: الصلات الصناعية والمهنية بين البلدين:

مكنت العلاقات المتميزة لليمن مع مصر "وصناعها من المشاركة في نهضة الحياة الصناعية... وفي ظهور بعض الصناعات والحرف التي لم تكن تشتهر بها اليمن من قبل"[٩].

---

(١) الأشرف اسماعيل: فاكهة الزمن، ص١١ (مقدمة التحقيق).

(٢) قايد عثمان: تجارة الكارم، ص٦٠.

(٣) ينظر: الأدفوي: الطالع السعيد، ص ص٥٩٥-٥٩٦.، الفاسي: العقد الثمين ٢٥/٣، الخزرجي: العقود ١٦٣/٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦٦/١٢-٦٧.

(٤) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٧ (حجازي).، المقريزي: السلوك، ق١، ١٠٢/٢.، الخزرجي: العقود ٣٥٤/١.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٢٩/١٠، ٥٥/١٢.

(٥) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٣.، جازم: نور المعارف ٤٧٩/١، ٤٨٥.، سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ص٥١٨-٥١٩.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٥٨.

(٦) ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص١٢، ٥٦.، الخزرجي: العسجد، ص٣٠٤.، السخاوي: الضوء ١٢٧/٣.، محمد عبدالعال: بنو رسول، ص٤٣٠.

(٧) عن هذه العوائق ينظر: الخزرجي: العقود ٣٠٨/١، المقريزي: السلوك، ق١، ٧/٢، ق٣، ٧٨٧/١.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٢٦/٨.، قايد عثمان: تجارة الكارم، ص٥٧، ٦٠-٦١.

(٨) ينظر: بدرالدين العيني: السيف المهند، ص٣٤٤.، بامخرمة: ثغر عدن ٦٩/٢، الخزرجي: العقود ١٦٧/٢-١٦٨، السخاوي: الضوء ١٢٧/٣.

(٩) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٨.، وينظر: أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣١١.

وقد اتبع سلاطين الدولة الرسولية سياسة تشجيعية داعمة إزاء تلك الصناعات ومحاكاتها[(١)]، وهو ما عبر عنه ابن فضل الله العمري بقوله: "ولا تزال ملوك اليمن تستجلب من مصر والشام طوائف من أرباب الصناعات لقلة وجودهم باليمن"[(٢)]. ومن تلك الصناعات "صناعة الأنسجة الحريرية"[(٣)]، التي مثلت عنواناً بارزاً في الصلات الصناعية وما صاحبها من صناعة الصبغيات[(٤)]، و"ورد على مصر أيضاً المنسوجات القطنية من الهند واليمن"[(٥)]، وكذلك الصناعات المعدنية[(٦)]، وما يرتبط بها من صناعات مثل ركابات الخيل الإفرنجية التي "ربما انتقل نموذج هذه الركابات الإفرنجية إلى اليمن من مصر"[(٧)]، وأدوات الطهي والمراوح والدبابيس[(٨)]، وكذلك صناعة السكر والصابون[(٩)]، بالإضافة إلى صناعة الكتاب ومستلزماته من ورق[(*)]، وتجليد وأحبار وأقلام[(١٠)]. ولعل من أكثر الصناعات ارتباطية بين البلدين، صناعة الزجاج "الذي كان يتطابق فنياً وأسلوبياً مع الزجاج المملوكي"[(١١)].

---

(١) ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص ص١٧-١٨ (مقدمة التحقيق).

(٢) مسالك الأبصار، ص٥١.

(٣) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٨.، وينظر: الخزرجي: العقود ١٥٨/٢، جازم: نور المعارف ٤٧٩/١-٤٨٤.

(٤) ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص ص٧٩-٨٨، ١٥٩-١٧٨.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٦٧/١٢، الخزرجي: العقود ١٥٨/٢، جازم: نور المعارف ١٣٢/١-١٣٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣١٠، ٣١٧.

(٥) سامي أحمد عبدالحليم إمام: المنسوجات الأثرية والقبطية المحفوظة في متحف جايرأندرسون بالقاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٠م، ص١١٠.

(٦) ينظر: الأدفوي: الطالع السعيد، ص٤٣.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٦٦/١٢-٦٧، جازم: نور المعارف ١٥٣/٢-١٥٤.

(٧) المصدر نفسه، ١٥٩/٢(هامشق التحقيق).

(٨) ينظر: الأدفوي: الطالع السعيد، ص٤٣، ٧٣١.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٦٦/١٢-٦٧، جازم: نور المعارف ١٥٦/٢ (هامش التحقيق).

(٩) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٥.، الأدفوي: الطالع السعيد، ص١٣.

(*) ظلت تلك الصناعة على حالها حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، عن الورق وصناعته في تلك الفترة، ينظر: أنور محمود عبدالواحد: قصة الورق، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٨م، ص ص٦٠-٦٣.

(١٠) عن صناعة تلك المستلزمات ينظر: الأشرف: يوسف المخترع، ص ص٥٩-٧٨.، الجندي: السلوك ٢٢٨/٢، جازم: نور المعارف ٣٢٤/١، ٣٢٨.

(١١) فنيشيا بورتر: الزجاج المزخرف، ص٦٧.، وينظر: جازم: نور المعارف ٣٠٢/١، ٤٨٠.

وخاتمة تلك الصناعات المرتبطة مع صناعة مصر –والتي تشابهت معها إلى حد كبير – الصناعات العسكرية وتبادل أدواتها[١]. وفي تقديري، أن التأثيرات الصناعية قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً باستقدام الخبرات المهنية، سواءً كانوا "حرفيين ماهرين في صـــناعة الزجـــاج والقناديـــل والزخرفة من مصر"[٢]، أو أعمال حرير أو نجارين ومرخمين ودهانين[٣].

وقد تجاوزت تلك الصلات المهنية إلى تبادل الخبرات الطبية والنساخين والمشتغلين في مجال الكيمياء وحتى أصحاب الوظائف المسجدية[٤].

ثالثاً: الصلات المالية والزراعية بين البلدين:

- الصلات المالية:

جاء هذا النوع من الصلات استجابة للتبادل التجاري والصناعي النشط بـــين البلـــدين، والتي جاءت تأثيراته إما عبر النظام الضريبي من ضرائب ومكوس ومصالحات وإبطالها[٥]، أو في مجال العملة كسك دينارملكي – ذهبي – إسوة بمصر[٦]، أو الدراهم المظفرية التي بالمقارنة "بينها وبين الكاملية – العملة المصرية – تبين تساوي عيارهما"[٧]، وإن كانت بعض العمـــلات المصرية موروثة من الحقبة الأيوبية كالدينار الأحمر[٨].

وهناك جانب ارتباطي آخر في النظام المالي للبلدين والمتمثل بالمقـــاييس والأوزان، إذ ارتبطت الوحدات القياسية الوزنية المصرية باليمنية، كالرطل المصري، المن المصري، القفلـــة والأوقية، والقدح، ووحدة البهار المصري، المُد، والزبدي، الجوزة، البيعة، الصاع، الذراع[٩].

---

(١) ينظر: ابن تغرى بـــردى: النجـــوم الزاهـــرة ٢٧٣/١١، ٥٣/١٢، ٦٧.، الأشـــرف يوســـف: المختـــرع، ص ص٣١-٣٤.، جازم: نور المعارف ٢٩/١، ٥٦، ١٦٠/٢.

(٢) شايف: الحياة الاجتماعية، ص٥٤.، وينظر: فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص ص٤٤-٤٥.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ٣١١/١، ١٥٨/٢.، نفسه: العسجد، ص٣١٢.، ابن فضل الله العمـــري: مســـالك الأبصار، ص٥١.

(٤) ينظر: الأفضل العطايا السنية، ص٤٧٢.، الأدفوي: الطالع السعيد، ص٧٣٤، ٧٣٨.، الخزرجـــي: العقـــود ٢٣٤/١، ٢٠٢/٢-٢٠٣.، العبادي: الحياة العلمية، ص٤٣٥.، فنيشيا بورتر: الزجاج المزخرف، ص٦٧.

(٥) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٦٣/١١، ٢٩٠/١٢-٢٩١.، الخزرجي: العقود ١٤٧/٢، جازم: نور المعارف ٤٠٤/١، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٣٧٤-٣٨٠.

(٦) ينظر: ابن الديبع: قرة العيون ٣٦٧/١، الأدفوي: الطالع السعيد، ص٢٣٥.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٤٢٩.

(٧) جازم: نور المعارف ٦٩/١ (هامش التحقيق).

(٨) ينظر: ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص٨٠.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٤٢٠.

(٩) عن هذه الوحدات وقيمها ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٨١٠/١.، الأشرف يوسف: المخترع، ص١٣٣.، الخزرجي: العقود ٢٧٦/١، جازم: نور المعارف ١٦/١، ٢٦٧-٢٦٩، ٦٤/٢-٦٥.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٤٣٩-٤٤٨.

كما شملت تلك الارتباطات التسهيلات الجمركية، والنظام الجمركي، والتوكيلات المالية، والشركات المساهمة[١].

- الصلات الزراعية وتبادل الحيوانات:

كانت اليمن "أشبه بمحطات تجارب زراعية واهتموا بجلب البذور لها واستيراد أصناف الغروس والأشجار المختلفة من شتى البقاع لاسيما الديار المصرية"[٢]، فانتقلت الفواكه المصرية إلى اليمن[٣].

ومن النباتات، الشب والحلتيت والأشنان[٤]، كما وجدت الفواكه والأصناف الزراعية طريقها إلى مصر عبر التبادل التجاري[٥]، وأرسلت إلى مصر كذلك الخيول والفيلة والحُمر الوحشية والببغاوات وحتى كلاب الصيد السلوقية[٦]، فيما وصلت إلى اليمن من مصر عينات من الأبقار والطيور والخيول والبغال وكلاب الصيد وسباع الطير[٧].

---

(١) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٥/٣، السخاوي: الضوء ٢١٢/٤، قايد عثمان: تجارة الكارم، ص٥٧.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٤٣٦-٤٣٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٣٨.

(٣) ينظر: الأشرف، عمر بن يوسف بن عمر الرسولي (ت٦٩٦هـ/١٢٩٦م): ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، تح: عبدالله محمد المجاهد، دار الفكر للطباعة، دمشق ١٩٨٧م، ص١٤٥.، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٥.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٢٣٩.

(٤) ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص١٨٥، ١٨٧، ٢٠١.، جازم: نور المعارف ٤٣٥/١.

(٥) ينظر: قايد عثمان: تجارة الكارم، ص٥٧.

(٦) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٤١/٧، ١٠/١٠-١١.، المقريزي: السلوك، ق١، ١٠٧/٢.، محمد عبدالعال: بنو رسول، ص٣٩٨، ٤١٩.

(٧) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٣٠/١٠، الخزرجي: العقود ١٦٨/٢، ٢٢٩.، جازم: نور المعارف ٥٧/١.

هـ) الصلات المعمارية والفنية بين اليمن ومصر:

أولاً: الصلات المعمارية بين البلدين:

كانت مصر من بين أهم البلدان التي خلفت أثراً معمارياً بارزاً في الجوانب المعمارية في اليمن، في تلك الفترة، حيث "أقتبست منها النُظم المعمارية والهندسية"(١)، وساهمت في البناء والعمران الذي بدت ملامُحه واضحة خلال "العصر الرسولي الذي يعد بحق عصراً ذهبياً من أهم عصور الازدهار العمراني في اليمن"(٢). وقد اشتملت تلك التأثيرات المعمارية على ثلاثة جوانب:

- **العمارة الدينية:**

يعنى بها المساجد والمدارس والأربطة والزوايا والخانقاوات والقرافات - الجبانات والأسبلة-(٣)، فأما المساجد فقد كانت من العمائر الدينية التي تأثرت في بعض خصائصها المعمارية بالتأثيرات المصرية، ومن ذلك بروز الشكل المضلع في الأعمدة، "ويمكن أن نعيد هذا الشكل إلى التأثير الأيوبي والمملوكي، حيث انتشر في العمائر الدينية خصوصاً لأعمدة بيت الصلاة... ونُقل إلى اليمن"(٤).

ويبدو أن الاستحداثات المعمارية التي شهدتها مساجد العصر الرسولي قد انتقلت إما عبر تبني مصريين بناء مساجد في اليمن، أو تبادل زيارات المهتمين بشؤون المساجد في البلدين، ناهيك عن وفود المعماريين المصريين إلى اليمن(٥).

ولما كانت المساجد على ارتباط وثيق بالمدارس التي انتقلت إلى اليمن عبر الأيوبيين(٦)، واستمر هذا الارتباط خلال الحقبة المملوكية، حيث "تأثر بني رسول في هذه الناحية بمعاصريهم من حكام مصر الذين تربطهم معهم صِلات جيدة، فأدى ذلك إلى تقليدهم في إنشاء المدارس"(٧).

---

(١) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٧.

(٢) آلاء أحمد محمد الأصبحي: المدرسة الأشرفية بتعز زمن الدولة الرسولية (دراسة معمارية تحليلية) (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٨-١٤٥٤م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م، ص٢٢٩.

(٣) ينظر: المقريزي، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): المختار من الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م، ص١١.

(٤) آلاء الأصبحي: المدرسة الأشرفية، ص١٦٥.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ٣١١/١، ٢/٢٠٢-٢٠٣.، نفسه: المسجد، ص٣١٢.، بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٧٠/٣، جازم: نور المعارف ٤٣/٢-٤٤(هامش التحقيق).

(٦) ينظر: ابن الديبع: قرة العيون ٢٨٣/١-٢٨٤، اسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٧، ١٨.، الحداد: الاستحكامات الحربية، ص٣٢٠.

(٧) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٦٩.، وينظر: السيوطي: حُسن المحاضرة ٢٢٣/٢.، الخزرجي: العقود ٢٦٠/٢.، ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة ١٤١/١١، ١٤٦.

وقد توالت تلك التأثيرات في هذا الجانب، سواءً بالتـداخل المعمـاري للمـدارس مـع المساجد(*) في المخططات المعمارية(١)، أو من خلال التشابه في بعض الخصائص المعماريـة للمدارس كالحنايا الركنية – مناطق انتقال القبة – التي تغطي مصـليات المدرسـة والمشـابهة للحنايات الركنية في مصر(٢). وإن كانت كلا البلدين قد عرفتا القباب وفق الخصوصيات المحلية لكلٍ منهما(٣)، وإن كان هناك من يرى أن ذلك النمط من القباب الذي انتشر في اليمن في تلـك الفترة يعود "بصورة مباشرة إلى الرسوليين أنفسهم، حيث أنهم سكنوا بلاد الأناضول التي انتشر استخدام هذا النوع من التسقيف فيها على أسقف المساجد وتأثروا بها... ونقلوها معهم إلى الشام ومصر ثم اليمن"(٤).

كما اشتملت التأثيرات المعمارية على بعض أنمـاط التشـكيل المعمـاري للمحاريـب والمقرنصات والعقود المفصصة والشرافات المسننة والأقبية والميضاءات وبيت الصلاة ومساكن الطلبة(٥). وإن كان ذلك لا يلغي الخصوصية المعمارية في بعض الجزئيات للمدارس اليمنية(٦).

وقد تعددت تلك الارتباطية التأثيرية في العمارة الدينية في تنوعها وتشـابه مؤسسـاتها ومسمياتها مثل المدارس والمساجد والأربطة والزوايا(٧) والخانقاوات(٨)، والقرافات (الجبانـات) والأسبلة(٩).

(*) للفصل بين هوية التأسيس كمدرسة أو مسجد، يعتمد الباحثون كثيراً على ما يعرف بالنص التأسيسي المثبت على مدخل المنشأة، ينظر: محمد حمزة الحداد: العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي، ندوة المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين، ع٥١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢، ص٣٠٩.

(١) ينظر: المقريزي: المختار من الخطط، ص٧٣.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص١٠١.

(٢) ينظر: الحداد: الاستحكامات الحربية، ص٣٨٤، آلاء الأصبحي: المدرسة الأشرفية، ص ص١٧٦-١٧٧.

(٣) عن الخصوصية والتاثير ينظر: ولفردجوزف دللي: العمارة العربية بمصر، تر: محمـود أحمـد، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ص٣٩-٤٣.، الحداد: الاستحكامات الحربية، ص ص٣٨٢-٣٨٣.

(٤) آلاء الأصبحي: المدرسة الأشرفية، ص١٨١.

(٥) ينظر: محمد سيف النصر: المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية، الإكليل، ع١، وزارة الثقافـة والإعلام، صنعاء ١٩٨٦م، ص ص١٠٣-١٠٧.، آلاء الأصـبحي: المدرسـة الأشـرفية، ص٨٦، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٧، ٢٩٥.، شحاتة: القاهرة، ص١٧٣.، محمد حمزة: السلطان قلاوون، ص٢٣٥.

(٦) ينظر: محمد سيف النصر: المدارس اليمنية، ص١٠٥.، آلاء الأصبحي: المدرسة الأشرفية، ص ص٥١-٥٢.

(٧) ينظر: المقريزي: المختار من الخطط، ص١١٥.، الخزرجي: العقود ٢١٢/١، ٢٦٠/٢.، ابن حجر: الدرر ٤٨/٢-٤٩.

(٨) ينظر: الجندي: السلوك ١٥٨/٢، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٢١١.، ابن العماد: شذرات الذهب ٩٥/٧.

(٩) ينظر: المقريزي: المختار من الخطط، ص١٤٧.، الخزرجي: العقود ٢٠٢/٢.، الأدفوي: الطالع السـعيد، ص٧٢١.، الحداد: الاستحكامات الحربية، ص٧٩.

- العمارة المدنية:

وتشمل في طياتها التشابه في الدُور والقصور والاستراحات والخانات والبيمارستانات؛ وأما القصور فقد وصفت بـ"الفخمة التي يقف عند عظمتها ملوك مصر..."(١)، ويبدو أن هذه الفخامة المعمارية المحاكية لفخامة المماليك تدخل في إطار وصف ابن فضل الله العمري بأن من السلاطين الرسوليين "من يتشبه بالأحوال المصرية"(٢)، كما أن التأثيرات المعمارية المملوكية في ذلك الجانب قد تأتت من خلال استقدام الخبرات المهنية المعمارية من الصناع الغرباء من مصر وغيرها(٣). أما الاستراحات فقد خلُص ابن فضل الله العمري بعد مقارنتها بغيرها في عصره إلى قوله: "لا يقف ناظراً على بستان أحسن منه جمعاً ولا أجمع حسناً ولا أتم صورة ولا معنى"(٤). كما تشبه الرسوليون بالمماليك في بناء الخانات وبشكل أقل البيمارستانات(٥).

ويبدو أن عمل يمنيين في نظر البيمارستان المصري قد ساهم إلى حد كبير في نقل تلك التأثيرات(٦).

- العمارة الحربية:

جاء هذا النوع من التأثيرات المعمارية، إما من خلال بناء القلاع العسكرية، التي حاكى الرسوليون المصريين في اختيار مواقع متطرفة بعيدة عن العمران البشري(٧)، لاسيما أن هناك من الرسوليين من عايش القلاع المملوكية كالمجاهد الذي اعتُقل عشرة أشهر في إحدى قلاع المماليك العسكرية(٨)، كما بدت الارتباطية التأثيرية في منشآت عسكرية أخرى كبناء المداخل المنكسرة للقلاع وبناء أسوار وخنادق المدن(٩)، وكذلك في بناء قيساريات للجند ودور السلاح وأبراج القلاع(١٠).

---

(١) الحبشي: حياة الأدب، ص٢٦.، وينظر: شايف: الحياة الاجتماعية، ص٤٨.

(٢) مسالك الأبصار، ص٥٠.، وينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٧٧/٩.، الخزرجي: المسجد، ص٣١٢.

(٣) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥١.، الخزرجي: العقود ٣١١/١، شايف: الحياة الاجتماعية، ص٥٤.

(٤) مسالك الأبصار، ص٥٦.، وينظر: الخزرجي: العقود ٢٦٠/٢، المقريزي: السلوك، ق١، ١٣١/٢.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٠٠/١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢٦/١٠، الأشرف يوسف: المخترع، ص٢٣.، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧١٦/١، ٧٢٥.، جازم: نور المعارف ٥٢/١.

(٦) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣١٥/٢-٣١٨.

(٧) ينظر: الحداد: الاستحكامات الحربية، ص ص٢٨٢-٢٨٣.، سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ص٤٥٥-٤٥٦.

(٨) ينظر: بدر الدين العيني: السيف المهند، ص ص٩١-٩٢.، بامخرمة: ثغر عدن ١٤٧/٢-١٤٨.

(٩) ينظر: الخزرجي: العقود ٥٩/٢، ١٧٠.، الأفضل: العطايا السنية، ص٥٣١.، سالم: تاريخ الإسكندرية، ص٤٤٤.، الحداد: الاستحكامات الحربية، ص٣٣٣، ٣٤٧-٣٤٨.

(١٠) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ١٤٦/٢.، الخزرجي: العقود ١٥٣/٢-١٥٤، محمد حمزة: السلطان قلاوون، ص٧٣، ٨٠.، الحداد: الاستحكامات الحربية، ص٥٣، ١٥٢-١٥٣، ١٩٩.

ثانياً: الصلات الفنية بين البلدين:

وتشتمل على فنون الخط والنساخة والتصاوير والزخرفة والطرب، فأما الخط، فقد تأثر خطاطو اليمن "بالخط الثلث البارز على أرضية من الزخارف النباتية المحورة... [الذي] شاع استخدامه في العصر الرسولي باليمن والمملوكي بمصر"(١)، وإن كانت قد تنوعت الخطوط في هذا العصر إلا أن "أكثرها استخداماً الخط الكوفي المورق والمزهر"(٢).

وينبغي الإشارة في هذا الجانب إلى أن التأثيرات "المملوكية بارزة لا تخفى على أحد، فعلى سبيل المثال استعانوا بالوراقين والخطاطين للعمل في المكاتب والمحاكم"(٣)، وارتبطت بالخط مهنة النساخة(*)، وقد شكلت جزءاً هاماً في صلات البلاد الفنية(٤). وارتقت تلك المهنة في البلدين وارتبطت صحة الكتب بأهمية النُساخ في البلدين(٥)، فعلى سبيل المثال، السلطان المؤيد الرسولي (ت٧٢١هـ/١٣٢١م) "أهديت له نسخة من الأغاني بخط ياقوت [المستعصمي] فبذل فيها مائتي دينار مصرية"(٦). ويبدو أن تلك المكانة تعزى لما "كان للخطاطين والنساخين [من] المكان الأسمى والمرتبة العليا بين الصناع"(٧).

وهناك جانب تأثري آخر تمثل بالزخرفة، والتي كانت من أكثر المهن ارتباطاً بالمؤسسات الرسمية في البلدين لارتباطها بأبهة الملك وجماليات السلطنة(٨)، حتى صارت مهنة لها مقدمها (رئيسها) ولها مكانتها(٩).

---

(١) الحداد: الاستحكامات الحربية، ص٤١٠.

(٢) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٢٢.

(٣) فنيشيا بورتر: الزجاج المزخرف، ص٦٧.

(*) وهي "خط الكتب وكتابتها باليد" ينظر: جازم: نور المعارف ٣٣٠/١.

(٤) ينظر: ابن حجر: الدرر ١٠٠/٢، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٨ (حجازي)، اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص١٤.

(٥) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٠/٣-٣١، الأفضل: العطايا السنية، ص٥٧٠.، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص١٤٣.

(٦) ابن حجر: الدرر ١٠٠/٢، وينظر: اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص١٤.

(٧) كريستي أرنولد: تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة، تر: زكي محمد حسن، دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٨٤م، ص٨٦.

(٨) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٢٩٢.، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٥، ٥٦.، محمد حمزة: السلطان قلاوون، ص١٧٨.

(٩) ينظر: نهى صادق: المؤرخ الخزرجي، ص ص٢٠٧-٢١١.

وقد تأثرت الزخارف اليمنية بالزخارف المملوكية كزخرفة الواجهات الخارجية والتي شاعت "بصورة أكبر أيام المماليك في مصر وتأثرت العمارة الرسولية بها"[١]، كما شاع في البلدين استخدام الزخارف الرخامية[٢]، والزخرفة الخشبية وتطعيمها بخيوط أو أشرطة رقيقة[٣]، واستخدمت الألوان في الزخارف النباتية والهندسية والكتابية[٤]. وبالمقابل استخدم المزخرف المصري الخيوط الحريرية والمعدنية المجلوبة من اليمن في تطريز المنسوجات وأعمالهم الزخرفية[٥].

ويبدو أن التلاقح التأثيري في مجال الزخرفة قد جاءت كذلك عبر استقدام الفنيين المصريين من "نجار ومرخم ودهان ومزخرف"[٦]. وهناك جانب ارتباطي آخر في مجال الفنون والذي يعزى إلى التُخمة المالية وبذخ السلاطين في البلدين وهو جانب الطرب – الغناء – وأدواته[٧]، فقد أشار المقريزي إلى مُغنية يمنية تقدمت أحد العروض العسكرية المملوكية بقوله: "...ومعهم مغنية تعرف بالحضرمية"[٨]. وبالمقابل جلب إلى اليمن من مصر أنواعاً من الملاهي وأدوات الموسيقى[٩]، إلا أنه ينبغي الإشارة أن هذا الجانب هو أقل جوانب الفنون ارتباطاً بمصر رغم اتساع نطاقه في ذلك العصر، كما أنه عُد لهواً وفساداً، وواجه رفضاً وإنكاراً من الخلفاء العباسيين في القاهرة ومن علماء وفقهاء مصر واليمن[١٠].

---

(١) آلاء الأصبحي: المدرسة الأشرفية، ص١٤٦.

(٢) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص٥٥-٥٦.، البريهي: صلحاء اليمن، ص٢٩٢.، المقريزي: المختار من الخطط، ص٧٣.، الخزرجي: العقود ٣١١/١، محمد حمزة: السلطان قلاوون، ص١٧٢.

(٣) ينظر: شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة تاريخها ونشأتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م، ص٢٢٤.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٣٦.

(٤) ينظر: سامي: إمام المنسوجات القبطية، ص١١٠.، الحداد: الاستحكامات الحربية، ص٣٩٩.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٢٩.

(٥) ينظر: سامي إمام: المنسوجات القبطية، ص١١٠ (الهامش).

(٦) الخزرجي: العسجد، ص٣١٢، وينظر: نفسه: العقود ٣١١/١.

(٧) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٦٩٠/١.، السيوطي: حسن المحاضرة ١٥٢/٢.، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٦.، الأدفوي: الطالع السعيد، ص٢٥١.

(٨) السلوك، ق٣، ٦٩٠/١.

(٩) ينظر: الخزرجي: العسجد، ص٣٢٩، جازم: نور المعارف ٣٥/١-٤٦، ٩٢.

(١٠) ينظر: الجندي: السلوك ٣١٥/٢، ابن حجر: الدرر ١٩٠/٢-١٩١، القلقشندي: مآثر الإنافة ٢٦١/٣-٢٦٢، شايف: الحياة الاجتماعية، ص٦٣.

و) الصلات الاجتماعية بين اليمن ومصر:

أولاً: العادات والتقاليد:

سعى سلاطين الدولة الرسولية إلى تطعيم دولتهم بالعديد "من العادات والتقاليد المستوردة... لم يكن للبلاد عهد بها"(١)، متأثرين في ذلك بمصر المملوكية التي "اقتبست منها... كثيراً من المظاهر الاجتماعية"(٢)، والتي منها "انشغالهم بوسائل اللهو والتسلية مقتدين في ذلك بسيرة سلاطين المماليك في مصر"(٣)، كمجالس الطرب والشراب واللهو(٤)، وخلطوا في استقدامهم للخبرات من مصر باستقدامهم لأنواع الملاهي وأسباب الترويح(٥).

وحاكى الرسوليون المماليك في ولعهم بالصيد(٦)، وسائر الألعاب كالفروسية والكرة والصولجان والشطرنج والرماية وامتلاك الحيوانات والتسلي بها(٧). ومن العادات الموازية للمصريين عادة السبوت التي جاءت "مضاهاة لعيد الربيع... في مصر"(٨)، وفي حفلات الختان وبذخها(٩)، وفي مراسم العزاء والوفاة، وحاكوهم في دفن موتاهم في مدارسهم التي أنشؤوها(١٠)، وإن كانت مناسبات الوفاة لبعض سلاطين مصر تستدعي إقامة مراسم عزاء في اليمن وإرسال التعازي(١١).

---

(١) الحبشي: حياة الأدب، ص٢٣.

(٢) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٧.

(٣) هدبل، طه حسين عوض: الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م)، أطروحة دكتوراه، جامعة صنعاء، كلية الآداب، صنعاء ٢٠٠٧م، ص٤٤٧.

(٤) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٨٦١/١.، الخزرجي: العقود ٦٩/١، ٢٠٠/٢.، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٦.، الحبشي: حياة الأدب، ص ص٢٣-٢٤.

(٥) ينظر: الخزرجي: العسجد، ص٣٢٩.، حسن إبراهيم سعيد: البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣، ص٧٧.

(٦) ينظر: الناشري: انتهاز الفرص، ص٦.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٧٠/٩، شحاتة: القاهرة، ص١٩٢.

(٧) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٨٢٩/١-٨٣٠.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣١١/٧، ١٠٢/٨، ٦٧/١٢.، هديل: الحياة الاجتماعية، ص ص٢٣١-٢٣٣.، محمد حمزة: السلطان قلاوون، ص ص٥٨-٥٩.

(٨) جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٠٠.، وينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص١٤٤.، الخزرجي: العقود ٢٤٤/١.

(٩) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٨٥/١-٧٨٦.، الخزرجي: العقود ١٩٤/٢-١٩٩.، هديل: الحياة الاجتماعية، ص ص٢٥٦-٢٥٨.

(١٠) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٣ (حجازي).، المقريزي: المختار من الخطط، ص٩٥.، الخزرجي: العقود ٢٥٩/٢.، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٢٥٤.

(١١) ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٣٥٧/٧-٣٥٨، الخزرجي: العقود ٢٥١/٢.

ثانياً: الزواج المتبادل ومراسيمه بين البلدين:

شكل التزاوج بين مصريين ويمنيات أو العكس، مظهراً اجتماعياً للتمازج بين البلدين والذي رافق تأسيس الدولة الرسولية، حيث "كان السلاطين والأمراء الغُز... يتزوجون من نساء الغُز اللاتي جُلبن من مصر والشام"[١]، ثم غدا زواج مصريين بيمنيات أو يمنيين بنساء مصريات مشهداً متكرراً على طول حاكمية الرسوليين لليمن، كزواج أحد السلاطين الرسوليين بإحدى الأميرات المملوكيات، أو زواج قاضي يمني بإحدى المصريات، أو زواج إبنة أحد الوزراء الرسوليين على أحد الوافدين المصريين[٢].

وثمة حالات زواج أخرى كزواج أميرة رسولية بأمير مملوكي، أو تاجر كارمي بإحدى المصريات، أو وافد مصري بإحدى بنات العامة في اليمن[٣].

وفي ظني أنه مع التسليم بحدوث تأثيرات اجتماعية في البلدين بفعل تعدد حالات التزاوج فإنه – كذلك – ساهم في تبادل التأثيرات والتشابه في مراسم الزواج وتكاليفه على المستويين الخاص والعام[٤].

ثالثاً: تبادل التأثيرات في الملابس والأطعمة والأشربة:

١ – الملابس والمنسوجات:

حيث "استخدمت المنسوجات القطنية الواردة على مصر في عصر المماليك من اليمن وخاصة سحولي للتطريز بالخيوط الحريرية والمعدنية"[٥]، ولبست في اليمن الملابس الحريرية المذهبة التي كانت تلبس في مصر[٦]، وكذا المطرزة والمطعمة بالفضة[٧]. كما تأثرت الملبوسات اليمنية بالملبوسات المصرية، كالطُرح، الملاءة النسائية، والأقبية، والأحزمة[٨]. وبالمقابل تدفقت

---

(١) شايف: الحياة الاجتماعية، ص٤٧.

(٢) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٦ (حجازي).، ابن حجر: الدرر ١٤٩/٢، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٦٥.

(٣) عن هذه الحالات ينظر: الجندي: السلوك ٢٥٢/٢-٢٥٣، الأدفوي: الطالع السعيد، ص٦٣٥.، الأفضل: العطايا السنية، ص٦٠٣.

(٤) للمقارنة ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٦٥/٧-١٦٦، ٥٢/١٢-٥٣، ٢٩٧-٢٩٨.، الجندي: السلوك ٢٦٢/٢، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص٧.

(٥) سامي إمام: المنسوجات القبطية، ص١١٠.، وينظر: أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٢٩٣.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقود ٢١١/١، المقريزي: السلوك، ق٣، ٨٣٠/١، ٨٦٥.، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٥.

(٧) ينظر: سامي إمام: المنسوجات القبطية، ص١١٠.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٢٩٣.

(٨) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٨(حجازي).، جازم: نور المعارف ١١/١، ١٦١/٢.، شحاتة: القاهرة، ص١٩١، محمد حمزة: السلطان قلاوون، ص٦٢.

الأقمشة اليمنية على مصر حتى وصل مصر قادماً من اليمن في ذات مرة "قماش حُمـل علـى مائة قفص"[(١)]

وللدلالة على التأثيرات المتبادلة في هذا المجال، نشير إلى مشهدين مختلفـين، أحـدهما في مصر، والآخر في اليمن، فأما الأول فأورده ابن فضل الله العمري ووصف فيـه زي أحـد القادة الرسوليين في مصر الذي كان لابساً أحد الأقبية الإسلامية ضيقة الأكمام وعلـى رأسـه تخفيفة – غطاء رأس – وخُف من القماش الحرير، فجاء "إلى مصر وأقـام بهـا وهـو بهـذا الزي"[(٢)]. والمشهد الثاني يورده لنا السخاوي في ترجمته لوافد مصري إلى اليمن حيث يقـول: "...أقام مدة بزبيد بزي الجند ثم تحول لزي الفقهاء"[(٣)].

٢ - الأطعمة والأشربة والأسمطة:

أما تأثيرات المماليك على الرسوليين في الأطعمة والأشربة، فقد "قلدوهم في... الاهتمام بتنوع الأطعمة والحلويات"[(٤)]، فتشبهوا بهم في مد الأسمطة الحافلة بألوان الأطعمة والأشربة[(٥)].

ومن الطريف الإشارة إلى تعليق الخزرجي على ترف أحد تلك الأسمطة عنـدما قـال: "كان سماطاً حسناً فيه من أنواع الطبائخ والألوان والأطعمة ما لا يعرف أكثره"[(٦)]، ومثل ذلـك الترف في الأسمطة كان شائعاً في مصر حتى أن أحد سلاطينهم "كان يذبح في سماطه كل يـوم خمسين رأساً من الغنم وفرساً لابد منه خارجاً عن الدجاج والأوز والحلوى"[(٧)]، كما اشتملت تلك التأثيرات على انتقال أدوات الطهي والبهار وأصناف الحلوى[(٨)].

ويبدو أن ذلك التنوع في الأطعمة والأشربة في البلدين كان دلالة على ترف سـلاطين البلدين المنبثق من الازدهار اقتصادي وانتعاش المظاهر الاجتماعية.

---

(١) المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٢٩/١.

(٢) مسالك الأبصار، ص٥٢.

(٣) الضوء ١٢٩/٤.

(٤) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٨.

(٥) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهـرة ١٦٥/٧-١٦٦، ٢٠/١٠.، الخزرجـي: العقـود ٢٠٠/٢، ابـن بطوطة: تحفة النظار، ص١٤٦.

(٦) العقود ٢٠٠/٢، وينظر: جازم: نور المعارف ٢/٢-٤.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٠/١٠.

(٨) ينظر: الأدفوي: الطالع السعيد، ص٤٣.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦٦/١٢-٦٧، ابـن فضـل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٥٥، ٥٨.

رابعاً: توازي السُلم الاجتماعي والاستيطان في البلدين:

١- السُلم الاجتماعي:

إذ كان مماليك مصر قد حرصوا على "شيوع نظام الطوائف"(١)، فالحال كذلك في اليمن الذي شهد شيوع نظام الطبقات في السُلم الاجتماعي(٢)، وإن كان قد اتسم بـ"مرونة التشكيلة الاجتماعية الطبقية"(٣).

وبقراءة بعض مفردات السُلم الاجتماعي للبلدين نجد ثمة تشابه في طبقاته الرئيسة أبرزها شريحة المماليك، فقد "جلب الرسوليون المماليك من مصر والشام وامتلأت قصور السلاطين والأمراء والأثرياء بالمماليك"(٤)، وذات الفئة في مصر – أساس دولتهم – التي شكلت شريحة ضاغطة ومؤثرة على السُلم الاجتماعي(٥)، وثمة طبقة ثانية هي الأشراف "ذوي النسب المطلق"(٦)، الذين شكلوا بُعداً مركزياً ومؤثراً في البلدين(٧).

كما حفل السُلم الاجتماعي للبلدين بطائفة الذميين وعلى نحو أخص اليهود منهم والذين ساهموا في تعزيز الصلات سواءً فيما بينهم في البلدين كطائفة ذات معتقد واحد، أو بين البلدين بشكل عام(٨)، فضلاً عن الفئات الأخرى من الحرفيين والمهنيين والصناع والتجار والرقيق، الذين شغلوا حيزاً في السلم الاجتماعي للبلدين وأثروا في مسيرة الصلات بينهما(٩).

٢- الاستيطان:

ويرتبط بالسُلم الاجتماعي ظاهرة اجتماعية شكلت بيئة خصبة لتبادل التأثيرات، هي ظاهرة الاستيطان، فقد شهد اليمن استيطان أفراد وأسر مصرية، إما بشكل مؤقت أو بشكل دائم(١٠)، وبالمقابل شهدت مصر استيطان أسر أو أفراد من اليمن إما بشكل مؤقت أو دائم(١١).

---

(١) شحاتة: القاهرة، ص٢١١، وينظر: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ٢٨٦/١١، ٤/١٢.

(٢) ينظر: شايف: الحياة الاجتماعية، ص ص٤٦-٤٧.، هديل: الحياة الاجتماعية، ص٤٤٦.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٤٥١-٤٧٥.

(٣) هديل: الحياة الاجتماعية، ص٤٤٧.

(٤) شايف: الحياة الاجتماعية، ص٤٦.، وينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٤٨٥.، الخزرجي: العقود ٢٤٤/١.

(٥) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٨٧٥/١-٨٧٦.، قاسم عبده قاسم: في الأيوبيين والمماليك، ص ص١٦١-١٦٤.

(٦) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص١٣٦.

(٧) ينظر: القلقشندي: نهاية الإرب، ص١٢٥.، ابن الأنف: روضة الأخبار، ص٢٥.، الكبسي: اللطائف السنية، ص١٩٥.، ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٢٨.

(٨) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٤٣/٢، المقريزي: المختار من الخطط، ص ص١٦٥-١٦٧، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٤٢٥-٤٢٦.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص٢٨-٢٩.

(٩) عن تلك الفئات ينظر: الخزرجي: العسجد، ص٣١٢.، ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة٢٢٦/٨، هديل: الحياة الاجتماعية، ص٤٤٦.

(١٠) ينظر: السخاوي: الضوء ١٢٩/٤، ٢٨١.، الأفضل: العطايا السنية، ص٦٠٣.، بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٧٠/٣، الخزرجي: العقود ٨٢/١.

(١١) ينظر: بامخرمة: قلادة النحر ٣١٥١/٣، القلقشندي: نهاية الإرب، ص ص١٩١-١٩٢.، محمود السيد: القبائل العربية، ص ص٤٠-٤٦.

خامساً: هجرة الأسماء والألقاب:(*)

كانت تلك الهجرة نتاجاً طبيعياً للتنامي المطرد في الصلات الحضارية بين البلدين عموماً، والاجتماعية منها على نحو أخص، فوفدت إلى اليمن الألقاب العلمية ذات الطابع التفخيمي كتاج الدين، وغرس الدين وغيرها[١]، وسميت العمائر الدينية والمدنية بمسميات مصرية كالمدارس والخانقاوات والقرافات وقصور السلاطين[٢]. كذا تسمية بعض الأدوات والمواد ووحدات القياس والعملة بنسبتها إلى الإقليم المصري أو أحد مُدنه كالحرير القوصي والمداد المصري والمن المصري والدينار المصري[٣]، فضلاً عن وفود الأسماء والألقاب الأعجمية – ذات المنطوق الأعجمي – والسائدة في مصر المملوكية[٤].

وبالمقابل فقد تلقب مصريين بأسماء يمنية كاليمني، الزبيدي، والحميري، والخولاني[٥]، وتسمية بعض العمائر الدينية بمسميات يمنية كمصلى خولان[٦]، فضلاً عن تسمية بعض المنسوجات بالسحولية، وبعض الأدوات كقدر البرام، ونسبة بعض الحيوانات(**) إلى مناطق يمنية[٧].

وعليه فإن الصلات الاجتماعية لم تكن ذات وجه واحد بقدر ما كانت متعددة الأوجه، سواء منها ما ارتبطت بالعادات والتقاليد أو بالزواج وتشابه مراسمه في البلدين أو في الملبوسات والمنسوجات والأطعمة والأشربة أو من خلال تشابه السُلم الاجتماعي والهجرة المتبادلة للأسماء والألقاب.

(*) شهد ذلك العصر تطور فن المؤتلف والمختلف في الأسماء والألقاب، وذلك لرغبتهم بالمزيد من الضبط والتدقيق. ينظر: إبن الصابوني، جمال الدين بن محمود المحمودي (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م): تكملة الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٦م، ص ص٧-٨.،

(١) ينظر: الجندي: السلوك ١٧٢/٢، ٢٥٠.، بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٨٣/٣، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٨٧/١١، الأفضل: العطايا السنية، ص٥٠٠.

(٢) ينظر: بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٢١١.، الخزرجي: العقود ١٠٦/٢-١٠٧، ابن الديبع: قرة العيون ٣٩١/١.

(٣) ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص٧٠.، جازم: نور المعارف ٢٦٧/١-٢٦٨، ٤٣٥.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٤٢٠، ٤٤٣.

(٤) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٤٨/١١، الخزرجي: العقود ١٥٤/٢، ٢٠٩.، فنيشيا بورنر: الزجاج المزخرف، ص٦٧.

(٥) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢٠٦/١-٢٠٧، ٢٩١، ٣٥/٣.، الأدفوي: الطالع السعيد، ص٦٩.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣٤٦/٧.

(٦) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣١٥/١، المقريزي: المختار من الخطط، ص١٤٧.

(**) ككلاب الصيد السلوقية، نسبها المحقق إلى أحد مناطق اليمن. ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٠/١٠-١١ (هامش المحقق).

(٧) عن تلك التسميات ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص١٠٦.، الأدفوي: الطالع السعيد، ص٤٣.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٠/١٠-١١، سامي إمام: المنسوجات القبطية، ص١١٠.

الفصل الثاني

الصلات الفكرية بين اليمن ومصر

أ) الوافدون من المصريين إلى اليمن وأثرهم الفكري:

أتاح التكوين الثقافي لليمن في عصر الدولة الرسولية أن يكون "للعلماء الوافدين إلى اليمن دور كبير في إثراء الحياة الفكرية"[١] فيها، وبفعل سياسة الانفتاح التي انتهجها سلاطين بني رسول غدت "اليمن في هذا العصر منطقة جذب واستقطاب لكثير من العلماء الوافدين"[٢]، ويأتي في طليعة أولئك الوافدين علماء مصر على تنوع مشاربهم الثقافية، وسعة علومهم، وخبراتهم[٣]. وبطبيعة الحال تنوعت أشكال إقامتهم في اليمن، بين من أتخذ اليمن مستقراً دائماً حتى وفاته، وبين من اتخذها مقراً مؤقتاً استفاد وأفاد واستجاز وأجاز ثم رحل[٤]. ومن أبرز نماذج الوافدين المصريين إلى اليمن آنذاك:

- القاضي الرشيد ذو النون محمد بن ذي النون المصري الإخميمي (ت٦٦٣هـ/١٢٦٤م): كان من أعيان الزمان، قدم إلى اليمن صحبة الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل الأيوبي، وولي عدن عدة مرات، ثم ولي الوزارة للمنصور عمر بن علي بن رسول (مؤسس الدولة) ومن آثاره على المشهد الثقافي والعلمي بنائه للمدرسة الرشيدية بذي عدينة بتعز، وجدد مسجداً عندها، وظل على رئاسته حتى وفاته في اليمن سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م)[٥].

- محمد بن أحمد بن علي المكي المصري الشهير بقطب الدين القسطلاني(ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م): زاهد مصر، المحدث الشهير بها، تنقل بين بغداد ومصر والشام، ثم دخل اليمن وأخذ على

---

(١) الحداد، عبدالله عبدالسلام: المدرسة اليمنية نشأتها وظائفها عمارتها أنواعها، مجلة المنهل، مج٦١، ع٥٧١، فبراير ٢٠٠١م، ص١١٥.

(٢) الأشرف إسماعيل: فاكهة الزمن، ص ص٢٢-٢٣ (مقدمة التحقيق).، وينظر: الجندي: السلوك ٤٢/١، ٤٣٢/٢.، ابن حجر: إنباء الغمر ٢٨٦/٣.

(٣) عن ذلك التنوع ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٣٦/١٠، الجندي: السلوك١٤٤/٢-١٤٥، ٤٣٢.، ابن حجر: الدرر ٣٦٤/٢-٣٦٥.، السخاوي: الضوء ٢٨١/٤.

(٤) عن النوعين ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٣٩.، المقريزي: السلوك، ق٣، ٩٠٤/١.، الخزرجي: العقود ٥٣/٢.

(٥) عن ترجمته وآثاره ينظر: جازم: نور المعارف ٤٣/٢-٤٤ (المتن والهامش)، إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص ص٣٣-٣٤.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٧٦.

أهل العلم بها، تميز بالحفظ والإتقان، كان من الذين اعتنوا بعلماء اليمن وترجم لهم، وصنف كتاباً في تاريخ اليمن أسماه (فواصل الزمن في فضائل اليمن)، وكذا مختصرٌ في علم الحديث، ثم رحل إلى مصر وولي مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة، واستقر بها حتى وفاته سنة (٦٨٦هـ/١٢٨٧م)، وبلغ مبلغاً كبيراً في ثرائه العلمي، حتى قيل: كان له ألف شيخ[١].

- الأديب محمد بن تميم الاسكندراني (ت٧١٥هـ/١٣١٥م): كان بارعاً في الإنشاء والأدب، استقدمه المؤيد وأسند إليه كتابة الإنشاء، وهو ذات العمل الذي كان يشغله لأحد سلاطين الهند، وفضلاً عن أثره في كتابة الإنشاء – كما سلف – فقد برز أثره الفكري كذلك في تصنيفه لعدد من المقامات الأدبية أثناء مقامه في اليمن، كما خلف العديد من الموشحات البديعية، أستمر على عطائه الفكري في اليمن حتى وفاته سنة (٧١٥هـ/١٣١٥م)[٢].

- حسن بن أحمد بن نصر بن علي، الشهير بمختار الدولة (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م): كان وزيراً لأحد العبيدين خلفاء مصر الفاطميين، قدم إلى اليمن آخر أيام المؤيد فلم يصف له معه حال فسافر، ثم وفد مرة أخرى في عهد المجاهد، فجعله من جملة خواصه، فأقامه كاتباً للخزانة والإنشاء، وكان له تأثيراً بارزاً في البناء الفكري لليمن – آنذاك – لما تميز به من معرفة بالنحو والفلك والأصول والحساب والجبر والمقابلة[٣]. ولعل ذلك الأثر الموسوعي لمختار الدولة قد شد انتباه المؤرخ الجندي فأشار إليه بقوله: "لم أكن أجد في الغرباء المصريين له نظير في معرفة الفنون المذكورة وعلو الهمة"[٤].

- القاضي صدر الدين أبو الربيع سليمان بن داوود بن محمد الحنفي (ت٧٦١هـ/١٣٥٩م): كان إماماً بارعاً، تنقل بين مصر والعراق وخراسان والحجاز واليمن، ليستقر في المهجم، وكان متنوعاً في عطائه الفكري بين الإفتاء والتدريس وكتابة الإنشاء والشعر، ناهيك عن براعته في النظر في الأحكام، توفي في المهجم سنة (٧٦١هـ/١٣٥٩م)[٥].

---

(١) عن ترجمته وآثاره ينظر: بامخرمة: قلادة النحر ٣/٣٠٦٦-٣٠٦٧، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص١٦٩.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٥.

(٢) عن ترجمته وآثاره ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٢/١٥٨.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٩.، العبادي: الحياة العلمية، ص٤٣٣.

(٣) عن ترجمته وآثاره ينظر: الجندي: السلوك ٢/١٤٤-١٤٥، الأفضل: العطايا السنية، ص٣٠٨.، الخزرجي: العقود ١/٣٥٤، ٢/٥٣.

(٤) السلوك ٢/١٤٥.

(٥) عن ترجمته وآثاره ينظر: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ١٠/٣٣٦-٣٣٧ (المتن والهامش)، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٧.، ابن حجر: الدرر ٢/١٤٩-١٥٠.

- عبداللطيف بن أبي بكر بن أحمد الشرجي (ت٨٠٢هـ/١٣٩٩م): كان أحد أئمة العربية، شيخ نحاة مصر وإمامهم في عصره، دخل اليمن وأقام بزبيد فعرف بنزيل زبيد، إشتغل بالتدريس حتى ذاع صيته فاستدعاه الأشرف إلى مجلسه والتمس منه شرح أحد المصنفات النحوية، وصنف مصنفات انتفع بها أهل اليمن، كنظم مقدمة ابن بابشاذ، وشرح ملحة الإعراب، ومصنفاً في الفلك وغيرها من المصنفات النحوية، حتى توفي في اليمن سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م)(١).

- القاضي بدرالدين محمد بن أبي بكر المخزومي الدماميني الاسكندراني (ت٨٢٧هـ/١٤٢٤م): وفد إلى اليمن سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م) في عهد السلطان الناصر، وكان له باع في غالب العلوم، وإن كان متضلعاً في الأدب، ساهم بإثراء الساحة الفكرية من خلال مؤلفاته التي منها (المثني على كتاب المغني)، كذا عمله في التدريس بالمدرسة المعتبية، مناظراته ومطارحاته الشعرية، ناهيك عن اشتغاله في الخطابة بالجامع المظفري بذي عدينة(٢).

- شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الكناني الشافعي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): إمام الحفاظ في زمانه، عانى أولاً الأدب وعلم الشعر ثم طلب الحديث فبرع في جميع فنونه، انتهت إليه الرياسة في علم الحديث ومعظم العلوم(٣)، وانتشرت كتبه في حياته وحظيت باهتمام الخاص والعام، وولي قضاء مصر مرات عديدة(٤). وكانت له إلى اليمن رحلتين، الأولى سنة (٨٠٠هـ/١٣٩٧م)(٥)، والثانية سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م)(٦)، وخلال تلك الرحلتين ترك بصماته الفكرية واضحة جلية على المشهد الثقافي في اليمن، سواءً بإقباله على التأليف في اليمن، أو اجتماعه بالعلماء ومناظرتهم ومطارحتهم الشعر،

---

(١) عن ترجمته وآثاره ينظر: السيوطي: الحافظ جلال الدين عبدالرحمن (ت٩١١هـ/١٦٠٢م): بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط٢، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م، ج٢، ص١٠٧.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨١.

(٢) عن ترجمته وآثاره ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٤٣-٣٤٤.، بامخرمة: ثغر عدن ٢٠٦/٢، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٨.، العبادي: الحياة العلمية، ص٤٣٧.

(٣) ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة ٣١٠/١، البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٣٩-٣٤٠.، الشوكاني: البدر الطالع ٦١/١-٦٢.

(٤) ينظر: ابن حجر: رفع الإصر، ص٦٤.، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٢٧٨.، الشوكاني: البدر الطالع ٦١/١-٦٢.، السيوطي: حسن المحاضرة ٣١٠/١.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٥.

(٥) ينظر: محمد كمال عز الدين: التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، دار إقراء، بيروت ١٩٨٤م، ص١٢٠.

(٦) ينظر: إسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص٢٢.، محمد كمال: التاريخ والمنهج، ص ص١٢٥-١٢٦.

وتبادل الإجازات[1]، أو بتزويد المكتبة اليمنية بالكتب القيمة، واختصاره لمؤلفات يمنية، وتخريجه لمؤلفات في الحديث لآخرين[2].

ومما ينبغي الإشارة إليه، أن الساحة الفكرية في اليمن قد حفلت بأعلام مصريين آخرين، كالعماد الاسكندري كان حياً (٦٦٥هـ/١٢٦٦م)[3]، والقاضي تاج الدين بن بنت الأعز الشافعي (ت٦٩٩هـ/١٢٩٩م)[4]، والأديب النحوي شعبان بن محمد بن داوود المصري (ت٨٢٨هـ/١٤٢٤م)[5]، والعلامة محمد بن أبي بكر المصري (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م)، والإمام المحدث أحمد بن عُمر الأنصاري الشاذلي المصري (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م)[6].

وعليه فقد شكل الوافدون المصريون صورة مبهجة من صور التفاعل والتمازج الفكري مع اليمن بما حملوه من علوم ومصنفات، وما شيدوه من صروح فكرية، وما عقدوه من مجالس علمية ودرسية، وما تبادلوه مع علماء اليمن من مطارحات شعرية، ومناظرات علمية، ومكاتبات ومؤلفات، الأمر الذي جعل من الوافدين وسيطاً رئيساً ومباشر في منظومة التأثيرات الفكرية المتبادلة بين البلدين.

---

(١) ينظر: ابن حجر: إنباء الغمر ٢٨٦/٣، السخاوي: الضوء ١٥٣/٤-١٥٤، البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٣٩-٣٤٠.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ٥٨٥.

(٢) ينظر: السخاوي: الضوء ١٤٦/٣-١٤٧، ١٥٩/٤.، محمد كمال: التاريخ والمنهج، ص ص١٢٢-١٢٣، ١٢٦.، إسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص٢٢.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٤٦/١، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٢٣٤-٢٣٥.، بامخرمة: ثغر عدن ١١٧/٢.

(٤) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٩٠٤/١.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٨٩/٨-١٩٠.

(٥) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٤.، العبادي: الحياة العلمية، ص٤٣٨.

(٦) ينظر: أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٤.، العبادي: الحياة العلمية، ص٤٣٧.

ب) الرحلات العلمية لليمنيين إلى مصر وأثرها الفكري:

كانت الرحلة لطلب العلم في ذلك العصر سمة بارزة ومظهراً مهماً "لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[1] بموافاتهم في بلدانهم وإن كانت نائية عن بلد الطالب والتي "كان يلجأ إلى الرحلة إليها بعد استكمال ثقافته المحلية"[2]، وهو ما دأب عليه طلاب العلم سواء في مصر أو في اليمن[3]، لاسيما وقد تمتعت مصر المملوكية بمركزية علمية استقطبت فئتين علميتين من اليمن، الأولى كانوا علماء لهم ثقلهم العلمي في اليمن فشدوا الرحال نحو مصر ليستفيدوا ويفيدوا[4]، الثانية كانوا طلاب علم استهوتهم المراكز العلمية في مصر الزاخرة بفنونه المختلفة[5]. وبلغت تلك الرحلات في زخمها حد تسمية أحد أروقة الأزهر العلمية برواق اليمانية[6]. ومن أبرز المرتحلين إلى مصر من الفئتين للإفادة والاستفادة:

- أبو الربيع سليمان بن محمد بن الشيخ عمران الصوفي المولود سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م): كان فقيهاً فاضلاً، نقالاً للعلم، حافظاً له، تفقه بعُمر بن مسعود العقيبي وأبي بكر الجناحي، وبعد أن تشبع بعلوم اليمن تقدم إلى مصر لطلب العلم، وتوفي هناك ولم يُعرف تاريخ وفاته[7].

- علي بن جابر بن علي بن موسى اليماني الهاشمي (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م): يبدو أن شغفه بالرحلات العلمية جاء من خلال تأثره بوالده جابر الذي عرف عنه ذلك[8]. فبعد أن استكمل عليٌّ هذا سماعاته في اليمن تنقل بين الأقطار، ومنها مصر، وسمع من علمائها كالعز

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٥٤١.، وينظر: الخزرجي: العقود ٢٤٨/١، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص ص١٠٣-١٠٤.

(٢) ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تح: محمد بن عبادي، مكتبة الصفاء، القاهرة ٢٠٠٥م، ص١٠ (مقدمة التحقيق).

(٣) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٧١/٧، الأفضل: العطايا السنية، ص٢١٣.، ابن حجر: بلوغ المرام، ص١٠ (مقدمة التحقيق).

(٤) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣١٥/٢-٣١٨، بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٦٩/٣-٣٤٧٠، السخاوي: الضوء ٩١/٤.

(٥) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٣٣.، السخاوي: الضوء ٣١٠/٤، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٩٤.، جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٩٨.

(٦) ينظر: السخاوي: الضوء ٢٨١/٤.

(٧) عن ترجمته ورحلاته ينظر: الجندي: السلوك ١٧٦/٢، بامخرمة: قلادة النحر ٣١٥١/٣.

(٨) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٠٠/٣، ابن حجر: الدرر ٣٥/٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٦٥.

الحراني وكان له مطارحات علمية وشعرية وبلغت تأثيراته الفكرية أن خلف وراءه خزانة كتب قوامها ستة آلاف مجلدة(١).

- تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني (ت٧٤٣هـ/١٣٤٣م): يعد أكثر علماء اليمن، في تلك الفترة، ارتباطاً بمصر والشام، وشاهداً تاريخياً على تبادل التأثيرات الفكرية بين البلدين(٢)، فبعد أن تلقى علومه في نشأته في اليمن والحجاز، لم يفلح في تحقيق طموحاته السياسية بتوليه كتابة الإنشاء للمؤيد الرسولي(٣)، فرحل إلى مصر والشام فجالس العلماء هنالك وأخذ عنهم وأخذوا عنه وفرحوا بقدومه، وتقلد شهادة المُرستان، درس في المشهد النفيسي، وخلال تلك الرحلات أثرى إبن عبدالمجيد الساحة الفكرية في مصر نثراً، وشعراً، تاريخاً ولغة، وكان لديهم حسن المحاضرة، جميل الهيئة لا تمل مجالس صحبته(٤).

- الفقيه الشهاب الصنعاني اليمني (ت٧٣٥هـ/١٣٣٤م): شد الرحال إلى دمشق فاتخذها موطناً لفترة طويلة ثم "قدم إلى القاهرة فنزلها وتأهل بها، وتولى بعض المناصب القضائية فيها وصنف عدة مصنفات في الفقه واللغة والعروض وغيرها"(٥).

- عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م): تلقى علومه بين اليمن والحجاز حتى صار من كبار أعلام الفقه والتصوف في عصره، ثم جاور بمكة، ثم قصد الديار المصرية التي دخلها مُخفياً أمره، فزار مشاهدها وحضر في مجالس شيوخها في عدد من المدن المصرية، ثم عاد بعدها إلى اليمن، ثم غادرها إلى مكة لتفيض روحُه هناك سنة (٧٦٨هـ/١٣٦٦م) بعد أن شكلت رحلاته العلمية وسيطاً مهماً ورابطاً علمياً مع أشهر الحواضر العلمية بما فيها المصرية(٦).

---

(١) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣/٣٥-٣٦.

(٢) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢، ١٤٦-١٤٨ (حجازي)،. أبي الفداء: المختصر ٤/١٥٥، الحبشي: مصادر الفكر، ص٣٢٣.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ١/٢٩٩، الشوكاني: البدر الطالع ١/٢٢٢.

(٤) عن ترجمته ورحلاته ينظر: ابن حجر: الدرر ٢/٣١٥-٣١٨، بامخرمة: ثغر عدن ٢/٢٥١-٢٥٢، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢، ١٤٦-١٤٨ (حجازي)، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/١٠٤.

(٥) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٥٦٥-٥٦٦.

(٦) عن ترجمته ورحلاته ينظر: بامخرمة: قلادة النحر: ٣/٣٤٦٩-٣٤٧١، ابن حجر: الدرر ٢/٢٤٧-٢٤٨، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٦٦.، جرادة: الأدب والثقافة، ص ص٢٤٨-٢٤٩.

- عبدالله(*) بن محمد بن عبدالله بن خليل اليمني (ت٧٧٧هـ/١٣٧٥م): إرتحل إلى مصر لدراسة الفقه الشافعي، فعُرف بالقاهرة باليمني، فتشبع بعلوم مصر، سلك مسلك الزهاد حتى صارت له الرياسة في الزهد، وتقلد مشيخة الخانقاه الكريمية، سمع منه بعضاً من علماء مصر والرحالة إليها، لما تمتع به من جودة في الفقه، وقوة في الذاكرة، وغزارة في العلم، حتى توفي هناك سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م)(١).

- الإمام شرف الدين أبو القاسم بن موسى الصريفي الذؤالي، توفي بعد سنة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م): برع في الأصول والفقه والعربية، درس وأفتى وصنف كتباً كثيرةً، وبعد أن حج سافر إلى مصر وأشتهر فيها وطار إسمه وأضيفت إليه بعض الولايات اللائقة بحاله ودرس في المنصورية، وأقام في مصر معززاً حتى وفاته بعد سنة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م)(٢).

- عبدالرحمن بن عبدالوهاب بن عبدالله بن أسعد بن العفيف اليافعي (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م): بعد أن سمع من علماء الحجاز وأجازوه "دخل مصر وناب في الإمامة بالمقام عند عبدالهادي الطبري"(٣).

ينبغي الإشارة إلى أمرين مهمين يتعلقان بالرحلات العلمية إلى مصر، الأول: أن تلك الرحلات العلمية ظلت متواصلة حتى أُخريات أيام الدولة الرسولية، واستمرت بعدها، غير آبهة للمؤثرات السياسية ومؤشرات الانهيار(٤)، الثاني: أنها قد عززت الروابط الفكرية بين البلدين وساهمت في انتقال المصنفات والكتب(٥).

(*) يبدو أن الأمر قد التبس على أسامة حماد، فذكره بإسم محمد بن عبدالله، والأرجح كما هو عند ابن حجر، عبدالله بن محمد، ينظر: الدرر ٢/٢٩١، مظاهر الحضارة، ص٥٦٦.

(١) عن ترجمته وآثاره الفكرية ينظر: ابن حجر: الدرر ٢/٢٩١-٢٩٣؛ أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٦٦.

(٢) عن ترجمته ورحلاته العلمية ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٢٨٩-٢٩٠.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧١.، الحبشي: حياة الأدب، ص٦٥.

(٣) السخاوي: الضوء ٤/٩١.

(٤) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٣٣-٣٣٤.، السخاوي: الضوء ٤/٣١٠، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٦٩.

(٥) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢/٣١٥-٣١٨، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص ص١٤٦-١٤٨ (حجازي).، السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص٢٩٤-٢٩٥.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٥٥٨-٥٥٩، ٥٦٥.

ج) الصلات العلمية بين (العلماء – العلماء) و(السلاطين – العلماء) في اليمن ومصر:

أولاً: الصلات العلمية بين علماء البلدين:

ساق المؤرخون الكثير من الارتباطات العلمية بين علماء اليمن ومصر(١)، غير أن تلك الارتباطات لم تكن ذات طابع واحد بقدر ما كانت متعددة المسارات، والتي من أبرزها:

- تبادل الزيارات واللقاءات بينهما:

ومن تلك الزيارات واللقاءات ما قام به إبن عبدالمجيد (ت٧٤٣هـ/١٣٤٣م) في رحلتيه إلى مصر في سنة (٧٠٤هـ/١٣٠٤م)، وسنة (٧٣٠هـ/١٣٢٩م) من نسج علاقات وتواصل مع شهاب الدين النويري، ابن فضل الله العمري، الدمياطي، القاضي الفاضل، علم الدين القاسمي البرزالي، أبي الحسين بن ايبك(٢).

وبالمقابل قام ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) برحلتين إلى اليمن سنة (٨٠٠هـ/١٣٩٧م)، وسنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م) التقى خلالهما بعلماء يمنيين معاصرين أمثال شرف الدين اسماعيل بن المقري، ونفيس الدين العلوي، وإبن جُميع، والجمال المصري، والرضى بن المستأذن، والشرجي، وغيرهم(٣)، وكان قبل ذلك قد زار عبدالله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) مصر والتقى بمعاصريه من العلماء كحسين الجاكي، والشيخ عبدالله المنوفي، الفقيه محمد المرشدي(٤). ولم يقتصر الأمر على هؤلاء العلماء فحسب، بل إن من أبرز العلماء المصريين الذين كانت لهم علاقات علمية مع علماء يمنيين معاصرين لهم والتقوا بهم، قطب الدين القسطلاني (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م)، مختار الدولة (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م)، والسُبكي (ت٧٥٦هـ/١٣٥٥م)، والعز الحراني كان حياً سنة (٧٠٠هـ/١٣٠٠م)، وإبن الملقن (ت٨٠٤هـ/١٣٠٤م)، وبدر الدين الدماميني (ت٨٢٧هـ/١٤٢٤م)(٥).

---

(١) ينظر: إبن حجر: إنباء الغمر ٢٨٦/٣، نفسه: رفع الإصر، ص٦٣.، الجندي: السلوك ١٤٤/٢-١٤٥، البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٣٩-٣٥٢، طه أبو زيد: المُقري، ص ص٥٨-٥٩.

(٢) عن ذلك ينظر: ابن حجر: الدرر ٣١٥/٢-٣١٨، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٤، ١٤٢-١٤٨ (حجازي).، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٥.، جرادة: الأدب والثقافة، ص ص٢٨٢-٢٨٣.

(٣) عن ذلك ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٣٩-٣٤٠.، ابن حجر: الدرر ٣٣/٣.، السخاوي: الضوء ٣٢٥/٤، ابن العماد: شذرات الذهب ٩٦/٧، محمد عزالدين: المنهج والتاريخ، ص ص١١٩-١٢٥.

(٤) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢٤٧/٢-٢٤٨، بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٦٩/٣-٣٤٧١.

(٥) عن تلك اللقاءات ينظر: الجندي: السلوك ١٤٤/٢-١٤٥، ابن حجر: الدرر ٣٥/٣-٣٦، البريهي: صلحاء اليمن، ص ص ٣٤٣-٣٤٤، السخاوي: الضوء ٢٥٩/٣، بامخرمة: قلادة النحر ٣٠٦٦/٣-٣٠٦٧.

- المناظرات والمطارحات:

يغلب على المناظرات المنعقدة في تلك الفترة الطابع العلمي والفقهي(١)، ومنها ما قام به الإمام شهاب الدين أحمد بن عمر المصري (ت بعد ٨٢٠هـ/١٤١٧م) عندما "عقد العديد من المناظرات العلمية مع فقهاء زبيد وتعز وإب"(٢)، أو ما قام به ابن عبدالمجيد أثناء تواجده في مصر عندما "كان يحط على القاضي الفاضل ويرجح عليه ابن الأثير"(٣). وثمة وجه آخر للمناظرات بين علماء يمنيين ومصريين والذي يأتي على شكل مطارحات شعرية وألغاز – أحاجي – فقهية وشعرية(٤).

- الصُحبة العلمية والملازمة:

والتي يقوم بموجبها الطالب بملازمة شيخه وصُحبته حرصاً على كمال الفائدة، كصحبة الإمام شهاب الدين أحمد بن عمر المصري (ت بعد ٨٢٠هـ/١٤١٧م) للعلامة اليمني أحمد الرداد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، وأن شهاب الدين المصري المذكور سلفاً قد صحبه طالب علم من اليمن هو إبن كبن من ثغر عدن(٥). وبالمقابل فقد كانت هناك ملازمة من عبدالغفار بن نوح القوصي المصري للفقيه الصوفي حسن بن يوسف الزبيدي من أهل زبيد في اليمن(٦).

- تبادل الكتب – المصادر – وتذييل المؤلفات وتخريجها:

تبادل علماء البلدين المصادر إما نسخاً أو إستعارةً أو إهداءً أو طلباً لشرائها(٧)، أو التذييل على المؤلفات كما فعل ابن حجر العسقلاني مع تحفة الزمن للأهدل (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م)(٨)، أو تخريجه لأربعين حديثاً من كتاب محدث اليمن نفيس الدين

---

(١) عن ذلك النوع ينظر: الجندي: السلوك ٢/١٤٢-١٤٣، بامخرمة: قلادة النحر ٣/٣١٥٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٥.

(٢) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٤.

(٣) الشوكاني: البدر الطالع ١/٢٢٢، وينظر: ابن حجر: الدرر ٢/٣١٦.

(٤) عن هذا النوع ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٣٩-٣٤٠.، بامخرمة: ثغر عدن ٢/٢٠٦، أبو زيد: المقري، ص ص٥٨-٥٩.، الحبشي: حياة الأدب، ص ص١٥٠-١٥١.

(٥) عن الصحبتين ينظر: بامخرمة: ثغر عدن ٢/١٠-١١، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٤.

(٦) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢/٣٧٤.

(٧) ينظر: المصدر نفسه، ٢/١٠٠، ٣٦٤-٣٦٥، ٣/٣٥-٣٦.، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٢٨.، محمد عز الدين: التاريخ والمنهج، ص ١٢٢، ١٢٤-١٢٦.

(٨) ينظر: السخاوي: الضوء ٣/١٤٦-١٤٧، محمد كريم الشمري: من مؤرخي الدولة الرسولية في اليمن بدر الدين الحسين بن عبدالرحمن بن محمد بن علي الأهدل (٧٧٩-٨٥٥هـ/١٣٧٧-١٤٥١م)، ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية ١٥/١٠/٢٠٠١م، دار جامعة عدن للنشر، عدن ٢٠٠٣م، ص٧٧.

العلوي[١]. وكما حدث من تبادل في المصادر بين ابن عبدالمجيد وكلٍ من شهاب الدين النويري وابن فضل الله العمري[٢].

- **الترجمات لعلماء البلدين وتقييم المستويات العلمية:**

حرص علماء البلدين على تثبيت ترجمات علماء كلٍ منهما في طيات مؤلفاتهم، وإبراز مدى الصلات التي تربط صاحب الترجمة بالمؤلف أو بعلماء بلده[٣]، وعادة ما تكون تلك الترجمات مصحوبة بتقييمات علمية - إبداء الرأي - للمؤلف أو كتبه أو منهجه سواء كانت سلبية أو إيجابية[٤]. وإن كانت تلك التقييمات، في تقديري، تستهدف إيجاد معايير علمية يحاكم بها صاحب الترجمة ونتاجاته العلمية.

ثانياً: الصلات بين العلماء والسلاطين:

ارتبط سلاطين الدولة الرسولية بعلماء مصر حتى أن منهم من كان "محباً للعلوم مقرباً لأهلها... ويكرم من وفد عليه من الديار المصرية"[٥]، وقد تنوعت صور تلك الصلات كالآتي:

- **تلقى العلم على أيديهم ودعوتهم لمجالسهم العلمية:**

كالمجاهد عند دخوله "مصر وحضر عند سلطانها في جماعة الفقهاء... فدار معهم في كل فن وباحثهم في كل علم"[٦]، وهذا الأشرف إسماعيل الثاني يستدعي شيخ نحاة مصر عبداللطيف بن أحمد الشرجي (ت٨٠٢هـ/١٣٩٩م) إلى مجالسه العلمية ويدرس على يديه ويكلفه بمهام علمية[٧]، إلى غيرِ ذلك من ترغيب بني رسول لعلماء مصر وغيرهم في البقاء ودعوتهم لذلك[٨].

---

(١) ينظر: السخاوي: الضوء ٣/٢٥٩-٢٦٠، محمد عز الدين: التاريخ والمنهج، ص١٢٤.

(٢) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٤(حجازي).، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٥.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٤٣-١٤٤.

(٣) للاطلاع على نماذج ينظر: الجندي: السلوك ٢/١٤٤-١٤٥، ابن حجر: الدرر ٢/٣١٥-٣١٨، ٣/٣٣، السخاوي: الضوء ٣/١٤٦-١٤٧، ٤/٣٢٥.

(٤) للاطلاع على نماذج من ذلك ينظر: ابن حجر: الدرر ٢/٣١٨، ٣/٣٥-٣٦.، الجندي: السلوك ٢/١٤٥، السخاوي: الضوء ٣/٢٥٩-٢٦٠، العبادي: الحياة العلمية، ص٤٣٨.، طه أبو زيد: المقري، ص ص٧٥-٧٧.

(٥) ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٨(حجازي).، وينظر: الخزرجي: العسجد، ص٣٣٤.

(٦) الأفضل: العطايا السنية، ص٤٨٢.

(٧) ينظر: السيوطي: بغية الوعاة ٢/١٠٧، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨١.، محمد عزالدين: التاريخ والمنهج، ص١٢١.

(٨) ينظر: الجندي: السلوك ١/٤٢(مقدمة التحقيق)، الأشرف إسماعيل: فاكهة الزمن، ص٢٣(مقدمة التحقيق).، إسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص٢٢.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٠، ٥٨٣، ٥٨٧.

- تبادل الكتب مع السلاطين:

إما بطلبها من علماء مصر كما فعل السلطان المُظَفر مع قاضي مصر تاج الدين بن بنت الأعز عندما طلب منه أربع نسخ من تفسير القرآن الكريم لفخرالدين الرازي لمقابلتها مع نُسخه[١]، أو كما فعل السلطان هزبر الدين المؤيد عندما طلب من القاضي ابن البرهان الجرائحي (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) كتب طبية، أو بشرائه كتاب الأغاني بخط ياقوت المُستعصمي[٢]، أو عن طريق الإهداء كما فعل ابن حجر العسقلاني بإهدائه سلطان اليمن نسخة من خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب في أربع مجلدات[٣].

- التكليف بمهام علمية ووظيفية:

عمل سلاطين بني رسول على استقطاب العلماء المصريين لإثراء الساحة الفكرية باليمن وترغيبهم بالبقاء وتكليفهم بمهام علمية وتدريسية[٤]، أو وظيفية كالوزارة، الإنشاء والحسبة، وحتى إمامة المسجد[٥].

- الخلع والعطايا وتبادل المراسلات:

إذا كان سلاطين الدولة الرسولية قد أسبغوا نعمهم بالهدايا والعطايا على الوافدين من علماء مصر إلى اليمن والخلع عليهم[٦]، فإنهم سعوا كذلك إلى مد تلك العطايا والهدايا إلى علماء مصر الذين لم يحظوا بزيارة اليمن، كما فعل السلطان المظفر عندما أعطى هدية للفقيه بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة الجميزي (ت٦٤٩هـ/١٢٥١م)، وإن كانت تلك الهدية قد أغضبت سلطان مصر فأعرض عن الفقيه بهاء الدين[٧]. وكذلك الحال مع تقي الدين بن دقيق العيد القشيرى (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) إمام عصره والذي كانت له مكاتبات مع سلطان اليمن والذي كان يرسل إليه مائتي دينار كل سنة وذلك صحبة أحد تجار الكارم[٨].

---

(١) ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص٢٣(مقدمة التحقيق).، الخزرجي: العقود ٢٣٤/١.

(٢) ينظر: ابن فضل الله العُمري: مسالك الأبصار، ص٢٨.، ابن حجر: الدرر ١٠٠/٢، اسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص١٤.، الحبشي: حياة الأدب، ص٢٥.

(٣) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٦٥/٢، محمد عزالدين: التاريخ والمنهج، ص١٥.

(٤) ينظر: السيوطي: بغية الوعاة ١٠٧/٢، السخاوي: الضوء ١٠٩/٣-١١٠، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٠، ٥٨٨.

(٥) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ١٥٨/٢.، الخزرجي: العقود ٥٣/٢، ١٨٧، ٢٠٢-٢٠٣.، السخاوي: الضوء ٢١٢/٤، العبادي: الحياة العلمية، ص٤٣٧.

(٦) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٦٥/٢، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٨(حجازي).، البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٤.

(٧) عن الهدية وملابساتها ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٤/٧.

(٨) عن تلك المكاتبات والصلة السنوية ينظر: الادفوي: الطالع السعيد، ص ص٥٩٥-٥٩٦.

د) السماعات والإجازات بين اليمن ومصر:

تعد "الإجازات والسماعات مصدراً مهماً لرواية الحديث خاصة والعلوم عامة، وهي وثائق هامة لدراسة التراجم والتعريف بحال أصحابها وتاريخهم العلمي، والتعريف بشيوخهم ومروياتهم"(١). وبارتفاع وتيرة الرحلات العلمية بين مصر واليمن "حرص طلاب العلم من أهل اليمن على الحصول على إجازات هؤلاء العلماء لهم، ثم يعودون إلى بلادهم ويتبوأون كراسي التدريس والإفتاء بمعاهدها المختلفة"(٢)، بوصف الإجازة العلمية–وعلى امتداد التاريخ الإسلامي– ترتبط بالقيمة العلمية للعالم أو الفقيه أو الشيخ فمن لا إجازة له لا يؤخذ عنه(٣). ويمكن تناول مفهومي السماعات والإجازات بشكل منفرد وإن كانا يشكلان مفهومين متداخلين وذلك كالآتي:

أولاً: السماعات وتبادلها بين البلدين:

يعتبر السماع على الشيوخ مسألة تسبق حصول الطالب على الإجازة العلمية، والتي لا يتحصل عليها طالب العلم في الغالب إلا بعد جلوسه للسماع في فرعٍ من العلوم أو عدة أفرع(٤)، إلا أن تلك السماعات بين مصر واليمن لم تكن ترتبط بمستويات علمية محددة، فقد تكون سماعات متبادلة بين شيخين متكافئين في مجال العلم، كالسماع المتبادل بين شيخ الإسلام شهاب الدين بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) وبين محدث اليمن نفيس الدين العلوي (ت٨٢٥هـ/١٤٢٢م)(٥) على علو شأنهما في علم الحديث الذي انتهت إليهما رئاسة الحديث كل في بلده(٦)، وسماع متبادل بين إبن حجر – سالف الذكر – وعبداللطيف بن أحمد الشرجي (ت٨٠٢هـ/١٤٠٠م)(٧). وكذلك السماعات المتبادلة بين بعضٍ من علماء مصر وكلٌ من ابن عبدالمجيد (ت٧٤٣هـ/١٣٤٣م)، وعبدالله بن اسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، والمقري رضي الدين العدني (ت٨١٦هـ/١٤١٣م)(٨).

---

(١) ابن طولون، محمد بن علي الدمشقي (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م): نوادر الإجازات والسماعات، تح: مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق – بيروت ١٩٩٨م، ص٧(مقدمة التحقيق).

(٢) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٢.، وينظر: السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٩١.

(٣) ينظر: القرفور، محمد عبداللطيف: أدب الإجازات عند علماء المسلمين، مجلة الفيصل، ع٧٩، الرياض ١٤٠٤هـ، ص٧٠.

(٤) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٢٠٤، ٣٣٣.، ابن حجر: الدرر ٣٣/٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٤.

(٥) ينظر: ابن حجر: إنباء الغمر ٢٨٦/٣، السخاوي: الضوء ٢٥٩/٣–٢٦٠، محمد عزالدين: التاريخ والمنهج، ص١٢٤.

(٦) ينظر: الشوكاني: البدر الطالع ٦١/١، السيوطي: حسن المحاضرة ٣١٠/١، السخاوي: الضوء ٢٥٩/٣.

(٧) ينظر: ابن العماد: شذرات الذهب ٩٦/٧، محمد عزالدين: المنهج والتاريخ، ص١٢١.

(٨) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣١٥/٢–٣١٨، بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٧٠/٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٦٦، ٥٦٨.

وهناك ثمة سماعات أخرى لطلاب علم يمنيين انتهزوا فرصة وفود عدد من علماء مصر إلى اليمن فسمعوا عليهم وأخذوا العلم عنهم[١]، وبالمقابل سماع طلاب علم يمنيين في رحلاتهم إلى مصر على أيدي علماء مصريين في مجالسهم في مصر[٢].

ولا يعني ذلك، بطبيعة الحال، اشتراط السماع في أحد البلدين، فقد تتم في خارجهما معاً في مكة مثلاً، كما لا يعني أيضاً أن تلك السماعات اقتصرت على علم الحديث أو أصول الفقه فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى غيرهما من علوم القراءات والأدب والمنطق والبيان[٣]. ولتوثيق سماعاتهم – شأنهم في ذلك شأن طلاب المسلمين في التاريخ الإسلامي – يعمدون إلى "تسجيل السماعات على الكتب التي قرؤوها على الشيوخ"[٤].

ثانياً: الإجازات العلمية وأشكالها بين البلدين:

في "فترة حكم بني رسول عُرفت الإجازات العلمية[*] بشكل واسع في اليمن... وكان طلاب العلم في البلاد يرحلون إلى بعض الأقطار الإسلامية يأخذون العلم من علمائها ويحصلون على الإجازات ثم يعودون ليكملوا المسيرة التعليمية في بلادهم"[٥]. وكما تنوعت السماعات بين البلدين فكذلك تنوعت الإجازات، منها ما يمكن تسميته بالإجازة الخاصة والتي تمنح للمُجاز في كتاب بعينه أو في فرعٍ من العلوم أو طرفٍ من عدة علوم[٦]، وقد تكون إجازة عامة إما في كل ما سمعه من عالم بعينه في جميع مروياته وسماعاته (يحدث عنه بالرواية) وقد تكون غير محددة المعالم فتورد المصادر أن العالم الفلاني أجاز الطالب الفلاني فحسب[٧].

---

(١) ينظر: الجندي: السلوك ٤٢٥/٢، بامخرمة: قلادة النحر ٣١٢٨/٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٤.

(٢) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٣٣.، ابن حجر: الدرر ٣٥/٣-٣٦، بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٧٠/٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٦٧.

(٣) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٩٨/٧، الجندي: السلوك ٤٢٥/٢، السخاوي: الضوء ٢٥٩/٣، ٦٤/٤.، محمد عزالدين: المنهج والتاريخ، ص ص١٢١-١٢٣.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٦٨، ٥٧٠.

(٤) ابن طولون: نوادر الإجازات، ص٧(مقدمة التحقيق).

(*) الإجازة العلمية آنذاك تعادل الدرجة العلمية التي يتحصل عليها طلاب العلم اليوم.

(٥) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٤١.، وينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٣٣.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٦٩، ٥٧٢.

(٦) ينظر: السخاوي: الضوء ١٤٦/٣، الجندي: السلوك ٤٢٥/٢، البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٣٣.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٦٣٦-٦٣٧.

(٧) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٧٩/١، ١١٣/٢.، السخاوي: الضوء ٢٦٧/٣، ١٥٥/٤.، السيوطي: بغية الوعاة ٣٤٣/٢، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٦٧، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٨، ٦٣٧-٦٣٨.

ويمتد هذا التنوع ليشمل الصيغة التي كتبت بها تلك الإجازات، فقد تكون صيغة تلك الإجازات على شكل أبيات شعرية، كتلك الإجازة التي منحها الفقيه عبدالرحمن بن محمد بن يوسف العلوي اليمني (ت٨٠٣هـ/١٤٠١م) لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) والتي جاء فيها:

أجزت لسيد الإخوان طراً	شهاب الدين ذي الفضل الرفيع
رواية ما لنا فيه سماع	من الأصلين أيضاً والفروع
وجوهرنا الرفيع وما حواه	من العلم الملقب بالبديع
ومن سمى من السادات أيضاً	مجازاً مثل ما هو في الجميع
فأسأل من إله العرش عفواً	يعمُ الكل في يوم الرجوع
ونفعاً للجميع بما ذكرنا	وحفظاً من لدى الرب السميع
وحمدي الله مبتدئ وختمي	وأثني بالصلاة على الشفيع[1]

وإن كان الغالب على صيغ الإجازات في البلدين الصيغة النثرية الكتابية[2]. وثمة ملمحان يرتبطان بصياغة الإجازات سواءً كانت شعراً أم نثراً، الأول: إن تلك الإجازات كانت تكتب على ما كان يسمى بالإستدعاء يتقدم به الطلاب لشيخهم الذي سمعوا عليه[3]، والملمح الثاني: أن تلك الصياغات كانت تتضمن في الغالب أركاناً متعارف عليها هي المُجيز، المُجَاز لـه، لفظ الإجازة، الدعاء للمجاز والثناء عليه، والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم[4].

وعليه، فإنه في تقديري أن نصوص السماعات والإجازات بين مصر واليمن تحتاج إلى قراءات متعمقة في أبحاث الأكاديميين في البلدين، لكونها مثلت شاهداً – حفظته بطون المصادر نسبياً – معاصراً لمستويات وطبيعة الصلات العلمية بين البلدين، لاسيما وقد حرص أصحابها على تثبيتها في مقدمات الكتب التي تحصلوا على إجازات فيها، كتقليد علمي حرص علماء المسلمين على تثبيته[5].

---

(١) ينظر: السخاوي: الضوء ٤/١٥٣-١٥٤، السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص٢٤٣-٢٤٤.

(٢) للمقارنة ينظر: الجندي: السلوك ٢/٤٤٢-٤٤٣، السخاوي: الضوء ٣/١٠٩-١١٠، البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٢٠٥-٢٠٦.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٠٧.

(٣) ينظر: ابن طولون: نوادر الإجازات، ص٧، ٣٦، ٣٩.، السخاوي: الضوء ٣/١١٦، البريهي: صلحاء اليمن، ص٢٠٥.

(٤) ينظر: السخاوي: الضوء ٣/١٠٩-١١٠، ٤/١٥٣-١٥٤.، ابن طولون: نوادر الإجازات، ص ص٨-٩، ٣٦-٣٩.، البريهي: صلحاء اليمن، ص١٨٩، ٢٠٥-٢٠٦.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٤٠، ٢٤٣-٢٤٤.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٠٧، الفرفور: أدب الإجازات، ص٦٩.

(٥) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٢٠٥-٢٠٦.، ابن طولون: نوادر الإجازات، ص٧ (مقدمة التحقيق).

هـ) الصلات الأدبية بين اليمن ومصر:

نشطت الارتباطات الأدبية بين مصر واليمن، إذ "كان الأدب في اليمن خلال هذه الفترة يساير ركب التطور في مصر"[(١)]، لاسيما في عبور الاتجاهات الجديدة في الشعر إلى اليمن، ناهيك عن الاستحداثات الطارئة على الاتجاهات التقليدية، وذلك كالآتي:

أولاً: الاتجاهات التقليدية في الشعر بين البلدين:

على الرغم من مزاحمة التيارات الشعرية الوافدة على شعر ذلك العصر، إلا أنه ظل متمسكاً باتجاهات (أغراض) القصيدة العربية التقليدية[(٢)] الممزوجة بالصناعة اللفظية – البديعية– وتأثرت اليمن بها آنذاك بفعل "المدرسة البديعية التي ظهرت في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر ونهج أساليبهم التصنيعية جماعة من أدباء اليمن"[(٣)]. ففي جانب المديح – كاتجاه تقليدي – جاءت تأثيراته عبر قصائد المديح التي قرضها شعراء مصر الوافدين إلى اليمن، كالتاج بن العطار، جمال الدين شعبان المصري، بدر الدين الدماميني، وابن حجر العسقلاني لعلماء اليمن أو سلاطينها[(٤)]، إزاء ذلك تأثر شعر المديح ببعض التأثيرات المملوكية التي تصدرتها شيوع المدائح ذات النفس الصوفي كمدح الرسول ﷺ والترغيب والزهديات[(٥)]، وكذا تجاوز المدح للسلاطين إلى من هم دونهم من الأمراء والوزراء، ومدح العلماء للعلماء في البلدين[(٦)].

وكذلك الحال في اتجاه تقليدي آخر، وهو الوصف الذي خرج عن الوصف التقليدي إلى الوصف المرتبط بالازدهار الاقتصادي والرخاء الاجتماعي، بدءاً من القصور، وحتى وصف الأدوات الصغيرة كالمقصات والمراوح[(٧)].

---

(١) الحبشي: حياة الأدب، ص١٥٤.

(٢) ينظر: الهواري، صلاح الدين: مختارات من غزل العصر المملوكي، دار البحار، بيروت ٢٠٠٣، ص ص٦-٧.

(٣) الحبشي: حياة الأدب، ص١٥٥.، وينظر: الفيروز أبادي: نخبة الرشاف، ص٧٨.، طه أبو زيد: المقري، ص ص٣٨٥-٣٩٢.

(٤) ينظر: الخزرجي: العقود ٧٣/١، ٨٣-٨٤.، البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٣٩-٣٤٠، ٣٤٣-٣٤٥.، إسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص٢٢.

(٥) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٠، ٣٤٤.، الحبشي: مصادر الفكر، ص٣١٩.، طه أبو زيد: المقري، ص ص١٢٨-١٤٠.

(٦) ينظر: الحبشي: حياة الأدب، ص١٧٥.، محمد عز الدين: المنهج والتاريخ، ص١٢٣.، طه أبو زيد: المقري، ص٥٨.

(٧) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٢١/١٠، ٣٠٦/١١.، الخزرجي: العقود ٣١١/١-٣١٣.، جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٥٨، ٢٦٣.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٩١.

أما الهجاء فقد ارتبطت تأثيراته ببروز نمط يتداخل في بنائه الفني معه، وهو الهجاء الممزوج بالمفاخرة (أدب المفاخرات) كهجاء مدينة زبيد من قبل الشاعرين المصريين، بدرالدين الدماميني، جمال الدين المصري ومفاخرتهم بأفضلية مصر، ومعارضة شعراء اليمن لهم بالمفاخرة بفضائل زبيد، وما شكله ذلك من انعكاس على المفاخرات بين شعراء اليمن أنفسهم(١). ومثل ذلك هجاء ابن دعاس لكتاب الدرج المصريين الذين جلبهم العماد الأعمش التي يقول في مطلع هجائه:

أهدى العماد نحونا　　　من مصر كتاباً غُرر(٢)

أما ما يخص اتجاه الغزل، فعلى الرغم من شيوع الغزل المرتبط بالمجون في مصر المملوكية(٣)، إلا أن هناك "ميزة خاصة انفرد بها نتاج الشعر في اليمن هي خلوهُ من الفُحش والمجون والمباهات بالغزل الغلماني الذي عرفناه في مصر"(٤). وإن لم يخلُ من القيمة الفنية كغزل القاسم بن هتيمل الذي كان "يتنوع ويمتع"(٥).

وإذا تأملنا ملياً اتجاه الرثاء نجده ارتبط في المقام الأول من حيث وجهته بالسلاطين والأمراء ومن هم على شاكلتهم(٦)، ليشكل الرثاء عامل تعزيز لتلك الصلات بين البلدين كرثاء الشرف المقري لشيخه النحوي المصري الشرجي(٧). وإن كان التجديد في هذا الاتجاه ظل مرتبط برثاء الملوك، فقد "امتزج رثاء الشعراء للملوك بنوع آخر من الابتكار والجودة في النظم، حيث تدخلت فيه عوامل مادية ومعنوية"(٨).

ثانياً: الاتجاهات الجديدة بين البلدين:

طرأ على "الشعر اليمني في ذلك الوقت اتجاهات أدبية جديدة استحدثوها فيه من الشعر المعاصر لهم في مصر والشام"(٩)، والتي من أبرزها دخول فن المقامة الأدبية لأول مرة إلى

---

(١) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٤٤-٣٤٥.، بامخرمة: ثغر عدن ٢٠٦/٢، الحبشي: حياة الأدب، ص١٤٣.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٨.، العبادي: الحياة العلمية، ص٤٣٨.

(٢) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٣٨/١.

(٣) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٣٧/١، ١٥٠/٢.، ابن العماد: شذرات الذهب ٩٧/٧.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٦٥.

(٤) جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٠١.، وينظر: الحبشي: حياة الأدب، ص١٦٥.

(٥) بعكر، عبدالرحمن طيب: عناقيد أدب وفن، مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب، صنعاء ١٩٩٨م، ص٢١٧.

(٦) ينظر: أبي الفداء: المختصر ١٥٤/٤-١٥٥، الخزرجي: العقود ٢٨٣/١-٢٨٥، جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٥٩.

(٧) ينظر: طه أبو زيد: المقري، ص٦٠، ٢٤٩-٢٥١.

(٨) الحبشي: حياة الأدب، ص١٨٦.، وينظر: الخزرجي: العقود ٢٦٠/٢-٢٦٢.

(٩) الحبشي: حياة الأدب، ص١٩٢.، وينظر: الشوكاني: البدر الطالع ٩٦/١-٩٧، أبي الفداء: المختصر ١٤٦/٤.

اليمن عبر ابن عبدالمجيد (ت٧٤٣هـ/١٣٤٣م)، وما تلاه من وافدين مصريين إلى اليمن تخصصوا في هذا الفن وألفوا فيه[١]، حتى أن من اليمنيين آنذاك من أحدث إضافات نوعية على فن المقامات كالإضافات التي أحدثها شرف الدين المقري على مقامات الحريري[٢].

وثمة اتجاه غير تقليدي آخر وفد إلى اليمن وهو "شعر الموشح الذي دخل إلى اليمن عن طريق مصر وليس عن طريق الأندلس كما يظن البعض"[٣]، وهذا الموشح كان شائعاً في مصر آنذاك[٤]، والذي تفرع بدوره في اليمن إلى الحُمينى والساحلي والدوبيت والبال بال[٥]. وثمة اتجاه جديد آخر تمثل بالتلاعب بالألفاظ والذي يقوم على جعل القصيدة تقرأ على عدة أوجه بحسب التقديم والتأخير والذي بدأه في مصر صفي الدين الحلي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، وابن نباتة (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، ومن اليمن ابن المقري (ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م)[٦].

وإن كانت هناك أسبقية للشاعر اليمني عبدالله بن جعفر (ت٧١٤هـ/١٣١٤م) في هذا المجال ويشير إليها ابن حجر على لسان ابن عبدالمجيد فيقول: "...كان يُملي على أربعة أنفس قريضاً من فيه على غرض مستدعيه من غير لعثمة ولا فأفأة و تمتمة في أوزان مختلفة وقوافي غير مؤتلفة"[٧]. كما اتجه شعراء اليمن إلى تخميس القصائد متأسيين بذلك ببعض شعراء مصر[٨].

وهناك جانب آخر غير تقليدي ارتبط بالتلاعب اللفظي من "حيث الإعجاز الذهني جانب الألغاز وكان المجدد لها في اليمن بعد ركود الأديب المصري محمد بن أبي بكر الدماميني"[٩]، وخاصة تلك الألغاز المرتبطة بالمسائل الفقهية والتي كانت تتم، في الغالب، إما بالمكاتبة أو

---

(١) ينظر: الحبشي: مصادر الفكر، ص٣١١.، نفسه: حياة الأدب، ص١٤٥.، العبادي: الحياة العلمية، ص٤٣٣.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٩.

(٢) ينظر: المقري، شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر (ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م): شرح الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة، تح: عبدالرحمن الحضرمي، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ١٩٨٥م، ص٢٣ (مقدمة التحقيق).

(٣) الحبشي: حياة الأدب، ص١٩٢.، وينظر: ابن الديبع: قرة العيون ٣٦٧/١، ابن حجر: الدرر ٢٥٣/٢-٢٥٤.

(٤) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١١٣/١٠-١١٤، ابن حجر: الدرر ١٥٠/٢، الأدفوي: الطالع السعيد، ص٦٠٩.

(٥) ينظر: جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٤٢.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٩٣.، نفسه: مصادر الفكر، ص٣٢١.

(٦) ينظر: ابن المقري: شرح الفريدة، ص١٣٣.، الشوكاني: البدر الطالع ٩٦/١-٩٧، طه أبو زيد: المقري، ص ص٢٦٢-٢٦٣.، الحبشي: حياة الأدب، ص ص١٤٨-١٤٩.

(٧) الدرر ٢٥٣/٢.

(٨) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٢١/١، ابن حجر: الدرر ٣٨٧/٢، البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٥.

(٩) الحبشي: حياة الأدب، ص١٥٠.، وينظر: طه أبو زيد: المقري، ص٣٠.

المطارحة الشعرية المباشرة[١]. وهناك اتجاه شعري آخر يرتبط بالازدهار الفكري في البلدين والذي يمكن تسميته، اتجاه نظم العلوم بتحويل العلوم إلى قصائد منظومة، كذلك الإجازات العلمية المنظومة[٢].

ويجد المتأمل للصلات الأدبية بين البلدين ثلاثة ملامح رئيسة ترتبط بتلك الصلات، أولها أن التطور في الاتجاهات التقليدية وغير التقليدية قد واكبه تطور الحس النقدي المتمثل في إبداء الرأي حيال بعض القصائد وخلفيات الشعراء وثقافاتهم[٣]، والملمح الثاني، وجود تمازج وتفاعل مباشر بين الشعراء المصريين واليمنيين عبر اشتغالهم بالمناظرات أو المساجلات أو المطارحات الشعرية[٤]. أما الملمح الثالث، فيتعلق بالنثر الأدبي الذي لم يكن بمعزل عن تبادل التأثيرات والتي جاءت عبر المؤلفات النثرية المتبادلة، والمكاتبات الرسمية وحتى عبر اشتغال أدباء مصريين مرموقين في كتابة الإنشاء في اليمن وآخرين يمنيين في مصر[٥].

---

(١) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٠، ٣٤٣-٣٤٤.، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٦٥/٨، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٥٨/٧، طه أبو زيد: المقري، ص ص٢٥٩-٢٦٢.، الحبشي: حياة الأدب، ص ص١٥٠-١٥٤.

(٢) ينظر: السيوطي: بغية الوعاة ١٠٧/٢، ابن حجر: الدرر ٢٤٨/٢، السخاوي: الضوء ١٥٣/٤-١٥٤، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨١.

(٣) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٥/٣-٣٦، الخزرجي: العقود ٣٢٠/١-٣٢١.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٥٦/٩، البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٣.

(٤) ينظر: الخزرجي: العقود ٨٣/١-٨٤، البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٤٤-٣٤٥.، جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٠٩.، طه أبو زيد: المقري، ص ص٢٥٦-٢٥٨.

(٥) عن تلك الوسائط النثرية ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٣٦٢/٧، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣٢٢/٧-٣٢٣، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٤٣، ١٤٨-١٥٧(حجازي).، جرادة: الأدب والثقافة، ص ص٢٨٩-٢٩٠.، الحبشي: حياة الأدب، ص ص٢١٧-٢٢٤.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٩.

و) النظام التعليمي ومكوناته بين اليمن ومصر:

المعني به طرائق التدريس والمجالس العلمية، المكتبات، المناهج (المقررات الدراسية)، وإدارة النظام التعليمي ومصادر تمويله بين البلدين كالآتي:

- طرائق التدريس والمجالس العلمية بين البلدين:

حيث "كانت الطرق السائدة في بلاد اليمن في ذلك الوقت مشابهة لما كان سائداً في العالم الإسلامي آنذاك"(١)، بما فيها مصر المملوكية(٢). وبالتأمل في تلك الطرق التي تشابهت في البلدين، نجد أن من أبرزها، طريقة الحفظ واستخدمت في استظهار القرآن الكريم، الحديث، الشعر(٣)، وطريقة الإملاء، بإملاء المدرس على طلابه ما يكتبوه ثم يحفظونه(٤)، وكذلك طريقة الشرح، عندما يُكلف الشيخ أحد الطلاب بالقراءة ثم يعلق على تلك القراءة(٥).

وثمة طريقة أخرى هي الوجادة أو ما يمكن تسميتها التعُلم الذاتي(٦)، كتلك الملاحظة التي شاهدها ابن حجر العسقلاني في مسار تعلُم محدث اليمن نفيس الدين العلوي، ورواها عنه تلميذه السخاوي بقوله: "مر على البخاري مائة وخمسين مرة ما بين قراءة وإسماع ومقابلة وحصل من شروحه كثيراً"(٧)، بالإضافة إلى طريقة المحاضرة (الإلقاء المباشر(٨))، ناهيك عن طريقة المناظرة(٩)، وطريقة الصحبة العلمية (الملازمة) من الطالب للشيخ(١٠)، علاوة على طريقة الرحلة العلمية(١١).

---

(١) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢١٥.، وينظر: الأدفوي: الطالع السعيد، ص٥٣٨.، السخاوي: الضوء ٣/٢٥٩-٢٦٠.

(٢) للمقارنة ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/٨٥، الخزرجي: العقود ١/١٤١، ابن حجر: بلوغ المرام، ص١٣(مقدمة التحقيق).

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ١/١٤١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/٨٥، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٩٥.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٦٤٠.

(٤) ينظر: الأدفوي: الطالع السعيد، ص٢٣٣.، ابن حجر: بلوغ المرام، ص١٣(مقدمة التحقيق).، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢١٧.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٦٤١.

(٥) ينظر: السخاوي: الضوء ٣/٢٥٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٩/٢٩٠، إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص١١.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢١٦.

(٦) ينظر: الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد: ثغر عدن في قلادة النحر من نحو منتصف القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر – السادس عشر الميلادي، مجلة اليمن، ع٢٣، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن ٢٠٠٦م، ص٣٢.

(٧) الضوء ٣/٢٥٩. عن تلك الطريقة آنذاك ينظر: فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص ص٩٨-٩٩.

(٨) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٢٨٢، ابن حجر: الدرر ١/٢٣٧، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢١٥.

(٩) ينظر: فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٩٩.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢١٧.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٤، ٦٤١.

(١٠) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢/٣٧٤، الجندي: السلوك ٢/١٤١، ١٦٧-١٦٨، العبادي: الحياة العلمية، ص٤٣٧.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٤.

(١١) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٣٣.، بامخرمة: قلادة النحر ٣/٣١٥١، الأفضل: العطايا السنية، ص٢١٣.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٧١، الشجاع: ثغر عدن، ص٣٠.

وارتبطت تلك الطرق بالمجالس العلمية التي دأب العلماء الوافدين على عقدها كمجالس الحديث والتي "نادراً ما يأتي قادم إلى اليمن دون أن يعقد مجلس حديث... [كمجلس] العلامة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني"(١)، بالإضافة إلى مجالس أخرى، كمجالس السماع، والإقراء، ومجالس الإملاء(٢).

ـ إنشاء المكتبات وتبادل الكتب:

فقد "جد الرسوليون في بناء المكتبات العامة وحرصوا على توفير أكبر عدد من المصادر المهمة فإن تعذر عليهم شيء من ذلك التمسوه في الأمصار الأخرى كمصر..."(٣)، وهو ذات المشهد – نسبياً – الذي كان يعتمل في مصر المملوكية(٤).

ويبدو أن إنشاء المكتبات في البلدين كان يخدم النظام التعليمي عبر إلحاق تلك المكتبات بالمساجد والمدارس(٥)، ناهيك عن إسهامات العلماء وما خلفوه وراءهم من مكتبات ذات قيمة علمية عالية، سواءً كانوا وافدين إلى اليمن من مصر أم مقيمين في مصر وهم من اليمن أو مقيمين كلٌ في بلده(٦).

وبطبيعة الحال اقتضى التوسع في تلك المكتبات استقدام الكتب من مصر إلى اليمن، وبالمقابل من اليمن إلى مصر، وكسمة بارزة للتمازج الثقافي بين البلدين(٧).

---

(١) الحبشي: حياة الأدب، ص١٠٢.، وينظر: أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٥.، محمد عزالدين: المنهج والتاريخ، ص١٢٤.

(٢) ينظر: الأدفوي: الطالع السعيد، ص٢٣٣.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٨١/٩، ٧٤/١٢.، بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٧٠/٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٩٣، ٦٣٠-٦٣٢.

(٣) المنصوري، عبدالله عثمان علي: علم القراءات في اليمن من صدر الإسلام إلى القرن الثامن الهجري، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء رقم (٩)، صنعاء ٢٠٠٤م، ص٨٠.

(٤) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٨٥/٩، ابن حجر: الدرر ٤٨٢/١، جرجي زيدان: تاريخ اللغة العربية ١١٩/٢.

(٥) ينظر: السباعي، مكي بن نسيب: مكتبات المساجد (دراسة تاريخية)، تر: هاشم فرحات ومحمد جلال، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، الرياض ٢٠٠٦م، ص ص١٢٣-١٢٤، ١٤٩.

(٦) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٨٥/٩، ابن حجر: الدرر ٣٦/٣، البريهي: صلحاء اليمن، ص٢٣١، ٢٤٧.، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٢٧٠-٢٧١.

(٧) ينظر: إبن إياس: مختصر البدائع، ص١٣٤.، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٢٨.، ابن حجر: الدرر ١٠٠/٢.، الحبشي: حياة الأدب، ص ص٩٠-٩٤.، طه أبو زيد: المقري، ص ص٧١-٧٢.

- **المناهج – المقررات – التي يشترك البلدان في تدريسها:**

اتجهت مؤسسات التعليم المختلفة في البلدين إلى إعطاء الأولوية في التدريس للعلوم النقلية كالفقه والأصول والحديث والتفسير والقراءات والفرائض وعلوم اللغة[١]. ويمكن الإشارة إلى نماذج من تلك الكتب، ففي الفقه اعتمد البلدان على كتابي أبي إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م)[٢]، المسميان: المهذب[٣]، والتنبيه[٤]، وفي علم القراءات اعتمد البلدان تدريس الشاطبية للإمام الشاطبي والمسماة حرز الأماني[٥]. وإن كان أهل اليمن قد عولوا كثيراً بعد ذلك على كتب ابن الجزري[*] (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) الذي استوطن مصر ثم وفد إلى اليمن[٦].

وفي النحو اعتمدت مؤسسات التعليم في البلدين مقدمة إبن بابشاذ[٧]، ناهيك عن ألفية ابن مالك، المنهاج ورياض الصالحين للنووي[٨]، علاوة على تدريس كتب الحديث المشهورة في البلدين كصحيح مسلم والبخاري وغيرهما[٩].

---

(١) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٨٠/٩، ابن حجر: الدرر ٤٣/٣-٤٤، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٦٢٤-٦٢٥، الشجاع: ثغر عدن، ص ص٢٨-٢٩.

(٢) عن ترجمته ومؤلفاته، ينظر: الشيرازي، أبي إسحاق إبراهيم بن علي (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م): طبقات الفقهاء، تح: خليل الميس، دار القلم، بيروت، د.ت، ص ص٥-٧(مقدمة التحقيق).

(٣) ينظر: الجندي: السلوك ٢٩٧/٢، الوصابي الحبيشي: الاعتبار، ص٢٠١.، السخاوي: الضوء ٣١١/٤، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٦٢٤.

(٤) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٨٠/٩، الخزرجي: العقود ٢٠٤/١، الأدفوي: الطالع السعيد، ص٥٥٦.

(٥) ينظر: السخاوي: الضوء ٢٤١/٤، الأدفوي: الطالع السعيد، ص٢٠٣.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٢٠.

(*) من كتبه: (النشر في القراءات العشر)، ومختصره (التقريب)، و(طيبة النشر في القراءات العشر)، ينظر: الجزري، محمد بن محمد الدمشقي (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م): غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره: ج. برجستراسر، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢م، ج١، ص١٠٣.

(٦) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٤٥-٣٤٦.، السخاوي: الضوء ٢٤/٤، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٢٠.، الحبشي: حياة الأدب، ص٩٩.

(٧) ينظر: السيوطي: بغية الوعاة ١٠٧/٢، الأفضل: العطايا السنية، ص٨٧.، الجندي: السلوك ٤٢٥/٢، إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص١٠.

(٨) ينظر: السخاوي: الضوء ٩١/٤، ١١٥.، إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٩.، الشجاع: ثغر عدن، ص٢٨.

(٩) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٤٩/٢، السخاوي: الضوء ٢٥٩/٣، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٢٧٢/١١، الشجاع: ثغر عدن، ص٢٩.

ومن لطيف القول: الإشارة إلى أن الأزهر الشريف استقبل كتاب إرشاد الغاوي إلى مسالك الحاوي لمؤلفه شرف الدين المقري وأخضعوه للدراسة وعلقوا عليه(١).

- **إدارة النظام التعليمي وموارده في البلدين:**

تشابهت - إلى حد كبير - مكونات النظام الإداري لمؤسسات التعليم في البلدين سواء في جانبه الديني والمهني، للوظائف التعليمية، كالناظر، نائب الوقف، المؤذن، الإمام، الفراش، خازن الكتب، نازح المياه(٢)، أو في جانبه التعليمي المتمثل بالوظائف التعليمية في المدرسة كمعلم الكتاب، والمدرس، والمُعيد، المحدث، والنحوي، والفقيه، والطلاب(٣).

أما المصادر التمويلية لمؤسسات التعليم في البلدين، فبالإضافة إلى تبرعات الخيرين وأوقافهم، فقد سعى سلاطين الدولتين إلى ضمان موارد ثابتة لتلك المؤسسات عبر تخصيص وقفيات رسمية، وبإدارات منظمة ومقننة الصلاحيات(٤).

وعليه، يمكن القول: أن النظام التعليمي في اليمن ومصر قد شكل الوعاء الفكري الذي ساهم، إلى حد ما، في النهوض الحضاري في كل منهما، ومن ثم كان من الأوجه الأكثر قابلية لتبادل التأثيرات في مسيرة الصلات الحضارية، فضلاً عن تشابه معظم مكونات هذا النظام في البلدين الذي لم يكن هو الآخر بمنأى عن السمات الرئيسة للمدرسة الإسلامية في العصرين العباسي والأيوبي في الكثير من الخصائص والمكونات.

---

(١) ينظر: طه أبو زيد: المقري، ص٧١.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٦٢٥.، إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٩.

(٢) عن هذه الوظائف، ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ١٠٤٣/١-١٠٤٧.، إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص ص٢٢٢-٢٢٥.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص١٨٥-١٩٥.

(٣) ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة ٢٢٨/٢-٢٢٩، المقريزي: السلوك، ق٣، ٨٢٧/١، ١٠٤٣-١٠٤٧.، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص ص١٤٨-١٥١.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص١٩٩-٢١٢.

(٤) عن تلك الوقفيات ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٨٢٧/١، ١٠٤٠-١٠٥٠.، ضيف الله بن يحيى الزهراني وطلال جميل الرفاعي: وثائق تعليمية من عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٨-١٤٥٤م) وثيقتا مدرسة السلطان الأشرف (٧٦١-٨٠٣هـ/١٣٥٩-١٤٠٠م) والسلطان الظاهر (ت٨٤٢هـ/١٤٣٩م)، مطبعة بهادر، مكة المكرمة ١٩٩٦م، ص ص١٢-١٣(مقدمة التحقيق).

ز) الكتابة التاريخية بين اليمن ومصر:

يبدو "أن التراث التاريخي الذي خلفه لنا عصر سلاطين المماليك يتميز بكونه أغنى وأكثر تنوعاً وعمقاً من تراث أي فترة أخرى في التاريخ الإسلامي"(١)، وكذلك الحال في اليمن، حيث شهدت الكتابة التاريخية في رحاب الدولة الرسولية ازدهاراً واسع النطاق حتى عُد عصرهم "من أكثر فترات تاريخ اليمن احتفالاً بالمؤلفات التاريخية"(٢)، وهذا الازدهار التأليفي في البلدين قد استمد مدخلاته من خلال تعدد المناهج والأنماط، ومن خصائص مشتركة للكتابة التاريخية ومن صلات المؤرخين في البلدين، وذلك كالآتي:

- **المناهج التاريخية وأنماطها بين البلدين:**

سعى المؤرخون في البلدين إلى محاولة التوفيق بين روح التقليد الموروثة ونزعة التجديد من خلال تعدد المناهج التاريخية(*) في البلدين والتي كان أبرزها: المنهج الجغرافي، المنهج الحولي، المنهج المتسلسل حسب الموضوعات، والمنهج المعجمي - الألف باء(٣)- وما تفرعت عن هذه المناهج من أنماط تأليفية سار وفقها مؤرخو ذلك العصر منطلقين من تكوينهم التربوي وظرفهم التاريخي وأفقهم الثقافي، والتي منها: نمط الأنساب(٤)، نمط التاريخ المحلي(٥)، نمط التراجم(٦)، ونمط التواريخ الخاصة سواء للدول أو العهود أو الطبقات(٧).

---

(١) قاسم عبده قاسم: رؤية حضارية، ص١١٢.

(٢) أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٥٦.، وينظر: الحبشي: حياة الأدب، ص١١٩.

(*) عن المناهج التاريخية ودلالتها ينظر: علي عبدالكريم محمد بركات: الكتابة التاريخية والمؤرخون في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م) الجندي والخزرجي أنموذجاً، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عدن ٢٠٠٦م، ص ص٦١-٦٤.

(٣) ينظر: السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص١٤٧، ١٧٠.، الأهدل: تحفة الزمن، ص ص١٨-٢٠.، عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، ص ص٩١-٩٧.، علي بركات: الكتابة التاريخية، ص ص٦١-٦٤.، الحبشي: حياة الأدب، ص ص١٢١-١٢٣.، سالم، السيد عبدالعزيز: التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦م، ص ص٨٣-٩٦.

(٤) ينظر: الأشرف عمر: طرفة الأصحاب، ص ص١٣-٣٠.، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص١٣٦.، قاسم عبده قاسم: رؤية حضارية، ص٩١.، سالم: التاريخ والمؤرخون، ص ص٩٥-٩٦.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٤٩.

(٥) ينظر: السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص١٥٠.، عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، ص ص١١٤-١١٥.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١١-١٢، ١٦٥.، الحبشي: حياة الأدب، ص ص١١٧-١١٨.، سالم: التاريخ والمؤرخون، ص١٠٤.

(٦) ينظر: السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص ص١٦٨-١٧٠.، قاسم عبده قاسم: رؤية حضارية، ص١٠٣.، عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، ص١١١.، سالم: التاريخ والمؤرخون، ص٩٥.، الحبشي: حياة الأدب، ص١١٩، ١٢١.

(٧) ينظر: الأهدل: تحفة الزمن، ص١٩.، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص ص١٢٦-١٢٨.، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص٣(المقدمة).، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٥٩، ١٦٤.، سالم: التاريخ والمؤرخون: ص٩١.، الحبشي: حياة الأدب، ص١١٩.

والذي كان من أبرز رواده في اليمن آنذاك أبي الحسن الخزرجي(ت٨١٢هـ/١٤٠٩م) في كتابه العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية[١]، وبيبرس الدوادار المنصوري (ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م) في كتابه التحفة الملوكية في الدولة التركية[٢]، ناهيك عن نمط التدوين التاريخي الذي شاع في عصر المماليك وتأثر به بعض مؤرخي اليمن آنذاك، وهو نمط الموسوعات الشاملة[٣].

- **السمات المشتركة في مسيرة التأليف التاريخي في البلدين:**

تشابهت مناهج المؤرخين في البلدين نسبياً في بنائهم لمؤلفاتهم التاريخية، في الوجهين الفني والتعبيري، فأما الوجه الفني فقد تمثل بوضوح خطة الكتاب وخطبته –مقدمته–[٤] وفي تناغم العناوين المسجوعة لمؤلفاتهم ذات الطابع التفاؤلي كالسلوك، العسجد المسبوك، الدرر الكامنة، تحفة الزمن، النجوم الزاهرة، العقود اللؤلؤية، المنهل الصافي، بهجة الزمن، وصبح الأعشى وغيرها[٥]، وضبط الأسماء في الأعلام والأمكنة ولو بالشكل والإعجام[٦]، وإيراد الألقاب العلمية والصفات الرئيسة للترجمات[٧]، علاوة على الربط التاريخي عن طريق الإحالات والتكرار[٨].

---

(١) ينظر:

- Bosworth, E.I., AHAZRADJI. EI², Vol. 4, 1990, P 1188.

(٢) ينظر: قاسم عبده قاسم: رؤية حضارية، ص ص١١٩-١٢٢.

(٣) ينظر: أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ١٣٥، ١٣٩.، الحبشي: حياة الأدب، ص١١٦، ١١٩.، جرجي زيدان: تاريخ اللغة العربية ١٢٠/٢، عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، ص٦٨.

(٤) ينظر: الجندي: السلوك ٦٣/١-٧٨، بدر الدين العيني: السيف المهند، ص ص١-٧.، غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص ص٣-٧.، القلقشندي: نهاية الإرب، ص ص٧-١١.

(٥) ينظر: أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٤٠، ١٧٩، ١٩٢.، عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، ص٨٩، ١١١، ١١٩.، السامرائي، ظمياء محمد عباس: المنهج التاريخي عند القلقشندي (دراسة تحليلية)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ٢٠٠١م، ص٣٢.

(٦) ينظر: الجندي: السلوك ٢٥٥/٢، ٢٥٧، ٤٢٧.، ابن حجر: رفع الإصر، ص٢٩٤، ٣٢٣-٣٢٤، ٣٦٩.، محمد عزالدين: المنهج والتاريخ، ص٢٢٧.

(٧) ينظر: الجندي: السلوك ١٧٩/٢، ٤٠٥.، محمد عزالدين: المنهج والتاريخ، ص ص٢٨١-٢٨٥.، علي بركات: الكتابة التاريخية، ص١٦٢.

(٨) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٦/١، ١٣٢/٢، ١٧٥.، السامرائي: منهج القلقشندي، ص ص١٥٦-١٦٠.، قاسم عبده قاسم: رؤية حضارية، ص١١١.

وأما الوجه التعبيري، فهناك تناغم نسبي فيه بين مؤرخي البلدين، الذي تبدت ملامحه من خلال محاولة كل مؤرخ إيجاد بنية معرفية لمفهوم التاريخ[١]. وكذلك التوازن الشمولي في تناول الأحداث، كميزة رئيسة للكتابة التاريخية في ذلك العصر[٢]، فضلاً عن تنوع الصور الحضارية (موضوع الأطروحة) التي تتخلل التراجم والأحداث[٣]، لاسيما وقد مزجوا في مؤلفاتهم بين المحلية والانفتاح على الأخر[٤]. وكذلك ارتبطت الكتابة التاريخية بعلم الحديث في المنهج، على اعتبار "أن الحديث والتاريخ علمان متلازمان"[٥]، وإن كان علم الحديث له ضوابط وتقسيمات صارمة[٦].

والتأثر كان من حيث نسبة الخبر لا من حيث العنعنة وإن كان "علم التاريخ عند اليمنيين لم يتأثر تأثيراً واضحاً بعلم الحديث"[٧] كالمصريين الذي كان من مؤرخيهم من هو عالم حديث كالمقريزي، وابن حجر[٨].

ومن المهم، الإشارة إلى تساهل مؤرخي اليمن آنذاك في تحقيق سند الرواية الذي أشار إليه الأهدل (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) بقوله: "...وربما تساهلت في التحقيق تقليداً للجندي على عادة المؤرخين في بعض الأمور ولم أبلغ فيها جهدي ولم أستوف ما عندي"[٩]. كما اشترك مؤرخو البلدين في بنائهم التعبيري لمؤلفاتهم بالاستشهاد بالشعر في إسناد الأحداث التاريخية[١٠].

---

(١) ينظر: ابن حاتم: السمط، ص٩٠، الجندي: السلوك ٦٣/١، فرانز روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص٢٩.

(٢) ينظر: أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٥٦.، قاسم عبده قاسم: رؤية حضارية، ص١١١.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٢٠.

(٣) ينظر: الأدفوي: الطالع السعيد، ص ص٩٦-٩٧، ٤٦٩.، المقريزي: السلوك، ق٣، ٧٠٢/١، ٩٧٧-٩٨٤.، الخزرجي: العقود ٣١١/١، ٢٤٤/٢، ٢٤٦، ٢٥١.

(٤) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص٤٨-٥٦.، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص ص١٤-١٥ (حجازي).، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٥٣/٩-٢٥٤، الحبشي: حياة الأدب، ص ص١١٩-١٢٠.

(٥) عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، ص١٠٥.

(٦) عن تلك التقسيمات ينظر: ابن الملقن، عمر بن علي النحوي (ت٨٠٤هـ/١٤٠١م): التذكرة في علوم الحديث، تح: علي حسن علي، دار عمار، عمان ١٩٨٨م، ص ص١٣-٢٧.

(٧) أيمن سيد: مصادر اليمن، ص٨.

(٨) ينظر: ابن حجر: بلوغ المرام، ص ص١٠-١٣.، السيوطي: حسن المحاضرة ٣١٠/١، عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، ص١٠٥.

(٩) تحفة الزمن، ص٢٠.، وينظر: أيمن سيد: مصادر اليمن، ص٨.

(١٠) ينظر: الأدفوي: الطالع السعيد، ص ص٢٠٢-٢٠٣، الخزرجي: العقود ١٧١/٢-١٧٢، ٢١٢، ٢٦٠-٢٦١.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٠٢/٧، ٢٧٧، ٣١٣.

- **صلات المؤرخين في البلدين واهتمامهم بتاريخ اليمن:**

أبدى المؤرخون المصريون اهتماماً متزايداً بتاريخ اليمن كالقطب القسطلاني (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م) الذي ألف كتاب عن اليمن أسماه (فواصل الزمن في فضائل اليمن)[١]، وكذلك "جمع أبو بكر محمد بن عبدالحميد بن عبدالله بن خلف القرشي المصري في فضله أربعين حديثاً"[٢].

وفي إطار الصلات التي نشأت بين المؤرخين ابن عبدالمجيد اليماني (ت٧٤٣هـ/١٤٤٤م) وشهاب الدين النويري (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م) خصص النويري جزءاً من موسوعته التاريخية (نهاية الإرب في فنون الأدب) لتاريخ اليمن[٣]. كما أثمرت الصلات بين ابن عبدالمجيد – سالف الذكر – وابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) عن مساعدته في إفراد القسم الخاص بمملكة اليمن في موسوعته (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)[٤]، ليأتي بعد ذلك أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م) ويؤلف كتاباً في تاريخ حضرموت أسماه (الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة)[٥]، ناهيك عن ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) وارتباطه بمؤرخين يمنيين كالأهدل الذي اختصر بعضاً من تاريخه، وشرف الدين المقري الذي أبدى إعجابه بكتابه (عنوان الشرف الوافي)[٦]. كما اقتضت الارتباطات التاريخية في مجال الكتابة التاريخية تبادل الكتب (المصادر) التاريخية بأنواعها الشفاهية، الخطية[٧].

---

(١) ينظر: السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص١٦٩.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٥.

(٢) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص١٧٠.

(٣) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٧-١٨(حجازي).، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٩٩/٩، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٤٢-١٤٣.

(٤) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص٢٦-٢٨، ٤٥.، قاسم عبده قاسم: رؤية حضارية، ص ص١٤٨-١٥٤.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٤٤-١٤٦.

(٥) ينظر: عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، ص٨٩ (الهامش).، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٧٥-١٧٦.

(٦) ينظر: السخاوي: الضوء ١٤٦/٤-١٤٧، طه أبو زيد: المقري، ص ص٧٥-٧٧.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٣١.

(٧) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٥.، ابن حجر: الدرر ٣٦٤/٢-٣٦٥، ٣٥/٣-٣٦.، القلقشندي: صبح الأعشى ٣٦٢/٧، محمد عزالدين: المنهج والتاريخ، ص ص١١٩-١٢٦.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٣٥.

ح) الصلات المذهبية بين اليمن ومصر:

غلب على الحياة الفكرية في مصر واليمن التسامح والتعايش المذهبي، حتى "تميز هذا العصر بالتسامح الديني والمذهبي والتعدد الفكري"(١)، ورغم تلك التوازنات الفكرية التي تحظى برعاية سلاطين البلدين، إلا أنهم في الوقت ذاته كانوا يميلون في معتقدهم باتجاه الصوفية، سواءً في مصر المملوكية الذين قربوا مشايخهم وتأثروا بكراماتهم ومناماتهم(٢).

وكذلك هو الحال في اليمن، حيث "كان ملوك بني رسول يعظمون مؤسسات الصوفية"(٣)، وإن كانت الصوفية قد خاضت معارك فكرية وسياسية مع الفقهاء في كلا البلدين(٤). وكلما كانت تلك التجاذبات في حدودها الآمنة فهي ظاهرة صحية انعكست آثارها على المشهد الفكري في البلدين، ودفعت إلى تعزيز الصلات بين أقطاب المذاهب في البلدين كالآتي:

- **هجرة المؤثرات الصوفية من مصر إلى اليمن:**

شهدت تلك الفترة انتقال طرق صوفية كانت شائعة في مصر كالطريقة الشاذلية نسبة إلى أبي الحسن علي بن عبدالله الشاذلي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) التي انتقلت إلى اليمن عن طريق الشيخ علي بن عمر بن دعسين (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)(٥)، وكذلك الطريقة الرفاعية نسبة إلى الشيخ أحمد بن علي الرفاعي (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م)، والتي انتقلت إلى اليمن عن طريق الشيخ عمر بن عبدالرحمن بن حسان (ت٦٨٨هـ/١٢٨٩م)(٦)، ناهيك عن مؤثرات ابن عربي والمبالغ في الاعتقاد بها في البلدين(٧)، فضلاً عن تشابه طقوس الصوفية ومؤسساتها في البلدين(٨).

---

(١) عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٥.، وينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٩/١٤٤-١٤٥، الجندي: السلوك ٢/٥٤١-٥٤٢.

(٢) ينظر: ابن عربشاه، أحمد بن محمد (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تح: محمد رجب النجار، دار سعاد الصباح للنشر، الكويت ١٩٩٧م، ص٢٨٧.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٩/١٤٤-١٤٥، المقريزي: السلوك، ق١، ٢/١١٤.

(٣) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٥٣.، وينظر: الجندي: السلوك ١/٤٦٠، الخزرجي: العقود ١/٣٢٠، الحبشي: الصوفية والفقهاء، ص ص٤٦-٥٠.

(٤) ينظر: ابن حجر: الدرر ١/٢٧٣-٢٧٥، الجندي: السلوك ٢/١١٢-١١٣، الحبشي: الصوفية والفقهاء، ص ص٩٢-٩٤، ١١١-١١٩.

(٥) ينظر: المرجع نفسه، ص٣٥.، الشجاع: ثغر عدن، ص١٨.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقود ١/٢١٣-٢١٤. بامخرمة: قلادة النحر ٣/٣٠٧٥، الحبشي: الصوفية والفقهاء، ص٣٦.

(٧) ينظر: الجندي: السلوك ٢/١١٩-١٢٠، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٢٠٣-٢٠٤.، ابن العماد: شذرات الذهب ٧/٩٥-٩٦، الحبشي: الصوفية والفقهاء، ص ص٧٠-٨٢.

(٨) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٧٤.، الخزرجي: العقود ٢/١٦٧، الأدفوي: الطالع السعيد، ص ص٥٣٨-٥٣٩.، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص١٢٠، ١٢٢-١٢٣.

- **الصلات بين مشايخ الصوفية في البلدين:**

يمكن الإشارة إلى بعض تلك النماذج من الصلات، كتلك التي ربطت شيخ الصوفية مرزوق اليماني (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م) بقطب الصوفية آنذاك في مصر أحمد البدوي، والذي ألبسه العمامة الحمراء وأعطاه العهد الوثيق وجعله خليفته على الطريقة البدوية في مصر، وقدمُ لقيادة محمل الحج المصري آنذاك[١]. وكذلك ارتبط عبدالعزيز بن عبدالغني المنوفي (ت٧٠٣هـ/١٢٠٣م) بالصوفي اليمني حسن بن يوسف الزبيدي من أهل زبيد وكان يزعم معتقداً أن الزبيدي – سالف الذكر – هو الخضر وحدث كثيراً عن كراماته[٢]، وهو ذات الصوفي الذي ارتبط به في مصر عبدالغفار بن نوح القوصي وأكثر من النقل عنه وعن كتبه[٣].

أما الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) فقد ارتبط بالشيخ حسين الحاكي وحضر مجلس وعظه في مصر وبالشيخ عبدالله المنوفي، وأقام بالقرافة في مشهد ذي النون المصري[٤]. وصحب المحدث شهاب الدين أحمد بن عمر الأنصاري الشاذلي المصري (ت بعد ٨٢٠هـ/١٤١٧م) أكابر الصوفية في اليمن، وفي مقدمتهم الشيخ أحمد الرداد (ت٨٢٥هـ/١٤٢٣م) وآخرين[٥].

- **الصلات بين الفقهاء في البلدين:**

لعل أبرز نموذجين للفقهاء في اليمن ومصر شكلا حلقة وصل بين فقهاء البلدين وغيرهم، هما ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، شرف الدين اسماعيل المقري (ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م) الذي تبادل معه اللقاءات والمسائل العلمية، بل وشرح بعض كتبه[٦]، وكذلك ارتبط ابن حجر بالنفيس العلوي محدث اليمن آنذاك[٧]، وكذلك مع الجحافي، ابن جُميع، الرضى بن المستأذن[٨].

---

(١) ينظر: سامح كريم: أعلام في التاريخ الإسلامي أفكار للتجديد ومواقف للحياة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٥م، ص٢٨١.

(٢) ينظر: ابن حجر: الدرر ٧٢/٢، ٣٧٣-٣٧٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ٣٧٤/٢.

(٤) ينظر: بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٦٩/٣-٣٤٧٠، ابن حجر: الدرر ٢٤٧/٢-٢٤٨، جرادة: الأدب والثقافة، ص ص٢٤٨-٢٤٩.، الزركلي: الأعلام ٧٢/٤.

(٥) ينظر: بامخرمة: ثغر عدن ١٠/٢-١١، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٤.، الحبشي: الصوفية والفقهاء، ص ص١٣٢-١٣٣.

(٦) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٣٩-٣٤٠.، طه أبو زيد: المقري، ص ص٧١-٧٢.

(٧) ينظر: ابن حجر: إنباء الغمر ٢٨٦/٢، نفسه: الدرر ٣٣/٣، السخاوي: الضوء ٢٥٩/٣-٢٦٠.

(٨) عن لقاءاته بهم ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٠.، محمد عزالدين: التاريخ والمنهج، ص١٢٢، ١٢٥.

وتحرياً للموضوعية، ينبغي الإشارة إلى أمرين، الأول: إن ابن حجر لم يكن موقفه سلبياً من تباينات الصوفية والفقهاء في اليمن، بل حرص على تسجيل رأيه وموقفه حيال ذلك، والأمر الثاني: إن شرف الدين المقري قد مد صلاته إلى الأزهر الشريف وأمدهم ببعض كتبه(١).

- **تأثيرات الأحناف بين البلدين**:

ارتبط أحناف البلدين وتبادلوا الزيارات، ويمكن الإشارة إلى نموذجين حنفيين، أحدهما لعالم يمني رحل إلى مصر، والآخر لعالم مصري وفد إلى اليمن. أما الأول، فهو أبو القاسم بن موسى الصريفي الذؤالي (ت بعد ٧٩٠هـ/١٣٨٨م) والذي كان يفتي على المذهبين الشافعي والحنفي، وغادر إلى مصر وأُضيفت إليه بعض الولايات اللائقة بحاله(٢). وأما الثاني فهو القاضي صدرالدين بن سليمان بن داوود الحنفي (ت٧٦١هـ/١٣٥٩م) الذي وفد إلى اليمن، حيث درس، أفتى، وكان بارعاً في النظر بالأحكام(٣).

وعليه، يمكن القول: إن أجواء التسامح المذهبي والتعدد الفكري في البلدين قد شجع على مد جسور الصلات المذهبية بين صوفية وفقهاء وأحناف مصر مع نظرائهم في اليمن، ورغم تلك التباينات الفكرية، إلا أن "من السمات المميزة للحياة الفكرية في اليمن أنها كانت تستقبل كل ما يفد إليها وتُعيد صياغته وتضفى عليه تغييرات بنيوية، خاصة المذاهب التي تتميز بالآراء الكلامية والفلسفية"(٤).

تلك – إذاً – كانت قراءات متأنية لطبيعة الصلات الحضارية بين اليمن ومصر، حاول الباحث دراستها بشيء من المقاربات التحليلية وفق ظرفية العصر وخلفياتها التاريخية، ووفق هيكلية ترتكز على التكامل والتنوع في تلك الصلات – تأثيراً وتأثراً وتشابهاً – نخلص منها إلى بعض النتائج كالآتي:

- إن المستوى المتطور الذي وصلت إليه الصلات الحضارية بين اليمن ومصر في عهد المماليك والرسوليين لم تكن حصيلة ظروف العصر فحسب، بقدر ما كانت – كذلك – حصيلة تراكمات تاريخية متعددة الأطوار.
- إن الدولة الرسولية تأثرت في نظامها الإداري بمؤثرات عربية وإسلامية في غالبها مؤثرات مصرية مملوكية، والتي لم تخلوا بدورها من المؤثرات العباسية وغيرها.

---

(١) عن الأمرين ينظر: الحبشي: الصوفية والفقهاء، ص٧٩.، طه أبو زيد: المقري، ص٧١.

(٢) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٢٨٩-٢٩٠.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧١.، الحبشي: مصادر الفكر، ص٤٥.

(٣) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣٣٦/١٠-٣٣٧، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٧.

(٤) عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٤.

- ارتبط البلدان بصلات إدارية في مختلف جوانب الإدارة، أهمها الجانب القضائي، والوظائف الإدارية، أساليب (أنماط) إدارة الدولة واستقدام الخبرات الإدارية، وتشابه المُسميات الإدارية والوظيفية للنظام الإداري.
- تأثرت الإدارة العسكرية للجيش الرسولي بالمماليك في قواعد ترتيب الجيش، والأساليب الحربية، والمصطلحات العسكرية، والتحالفات.
- أن الدولتين دخلتا في صلات تجارية سيطرتا خلالها على تجارة البحر الأحمر، وبالتالي تنوعت الصادرات والواردات بينهما، وتعددت أشكال المعاملات التجارية بينهما.
- أن تجارة الكارم قد انتعشت برعاية البلدين، الأمر الذي مكن تجار الكارم من أداء أدوار سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية بين البلدين.
- أن الرخاء الاقتصادي في مصر واليمن قد انعكس على تنوع الصلات الصناعية بين البلدين كالصناعات المعدنية، النسيجية، السكر، والصابون، الزجاج، ومستلزمات الكتاب، والصناعات العسكرية.
- أن الصناع المصريين والحرفيين الوافدين إلى اليمن ساهموا، إلى حد كبير، في نقل الصناعات المصرية والحرفية إلى اليمن في تلك الفترة.
- ارتبط النظام المالي في اليمن بشكل كبير بالنظام المالي المملوكي في مصر بمكوناته المختلفة من العملة، والمقاييس والأوزان، ونظام الجمارك والتوكيلات المالية، والشراكات التجارية.
- شهدت الصلات الزراعية والحيوانية بين البلدين هجرة متبادلة لأنواع من الثمار والنباتات والحيوانات، المضمنة في الهدايا المتبادلة، التبادل التجاري، تبادل الخبرات الطبية.
- تأثرت العمارة الرسولية الدينية بالعمارة الدينية المملوكية في التخطيط العام ودواوين المدارس والحنايا الركنية والشرافات المسننة وأساليب التغطية والتسقيف، مع الأخذ بخصوصيات العمارة المحلية وتأثيراتها في اليمن.
- ضاهى الرسوليون المماليك في العمارة المدنية في بناء القصور والدور والاستراحات، وفاقوهم في بعض منها.
- تأثر الرسوليون بالمماليك في العمارة العسكرية كبناء القلاع بعيداً عن التجمعات السكانية، وفي التحصينات الدفاعية وقيساريات الجند ودور السلاح.
- حدوث تلاقح – تأثير وتأثر – بين اليمن ومصر في الجوانب الفنية المختلفة، كالزخرفة والخط والتصاوير والطرب ونساخة الكتب.

- تأثرت الدولة الرسولية بالعديد من العادات الوافدة من مصر في اللهو والتسلية، بذخ الحفلات، عادات الزواج والسبوت، وعادات دفن الموتى في المدارس، ومد الأسمطة العامرة بأطايب الأطعمة والأشربة والحلويات.
- شهدت مصر واليمن هجرة متبادلة واستيطان مؤقت ودائم في البلدين، وانتقال متبادل للملابس والمنسوجات والأطعمة والأشربة، وحتى التشابه في الأسماء والألقاب العلمية والاجتماعية والسياسية.
- حفل السُلم الاجتماعي للبلدين بطبقات متوازية كالمماليك، والأشراف، الذميين، والحرفيين وغيرهم.
- تعددت السفارات المتبادلة بين البلدين، وتعدد السفراء المنتقلون بين البلدين التي كانت تستهدف تعزيز أواصر الصلات بينهما.
- راعى سلاطين البلدين في هداياهم المتبادلة البعد النوعي المشتمل على الطرافة والابتكار والغرابة والإبهار، وعكس القدرات المحلية في الصناعات، وعلى ضخامة البعد الكمي ووسائط النقل لتلك الهدايا.
- تنوعت المكاتبات بين سلاطين اليمن ومصر من حيث وجهتها - خلفاء بني العباس سلاطين، مماليك، أمراء وأعيان - ومن حيث مضمونها: بشارات، استنجاد، تهديد ووعيد، تعزيات.
- حاكي الرسوليون المماليك في مراسيم التقليد والتنصيب والتشريفات والاحتفالات، وفي المواكب السلطانية، وشكل الأعلام وحملها والرنوك والتوقيعات والألقاب التفخيمية التي تسبق أسمائهم أو أسماء نسائهم وأبناءهم، وفي الخُلع والعطايا المتبادلة بين البلدين.
- شكل الوافدون المصريون من العلماء والطلاب إلى اليمن وسيطاً مباشراً ورئيساً في منظومة التأثيرات الفكرية بين البلدين، وصورة مبهجة من صور التمازج والتفاعل الفكري بينهما من خلال ما حملوه من علوم وما تقلدوه من مناصب علمية وإدارية في اليمن.
- أسهمت الرحلات العلمية إلى مصر كطلاب وعلماء يمنيين في نقل التأثيرات الفكرية بين البلدين وإثراء المشهد الفكري في مصر تدريساً وتأليفاً وفي جوانب أخرى.
- ارتبط علماء البلدين بصلات علمية متعددة الصور كاللقاءات والزيارات، والتأليف المشترك، المناظرات والمطارحات، والصحبة العلمية، وتبادل الكتب والمراسلات، والترجمات المتبادلة وتقييم المؤلفات.
- ارتبط السلاطين بالعلماء في البلدين بصلات مختلفة الأوجه، كتلقي العلم على أيديهم، وتبادل الكتب معهم، تكليفهم بمهام علمية ووظيفية، والخلع عليهم ومراسلتهم.
- على الرغم من تنوع السماعات والإجازات المتبادلة بين البلدين بين شعرية ونثرية، إلا أن نصوصها المحفوظة في بطون المصادر المعاصرة لازالت بحاجة إلى قراءات متعمقة

وتحليلية من الباحثين والأكاديميين للخروج بحقائق تكشف المزيد من جوانب الصلات الفكرية بين البلدين.

- ساير الأدب في اليمن آنذاك ركب التطور في مصر ومدرسته البديعية واتجاهاته التقليدية، وإن لم يتأثر بالمجون المرتبط بالغزل الذي شاع آنذاك في مصر المملوكية.
- شهد الأدب في اليمن دخول اتجاهات أدبية جديدة مستحدثة عبر مصر المملوكية كالمقامات الأدبية، الموشحات، الألغاز الفقهية، التلاعب بالألفاظ والأوزان.
- تشابهت مكونات النظام التعليمي – نسبياً – في البلدين، في مؤسساته وملحقاتها، وفي طرائق التدريس والمجالس العلمية وفي المقررات التدريسية وموارده المالية وأساليب تنظيمها.
- تشابهت إدارة النظام التعليمي في البلدين إلى حد كبير سواء بتعداد الوظائف في الجانب المهني والإداري والديني أو بتعددها في الجانب التعليمي والتدريسي.
- عاش البلدان فترة ازدهار تأليفي في مجال الكتابة التاريخية سعى فيها المؤرخون إلى التوفيق بين نزعة التجديد وروح التقليد الموروث.
- تشابهت المناهج التاريخية – نسبياً – في البلدين، وما انبثقت عنها من أنماط كتابية سار وُفْقَها مؤرخو ذلك العصر.
- اتسمت الكتابة التاريخية في البلدين بسمات مشتركة، سواءً في جانب البناء الفني لتلك المؤلفات، كخطة الكتاب وخطبته، العنونة المسجوعة، الإحالات والتكرار، الضبط والتدقيق، أو الجانب التعبيري لتلك المؤلفات كوضوح المفهوم للتاريخ، التوازن والشمولية، تنوع الصور الحضارية والفكرية، التساهل في تحقيق سند الرواية، أعمال الدراية الرواية في تلك المؤلفات.
- ارتبط مؤرخو البلدين بصلات تاريخية أثمرت مؤلفات مشتركة وتبادل للمصادر بأنواعها.
- غلب على الحياة الفكرية في البلدين التسامح الديني والمذهبي والتعدد الفكري، وإن لم تخلُ من التباينات في الرؤى والطروحات.
- شهدت الصلات المذهبية انتعاشاً – نسبياً – بين البلدين بانتقال طرق ومؤثرات صوفية من مصر إلى اليمن، وتبادل الزيارات بين أقطابها في البلدين، تبادل الزيارات واللقاءات بين الفقهاء في البلدين، وبطبيعة الحال بين الأحناف في مصر واليمن.
- تميزت الحياة الفكرية في اليمن بقابليتها لاستيعاب كل ما يفد إليها ثم تُعيد صياغته وتضفي عليه تغييرات بنيوية وفق خصوصياتها المحلية، خاصة المذاهب التي تتميز بالآراء الكلامية والفلسفية.

الباب الثالث

الصلات الحضارية بين اليمن والحجاز

الفصل الأول: الصلات الإدارية والاقتصادية والمعمارية والاجتماعية بين اليمن والحجاز.

الفصل الثاني: الصلات الفكرية بين اليمن والحجاز.

الفصل الأول

الصلات الإدارية والاقتصادية والمعمارية والاجتماعية بين اليمن والحجاز

أ) مركزية مكة والمدينة الإدارية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وأثرها على اليمن:

تشكلت تلك المركزية منذ أن جعل الله في مكة أول بيت للناس، الأمر الذي جعل منها "نقطة التقاء ومركز تجمع لجميع المسلمين في مختلف الأقطار الإسلامية"(١). و"مع الحضارة الإسلامية تشكلت مركزية المدينة"(٢)، وكانت اليمن بجوارها الجغرافي للحجاز(٣) عبر منافذ وطرق متعددة(٤) أكثر البلدان الإسلامية تأثراً بتلك المركزية لاسيما في تلك الفترة التي ارتبطت فيها الحجاز بالدولة الرسولية بصلات وثيقة، وتلك المركزية تظهر في عدة صور أبرزها:

- المركزية الاقتصادية:

بدأت تلك المركزية من خلال "دور الحجاز في توصيل بضائع وتجارة مصر والشام إلى اليمن وفي تصدير بضائع اليمن إلى تلك البلاد"(٥)، أو عندما "كان يجتمع في أسواق مكة المكرمة منتجات كلٌ من الهند والحبشة والعراق واليمن وخراسان وبلاد المغرب"(٦)، كما تأثرت اليمن

---

(١) زكي الميلاد: مركزية مكة المكرمة في الثقافة العربية الإسلامية، مجلة جنور، مج٩، ع٢٠، النادي الأدبي الثقافي، جدة ٢٠٠٥م، ص٢٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٢٠.، وينظر: محمد حسن شراب: المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي، دار القلم، دمشق ١٩٩٤م، مج٢، ص ص٩٥-١١٢.

(٣) ينظر: السُلمي: أسماء جبال تهامة ومكة، ص٤٠.، ابن خلدون: المقدمة، ص٥٦.، الحميري: الروض المعطار، ص١٨٨.

(٤) عن تلك المنافذ والطرق ينظر: ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م): المسالك والممالك، تح: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م، ص١١٧، ١٢٧، ١٣٠.، الشجاع: اليمن في صدر الإسلام، ص ص٨٦-٩٧.

(٥) السعدي، هدى مفتاح عبدالحميد: العلاقات بين اليمن وبلاد الحجاز في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م)، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب، القاهرة ١٩٩٦م، ص١١٥.

(٦) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٩٦.، وينظر: هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص١٠٥.

بالمركزية الاقتصادية للمدينتين في استقطاب التجار من مختلف الأقطار الذين استقروا في الحجاز وتنقلوا في تجارتهم بين اليمن والحجاز[١]، أو بين من قصد المدينتين للحج والزيارة وعرج على اليمن للتجارة والاسترزاق[٢]، ناهيك عن عبور الحجاز إلى اليمن من قبل أصحاب المهن، المشتغلين بالصناعات الفلكية والكيمياء[٣]؛ لاسيما تلك المهن والصناعات التي حملها المجاورون معهم من بلدانهم[٤].

ـ المركزية الإدارية:

فقد شكل الحجاز ومدنه الرئيسة معبراً للكفاءات الإدارية التي أمدت الدولة الرسولية بالخبرات الفنية من بلدان شتى، فعن طريق الحجاز قدمت العديد من الخبرات القضائية إلى اليمن بعد أن قصدوا مكة والمدينة للحج والمجاورة وغير ذلك[٥]، وكذا الخبرات الوظيفية في المجالات الوزارية وكتابة الإنشاء[٦]؛ ناهيك عن الوظائف التدريسية والمسجدية[٧].

ـ المركزية السياسية والعسكرية:

بدأت إستهلالات تلك المركزية بالصراعات التي خاضتها الدولة الرسولية لمد نفوذها على المدينتين المقدستين[٨]. وقد ساهمت مكة في مساعدة الدولة الرسولية على نسج علاقات متعددة مع القاصدين إليها وإلى المدينة[٩]. وشكلت مكة وسيطاً للرسوليين في تبادل السفارات

---

(١) ينظر: السخاوي: الضوء ١٦/٣، ١٢٧، ٣١٩/٤.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٦٥.

(٢) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٥/٣، ابن حجر: إنباء الغمر ٤٦٦/٣-٤٦٧، السخاوي: الضوء ١٣٥/٣.

(٣) ينظر: الجندي: السلوك ٤٢٩/٢، السخاوي: الضوء ١٢٨/٣-١٣٩، ١٥٢.، الفاسي: العقد الثمين ٢٤/٣-٢٥.

(٤) ينظر: السخاوي: الضوء ٣٢١/٤.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١١١.

(٥) ينظر: المقريزي: السلوك، ق٣، ٩٠٤/١.، الخزرجي: العقود ١٨٧/٢، بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٩٤/٣.

(٦) ينظر: الجندي: السلوك ٤٢٩/٢، الخزرجي: العسجد، ص ص٣٣٢-٣٣٣، نفسه: العقود ٣٥٤/١، بامخرمة: ثغر عدن ٢٥٢/٢.

(٧) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٠٣/١-٣٠٤، ٢٤/٢، ٢٠٢-٢٠٣.، إسماعيل الأكوع: الدولة الرسولية، ص١٩.

(٨) للاطلاع على نماذج من تلك التجاذبات السياسية والعسكرية، ينظر: ريتشارد مورتيل: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨٥م، ص ص٤٦-٥٠، ٥٣-٦٢.

(٩) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٤/٧، الخزرجي: العقود ١٢٥/١، ٦٤/٢، ٦٦، ٢٤٦.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٤٩.

والهدايا مع بعض الأقطار[١]، كما احتضنت مكة تحالفات للرسوليين مع أطراف يمنية داخلية[٢]، ناهيك عن استخدام المصريين للحجاز كقاعدة متقدمة لحملاتهم العسكرية على اليمن[٣].

ـ المركزية الإخبارية (الإعلامية):

مثلت كلّ من مكة والمدينة مركزية إخبارية، فالمسلمون "يأتون من كل جهة ثم يتفرقون، وقد امتلأت جعباتهم بالأخبار... واكتظت أذهانهم بمختلف الصور والمشاهد"[٤]، فعن طريق مكة استقى أهل اليمن أخبار المعارك العسكرية مع التتار[٥]؛ وعن طريق مكة وصلت أخبار اليمن إلى العالم الإسلامي وأخبار العالم الإسلامي إلى اليمن[٦].

ـ المركزية الاجتماعية والمعمارية (الفنية):

مثلت كلّ من مكة والمدينة موئلاً للقُصاد لهما من شتى بقاع الأرض للمجاورة فيهما[٧]؛ ومن هؤلاء المجاورين من نسج صلاته الاجتماعية مع اليمن، إما عبر استيطانها أو المتجارة فيها أو شغل وظائف فيها[٨]. وبطبيعة الحال فإن أولئك المجاورين حملوا معهم عاداتهم وأنماط حياتهم[٩]، كما شكل الحجاز معبراً تعززت عبره الصلات الاجتماعية بين اليمن ومختلف الأجناس والثقافات[١٠]. وإذا كان الحال كذلك مع تأثيرات المركزية الاجتماعية لمكة والمدينة

---

(١) ينظر: الخزرجي: العقود ٢/٢٤٦؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٧/٢٤، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص٧٧-٧٨.

(٢) ينظر: الجندي: السلوك ٢/٥٥٠.

(٣) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٢/٢٦٥-٢٦٨.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٩/٨٤-٨٧، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص٧٤-٧٥.

(٤) سهام حسين القحطاني: الحضارة تعرف أين تخبئ بذورها، مجلة جذور، مج٩، ع٢٠، النادي الأدبي الثقافي، جدة ٢٠٠٥م، ص٢٤٨.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ٢/٢١٦.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ٢/٧٨-٧٩، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٧/٣٢، ١٠/٢٦٥.

(٧) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ص٨٠-٨١.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١١١.، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٢٢٩-٢٣٢.

(٨) ينظر: الجندي: السلوك ٢/٤٢٩-٤٣٠، السخاوي: الضوء ٣/١٣٨-١٣٩، ٤/٣١٩.، بامخرمة: قلادة النحر ٣/٢٤٩٤.

(٩) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ص٨٩-٩٠.، الجندي: السلوك ٢/٤٢٩، أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٢٨٦-٢٨٧، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١١١، ١٢١.

(١٠) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٤٧٩.، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٩.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٢.

على اليمن، فإنهما كذلك استقطبتا بعض طرز العمارة الشائعة في تلك الفترة، لاسيما المملوكيـــة منها[1]، الأمر الذي بدوره سينعكس حتماً على النمط المعماري في اليمن بحكم الصلات الوثيقة بين البلدين في تلك الفترة.

وعليه يمكن القول: إن مكة والمدينة شكلتا بمركزيتهما تأثيراً اقتصادياً وإدارياً وسياسياً وإعلامياً واجتماعياً ومعمارياً على اليمن، بما امتلكتا من أسس لتلك المركزية كالموقع الجغرافي القريب، البيت الحرام، مواسم الحج والعمرة والزيارة، فضلاً عن الأســـواق التجاريـــة وتنـــوع أجناس وثقافات المجاورين، الأمر الذي انعكست آثاره على اليمن، مما ساهم في تغذية روافــد الازدهار الإداري، والاقتصادي، والاجتماعي، والمعماري في اليمن في تلك الفترة.

(١) ينظر: محمد حسين جودي: العمارة العربية الإسلامية خصوصياتها ابتكاراتها جمالياتها، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمّان ١٩٩٨م، ص٧٤.

ب) الصلات الإدارية بين اليمن والحجاز:

بدأت الصلات الإدارية بين الرسوليين وأشراف الحجاز في التشكُّل منذ وقت مبكر، قبيل قيام الدولة الرسولية ذاتها عندما كان مؤسس الدولة نور الدين عُمر يلي ولاية مكة كنائب للأيوبيين فيها ومتصرفاً في أمورها الإدارية[١]. وفي تقديري أن الصلات الإدارية بين البلدين لا يمكن تناولها بالشكل المفيد بمعزل عن ثلاثة عوامل رئيسة هي:

- العامل الأول: تأثر النظام الإداري لكلا البلدين بالنظام الإداري المملوكي[٢].
- العامل الثاني: التقلبات السياسية التي كانت تعتري العلاقات بين البلدين بفعل عوامل داخلية وخارجية[٣].
- العامل الثالث: امتداد نفوذ الدولة الرسولية إلى الحجاز[*]، والمشاركة المباشرة للرسوليين في تشكيل النظام الإداري للحجاز في فترة من الفترات[٤].

وعليه فقد اتجهت الصلات الإدارية بين البلدين ثلاثة اتجاهات رئيسة هي:

أولاً: الصلات القضائية بين البلدين:

إذا كان القضاء قد احتل مكانة رفيعة بين المناصب – كما سلف[٥]– فإن "وظيفة القاضي في الحجاز تعتبر الوظيفة الثانية بعد ولاية مكة والمدينة المنورة"[٦]. وعليه فقد تنوعت صور تلك الصلات بين البلدين، منها ما جاء عبر التفويض المباشر من الرسوليين لقضاة حجازيين في وظائف قضائية في الحجاز، كتفويض السلطان المجاهد للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن

---

(١) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢/٢٣٨، الخزرجي: العقود ١/٤١، أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٢٧١، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٤٤.

(٢) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٧، ٤٩، ٥٠.، الفاسي: شفاء الغرام ٢/٢٤٤-٢٤٥، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص١٨٣.، محمد شكري: التاريخ السياسي، ص٣٥.

(٣) ينظر: عواطف محمد يوسف: الرحلات المغربية والأندلسية (مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤١٧هـ، ص ص١٦١-١٧٠.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص ص٥٨-٦٣.

(*) كان السلطان نورالدين عمر قد نجح في بسط نفوذه – بعد تأسيسه الدولة الرسولية – على مكة سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م)، ينظر: المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تح: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد ٢٠٠٠م، ص١١٠.

(٤) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٧/٤٨٨-٤٨٩، الخزرجي: العقود ١/٧٠، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٤٩.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص٣٨-٣٩.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ٢/٢٤٩، باسخرمة: قلادة النحر ٣/٣٣٨٣. الحبشي: حياة الأدب، ص٣٥.

(٦) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص٢٠٩-٢١٠.، وينظر: عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص١٩٥.، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٢٥١-٢٥٢.

محب الطبري (ت٧٦٠هـ/١٣٥٨م) في قضاء مكة[١]، أو استقدام قضاة حجازيين وتوليتهم وظائف قضائية في اليمن، كتولية السلطان الناصر أحمد للقاضي عزالدين عبدالعزيز بن علي النويري المكي (ت٨٢٥هـ/١٤٢٧م) قضاء تعز وصارت له الرئاسة التامة بها[٢]، وتعيين الجمال المصري المكي محتسباً على زبيد "فقام بالوظيفة قياماً مرضياً وأمعن النظر في مصالح المسلمين"[٣]؛ وبالمقابل فقد كان هناك من نصبه أشراف الحجاز قاضياً على مكة وهو من أهل اليمن الوافدين إلى الحجاز، كالقاضي أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن العُمري الحرازي (ت٧٥٥هـ/١٣٥٤م) الذي تقلد قضاء مكة وانتهت إليه رئاسة الفتوى فيها، ولعب أدواراً سياسية وإدارية واجتماعية وعلمية في الحجاز[٤].

وقد تأتي الصلات القضائية بين البلدين عبر تبادل الزيارات لقضاة البلدين، كزيارة القاضي إسحاق الطبري (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م) إلى اليمن وعظمه قضاتها[٥]، وزيارة القاضي عبدالرحمن بن علي بن أحمد النويري (ت٨٠٦هـ/١٤٠٣م)، القاضي تقي الين محمد بن أحمد الفاسي المكي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م) إلى اليمن[٦].

وبطبيعة الحال، كانت هناك زيارات لقضاة يمنيين إلى الحجاز، ومنهم القاضي البهاء العمراني، والقاضي عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الناشري، والقاضي أحمد بن محمد بن عمر اليحيوي، القاضي جمال الدين محمد بن حسان، والقاضي فتح الدين عمر بن الخطباء، والقاضي صفي الدين أحمد بن عمار[٧].

ويجدر بالباحث الإشارة إلى ملاحظتين تتعلقان بالصلات القضائية، الأولى: إن القضاء في الحجاز في تلك الفترة يكاد ينحصر في أربع أسر علمية مشهورة، هي: آل ظهيرة، وآل

---

(١) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ١٦١/٣-١٦٦، ابن بطوطة: تحفة النظار، ص١٤٥.، ابن حجر: الدرر ٢٩٧/١-٢٩٨، العبيكان: الحياة العلمية، ص٧٣.

(٢) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٣.، السخاوي: الضوء ٢٢١/٤-٢٢٢، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٧.

(٣) الخزرجي: العقود ١٨٧/٢، وينظر: السخاوي: الضوء ٥/٤، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص١٩٦-١٩٧.

(٤) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢٣٥/١-٢٣٦، ٥٣٠-٥٣١.، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨٥/١١، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٠١.

(٥) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٩١/٣-٢٩٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٥.، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٠٤.

(٦) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٩.، السخاوي: الضوء ٩٤/٤.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٩.

(٧) عن هؤلاء القضاة وزياراتهم ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٦٠١.، الجندي: السلوك ٥٥٠/٢، الخزرجي: العقود ٧٧/٢، السخاوي: الضوء ١٣٥/٤.

الطبري، وآل النويري، وآل الفاسي، الأمر الذي وإن كان له جانبه الحسن إلا أنه ولد بعض التنافس والاحتكاكات بين تلك الأسر حول منصب القضاء[1]، وهذا النفوذ الأسري على المناصب القضائية عكس نفسه على الصلات القضائية مع اليمن التي تكاد أن تكون، في الغالب، محصورة مع أطراف تلك الأسر الأربع[2]؛ أما الملاحظة الثانية: وجود معيار تفضيلي في اختيار قضاة اليمن وهو معرفتهم بالناس يمناً وحجازاً لتداخل قضايا ومصالح البلدين[3].

ثانياً: الصلات في مجال الإدارة المدنية وأنماطها:

ارتبطت الدولة الرسولية في الإدارة المدنية مع الحجاز بصلات متعددة الأوجه، كالآتي:

١- الوجه الوظيفي:

ويتعلق بالسمات المشتركة للسُلم الإداري في البلدين، والإجراءات الإدارية المباشرة للرسوليين بمكة خصوصاً والحجاز عموماً، وانتقال الخبرات الإدارية بين البلدين، والاستحداثات الإدارية أو المصطلحات الإدارية الوافدة على البلدين. أما فيما يتعلق بالسمات المشتركة للسلم الإداري في البلدين، فهناك ثمة تشابه في المكونات الوظيفية، فقد وجدت في الحجاز وظيفة الوزارة[4]، ووظيفة النائب[5]، والشاد، الناظر، المباشر، القُواد[6]؛ ناهيك عن الوظائف القضائية – كما سلف –، ولعل تلك الإشارات لتلك الوظائف توحي بمدى تقارب المكونات الوظيفية مع السلم الإداري لليمن في عهد الدولة الرسولية[7].

أما فيما يتعلق بالإجراءات الإدارية المباشرة للرسوليين أثناء بسط نفوذهم على الحجاز، فقد بدأت مع عهد نورالدين المؤسس، إذ أن "مكة في تلك الفترة كانت تتبع من الناحية الإدارية

---

(١) ينظر: ابن العماد: شذرات الذهب ٩٤/٧، الفاسي: العقد الثمين ١٦١/٣-١٦٣، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٢٥١-٢٥٦.

(٢) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٣، ٣٤٩، ابن بطوطة: تحفة النظار، ص١٤٥.، الفاسي: العقد الثمين ٢٩١/٣-٢٩٣.

(٣) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٦٠١.، الجندي: السلوك ١٣١/٢-١٣٢.

(٤) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٤٤/٢، ابن حجر: الدرر ٢٤/٢-٢٥، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص١٩٠-١٩١.

(٥) ينظر: السخاوي: الضوء ٥٦/٣، ١٠٤.، ابن حجر: الدرر ٢٠١/١-٢٠٢، ٢/ ٣٠٠.

(٦) عن هذه الوظائف ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٣/٣-٢٤، السخاوي: الضوء ١٢٧/٣، ٣٠٧.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٤٥/١، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص٢٠٥-٢٠٦.

(٧) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص٤٩-٥٠.، الحسيني: ملخص الفطن، ص ص٥٩-٧٢.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٧١، ٨٠.

اليمن"(١)، والذي شرع بعد توطيد نفوذه على الحجاز في اتخاذ جملة إجراءات إدارية، بتعيين ولاة نواباً عنه في المدن الحجازية، أسقط المكوس والجبايات والمظالم، ورتب وضع الأشراف الإداري في مكة وينبع ووادي مُر، وأعاد ترتيب دار الإمارة في مكة(٢)، "ويعتبر عهد المظفر الرسولي هو أفضل عهد للعلاقات الرسولية، حيث بلغ في هذا العهد نفوذ الرسوليين أوجه بمكة"(٣)، والطائف وما والاها، واتخذ إجراءات إدارية ركز فيها على أهل مكة ومصالح الحرم(٤)، ومع تراجع النفوذ الرسولي بعد عهد المظفر وتنامي النفوذ المملوكي، فقد بدأ ينحسر الدور الإداري المباشر للرسوليين مع الحجاز(٥).

أما فيما يتعلق بانتقال الخبرات الإدارية بين البلدين، فقد استفادت الدولة الرسولية من الخبرات الإدارية الحجازية من خلال شغل حجازيين وظائف إدارية في اليمن(٦)؛ وبالمقابل استفاد الأشراف من الخبرات الإدارية اليمنية من خلال تقلد يمنيين وظائف في الحجاز، كنظر المسجد الحرام، وشد جدة، ومباشر جدة، ونيابة جدة، ونظر أوقاف، وأمير جاندر، وغير ذلك من الوظائف(٧).

بالحديث عن الاستحداثات الوظيفية أو المصطلحات الإدارية الوافدة ذات الطابع الأعجمي والمملوكي، فقد تشابهت وشاع في البلدين استخدامها مثل: الجامكية، الخازندار، الجاندر، الخاصيكية، السلحدارية، الطبلخانات، الغواشية، الشاد، النُظار(٨).

---

(١) جازم: نور المعارف ٦٤/١ (هامش التحقيق)، وينظر: الفرح، محمد حسين: اليمن في تاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء ٢٠٠١م، ص ص٦٢١-٦٢٢.

(٢) عن تلك الإجراءات ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٨٦/٢، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٤٩.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٢.

(٣) هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص٤٤-٤٥.، وينظر: سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٤.

(٤) ينظر: ابن فهد: إتحاف الورى ٧٠/٣، الفاسي: العقد الثمين ٤٨٨/٧-٤٨٩، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٥٣.

(٥) ينظر: أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣١١/١-٣١٥، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص ص٥٤-٧٤.، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٤٠-٤٣.

(٦) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢٦٥/١-٢٦٧، الخزرجي: العقود ١٤٨/٢-١٤٩، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٧١-٧٤.

(٧) عن تلك الوظائف وغيرها ينظر: السخاوي: الضوء ١٢٧/٣، ٣٠٧، ١٣٧/٤، ١٦٧، ٢٦٨.، الخزرجي: العقود ٦٧/٢، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص١٠٠-١٠١.

(٨) عن تلك المصطلحات في البلدين ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٨٧/٧-٤٨٩، ٤٩٢.: السخاوي: الضوء ١٢٧/٣، الحسيني: ملخص الفطن، ص ص٥٨-٧٠.، الخزرجي: العقود ٦٧/٢، ١٦٠، ١٩٤، ٢٠٠.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص ١٨٦، ١٨٨.، حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص٢٣٦.

٢- الوجه الأسلوبي (أنظمة الإدارة):

إذا كانت الدولة الرسولية نجحت في تأسيس جهاز إداري إعتمد عليه السلاطين في تسيير شؤون الدولة "فإن الحجاز وُجد به المقومات الأساسية للدولة"[١]، وعليه فقد وجدت أنماط إدارية مشتركة بين البلدين واستخدمت في البلدين مع ملاحظة خصوصية التطبيق في كل بلد، ومن تلك النظم نمط الإقطاع الذي كان موجوداً في الحجاز[٢]، وفي اليمن[٣]، مع بعض التباينات – كما سلف –. أما النمط الإداري الثاني فهو الجمع بين أكثر من وظيفة وتوريثها والذي كان سائداً في اليمن[٤]، وفي الحجاز[٥].

هناك نمط إداري ثالث شاع في البلدين وهو النيابات في الوظائف الإدارية والقضائية[٦]، وثمة نمط إداري رابع وهو التفويض عبر تقليد يُصدر بوظيفة ما[٧]، ناهيك عن نمط التكليفات أو الندب لأشخاص بعينهم للقيام بمهام محددة قد تكون سياسية أو إدارية أو إنشائية وحتى دينية[٨]. كما ارتبط اليمن والحجاز بنمط إداري سادس وهو المصادرات وأخذ الرهائن، والفدية[٩]. وأما النمط الإداري السابع فهو الشدود (الدواوين) وإن كان قد ظهر بالحجاز بشكل أقل[١٠].

---

(١) عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٤٢٦.

(٢) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣/٢٣-٢٤، ٤٠١، ٤٣٩.، السخاوي: الضوء ٣/١٠٣-١٠٥، أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٣٢٤.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ١/٢٣٤، ٢٩٨-٢٩٩.، الحسيني: ملخص الفطن، ص ص٥١-٥٢.، جازم: نور المعارف ٢/٥٥.

(٤) ينظر: الجندي: السلوك ١/٤٩١-٤٩٢، الخزرجي: العقود ١/٢٤٤-٢٤٥، ٢٨٨، ٣٣١.، الأفضل: العطايا السنية، ص ٢٦٠، ٤٠٤، ٤٨٢، ٥٦٢-٥٦٣.

(٥) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣/٣٩٠-٣٩١، السخاوي: الضوء ٣/٤، ٢٥٦، ٤/٣٣٣-٣٣٤.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٥٥، ٢٦٣.

(٦) ينظر: الجندي: السلوك ٢/٤٥٢-٤٥٣، الفاسي: العقد الثمين ٣/٢١، ٢٩١-٢٩٣.، السيوطي: بغية الوعاة ٢/٢٥٦، السخاوي: الضوء ٣/٥٦، ٢٥٦، ٤/١٦٧.

(٧) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣/١٦١-١٦٢، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص١٨١.، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٧٣-٧٤.

(٨) ينظر: الخزرجي: العقود ١/١٥٢، ٢/١٤٩-١٥٠.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٣٣٤، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٣٧.

(٩) ينظر: الخزرجي: العقود ١/٢٨٠، ٢٨٥.، الفاسي: العقد الثمين ٣/٤٠٦، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٤٣.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٢٧٨.

(١٠) ينظر: الحسيني: ملخص الفطن، ص ص٦٣-٧٠.، السخاوي: الضوء ٣/١٢٧، خديجة الماوري: السلطة المحلية، ص٤١.

ثالثاً: الصلات في مجال الإدارة العسكرية:

ارتبطت اليمن مع الحجاز في تلك الفترة بصلات عسكرية انعكست آثارها على الإدارة العسكرية في البلدين من خلال عدة وسائط، أبرزها التحالفات والمعاهدات بين أمراء أشراف(*)، وسلاطين الدولة الرسولية(١)، وكذا عن طريق قيادة أمراء أشراف حجازيين لجيوش وحمـلات عسكرية رسولية(٢)؛ فضلاً عن هروب قادة رسوليين إلى الحجاز وقادة أشراف إلى اليمن، بمـا يمكن تسميته – إن جاز لنا التعبير – لجوء سياسي(٣)؛ كل ذلك في تقديري ألقى بظلالـه علـى تشابه وتقارب النظام العسكري في البلدين وما ارتبط بهذا النظام من ترتيبات إدارية، فضلاً عما رافق المعارك الحربية للرسوليين في الحجاز من أساليب عسكرية، كاستمالة الخصوم، الإغراء المادي للعامة والخاصة، والهدم الوقائي للحصون والمنشآت حتى لا يستخدمها الخصوم، أساليب حصار المواقع(٤).

ومما ينبغي الإشارة إليه أن من أهم أسباب تشابه النظام العسكري ومكوناته الإدارية في البلدين هو الحكم المباشر للحجاز من قبل الرسوليين، ناهيك عن تأثر اليمن والحجـاز آنـذاك بالإدارة العسكرية للدولة المملوكية في مصر.

(*) عادة ما كانت تلك التحالفات ما ترتبط بتأكيدها بالأيمان كسائر المعاهدات في التاريخ الإسـلامي، ينظـر: محمد عبدالغني حسن: المعاهدات والمهادنات في تاريخ العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦م، ص ص١٠٢-١٠٣.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٦٣.

(١) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص٢٧٩ (حبشي)،، الخزرجي: العقود ٥٨/١، ٧١، ابن الديبع: قرة العيـون ٣٠٢/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٣٩، ٤٣.

(٢) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص٢٧٩ (حبشي).، مورتيل: الأحوال السياسـية بمكـة، ص ص٤٦-٤٧.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٣٧.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ١٤٨/٢، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣١٤/١-٣١٥، ٣٤٠.، مورتيل: الأحـوال السياسية بمكة، ص٧٢.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص١٧٨.

(٤) عن تلك الأساليب ينظر: الخزرجي: العقود ٧٠/١، الفاسي: العقد الثمين ٤٣٤/٣، سليمان مـالكي: بـلاد الحجاز، ص٧٦، ٨٠.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجـاز، ص٣٥، ٣٨.، مورتيـل: الأحـوال السياسية بمكة، ص٤٦، ٤٨-٤٩.

ج) الصلات بين اليمن والحجاز في الجوانب السياسية والمراسيم:

أولاً: السفارات والمكاتبات بين البلدين:

١ - السفـارات:

السفارات بين البلدين تمتد جذورها بين أشراف الحجاز واليمن إلى ما قبل قيام الدولة الرسولية عندما التقى عمارة اليمني (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م) بأمير مكة "قسيره... رسولاً إلى الخليفة الفائز الفاطمي في مصر"(١). ومع قيام الدولة الرسولية ارتفعت وتيرة العلاقات السياسية، ونشطت السفارات بين البلدين، والتي تنوعت بحسب الغرض الذي تسعى لتحقيقه، والذي قد يستهدف كسب ولاء أحد أمراء الأشراف، أو إعلان ولاء من قبل أمراء أشراف للرسوليين، أو حتى طلب نجدة من الرسوليين ضد خصومهم(٢). إزاء ذلك كانت بعض السفارات تستهدف تشكيل ضغط سياسي لتحقيق غرض بعينه، كما حدث مع الفقيه أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن يحيى بن سالم (ت٧١٠هـ/١٣١٠م) الذي "بعثه الملك المؤيد سفيراً إلى مدينة رسول الله ﷺ ليقوم حمات على أبي نمي صاحب مكة لأمر كان بينهما فلزمه أبو نمي وصادره"(٣).

وبالمقابل قد تستهدف سفارات الأشراف إلى اليمن حل خلاف طارئ كما حصل في عهد الشريف حسن بن عجلان عندما هجا شاعر حجازي السلطان الناصر أحمد، فثارت أزمة مع الأشراف مما دفع بأمير مكة إلى إرسال سفارة برئاسة السبكي لحل الخلاف(٤).

وقد حظي السفراء بمراسيم استقبالية احتفالية، توفير المؤن والجامكيات، الخلع عليهم كلٌ بحسب مكانته(٥). ولم يكن سفراء الحجاز إلى اليمن على رتبة واحدة، فمنهم أشراف أمراء كالأمير ثقبة بن أبي نمي وأخيه رُميثة(٦). وقد يكون أقل رتبة كسفارة نائب مكة، أو الفقيه السبكي(*) إلى اليمن(٧). وبالمقابل فقد كان من أبرز سفراء اليمن إلى الحجاز، الجمري،

---

(١) عمارة اليمني، نجم الدين بن أبي الحسن علي (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م): تاريخ اليمن، تح: حسن سليمان محمود، مكتبة الإرشاد، صنعاء ٢٠٠٤م، ص١٠ (المقدمة).، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣٣/٧.

(٢) عن تلك الحالات ينظر: الخزرجي: العقود ٧٠/١، ٢٨٠.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٧٨/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص٥٠-٥٢.

(٣) الخزرجي: العقود ٣٢٤/١، وينظر: الجندي: السلوك ١٧٦/٢-١٧٧، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٦٠٣-٦٠٤.

(٤) ينظر: أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٣٤/١.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٧٩/١، ٢٤٤/٢.، السخاوي: الضوء ٢٥٦/٣، جازم: نور المعارف ٧٣/١، ١٠٨.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٥٥.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٩٦/١.

(٦) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣٩٦/٣، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص٥١-٥٢؛ ٥٥.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٤٠/١.

(*) الإشارة غير واضحة إلى ترجمة السبكي، وقد يكون تاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) المعاصر للشريف عجلان، ينظر: السبكي، تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو، ط٢، دار هجر للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٢م، ج١، ص ص١١-١٥.

(٧) ينظر: السخاوي: الضوء ٢٥٦/٣، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٣٤/١.

وجوهر الرضواني[١] والأمير ابن التعزي، عبدالله إلهبي، المجد بن أبي القاسم[٢]، والأميرين ابن النصري، ابن عيدان[٣]، الفقيه محمد بن عبدالرحمن بن يحيى بن سالم سفير المؤيد إلى المدينة سالف الذكر[٤].

٢- المكاتبات بين البلدين:

يبدو أنه لا يشترط في المكاتبات حملها عبر السفراء فقط دون غيرهم - كما سلف - فقد تُحمل عبر الخصيان أو الطواشية أو تجار البلدين أو الفقهاء، ناهيك عن أصحاب البريد[٥]. وقد تفرعت تلك المكاتبات إلى عدة صور، منها مكاتبات تستهدف إظهار ولاء الأشراف للرسوليين، ومنها ما يستهدف كسب ولاء أشراف للرسوليين[٦]، ومنها مراسلات سرية تفاوضية لحفظ مصالح الطرفين، كما حدث في عهد ابي نمي سنة (٦٩٦هـ/١٢٩٧م) الذي فاوض السلطان المؤيد على الخطبة له مقابل الدعم المادي والمعنوي، وكان "يتصل بحكومة الرسوليين سراً ويتقبل هداياهم"[٧].

وقد تتجاوز تلك المكاتبات الشكل النثري المألوف إلى الشكل الشعري، وقد تتجاوز أمراء مكة إلى الأعيان والفئات الاجتماعية الأخرى[٨]. وربما قد تكون منطلقاً لخطابات سلاطين مصر إلى اليمن والتي يرد في أحدها "سطرتها من مكة المشرفة"[٩]؛ علاوة على أنه قد كانت مكة ومصالحها وسياسة الرسوليين فيها موضوع المكاتبات بين الخليفة العباسي في مصر وسلاطين الدولة الرسولية، لاسيما وقد حمل الحجازيين خطابات الخليفة العباسي إلى الهند عبر اليمن[١٠].

---

(١) ينظر: الخزرجي: العقود ٧٧/٢، ٧٩، ٨٠.، الفاسي: العقد الثمين ٤٤٨/٣-٤٤٩، الأفضل: العطايا السنية، ص٢٩٠.

(٢) ينظر: الخزرجي: العقود ١٥٢/١، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٣٤/١، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٧٦.

(٣) ينظر: ابن حاتم: السمط، ص٢٤، ٢٠٨.، الخزرجي: العقود ٥٩/١، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٤٦،٤٨.

(٤) ينظر: الجندي: السلوك ١٧٦/٢-١٧٧، الخزرجي: العقود ٣٢٤/١، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٦٠٣-٦٠٤.

(٥) عن تلك الوسائط ينظر: الشيباني: رصف الفريد، ص ص٣٢-٣٣.، الخزرجي: العقود ٣٢٤/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص١١٩.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٩٧.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقود ٧٠/١، ٢٨٠.، السباعي: تاريخ مكة ٢٩٦/١، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٤٦.

(٧) أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٩٦/١، وينظر: مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٦٣.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص١٦٨.

(٨) عن الحالتين ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٥٦/٢، ١٠٢/٣-١٠٣.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٣٤/١، ٣٤٩-٣٥٠.، عبدالرحمن صالح: التعليم في مكة، ص٤١.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٤٦.

(٩) ينظر: المرجع نفسه، ص٥٦، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٤١/١-٣٤٢.

(١٠) عن الحالتين ينظر: القلقشندي: مآثر الإنافة ٢٦١/٣، إبن بطوطة: تحفة النظار، ص ص٩٠-٩١.

ثانياً: الهدايا والتحف بين البلدين:

تعتبر الهدايا من أبرز مظاهر الصلات السياسية بين البلدين، والتي عادة ما كانت تُحمل عبر السفراء أو التجار أو الحجاج(١)؛ ونظراً لما كانت تمثله الحجاز من أهمية سياسية وروحية لسلاطين اليمن، فقد راعوا في هداياهم البعدين الكمي والنوعي، فأما البعد الكمي، ففي عهد المظفر "تسلم أبو نمي هدايا اليمن وفيها كثير من المال..."(٢)، وفي عهد المؤيد كان حجم الهدية كبيراً حتى "كان مبلغ العين ثمانين ألف درهم ومبلغ الغلة أربعمائة مُد"(٣).

ولعل ذلك البعد الكمي وما يمنحه السلاطين من "هبات كثيرة"(٤) كان يستهدف منافسة هدايا المصريين، حتى كان عطاء المظفر وحده "يوازي ثلاثة أمثال ما ترسله مصر إلى صاحب مكة سنوياً"(٥).

إزاء ذلك اهتم السلاطين بمراعاة البُعد النوعي بتضمين هداياهم التُحف والخِلع النفيسة، فبالإضافة إلى الأموال والغلال تضمنت هداياهم الكساوي، الطيب، المسك، الصندل، العنبر، الثياب الملونة، الخِلع النفيسة، الخيل والبغال كوامل العدد والآلات(٦). وبالمقابل فقد كانت هناك هدايا يرسلها أشراف الحجاز وإن لم تكن بذات الحجم للسلاطين الرسوليين، إلا أنها كانت ذات دلالة رمزية عن الولاء والامتثال للدولة الرسولية(٧).

وبالإضافة إلى التحف المضمنة في طيات الهدايا فمن التحف ما كان يعبر اليمن إلى الحجاز من الهند وغيرها كالعاج، الأبنوس، وغير ذلك مما يفضله سكان الحجاز من غرائب الأشياء كالبُسط النادرة وأدوات الزينة والحرير المزركش بالذهب(٨).

---

(١) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٤٥/٢، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص١٢٠.، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٧٦.

(٢) أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٩٩/١، وينظر: مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٦٢.

(٣) الخزرجي: العقود ٢٧٩/١، وينظر: أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣١٢/١، مورتيل: الأحوال السياسية، ص٦٣.

(٤) المرجع نفسه والصفحة.

(٥) أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٩٩/١، وينظر: مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٦٢.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٤٤.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٧٩/١، ٦٦/٢.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٩٩/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٥١.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص ص٦٢-٦٣.

(٧) ينظر: السخاوي: الضوء ٢٥٦/٣، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٤٩/١-٣٥١.

(٨) ينظر: إبن بطوطة: تحفة النظار، ص ص٩٠-٩١.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص١١٤.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٩٤.

ثالثاً: المراسيم والتوقيعات بين البلدين:

- الاحتفالات والتشريفات:

تشابهت احتفالات اليمنيين مع أهل الحجاز في تلك الفترة، من حيث أنواعها كتلك الاحتفالات ذات الطابع الديني كالاحتفال بموسم الحج ومحمل الحج[١]، الاحتفال بقدوم رمضان[٢]، أو ذات الطابع الاجتماعي كالزواج أو الختان[٣]. تشابهت تلك الحفلات في البلدين بمضامينها المصحوبة بالمهرجانات، الألعاب، البذخ في الأطعمة والأشربة[٤]؛ ناهيك عن حمل الشموع مختلفة الألوان والأحجام[٥]، وقد تأتي تلك التأثيرات الاحتفالية عن طريق مشاركة يمنيين في حفلات حجازية، أو مشاركة أشراف في احتفالات يمنية[٦].

كذلك كان التشابه قائماً في بعض المراسيم التشريفية والتي لا تخلو من الطابع المملوكي، والتي كان منها ما يصاحب مراسيم تنصيب السلاطين والأشراف الأمراء في البلدين[٧]، أو مراسيم تنصيب الوزراء والقضاة[٨]؛ ناهيك عن المجالس السلطانية الرسولية والحجازية[٩].

---

(١) ينظر: يحيى مطهر: بلغة المرام، ص٢٢.، الخزرجي: العقود ٦٥/٢، ٢٥٤.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٢٧/١، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٧٥.

(٢) ينظر: الخزرجي: العقود ٧٠/١، ٢١٩/٢.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٢٤.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٧٩.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ١٩٤/٢-٢٠٠، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٢٨٨-٢٨٩.، شايف: الحياة الاجتماعية، ص٦٢.

(٤) للمقارنة ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص٢٥٢ (حبشي).، الخزرجي: العقود ٦٨/٢-٦٩، ١٩٤-٢٠٠.، ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٧.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٢٧/١.

(٥) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ص٩٤-٩٥.، الخزرجي: العسجد، ص٤٩٧.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٢٨.

(٦) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص٢٤٥ (حبشي).، الخزرجي: العقود ٦٥/٢.

(٧) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٥٠/٢-٢٥١، الخزرجي: العقود ٩٠/١، ١٣٤/٢-١٣٥.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٤٠/١.

(٨) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص ص١٨٣-١٨٤ (حبشي).، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٢٥٠-٢٥١.، الفاسي: العقد الثمين ١٦١/٣-١٦٦.

(٩) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٨، ١٤٥-١٤٦.، الخزرجي: العقود ٢٤٤/٢، الفاسي: شفاء الغرام ٢٥١/٢، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٨٤/١.

ولعل من المراسيم المشتركة لسلاطين البلدين احتضان مكة لتقليد وخَلْع الخليفة العباسي – مع اختلاف الفترات الزمنية-(١)، وحرص الرسوليين على إقامة الخطبة لهم من قبل الأشراف والدعاء لهم والثناء عليهم على قبة زمزم كتقليد متعارف عليه لمن يمد نفوذه إلى الحجاز(٢).

- المواكب والأعــلام:

سعى سلاطين اليمن وأشراف الحجاز إلى صبغ مواكبهما بالطابع الاستعراضي العسكري، ولعله من المفيد الإشارة إلى نموذجين لموكبين أحدهما رسولي والآخر حجازي لبيان درجة التشابه، فأما الرسولي فبعد أن يذكر الخزرجي ترتيب الجيش، قال: "...وجعل لها جناحاً للميمنة وجناحاً للميسرة وجعل خلف السلطان عصائب كثيرة وركب المماليك بالنفخ وجعل منهم طائفة طبردارية وركب السلطان بهذا الزي"(٣)؛ وأما النموذج الحجازي لركوب أمير مكة فأورده ابن بطوطة قائلاً: "أمر أمير مكة بضرب الطبول والبوقات إشعاراً بدخول الشهر، ثم يخرج في أول يوم منه راكباً ومعه أهل مكة فرساناً ورجالاً على ترتيب عجيب وكلهم بالأسلحة يلعبون بين يديه والفرسان يجولون ويجرون... ووجوه القواد وبين أيديهم الرايات والطبول"(٤).

ورافقت تلك المواكب، بطبيعة الحال، رفع الأعلام التي كانت عادة ما ترفع في جبل عرفة وترافق محامل الحج(٥)؛ وقد يكون تناقل تلك التأثيرات من خلال مواكب السلاطين إلى الحج، أو مشاركة أمراء أشراف في المواكب الرسولية أو استقبال محامل الحج اليمنية(٦).

---

(١) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٣٨/٣، ٤٨٨/٧.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص٧٧-٧٨، ١١٥.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٣١.

(٢) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٣٥/٣، الخزرجي: العقود ٢٧٩/١، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٩٠/١، ٢٩٩.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٥٠.

(٣) العقود ٣٤٨/١، وينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٧ (حجازي).

(٤) تحفة النظار، ص٩٤.، وينظر: العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٢٧٧-٢٧٨.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٨٤/١.

(٥) عن الأعلام في المواكب والمحامل ينظر: الخزرجي: العقود ١٢٤/١، ٢٧٩.، ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٩٤.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٣٧.، إسماعيل الأكوع: تقاليد حكام اليمن، ص١٨.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقود ٦٥/٢-٦٧، المقريزي: السلوك، ق١، ٢٦٦/٢.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٦٣.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٩٦/١.

- التوقيعات وألقاب التفخيم بين البلدين:

يقصد بالتوقيعات (كما سلف) الأوامر الإدارية في التعيينات وسن التعليمات، والتي تنوعت صورها بين البلدين، والتي منها تفويض المجاهد بتعيين أحد القضاة وإصدار تقليد بذلك(١)، أو إصدار السلطان نورالدين لمراسيم إدارية تنظم أمور الحجاز الإدارية وتعليقها على مربعة قُبالة الكعبة(٢)؛ وإن لم تخرج تلك التوقيعات عن التأثر بالمصطلح المصري(٣)، وقد تكون تلك التوقيعات على شواهد حضارية أنشأها السلاطين الرسوليين في الحجاز(٤).

وترتبط بتلك التوقيعات ألقاب التفخيم التي تشابهت في البلدين والتي عادة ما كانت تسبق أسماء الأمراء الأشراف والسلاطين الرسوليين، والتي منها: أسد الدين رميثة، وسيف الدين عطيفة، ونورالدين عُمر، هزبرالدين المؤيد(٥).

رابعاً: الخلع والعطايا بين البلدين:

سعى سلاطين الدولة الرسولية إلى جذب سكان وأمراء الحجاز بصرف الأموال والمساعدات وإغداق العطاء عليهم(٦)، حيث كانت تلك الهبات تمثل "المصدر الثالث* من مصادر الدخل بالنسبة لأهالي مكة وأمرائها"(٧). وقد تنوعت صور تلك الخلع والعطايا، بين عادة سنوية مقررة تحمل إلى أشراف الحجاز(٨)، وقد تختلف تلك الهبات باختلاف رتب الأشراف فيعطف

---

(١) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ١٦١/٣، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٧٣-٧٤.

(٢) ينظر: الخزرجي: العقود ٧٠/١، الفاسي: شفاء الغرام ٢٨٦/٢، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٧٣/١، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٠٠.

(٣) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص٤٨.، الفاسي: العقد الثمين ٣٩٠/٣-٣٩١، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٦١، ٢٤٧.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص٤١٠-٤١١.

(٤) ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص ص٢٢-٢٣.، الفاسي: شفاء الغرام ١٥٩/١، حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص٢٣٣.

(٥) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٦.، بامخرمة: ثغر عدن ٧٢/٢، ١٧٤.، جرجي زيدان: تاريخ اللغة العربية ١١٨/٣.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقود ٧٠/١، الفاسي: العقد الثمين ٤٨٩/٧، ابن حجر: الدرر ٤٩/٣، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٩٦.، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص ص٣٨-٣٩.

(*) بعد الضرائب والتجارة.

(٧) العبيكان: الحياة العلمية، ص١٩١.، وينظر: عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص١٩٣-١٩٤.

(٨) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٧٩/١، ٢٤٥/٢.، الفاسي: العقد الثمين ٤٨٩/٧، حازم: نور المعارف ١١٦/١.

السلطان "على الجميع منهم على قدر مراتبهم"[١]، وقد تختلف باختلاف الضرورة السياسية، كما فعل المظفر في سياق منافسته للمصريين في النفوذ على مكة "فأغرى أبا نمي بإقامة الخطبة له بمكة مقابل منحه صلات ضخمة من اليمن"[٢]، وقد تكون خُلع السلطان وهباته على الحرمين المقدسين ومصالحهما[٣]؛ وبالمقابل فقد كانت هناك عطايا وخلع من أشراف الحجاز لبعض الفئات اليمنية أو تلك التي استوطنت اليمن ثم قصدت الحجاز[٤].

---

(١) الخزرجي: العقود ٦٦/٢، وينظر: مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٩١.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٥١.

(٢) مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٦٢.، وينظر: أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٩٩/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٤٤.

(٣) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٨٨/٧-٤٨٩، نفسه: شفاء الغرام ٢٨٨/٢، ابن فهد: إتحاف الورى ٧٠/٣، الخزرجي: العسجد، ص٢٣٩.

(٤) ينظر: الجندي: السلوك ٤٣٤/٢، الحبشي، عبدالله محمد: دراسات في التراث اليمني، دار العودة، بيروت ١٩٧٧م، ص٣٤.

د) الصلات الاقتصادية بين اليمن والحجاز:

أولاً: الصلات التجارية بين البلدين:

يبدو أن "أكثر بلاد العالم ارتباطاً باليمن من الناحية التجارية هي بلاد الحجاز، حيث كانت هناك علاقات اقتصادية وثيقة تربط بين البلدين"[١]؛ ويجد المتأمل في الصلات التجارية بين البلدين أنها تتبدى على عدة أوجه:

- **الوجه الأول: الصادرات والواردات بين البلدين:**

تمثلت صادرات اليمن إلى الحجاز بالغلال من الحبوب والتمور، وكذا الزبيب الأسود والأحمر، اللوز، العنب، وقصب السكر، العسل، اللوبيا، السمن، البخور، وأنواع الحلي والأحجار الكريمة، الحنا، الورس، النيلة، الأخشاب، ثياب الحرير الفاخرة، الأقمشة السُباعية، الأُدم – الجلود–، الطيب والعطور، الحيوانات، الأسلحة[٢]؛ فيما اشتملت صادرات الحجاز إلى اليمن على الجلود الطائفية، وبعض الحيوانات، العباءات، الملاحف، الوبر، أنواع من التمور، بعض الثياب، وأنواع من حلويات الحجاز المشهورة[٣].

- **الوجه الثاني: أسواق الحجاز وتجارة السلاطين فيها:**

شكلت أسواق الحجاز الدائمة منها كسوق البزازين، والعطارين، وخليص، وأسواق المدينة، وأسواق جدة، وينبع، وبدر، والحوراء، ورابغ[٤]، أو الأسواق الموسمية في فترات الحج والعمرة[٥] متنفساً تجارياً تباع فيه سائر السلع الواردة من اليمن وغيرها[٦]، ومنها بطبيعة الحال بضائع السلاطين والذين كانت لهم متاجر وتجارات في الحجاز يتولى إدارتها وكلاء تجاريين، وتلك التجارات "كانت لها من النفع موقع عظيم"[٧] في الاستقرار التمويني والحد من ارتفاع الأسعار.

---

(١) هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص١١٠.، وينظر: سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٣، ٨٧.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص١٧٣.

(٢) عن تلك الصادرات ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣٩٧/٣، إبن حجر: الدرر ٨٠/٢، ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٩٦.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٣٤/١، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص٢٤٤-٢٤٥.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٩٤، ١٠٦، ١١٢-١١٣.

(٣) عن تلك الواردات ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص١٩.، جازم: نور المعارف ٤٢١/١، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٩٦.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٤٥.، قايد عثمان: تجارة الكارم، ص٥٧.

(٤) عن تلك الأسواق ينظر: غرس الدين بن شاهين: زبدة الممالك، ص١٦.، الفاسي: العقد الثمين ٣٦١/٣، ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٧٦، ٨٣.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٢٣.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص٢٤٥-٢٤٦.

(٥) ينظر: محمد كريم الشمري: من تاريخ العلاقات بين مدينة زبيد في اليمن وحاضرتي مكة والمدينة في العصور الإسلامية، مجلة حوليات الآداب، جامعة عدن، عدن ٢٠٠٣م، ص٧٧.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص ص١٧٣-١٧٤.

(٦) ينظر: هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص١٠٦.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص١٧٤.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٩٦.

(٧) العبيكان: الحياة العلمية، ص١٧٦.، وينظر: ابن حاتم: السمط، ص ص٢٢١-٢٢٢.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٣٤/١.

- **الوجه الثالث: تجار الكارم وأدوارهم المختلفة:**

فقد "قام هؤلاء التجار بنقل البضائع من خلال عدد من المحاور والمراكز التي كان من أهمها اليمن والحجاز"[١]، علاوة على مشاركة تجار اليمن في الحياة السياسية، الاجتماعية، الإدارية في الحجاز، وحتى الإنشائية ورعاية مصالح الحرمين[٢]، يقابلها مشاركة متميزة نسبياً لتجار الحجاز في اليمن[٣].

- **الوجه الرابع: التنافس بين ميناني عدن وجدة وانتعاش تجارة العبور بين البلدين:**

مثلت المدينتان أهم مركزين تجاريين للبلدين على البحر الأحمر، وهمزة الوصل بين تجارة الشرق والغرب[٤]؛ ومع قيام الدولة الرسولية أخذ ميناء عدن يحتل المرتبة الأولى في جذب المراكب متفوقاً بذلك على ميناء جدة ومستنداً إلى السياسة التشجيعية للدولة الرسولية لذلك التفوق[٥]. استمر ذلك الحال إلى بدايات القرن التاسع الهجري وعلى وجه الخصوص عهد السلطان الناصر أحمد (٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠٠-١٤٢٣م) الذي عمد إلى تغيير سياسة الدولة مع التجار واتبع سياسة جائرة، مُشكلاً بذلك تعزيزاً للرغبة المملوكية في تفوق ميناء جدة على حساب ميناء عدن، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف، أن حلت جدة محل عدن كقاعدة رئيسة لتجار الشرق وحرمان الدولة الرسولية من أهم عوائدها المالية، والذي كان أحد عوامل سقوط الدولة فيما بعد[٦].

ويرتبط بتلك المنافسة تجارة العبور بحيث تبادل البلدان أدوار العبور، الأمر الذي جعل من اليمن وموانئها معبراً لبضائع الشرق إلى الحجاز[٧].

---

(١) هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص١١٦.

(٢) عن تلك المشاركات ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٧٤/٣، نفسه: شفاء الغرام ٤٤١/١، (هامش التحقيق) السخاوي: الضوء ١٢٧/٣، ٧٩/٤.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص١١٦-١٢٠.

(٣) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٣/٣-٢٤، ابن طولون: نوادر الإجازات، ص٣٧.، السخاوي: الضوء ٢٧٧/٤، ٣١٩، ٣٢١.

(٤) ينظر: محمد السروري: عوامل ازدهار النشاط التجاري، ص ص٢٣-٢٤، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص١٠٥.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٣٦٢-٣٧٣.

(٥) ينظر: شهاب: ملامح من تاريخ الملاحة، ص٢٨.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٣٨٤-٣٨٨.، محمد شكري: التاريخ السياسي، ص ص٣٢-٣٣.

(٦) ينظر: محمد عبدالعال: بنو رسول، ص ص٤٥٤-٤٥٧.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٥٥.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٣٩٣-٣٩٤.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص ص١٨٢-١٨٣.

(٧) عن تلك التبادلية ينظر: سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٧، ٨٩.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص١١٣-١١٤.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص١٧٣.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٤٤.، قايد عثمان: تجارة الكارم، ص ص٥٩-٦٢.

ثانياً: الصلات الصناعية والمهنية بين البلدين:

نتيجة لطبيعة النظام السياسي في الحجاز والبيئة الصحراوية والاجتماعية "لم تتقدم أو تزدهر بها الصناعات مثل بلاد اليمن... ولذلك فإن الصناعات في بلاد الحجاز كانت بسيطة وقامت في نطاق ضيق وبأبسط الأساليب، ومن أجل تعويض هذا النقص في الإنتاج الصناعي اعتمدت الحجاز على الدول المجاورة"(١)، ومنها اليمن؛ ومن الصناعات التي شكلت تلك الصلات، الصناعات المعدنية المرتبطة بالذهب والفضة كالقناديل المرسلة للكعبة وتحلية باب الكعبة بالذهب والفضة(٢)؛ والصناعات الحديدية كالسلاسل، والخطاطيف، والمجارف، والمطارق، والمحاريث، وآلات الصيد، والأقفال(٣)، وكذا الصناعات المستندة إلى الرصاص والرخام المجزع(٤)؛ ناهيك عن الصناعات الزجاجية والنحاسية(٥)؛ علاوة على الصناعات الخشبية من أبواب، ومكاتل، ومكانس، وحصر، ومراوح(٦)، والصناعات النسيجية بمختلف أنواعها القطنية والحريرية(٧)، والصناعات الفخارية والجلدية(٨)؛ فضلاً عن الصناعات الغذائية، لاسيما صناعة الحلويات التي اشتهر بها صناع الحجاز وغيرها(٩).

---

(١) هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٩٣.، وينظر: سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص١٠٣-١٠٤.

(٢) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ١٥٩/١، الخزرجي: العقود ١٥٢/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٤٤، ٧٨-٧٩، ٩٥.، حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص٢٣٣.

(٣) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٧٨، ٩٣.، جازم: نور المعارف ١١٦/١، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص١٠٣-١٠٤.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٩٤.

(٤) ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص٢٢.، ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ص٧٩-٨٠، ٨٧.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٩١/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص٨١-٨٢، ٨٦.

(٥) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٩٣، ٩٧.، جازم: نور المعارف ١١٦/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص٨٢-٨٤، ٨٧-٨٨.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٣٥٨.

(٦) ينظر: سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص١٠٢-١٠٤.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٨٧.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٨٤.

(٧) ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص ص١٧٤-١٧٦.، جازم: نور المعارف ٦٣/١-٧١، ٤٢١.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٨٣/١، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣١١.

(٨) ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص١٩.، السخاوي: الضوء ٢٤٢/٣. سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٠٤.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٨٨، ٩١، ٩٤.

(٩) ينظر: الخزرجي: العقود ١٩٥/٢، ١٩٧.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٤١.، تيمور باشا: التصوير عند العرب، ص١٥٦.

وارتبط بتلك الصناعات انتقال الصناع بين البلدين كما حدث في عهد السلطان المظفر عقب احتراق المسجد النبوي فـ"بعث بصُناع وآلة..."(١)، وانتقال المهنيين بين البلدين(٢).

ثالثاً: الصلات المالية والزراعية بين البلدين: وهي على مستويين:

المستوى الأول: الصلات المالية:

على الرغم من تأثر النظام الرسولي بالأنظمة المملوكية – كما سلف – إلا أن الصلات المالية مع الحجاز كانت أكثر بروزاً*، وبخاصة عبر النظام النقدي، حيث "كانت العملة المتداولة في مكة ترتبط بالعملة في اليمن... أي أنه طوال العهد الرسولي في اليمن كان الدرهم المتداول في مكة هو الدرهم المسعودي"(٣) نسبة إلى المسعود بن الكامل الأيوبي والذي سك سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م(٤)، علاوة على تدفق الذهب والفضة إلى الحجاز اللذان أسهما في الاستقرار النقدي في الحجاز(٥).

وهناك ارتباط في النظام الضريبي القائم على أخذ العشور* على بضائع البلدين(٦)، ناهيك عن محاولة الرسوليين إصلاح النظام المالي للحجاز أثناء حكمهم المباشر له، بإبطال المكوس والجبايات(٧). "كما تأثرت العملة في الحجاز بالمعاملات المالية وبالعملة في اليمن

---

(١) الأفضل: العطايا السنية، ص٦٩٢.، وينظر: الوصابي الحبيشي: الاعتبار، ص ص١١٦-١١٧.

(٢) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ١٧٣/٣، السخاوي: الضوء ١٣٧/٤، ٢٧٧.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص٢٠٧-٢٠٨، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص٩٣-٩٤.

(*) لاعتبارات كثيرة أهمها الروابط الاقتصادية والسياسية والجوار الجغرافي.

(٣) المرجع نفسه، ص١٠٧.، وينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٢.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٢١/١، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص ص١٩٣-١٩٤.

(٤) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٩٥/٧، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٠٥.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص١٩٤.

(٥) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٨٩/٧، ابن فهد: إتحاف الورى ٧٠/٣، ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ص٩٩-١٠٠، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٦٣/١.

(*) يقدر بحوالي ١٠%، ينظر: مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص١٨٣.

(٦) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص ص٢٣١-٢٣٢ (حبشي)، ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٩.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٣، ١٨٣.

(٧) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ١٨٦/٢، الخزرجي: العقود ٧٠/١، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٧٣، ١٠٠.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٣٩.

ومصر، فقد تأثرت أيضاً مقاييس وأوزان ومكاييل الحجاز بهاتين الدولتين"[١]، فاستخدم أهل الحجاز كما هو في اليمن الذراع، والمُد، والرطل، والإردب، والقدح، والغرار، والأوقية، والويبة، والزبدي[٢]، ناهيك عن نظام شاع في البلدين هو نظام التوكيلات التجارية[٣]، علاوة على طريقة المقايضة – المبادلة – ذات الطابع البدائي بين تجار من البلدين[٤]؛ "وقد أثارت طريقة المقايضة هذه دهشة بعض المؤرخين والجغرافيين العرب"[٥].

المستوى الثاني: الصلات الزراعية وتبادل الحيوانات:

اتسمت اليمن آنذاك بنهضة زراعية صدرت فيها إلى الحجاز العديد من المحاصيل والنباتات كالحبوب بأنواعها من القمح، والشعير، والذرة، والتمور، والفواكه، والورس، والكاذي، والنيلة، والحنا، والبخور، والعنب، واللوبيا، والخضروات[٦]. وبالمقابل فقد شاعت في اليمن محاصيل ونباتات حجازية كالبرسيم الحجازي، والشند – العطري – ونبات اللاي الشبيه بالحُمص[٧]، علاوة على البلسان الدهني الذي يزرع في اليمن والحجاز[٨].

وأما تبادل الحيوانات في البلدين، فقد كانت للحيوانات في الحجاز نفس تلك الأهمية للأشجار والنباتات عند أهل اليمن لبيئتها المناخية القاسية[٩]، فتبادل البلدان الإبل، والخيول والبغال، والماعز، والظأن، والحمير[١٠].

---

(١) هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص١٠٨.

(٢) عن تلك الوحدات ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص١٣٣.، ابن عبدالمجيد: بهجة، ٢٣٧ (حبشي).، الخزرجي: العقود ١/٢٧٦، جازم: نور المعارف ١/٢٦٧-٢٧٠، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٧٩، ١٨٢-١٨٣.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص١٠٨-١٠٩.

(٣) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣/٢٥، أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٣٣٤، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٧٦.

(٤) ينظر: سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص٩٦-٩٧.، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٧٢.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص١٨٤.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٤٥.

(٥) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٩٧.

(٦) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ص٩٥-٩٦.، هدى السعدي: العلاقات بين الحجاز واليمن، ص ص٦١-٧٥.، فايد عثمان: تجارة الكارم، ص٥٧.، طه أبو زيد: المغرى، ص١٧٠.، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٨٥.

(٧) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٦٧، الأشرف عمر: الفلاحة، ص٨٤ (الهامش).، الأشرف يوسف: المخترع، ص٢٠١.

(٨) ينظر: البغدادي، عبداللطيف بن يوسف بن محمد (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م): الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر المسماة (رحلة عبداللطيف البغدادي في مصر)، تح: عبدالرحمن الشيخ، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م، ص٦٧.

(٩) ينظر: HOLT, Peter M. "The Cambridge History of Islam", ed. by Lambton, Katherine Swynford, Lewis Bernard, Cambrige University Press, 1980, Vol. P.10.

(١٠) ينظر: الخزرجي: العقود ٢/٦٦، ٢٤٥.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٣٥٠؛ هدى السعدي، العلاقات بين الحجاز واليمن، ص٦٨، ٧٦-٧٧.

هـ) الصلات المعمارية والفنية بين اليمن والحجاز:

أولاً: الصلات المعمارية بين البلدين:

ارتبط معمار الحجاز بمعمار اليمن في تلك الفترة، فـ"لقد تأثر المعمار في الحجاز عموماً بمعمار اليمن في العهد الرسولي"(١)، وتمثلت الصلات المعمارية في الجوانب الآتية:

- العمارة الدينية:

فقد بنى سلاطين الدولة الرسولية العديد من المدارس في الحجاز كالمدرسة المنصورية نسبة للملك المنصور نورالدين (ت٦٤٧هـ/١٢٥٠م)(٢)، المدرسة المظفرية نسبة للملك المظفر (ت٦٩٤هـ/١٢٩٥م)(٣)، والتي "كانت من العِظم بحيث يغبط ملوك الأرض بانيها"(٤)، والمدرسة المُجاهدية نسبة إلى السلطان المجاهد (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)(٥)، وكذلك المدرسة الأفضلية والمنسوبة إلى السلطان الأفضل عباس (ت٧٧٨هـ/١٣٧٦م)(٦).

ويرتبط بالمدارس – كعمارة دينية – المساجد، فلقد اهتم سلاطين اليمن بتشييد المساجد في الحجاز وتوسعتها وتجديدها، ومن ذلك تجديد السلطان نورالدين عمر لمسجد نمرة، ومسجد منى، ومسجد الكوثر، ودار أبي بكر الصديق(٧)؛ وتزداد تلك الصلات ارتباطاً في عهد المظفر والذي اهتم بعمارة الحرم ومصالحه، فأقام منارة في الحرم، وأخرى في مسجد الخيف* في

---

(١) هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٨٦.، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٤٩/٣، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص١٧١-١٧٤.

(٢) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٤٢٨/١، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص١٩٥-١٩٦، العبيكان: الحياة العلمية: ص ص٧٠-٧١.

(٣) ينظر: إبن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٢.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص١٩٣-١٩٤، العبيكان: الحياة العلمية، ص٧٠.

(٤) عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٦١.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ٦٤/٢، الفاسي: شفاء الغرام ٤٣٠/١، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٣٧/١، إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص١٧٤.

(٦) ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٤٥/١١، الفاسي: العقد الثمين ٤٤٩/٣، ابن الديبع: قرة العيون ٣٧٦/١.

(٧) ينظر: سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص١٧١-١٧٤.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٣٩٨، ٤١٠.

(*) ترد الخيف بمعنى البعير، جلد الضرع، خيف مكة: موضع عند منى سمي بذلك لانحداره وارتفاعه عن السيل. ينظر: إبن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١): لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٩٩٧م، مج٢، ص٣٣٩.

المشاعر المقدسة* ، وجدد مسجد عبدالله بن عباس في الطائف[١]؛ ناهيك عن مشاركته في توسعة المسجد النبوي بعد احتراقه سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)[٢].

ولم تقتصر التأثيرات المعمارية في العمارة الدينية على المآذن فحسب، بل شملت كذلك القباب، والتي منها بناء الرسوليين لقبة الوحي[٣]، فضلاً عن الميضاءات، الحنايا الركنية، الثنايا، العقود، الأقواس[٤]؛ ناهيك عن بنائهم للسُبُل[٥]، والأربطة الدينية[٦]، علاوة على الزوايا والبرك والآبار[٧].

- العمارة المدنية:

وتتضمن الدور، والقصور، والبساتين، ومحطات المسافرين، والفنادق، والبيمارستانات، فقد حاكى الأشراف الرسوليين في بناء قصور خاصة بهم وإن لم تكن بتلك الفخامة التي في اليمن[٨]، كما ساروا على غرارهم في إنشاء البساتين والاستراحات ذات المكونات العجيبة[٩]. أما بالنسبة للدور فقد "نقلت كثيراً من أساليب البناء من اليمن إلى الحجاز ولذلك وجدنا بيوت جدة ومكة تقام على غرار بيوت اليمن وتغطى حوائطها بالجص مثلما كانت تغطى به بيوت

(*) يقع هذا المسجد في منى ولازال قائماً إلى الآن، ينظر: البلادي، عاتق بن غيث: معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة للنشر، مكة ١٩٨٠م، ص٢٧١.

(١) عن تلك الإنشاءات ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص ص٢٢-٢٣.، الفاسي: العقد الثمين ٤٨٩/٧، الأفضل: العطايا السنية، ص٦٩٢.

(٢) ينظر: البغدادي: الدرة اليتيمية، ص٤٥٩ (الهامش).، علي حافظ: فصول من تاريخ المدينة، ط٢، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة ١٩٨٤م، ص٨٤.

(٣) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٣٦١/١، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨١.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٣٩٥.

(٤) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ص٨٢-٨٣، ٨٩.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص٣٧٠-٣٧١، ٤٤٩-٤٥٠.، آلاء الأصبحي: المدرسة الأشرفية، ص٨٦، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٧.

(٥) ينظر: الصباغ، محمد بن أحمد بن سالم (ت١٣٢١هـ/١٩٠٢م): تحصيل المرام في أخبار البيت والمشاعر العظام، مخطوط بجامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، رقم ٢٥١، ١١ تاريخ، ص١٦٠.؛ الفاسي: شفاء الغرام ٤٤٠/١-٤٤١.

(٦) ينظر: الجندي: السلوك ٣٥/١-٣٦، الفاسي: شفاء الغرام ٤٣٧/١، السخاوي: الضوء ١٢٧/٣.

(٧) ينظر: الخزرجي: العقود ٨٣/١، الفاسي: شفاء الغرام ٤٤٧/١، السخاوي: الضوء ٣٠٥/٤.

(٨) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٣، ٨٦.، السخاوي: الضوء ٢٥٦/٣، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٤٠٠.؛ سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٣.

(٩) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣٩١/٣، الخزرجي: العقود ٢٦٠/٢، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٤٠٠.

اليمن آنذاك"(١)، لاسيما وقد أنشأ أمراء من بني رسول دوراً لهم في الحجاز(٢)، بل امتدت تلك التأثيرات إلى المنشآت التجارية، فهذا أحد نواب أمير مكة في جدة والمتأثر ببني رسول "بنى الفرضة التي بجدة ليحاكي بها فرضة عدن"(٣)، ناهيك عن بناء التجار للفنادق وانتشارها في البلدين(٤). وفي أثناء حكم المنصور نورالدين عُمر لمكة "شيدت القصور، وبُنيت المحطات المختلفة في أمكنة المسار ليتظلل الحجاج تحت ظلها"(٥)، كما شاع في البلدين، بشكل أقل، بناء البيمارستانات* لعلاج الناس في البلدين(٦).

ويبدو أن تلك التأثيرات المعمارية قد تناقلت كذلك عبر الوافدين والمرتحلين من التجار والعلماء** والمهندسين والصناع والمتمرسين في مجال البناء(٧).

- العمارة الحربية:

وتشتمل على القلاع والحصون، دور الإمارة، الأسوار، وسائر الاستحكامات الحربية، فقد اهتم سلاطين اليمن بالقلاع والحصون في الحجاز.. فهذا نورالدين يشتري قلعة ينبع ويهدمها حتى لا يستخدمها خصومه(٨)، أو بناء إبن المسيب نائب المنصور نورالدين الرسولي في مكة حصناً لنفسه في وادي نخلة(٩).

---

(١) هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٨٦.، وينظر: إبن بطوطة: تحفة النظار، ص١٤٦.

(٢) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣/٤٤٩، ٤٠٠.، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٩٦.

(٣) الفاسي: العقد الثمين ٣/٤٠١، وينظر: مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص١٨١.

(٤) ينظر: بامخرمة: ثغر عدن ٢/٢٦، غرس الدين شاهين: زبدة الممالك، ص١٦.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٩٩.

(٥) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٣.

(*) يبدو أن الحجاز كان قد شهد بناء البيمارستانات قبل قيام الدولة الرسولية، ينظر: باسلامة، حسين عبدالله: تاريخ عمارة المسجد الحرام، مكتبة الثقافة الدينية، د.ك، ٢٠٠١م، ص٦٩.

(٦) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ١/٤٥٣، السخاوي: الضوء ٣/١٠٤، ٤/١٦٤.، الأشرف يوسف: المخترع، ص٢٣.

(**) يعجب المرء لصاحب كتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام باسلامة – سالف الذكر – ندرة توثيقه للصلات المعمارية بين البلدين وهو اليمني النسب، المكي المولد والمعاش.

(٧) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٦٩٢.، الوصابي الحبيشي: الاعتبار، ص ص١١٦-١١٧، السخاوي: الضوء ٤/١٤٢، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٦٩.

(٨) ينظر: الخزرجي: العقود ١/٧٠، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٤٩.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٣٨.

(٩) ينظر: الخزرجي: العقود ١/٧٧، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٣٩.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٢.

وإن كان هناك في الحجاز حصون ذات صيت عسكري متميز آنذاك كحصن خُلَيص مثلاً[١]، أما دار الإمارة – مركز الحكم – فقد أعاد بناءها المنصور نور الدين عُمر بعد أن أحرقها الأيوبيون (٦٣٩هـ/١٢٤١م)[٢]، ناهيك عن بناء الرسوليين للأسوار والتحصينات في الحجاز وفي مناطق الحدود بين البلدين[٣].

ثانياً: الصلات الفنية بين البلدين:

ويشتمل على الزخرفة والنقوش، التذهيب، الخطوط، التصاوير، فقد تأثر أهل الحجاز بشيوع الخط الكوفي المورق والمُزهر الذي كان يستخدم في اليمن آنذاك[٤]. ويبدو أن من أهم وسائط انتقال الخطوط بين البلدين كانت: النساخة، المراسلات، المراسيم الإدارية، الشواهد الحضارية[٥].

ولعل الوجه الأبرز في الصلات الفنية جانب الزخارف والنقوش بأنواعها الهندسية، الخطية، النباتية، فقد شاع في الحجاز فن الزخرفة المسمى "الأرابسك*... وقد انتقل هذا الأسلوب في زخرفة المصنوعات الخشبية إلى أنحاء الجزيرة العربية وخاصة إلى الحجاز"[٦] لعل من أبرز المشغولات الخشبية التي شكلت عملاً فنياً يربط البلدين، إرسال المظفر منبراً للمسجد النبوي رمانتاه من صندل[٧]. كما انتقل من اليمن إلى الحجاز أسلوب التذهيب**، سواء في

---

(١) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٢/٢٠٠-٢٠١.، الفاسي: العقد الثمين ٦٠/٧، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٥٧.

(٢) ينظر: الخزرجي: العقود ٧٠/١، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٧٣/١، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨١.

(٣) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص٢٣٠ (حبشي).، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٨٣/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٣٨.

(٤) ينظر: أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٣٢٢.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٨٧.

(٥) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٩٢/٣-٢٩٣، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٢٠٣-٢٠٤.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٠٠، ١٧٢-١٧٤.

(*) نوع من أنواع الزخارف الجميلة تحفر على المصنوعات الخشبية وخاصة السقوف. ينظر: محمود إبراهيم حسين: موسوعة الفنانين المسلمين (المصورون المسلمون)، ط٢، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٩م، ج١، ص١٣٧.

(٦) هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٨٧.، وينظر: عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٣٧٩.

(٧) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٦٩٢.، الوصابي الحبيشي: الاعتبار، ص ص١١٦-١١٧.، علي حافظ: فصول من تاريخ المدينة، ص٧٣.

(**) التحلية والزخرفة بالذهب والفضة.

السقوف أو الأعمدة أو عبر تطعيم كسوة الكعبة بالذهب[١]، فضلاً عن جماليات الزخارف النباتية[٢]، علاوة على تأثر الزخارف الحجازية بالزخارف الجصية اليمنية[٣]؛ وشاعت في البلدين كذلك الزخارف الهندسية ذات الأشكال الدائرية والسداسية والمثمنات والمربعات[٤].

وهناك جانب فني آخر وهو التطعيم والتطريز للمنسوجات والمنحوتات بمواد أخرى[٥]، ولعل "من المميزات الظاهرة في الزخرفة الإسلامية استعمال النقوش الخطية"[٦]، وهو ما يتجلى بتطريز كسوة الكعبة بالأشرطة الزخرفية الكتابية والمرسلة من اليمن ومن غيرها[٧]، أو تلك الشواهد (التوقيعات) التي ثبتها السلاطين على إنجازاتهم الحضارية في الحجاز[٨]، والتي منها ما هو محفوظ بمتحف الحرمين في مكة إلى الآن*.

هناك جانب آخر في الصلات الفنية بين البلدين، وهو فن التصاوير والتي قد تأتي على العملات، أو على هيئة تماثيل أو تشكيل الأطعمة والحلويات والزهور في البساتين على أشكال إنسانية أو حيوانية أو غير ذلك[٩].

---

(١) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ١٥٩/١، الخزرجي: العقود ١٥٢/١، ٣١١.، جازم: نور المعارف ٧٠/١، العبيكان: الحياة العلمية، ص٧٣.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص١٥٥.

(٢) ينظر: الحداد: الاستحكامات الحربية، ص٤١٠.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٨١، ٨٣.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٣٧٩.

(٣) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص١٤٦،، باسلامة: عمارة المسجد الحرام، ص١٢٩.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٨٦.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٣١١.

(٤) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٧٩.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٣٥١، ٣٧٦.، الحداد: الاستحكامات الحربية، ص٤٠٥.

(٥) ينظر: جازم: نور المعارف ٧٠/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٨١.، حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص٢٣٣.

(٦) كريستي أرنولد: تراث الإسلام في الفنون، ص١٥.، وينظر: الحداد: الاستحكامات الحربية، ص٤١٠.

(٧) ينظر: جازم: نور المعارف ٦٣/١-٧١، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٨٨/١، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص٣٤٣-٣٤٤.

(٨) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ١٥٩/١، الأشرف يوسف: المخترع، ص ص٢٢-٢٣.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٤١١.

(*) ذكرت ذلك إلهام أحمد البابطين: الإهداءات المنقولة إلى الكعبة المشرفة منذ ما قبل الإسلام حتى العهد السلجوقي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع٨٩، مجلس النشر العلمي، الكويت ٢٠٠٥م، ص٩٩.

(٩) ينظر: الخزرجي: العقود ٣١١/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص١٠٢-١٠٣.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص١٩٤.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٥١١-٥١٢.، تيمور باشا: التصوير عند العرب، ص ص١٥٥-١٦٠.

و) الصلات الاجتماعية بين اليمن والحجاز:

أولاً: العادات والتقاليد:

انبثقت العديد من العادات في البلدين من الطابع القبلي لهما، فشاعت عادة التراضي المُستمدة من الأعراف للصلح بين الخصوم "حتى أن إبن المجاور في القرن السابع [الهجري] يُعمم هذه القاعدة على سائر أهل اليمن والحجاز ويطلق عليها اسم المنع"(١)، وكذلك عادة إكرام الغرباء وإطعامهم(٢).

وكما تأثر الرسوليون بعادات البذخ المملوكية، فقد تأثر الأشراف ببذخ الرسوليين في الأطعمة، والانغماس في اللهو، وترف الحفلات(٣)؛ ناهيك عما صاحب ذلك البذخ من ألعاب ووسائل تسلية كالشطرنج، والرماية، والفروسية، والكرة والصولجان، والمقذوفات النارية(٤)، وفي حفلات الختان والولادة(٥)، لاسيما وقد شهد الحجاز ولادة أعلام يمنيين، كالسلطان المظفر، والمؤرخ إبن عبدالمجيد اليماني(٦)، كذلك في عادات الطرح والحنا في حفلات الزواج(٧). وقد علق ابن المجاور على تشابه تلك العادات التي رآها في الحجاز مع اليمن بقوله: "...وكذلك يفعلون في سائر أقاليم اليمن"(٨). ويبدو أن تأثر الأشراف بالرسوليين قد امتد إلى عادات دفن الموتى في المدارس التي عمروها بأنفسهم(٩)، فضلاً عن تأثير اليمنيين في أساليب تشييع الجنائز في الحجاز(١٠).

---

(١) الحبشي: حياة الأدب، ص ص٣٧-٣٨.، وينظر: ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص٩٩.، السخاوي: الضوء ٤/٣.

(٢) ينظر: إبن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٧.، الخزرجي: العقود ١٤٨/٢-١٤٩، ١٦٥.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٨٦.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ١٩٤/٢-٢٠٠، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٢٧/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص٣٢-٣٣.

(٤) عن تلك الألعاب ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦٧/١٢، المقريزي: السلوك، ق٣، ٩٤٩/١.، السخاوي: الضوء ٣١٨/٤، هديل: الحياة الاجتماعية، ص ص٢٣٠-٢٣٣.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص١١٦-١١٨.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ١٩٤/٢-٢٠٠، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٢٨٨-٢٨٩.، هديل: الحياة الاجتماعية، ص ص٢٥٦-٢٥٨.

(٦) ينظر: ابن عبدالمجيد، بهجة، ص١٢(حجازي).، الخزرجي: العسجد، ص٢٠٩، نفسه: العقود ٥٥/١.

(٧) ينظر: الجندي: السلوك ٢٦٢/٢، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص ص٦-٧.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٨٨.

(٨) صفة بلاد اليمن، ص٧.، وينظر: شايف: الحياة الاجتماعية، ص ص٦١-٦٢.

(٩) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢٢٣/٢، الخزرجي: العقود ٢٥٩/٢.، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٢٣ (حجازي).

(١٠) ينظر: الجندي: السلوك ٣٨٣/٢، السخاوي: الضوء ٣٠٤/٤-٣٠٥.

ثانياً: تقارب التركيبة الاجتماعية في سُلم البلدين الاجتماعي:

يمتاز السلم الاجتماعي للبلدين بارتكازه على نظام الطبقات[١]، ومن ثم نجد ثمة تقارب في المكونات لذلك النظام، فيقابل طبقة السلاطين في اليمن طبقة الأشراف الحسنيين والحسينيين[٢]، ثم يتضمن السُلم في طبقاته الخاصة كبار الموظفين والقواد[٣]، والقضاة وشيوخ القبائل والعلماء وكبار التجار[٤]، ثم طبقة المماليك كعنصر مؤثر في سُلم البلدين[٥]. ويحفل سُلم البلدين الاجتماعي في طبقاته العامة بأرباب الصناعات والمهن، صغار التجار، صغار العلماء، الموظفين الصغار، فئة الرقيق[٦]، لاسيما وقد تميز سُلم البلدين بوجود فئتين متناظرتين هما المجاورين في الحجاز والوافدين في اليمن[٧]، مما ساهم في حصول نوع من التمازج والمشاركة – المخالطة – بين مكونات السُلم الاجتماعي في البلدين[٨].

ثالثاً: الاستيطان ودور المرأة في تعزيز الصلات الحضارية بين البلدين:

شكلت الحجاز منطقة جذب لليمنيين للاستيطان فيها سواء بشكل دائم[٩]، أم بشكل مؤقت لبضع سنين[١٠]، وبالمقابل شهدت اليمن نماذج حجازية مماثلة في استيطانها لليمن[١١].

---

(١) ينظر: سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٠٩.، هديل: الحياة الاجتماعية، ص ص٩٥-١١١.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٣٣.، شايف: الحياة الاجتماعية، ص ص٤٦-٤٧.

(٢) ينظر: القلقشندي: نهاية الإرب، ص١٢٥.، الفاسي: العقد الثمين ٢٢/٣، ٥٧، ٤٠٥.، هديل: الحياة الاجتماعية، ص٩٧، ١٠٠.

(٣) ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص٤٩-٥٠.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٣٣.، هديل: الحياة الاجتماعية، ص ص١٠٠-١٠٤.

(٤) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ١٠١، ١٤٥-١٤٦.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص٢٠٥-٢٠٦.، هديل: الحياة الاجتماعية، ص ص١٠٠-١٠٥.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٣٣.

(٥) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٥٣/٧، الأفضل: العطايا السنية، ص٤٨٥.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٤٥/١-٣٤٦.

(٦) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص١٤٦.، السخاوي: الضوء ٢٥٦/٣، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ص١١١-١١٢، هديل: الحياة الاجتماعية، ص ص١٤٨-١٥٦، ١٦٢-١٧٥، ١٩٣.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٣٣.

(٧) ينظر: الأشرف اسماعيل: فاكهة الزمن، ص ص٢٢-٢٣ (مقدمة التحقيق).، الجندي: السلوك ٤٢/١ (مقدمة التحقيق)، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١١١.

(٨) ينظر: الجندي: السلوك ٣٨٣/٢، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٦٦.، شايف الحياة الاجتماعية، ص٤٣.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١١١.

(٩) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٠٠/٣، بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٧٠/٣، السخاوي: الضوء ٧٩/٤، ٣٠٥.

(١٠) ينظر: الجندي: السلوك ٤٠٠/٢، ٤٢٨، الفاسي: العقد الثمين ٤٤٨/٣-٤٤٩، بامخرمة: ثغر عدن ٢٥٤/٢.

(١١) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص١٤٥.، الفاسي: العقد الثمين ١٧٣/٣، ٢٩٢.، السخاوي: الضوء ٩٤/٤.، شايف: الحياة الاجتماعية، ص٤٣.

ويرتبط بالاستيطان دور المرأة* ومشاركاتها الاجتماعية، الأمر الذي مكنها من لعب أدواراً حضارية متعددة بين البلدين[١].

رابعاً: الزواج وتأثيراته في البلدين:

شكل التزاوج إحدى الوسائط التي عززت روابط البلدين، كزواج إحدى بنات السلطان نورالدين على أحد أشراف مكة[٢]، أو زواج الفقيه عبدالله اليافعي من إحدى بنات شهاب الدين بن البرهان في الحجاز[٣]؛ وبالمقابل إقبال حجازيين على الزواج بيمنيات[٤]، لاسيما وقد ارتبط بالزواج روابط حضارية – كما سلف – سواء في مراسمه وعاداته أو احتفالاته في الحجاز وذاتها كانت عند "جميع أهل اليمن..."[٥].

خامساً: تبادل التأثيرات في الملابس والأطعمة والأشربة:

تأثرت ملابس الحجاز بما كان في اليمن من ملابس، فقد "نالت الحجاز القسط الأكبر من أقمشة اليمن ومنسوجاتها"[٦]، فقد انتقلت إلى الحجاز الثياب الملونة والمطرزة[٧]، كما تأثر الأشراف في ملابسهم بالرسوليين في لبس الحرير الموشى بالذهب والفضة[٨]؛ لاسيما وقد حرص سلاطين اليمن تضمين هداياهم إلى الأشراف نفائس الملابس والثياب[٩]، كما تأثر

(*) حظيت المرأة بمكانة متميزة في البلدين آنذاك، ينظر: إبراهيم بن حمود المشيقح: تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها، مطابع المنار، القصيم ١٩٨٧م، ص ص١٠٦-١١٧.، الحبشي: حياة الأدب، ص٤٨.

(١) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٤٣٧/١، ٤٤٧.، الخزرجي: العقود ٧٧/٢، السخاوي: الضوء ٣/٤، ٤٠.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٩٥.

(٢) ينظر: الجندي: السلوك ٥٤٤/٢، الخزرجي: العسجد، ص٢٠٧.

(٣) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٩.، ابن حجر: الدرر ٢٤٨/٢، بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٧٠/٣.

(٤) عن تلك الحالات ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٧٤/٣، السخاوي: الضوء ١٥٦/٣، ٣١٠/٤-٣١١.

(٥) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص٧.، وينظر: العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٢٨٨-٢٨٩.، هديل: الحياة الاجتماعية، ص٢٣٥.

(٦) هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص١١٣.

(٧) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٧٩/١، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٦٣.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٩٥، ١١٣.

(٨) ينظر: جازم: نور المعارف ٧٠/١، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١١٤.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص٩٠-٩١.

(٩) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٧٩/١، ٦٦/٢.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٩٩/١، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٦٣.

الأشراف بتزيين العمامة كالرسوليين بوضع القلنسوة والعصائب الملونة[1]. ومن أمثلة التـأثير الرسولي في هذا الجانب، كسوة السلطان المظفر لرؤساء الحرم بزي موحد صُنع في اليمن[2]، كما نقل أهل اليمن إلى الحجاز البُرود اليمانية، والملابس الجلدية، والأقمشة السباعية[3]؛ وبالمقابل استقدم أهل اليمن من الحجاز، والعباءات، والأقنعة، والملاحف، والإحرامات الحجية[4]. وأما الأطعمة والأشربة، فقد تشبه الأشراف بالرسوليين في ما يسمى بمد الأسمطة الحافلة بأطايب الأطعمة والحلويات[5].

وعلى الرغم من شهرة حلويات الحجاز[6]، إلا أنه وصلت أصناف أطعمة ذات مسميات معاصرة وشائعة إلى الآن، كالهريسة، والعصيد، والإدام وغيرها[7]؛ ناهيك عن مزج الرسوليين للماء بالسكر والسويق في موسم الحج أو إرسالهم ماء الورد إلى الحجاز[8].

ويبدو أن هناك منفذين مهمين لتبادل التأثيرات في جانب الأطعمة والأشربة، المنفذ الأول: موسم الحج وما يحمله الحجاج من أزواد تمزج بين الطعام والإدام والحلويات[9]، والمنفذ الثاني: الأسمطة السلطانية المقامة في اليمن أو أثناء صيام السلاطين في الحجاز وحضور حجازيين فيهما[10].

---

(١) ينظر: المقريزي: السلوك، ق١، ٢٦٦/٢.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص١٩٣.، العبيكان: الحياة العلمية، ٢٩١.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٣٩.

(٢) ينظر: الخزرجي: العسجد، ص٢٣٩.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٧٥/١، جازم: نور المعارف ٦٤/١(الهامش).

(٣) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٩٦.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٩١.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص١١٣.

(٤) ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص١٧٤.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٩٦.، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٧٢.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٤٥.

(٥) ينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص٢٣٨ (حبشي).، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٢٧.، تيمور باشا: التصوير عند العرب، ص١٥٦.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٩٢.

(٦) ينظر: عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٤٠.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٩٤.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٠٤.

(٧) ينظر: العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٩٣.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٧٥.، تيمور باشا: التصوير عند العرب، ص١٥٦.

(٨) عن تلك الأشربة ينظر: الخزرجي: العقود ٦٦/٢، ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ص٧٦-٧٧.، جازم: نور المعارف ١١٦/١.

(٩) ينظر: الخزرجي: العقود ٢٤٥/٢، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٢٧.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٧٥.

(١٠) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ص١٤٥-١٤٦.، الخزرجي: العقود ٧٠/١، ٢٤٤/٢.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨١.

سادساً: هجرة الأسماء والألقاب:

شكلت التسميات والألقاب مؤشراً مهماً على ترابط البلدين، فوفد إلى اليمن ألقاب حجازية، كالقرشي، الطائفي، المكي(١)؛ وبالمقابل شاعت تسميات يمنية في الحجاز، كاليمني، الحميري، السحولي، اليافعي(٢).

لعله من المفيد الإشارة إلى أن من الألقاب التي حرص الرسوليون على التلقب بها هو خادم الحرمين "حيث أن أول من حمل لقب خادم الحرمين الشريفين هو صلاح الدين الأيوبي ثم انتقل اللقب لملوك اليمن"(٣)؛ وحرص المظفر على تثبيته نقشاً على قبة الوحي(٤)، كما هاجرت إلى الحجاز مسميات يمنية لأدوات ومنتجات رائجة، كقدر البرام، البرود اليمانية(٥)، وكيزان الشُرب، والمغاريف، والقُفه(٦)؛ يقابله هجرة مسميات حجازية لمنتجات حجازية، كالجلود الطائفية، الإحرام الحجي، البرسيم الحجازي(٧)، ناهيك عن شيوع مسميات الوحدات الوزنية كالمن اليمني الذي "يتضح من إسمه أنه نُقل عن بلاد اليمن"(٨)، والذي يقابله في اليمن الرطل المكي(٩).

ولعله من طريف القول في المسميات إيراد ابن بطوطة إشارة لوجود السلاح التقليدي في اليمن المسمى الجنبية في وصفه لحادثة وقعت في الحجاز، حيث قال: "...فاستل خنجراً له يعرف عندهم بالجنبية"(١٠)، ناهيك عن تسمية منشآت معمارية ومعالم حجازية بمسميات يمنية(١١)، ويقابله تسمية أحد حصون ذمار على غرار أحد جبال مكة المسمى بالقعيقعان(١٢).

---

(١) ينظر: الخزرجي: العقود ٢/٦٤، ١٠١، ١٢٧، ١١٨.، السخاوي: الضوء ٤/٢١٢، الأفضل: العطايا السنية، ص٥٢٠.، بامخرمة: قلادة النحر ٣/٣١٢٢.

(٢) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢/١١٣، الفاسي: شفاء الغرام ١/٤٤١، ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٩.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٠٢.

(٣) عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص٤٣٥-٤٣٦.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص ص٤١٠-٤١١.

(٥) ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص١٠٦.، الفاسي: شفاء الغرام ١/١٦٦، البلادي: معالم مكة، ص ص٣٨-٣٩.

(٦) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٤، ٨٧.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢١١.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٩٥.

(٧) ينظر: الأشرف عمر: الفلاحة، ص٨٤ (الهامش).، الأشرف يوسف: المخترع، ص١٩، ١٧٤.

(٨) هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص١٠٩.، ينظر: جازم: نور المعارف ١/٧٠، ٧٧.

(٩) ينظر: ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص ص١٢-١٣.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٤٤١.

(١٠) تحفة النظار، ص٨٨.، وينظر: هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٨٢.

(١١) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص ص٧٩-٨٠.، الفاسي: شفاء الغرام ١/٢٥، ٤٤٢.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٩٣.

(١٢) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ١/٣٣.

سابعاً: الصدقات وأثرها في التكافل بين البلدين:

شكلت الصدقات التي كان يرسلها الرسوليون إلى الحجاز رابطاً اجتماعياً وثق الصلات بين البلدين(١)، فالسلطان المنصور نور الدين كان يحبه أهل مكة لإحسانه إليهم(٢). أما السلطان المظفر "فعمت صدقته بيوت مكة"(٣)، كذلك فعل السلطان المجاهد الذي "عم بصدقته أهل مكة"(٤)، ناهيك عن صدقات الفئات الاجتماعية من غير السلاطين والتي كان لها أثر مهم في تعزيز الروابط الاجتماعية بين البلدين(٥).

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن هذا النهج الخيري لم يكن مقتصراً على اليمنيين فحسب، بل كان من الأشراف من يوزع الكثير من الصدقات، فضلاً عن إشارة المؤرخين إلى عادة أهل مكة في التصدق والإحسان للفقراء(٦).

وبعيداً عن الكسب السياسي لمثل هذا النهج التكافلي، فإنه في تقديري ينطلق كذلك من التعاليم الإسلامية التي تحض على ذلك أولاً، ومن كون التصدق في المشاعر المقدسة يختلف عن غيره من بقاع الأرض بمقدار الثواب والأجر ثانياً، لاسيما في مواسم العمرة والحج.

---

(١) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٧/٤٨٨، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص١٨٠-١٨١.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٧٨.

(٢) ينظر: مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٤٦، ٤٩.، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص١٩٥-١٩٦.، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٣٥.

(٣) الفاسي: العقد الثمين ٧/٤٨٩، وينظر: ابن فهد: إتحاف الورى ٣/٧٠، أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٢٧٥.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام ٢/٢٩٨، وينظر: الخزرجي: العقود ٢/٦٦، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٩٩.

(٥) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢/٢٤٨، ٣/٤٩.، السخاوي: الضوء ٣/١٢٧، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص١٨٠-١٨١، ٢٠٢-٢٠٣.

(٦) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٦.، السخاوي: الضوء ٣/١٠٤، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٢٨٧-٢٨٨.

ز) الرسوليون وكسوة الكعبة المُعظمة:

- ارتباط اليمنيين بكسوة البيت المُعظم:

ارتبطت اليمن بكسوة الكعبة منذ أن بنيت على يد الخليل إبراهيم وولده إسماعيل، فمعظم "المؤرخين يرجحون، بل وأحياناً يؤكدون أن تُبع ملك حمير هو أول من كسا الكعبة المشرفة في الجاهلية"(١)، بل ويوردون حديث نهي منسوب للرسول ﷺ نهى فيه عن سب التُبع أسعد الحميري لكسوته الكعبة(٢)؛ وحتى بعد فتح مكة كساها الرسول ﷺ بثياب يمانية، كما شارك علي بن محمد الصليحي في كسوتها بكسوة بيضاء (سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م)(٣).

- كسوة الرسوليين للكعبة بعد سقوط بغداد:

مع قيام الدولة الرسولية (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) حاول مؤسسها المنصور نورالدين كسوتها، لكنه فشل لارتباط كسوة الكعبة بالعباسيين مباشرة(٤)، ومع سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٤٥٢م) كان السلطان "المظفر أول من كسا الكعبة من الملوك بعد انقضاء دولة بني العباس من بغداد، وذلك في سنة تسع وخمسين وستمائة [١٢٦٠م] واستمر يكسوها عدة سنين"(٥)، لتشكل الكسوة بعد ذلك مرتكزاً أساسياً في صراع النفوذ بين الرسوليين والمماليك(٦). "وقد انفرد المظفر بكسوة الكعبة في بعض السنين، حيث كان صاحب النفوذ الأقوى في الغالب"(٧)، ثم ما لبث "أن تنافس سلطان المماليك مع سلطان الرسوليين على إرسال الكسوة إلى الكعبة"(٨)، واستمر ذلك التنافس بين المماليك والرسوليين، و"استمرت الكسوة تَرِد إلى الكعبة أحياناً من مصر وأخرى من اليمن

---

(١) السيد محمد الدقن: كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، مطبعة الجبلاوي، القاهرة ١٩٨٦م، ص١٧.، وينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢٥٠/١.

(٢) ينظر: الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ط٣، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٩م، ج١، ص٢٤٩.

(٣) عن الكسوتين ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ١٦٨/١، الدقن: كسوة الكعبة، ص٢٧، ٤٠.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٢٤.

(٤) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ١٦٨/١، الدقن: كسوة الكعبة، ص٤٠.

(٥) الفاسي: شفاء الغرام ١٧٠/١، وينظر: الخزرجي: العقود ١٢٥/١، الدقن: كسوة الكعبة، ص٤٥.

(٦) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٢٦/١٠، ابن حجر: الدرر ٤٩/٣-٥٠، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٤٥.

(٧) الدقن: كسوة الكعبة، ص٤٥.، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٨٨/٧، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٨٤.

(٨) هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٤٥.، وينظر: الدقن: كسوة الكعبة، ص ص٤٦-٤٧.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٨٣.

إلى عهد... الناصر محمد بن قلاوون"[١]، عندما حـاول السـلطان المجاهـد كسـوة الكعبـة سنة (٧٤٢هـ/١٣٤٠م)، ولكن أشراف مكة المدعومين من المماليك منعوه ولم يمكنوه من وضع الكسوة على الكعبة[٢]. وفي "سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٩م أرسل الملك الأشرف إسماعيل محمل وكسوة الكعبة... ولكن لم يُسمح له بتعليق كسوة الكعبة"[٣].

- **مكونات كسوة الكعبة:**

اشتملت كسوة الكعبة في تلك الفترة على مكونين رئيسين هما: الكسوة الخارجية للكعبة، الكسوة الداخلية للكعبة، فأما الكسوة الخارجية فكانت تتكون من ثمانٍ من القطع التـي تكسـو الجوانب الأربعة من الحرير (المصنوع في دار الديباج) الأسود والمزدان بأشرطة كتابية بيضاء لبعض الآيات القرآنية وللشهادتين* ، ثم الشريط الكتابي الذي يوضع أعلى الجوانـب الأربعـة ويدور عليها من أعلى ويسمى الرنك، ثم شريطان يتدليان بشكل أُفقي أعلى الضلع الذي يفتح فيه باب الكعبة والضلع المقابل له[٤]. وأما المكون الثاني المتمثل بالكسوة الداخلية، فيشـتمل علـى البُرقع، وهو ستارة باب الكعبة، كسوة مقام إبراهيم، ستارة باب التوبة، كسوة الحجرة النبوية[٥].

ومن المفيد الإشارة إلى أن "الكسوة الداخلية التي كساها الملك المظفر صـاحب الـيمن سنة ٦٥٩هـ [١٢٦٠م]... ظلت داخل الكعبة أكثر من مائة سنة"[٦].

- **إهداءات السلاطين للكعبة من غير الكسوة:**

لم يقتصر اهتمام سلاطين الدولة الرسولية على كسوة البيت المُعظم والقيـام بمصـالحه فحسب، بل تجاوزوا ذلك إلى جملة إهداءات والتي منها، تحلية الكعبة بالذهب وتجديد رخامها[٧]،

---

(١) الدقن: كسوة الكعبة، ص٤٦.

(٢) ينظر: ابن حجر: الدرر ٤٩/٣-٥٠، هدى السعدي: العلاقات بين الـيمن والحجـاز، ص٥٠.، مورتيـل: الأحوال السياسية بمكة، ص٩١.

(٣) هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص ص٥٤-٥٥.، وينظر: مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص١٠٧.

(*) موضع الشهادتين في الكسوة يسمى الجامات، ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ١٦٩/١، الدقن: كسوة الكعبة، ص٧٢، ١٦٢.

(٤) عن الكسوة الخارجية ومكوناتها ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٧٩.، الفاسي: شفاء الغرام ١٦٨/١، ١٧٠.، جازم: نور المعارف ٧٠/١، الدقن: كسوة الكعبة، ص٤٧.

(٥) عن الكسوة الداخلية ومكوناتها ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ١٧٠/١، جازم: نور المعارف ٧٠/١، الـدقن: كسوة الكعبة، ص ص٥١-٥٣.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص ص٣٥٧-٣٥٨.

(٦) الدقن: كسوة الكعبة، ص٥٣.، وينظر: الفاسي: شفاء الغرام ١٧٠/١.

(٧) ينظر: الأشرف يوسف: المخترع، ص٢٢.، الفاسي: شفاء الغرام ١٥٩/١، الخزرجـي: العقـود ١٥٢/١، هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٤٤.

كذا إرسال قناديل الذهب والفضة للإضاءة[١]، وإرسال أبواب للكعبة مطعمة بالذهب والفضة[٢]، ناهيك عن غسل الكعبة بأيديهم وتطييبها ونثر الذهب والفضة عليها[٣]، إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن الاهتمام الرسولي لم ينصب على الحرم المكي فحسب وإغفال المسجد النبوي بالمدينة المنورة، بل أبدوا اهتماماً كبيراً بالحرم المدني، فشاركوا في توسعته[٤]؛ ناهيك عن إرسال منبر له* رمانتان من صندل والصناع والآلات لإصلاحه بعد الحريق الذي أصابه سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)[٥].

ويرتبط بإهداءات الكعبة، مسألة توثيق تلك الإهداءات، فعلى الرغم من تحريم العلماء التعدي وأخذ تلك الإهداءات إلا للحاجة التي يحددها الشرع[٦]، إلا أن تلك الإهداءات تعرضت لسلسلة من النهب والتي كانت تأتي – في الغالب – من الأشراف أنفسهم لصراعات داخلية فيما بينهم[٧]؛ ولذلك أثار بعض المؤرخين في تلك الفترة أهمية تلك الإهداءات وناقشوا مصيرها[٨].

وعليه يمكن القول: أن اهتمام سلاطين الدولة الرسولية بالبيت المعظم وكسوته والقيام بمصالحه، وكذا المسجد النبوي بالمدينة المنورة، قد أضفى على أولئك السلاطين هيبة، وجعلت للدولة الرسولية مكانة واحترام كبير في نفوس ومشاعر أهل الحجاز والمسلمين في أنحاء العالم الإسلامي كافة[٩].

---

(١) ينظر: الجندي: السلوك ٣٦/١، الفاسي: شفاء الغرام ١٦٢/١، إلهام البابطين: إهداءات الكعبة، ص٩٦.

(٢) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٨٨/٧، ابن حجر: الدرر ٤٩/٣-٥٠، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣١٢/١، حمدي عبدالمنعم: في الأيوبيين والمماليك، ص٢٣٣.

(٣) ينظر: ابن فهد: إتحاف الورى ٧٠/٣، الفاسي: العقد الثمين ٤٨٨/٧، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٥٣.

(٤) ينظر: البغدادي: الدرة الثمينة، ص٤٥٩ (هامش التحقيق).، علي حافظ: فصول من تاريخ المدينة، ص٨٤.

(*) استمر يخطب على هذا المنبر حتى سنة (٦٦٦هـ/١٢٦٧م) حتى حل محله منبر الظاهر بيبرس، ينظر: شنبل، أحمد بن عبدالله (ت٩٢٠هـ/١٥٢٣م): تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء ٢٠٠٧م، ص١٢٧.

(٥) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٦٩٢.، الوصابي الحبيشي: الاعتبار، ص ص١١٦-١١٧.، علي حافظ: فصول من تاريخ المدينة، ص٧٣.

(٦) ينظر: الطبري، محب الدين أحمد بن عبدالله (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م): القرى لقاصد أم القرى، تح: مصطفى السقا، ط٣، دار الفكر، القاهرة ١٩٨٣م، ص٥٢١.

(٧) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٣٩/٣، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٤٧.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٣٣/١.

(٨) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٩١/٧، الطبري: القرى، ص٥٢١.، إلهام البابطين: إهداءات الكعبة، ص ص٩٦-٩٩.

(٩) ينظر: هدى السعدي: العلاقات بين اليمن والحجاز، ص٤٤.، مورتيل: الأحوال السياسية بمكة، ص٥٣.

الفصل الثاني

الصلات الفكرية بين اليمن والحجاز

أ) مركزية مكة الفكرية وأثرها على اليمن:

تشكلت هذه المركزية في الثقافة العربية الإسلامية على اعتبار أن مكة مثلت "نقطة التقاء ومركز تجمع لجميع المسلمين في مختلف الأقطار الإسلامية، ولهذا كانت من أقوى مراكز نشر الثقافة بين تلك الأقطار"[١]. ونظراً لقُربها من اليمن ولموقعها الديني"[٢]، فقد انعكست آثار تلك المركزية على اليمن في صور متعددة:

- المركزية التعليمية:

فقد يمم شطر مكة الكثير من العلماء الواردين إليها من شتى أصقاع الأرض حاملين معهم معارفهم وثقافاتهم، وقد حرص طلاب العلم اليمنيين في تلك الفترة على تلقي العلم على أولئك العلماء والتشبُع بمعارفهم وعلومهم[٣]، علاوة على حصولهم على الإجازات العلمية من أولئك العلماء الواردين[٤]، ناهيك عن دخول شيوخ علم عملوا كمدرسين في المدارس اليمنية بعد استيطانهم لمكة سنوات عديدة[٥].

- استقطاب الوافدين إلى مكة:

كانت مكة موئلاً للقصاد "فقل أن نجد ملكاً أو عالماً أو أديباً إلا قصدها"[٦]، وهو ما كان يدركه سلاطين الدولة الرسولية ويدركون مدى أهميته في تغذية بنية الازدهار الفكري الذي كان

---

(١) زكي الميلاد: مركزية مكة المكرمة، ص٢٢٧.، وينظر: المنصوري: علم القراءات، ص٣٩.، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٩.

(٢) المنصوري: علم القراءات، ص٣٩.، وينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص٥٦.، الخفاف: الخصائص الجيوبولوتيكية، ص١٧.

(٣) ينظر: الجندي: السلوك ٢/٤٠٠، الأفضل: العطايا السنية، ص٣٩٣.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص٢٩٤-٢٩٥.

(٤) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص١٢١-١٢٢.، الأدفوي: الطالع السعيد، ص١١٢.، محمد كريم: الأهدل، ص٧٥.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ١/٣٠٣-٣٠٤، الجندي: السلوك ٢/١٤٣، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٦٠٢-٦٠٣.

(٦) أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٧٢.، ينظر: زكي الميلاد: مركزية مكة، ص ص٢٢٨-٢٢٩.

يعتمل آنذاك في اليمن، فاتجهوا إلى استقطاب العديد من أولئك العلماء الواردين إلـــى مكـــة[١]، ناهيك عن حرص العديد من المجاورين اليمنيين في مكة أن "يجتمع به من ورد مـــن الشـــيوخ الكبار"[٢]. وتلك السياسة الترغيبية نجحت إلى حد ما في استقطاب الكثير من الواردين إلى مكة فدخلوا اليمن ونسجوا علاقات علمية متنوعة[٣].

ـ المركزية التأليفية وأدب الرحلات:

فقد شكلت "مكة مكاناً للبحث والتأليف وإتمام الأعمال الفكرية بصنوفها المختلفة"[٤]، بما فيها تلك المؤلفات التي ألفت في مكة عن اليمن وتاريخه[٥]، ناهيك عن مؤلفين واردين إلى مكة وبرعوا في التأليف فيها وأنتجوا مصنفات علمية، ثم دخلوا اليمن[٦]. ويرتبط بالمركزية التأليفية توثيق الرحالة الواردين إلى مكة* لمحات من مشاهداتهم في اليمن بعد عبورهم الحجاز إلى اليمن[٧].

ـ مركزية البيت الحرام:

تشكلت هذه المركزية منذ أن جعل الله فيها أول بيت للناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْـتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾[٨]، ومع فريضة الحج تعززت تلك المركزيـــة والتـــي ألقـــت بظـــلال تأثيراتها على اليمن[٩]، فشكل موسم الحج بيئة خصبة لتبادل التأثيرات مع مختلـــف الأعـــراق

---

(١) ينظر: الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م): العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن (في من يبدأ اسمه بحرف الهمزة)، تح: علي مطهر حمود العلماني، رسالة ماجستير، معهد التـــاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد ٢٠٠٢م، ص١٨٩.

(٢) اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد اليمني المكي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظـــان فـــي معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ١٩٩٣م، ج٤، ص٢٦٣.

(٣) ينظر: الجندي: السلوك ١٤٤/٢، الخزرجي: العقد الفاخر، ص١٨٩.، الأفضل: العطايا السنية، ص٤٧٢.، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٩.

(٤) زكي الميلاد: مركزية مكة، ص٢٢٨.

(٥) ينظر: عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، ص٨٩ (الهامش).، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٧٥-١٧٦.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٠٣/١-٣٠٤، الجندي: السلوك ١٤٣/٢، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٦٠٢-٦٠٣.

(*) ساهمت مؤلفات أولئك الرحالة في حصولنا "على تراث فريد من نوعه أسهم وبكيفية بارزة فـــي التـــاريخ للجزيـــرة العربية...". عبدالهادي التازي: أدب الرحلات هل سيختفي من الساحة، بحث مقدم إلى ندوة الـــرحلات إلـــى شـــبه الجزيرة العربية، ٢١-٢٤/١٠/٢٠٠٠م، إصدار دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٢٤هـــ، ج١، ص١٥.

(٧) ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ص١٤٥-١٤٧.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٥٠-١٥١.

(٨) سورة آل عمران، آية ٩٦.

(٩) ينظر: فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٩.، المنصوري: علم القراءات، ص٣٩.

والأجناس، فعبرت التيارات الفقهية، الثقافية، المذهبية(١)، ناهيك عما شكلته تلك المواسم من فرصة سانحة لاحتكاك علماء اليمن مع القاصدين الحج من الحجاج الأعلام في بلدانهم(٢). ولعله من لطيف القول: إن موسم الحج شكل مناسبة متميزة لتحصيل الكتب النادرة والتي تعذر على أصحابها الوصول إليها فينادى في الحجيج عن بعض من رأى منها في بلدانهم التي هاجروا إلى مكة منها(٣).

وعليه يمكن القول: إن مركزية مكة(*) المكرمة في الثقافة العربية الإسلامية قد تجلت منذ أن وضع الله فيها بيته العتيق، تعززت مع فريضة الحج، فتحولت مكة المكرمة إلى أكبر مركز في العالم يجتمع فيه الناس، الأمر الذي ألقى بظلاله على اليمن المجاور للحجاز، بصور متعددة كالمركزية التعليمية وما يرتبط بها من علوم وإجازات ومدرسين، استقطاب للحجاج والعلماء والفقهاء لدخول اليمن، ناهيك عن ذلك التنوع الثقافي والمذهبي والفقهي الذي ورد إلى مكة في موسم الحج وغيرها، وساهم بشكل مباشر وغير مباشر في إثراء الساحة الفكرية في اليمن وتغذية المناشط الثقافية والعلمية بالمعارف والعلوم.

---

(١) ينظر: الجندي: السلوك ٢/١١٩-١٢٠.، الخزرجي: العقود ١/٣٢٠.، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٩.

(٢) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٤٠١.، الخزرجي: العقود ٣٢٠/١، السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص٢٩٤-٢٩٥.

(٣) ينظر: حسين بافقيه: النشاط الثقافي في الحج، مجلة الحج والعمرة، ع١٢، يناير - فبراير ٢٠٠٤م، ص٦٣.، زكي الميلاد: مركزية مكة، ص ص٢٢٨-٢٢٩.

(*) ينبغي الإشارة إلى أن تلك المركزية لمكة المكرمة هي في حالة استمرارية زمانية ومكانية. ينظر: الكواكبي، عبدالرحمن: أم القرى، ط٤، دار الشرق العربي، بيروت ١٩٩١م، ص ص١٣-١٥، ١٤٤، ١٦٢.

ب) الوافدون الحجازيون إلى اليمن وأثرهم الفكري:

شهدت اليمن في تلك الفترة وفود العديد من العلماء المتميزين والمرموقين في بلدانهم "وقد شكلت هذه الظاهرة معلماً بارزاً في المسيرة التعليمية التي سادت اليمن آنذاك... وكانت بلاد الحجاز الأكثر من حيث توافد العلماء"(١)، والذين تنوعت معارفهم بين العلوم العقلية والنقلية(٢). ومن أبرز الوافدين من الحجاز إلى اليمن:

- الإمام إسحاق بن أبي بكر بن محمد الطبري المكي (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م):

والذي ولد بمكة سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م) ونشأ وتفقه بها ثم ارتحل إلى مراكز علمية متعددة في مصر والشام لينهل من علوم عصره، وبعدها عاد إلى مكة وتولى قضاءها فترة من الزمن، ليرتحل بعدها إلى اليمن التي كانت تعج بمختلف النشاطات الفكرية، واستوطن زبيد، ومن آثاره الفكرية في اليمن تدريسه في المدرسة الرشيدية بتعز، وعقده للمجالس العلمية في اليمن، وسماع أبرز علماء اليمن عليه، ومنهم ابن عُجيل، والعباس بن أحمد السرددي، ناهيك عن سماعات السلطان المظفر عليه، وكان عند علماء اليمن وقضاتها معظماً ويُعتد بعلمه وشهادته(٣).

- محب الدين أبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد الطبري (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م):

والذي ولد سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م)، وتتلمذ على أبرز فقهاء الحجاز وتشبع بعلوم الحديث والفقه، ثم درس وأفتى في مكة حتى ذاع صيته، ولعل محب الدين الطبري يعتبر من أكثر الوافدين الحجازيين ارتباطاً باليمن في تلك الفترة، فعند دعوته من قبل السلطان المظفر، استجاب لتلك الدعوة ووفد إلى اليمن وأثرى الساحة الفكرية من تأليفه في اليمن للعديد من الكتب – برسم المظفر – في الحديث والفقه وغيرها، كشرحه للتنبيه في الفقه، والمحرر في الحديث، والطراز المذهب المُحبر في تلخيص المذهب للملك المظفر، ومن خلال سماعات أبرز العلماء اليمنيين عليه لاسيما سماعات السلطان المظفر عليه، ونظمه للعديد من القصائد الشعرية، وقد حظي بمكانة سامية لدى علماء اليمن وسلطانها وترجم له علماؤها تراجم عظيمة ونعتوه بألقاب عديدة(٤).

---

(١) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٨٢.، وينظر: الخزرجي: العقد الفاخر، ص١٥٤.، الفاسي: العقد الثمين ٣/٢٩١-٢٩٣.

(٢) ينظر: السخاوي: الضوء ٣/١٣٧، ١٥٢.، الفاسي: العقد الثمين ٣/١٦١-١٦٦، ابن حجر: الدرر ١/٢٦٥-٢٦٧.

(٣) عن ترجمته وآثاره الفكرية ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣/٢٩١-٢٩٣، الخزرجي: العقد الفاخر، ص١٥٤.، الجندي: السلوك ٢/١١٩، إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٣٤، ٤١.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٥.

(٤) عن ترجمته وآثاره ينظر: الخزرجي: العقد الفاخر، ص ص١٠٥-١٠٦.، ابن حجر: الدرر ٢/٣٨٧، اليافعي: مرآة الجنان ٤/٢٢٦، بامخرمة: قلادة النحر ٣/٣٠٩٨، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٧.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٠٣.

- **أبو العباس أحمد بن إقبال القزويني المكي (كان حياً ٧٢٠هـ/١٣٢٠م):**

ولد سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م) وأقام مع والده بمكة المكرمة وتلقى تعليمه على جماعة من فضلاء الحجاز ومتفقهي عصره، ثم دخل عدن واستوطن بها وانتفع به الناس انتفاعاً عظيماً، فقل من يدخل عدن لطلب الحديث أو التفسير أو غيرهما ويرشد إلى غيره، ومن أبرز من أخذ عنه العلم مؤرخ اليمن البهاء الجندي، ناهيك عن اشتغاله بالتدريس في مسجد السماع بعدن حيث كان إماماً به، وكان بعض علماء اليمن يتعجبون من صبره على التعليم والإقراء(١).

- **القاضي عزالدين عبدالعزيز بن علي بن أحمد النويري القرشي المكي (ت٨٢٥هـ/١٤٢١م):**

والذي ولد بمكة سنة (٧٧٨هـ/١٣٧٦م)، فحفظ القرآن فيها وصلى بالناس فيها، وصلى به وأدرك صدراً من فقهاء الحجاز وأخذ عنهم، ارتحل إلى مصر وأخذ عن علمائها، وكان يُعد من أكابر فقهاء الإسلام في عصره مجوداً لجميع فنون العلم، وقد أثرى الساحة الفكرية في اليمن عندما وفد إليها أوائل المائة التاسعة للهجرة/ أوائل القرن الخامس عشر الهجري، فأقام باليمن نحواً من عشر سنوات، ولاه خلالها السلطان الناصر قضاء تعز ومشيخة الحديث في المظفرية والسيفية وغيرها، فدرس وأفتى، وعقد المجالس العلمية، وقرأ عليه كثيراً من علماء اليمن والوافدين إليها وأجازهم حتى صارت له الرئاسة التامة أثناء مقامه في تعز(٢).

- **القاضي تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م):**

صاحب كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، والذي ولد في مكة سنة (٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، عني بالحديث والفقه والتاريخ، حتى صار قاضي المالكية بالحرم الشريف، وكان قدومه إلى اليمن سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م)، ثم أخذ يتكرر في دخوله إلى زبيد وأبيات حسن وتعز لعوائد تعودها فيها. ومن أبرز تأثيراته الفكرية جلوسه للحديث في العديد من مدارس اليمن وسماع الكثير من طلاب العلم عليه وإجازتهم، وقوله للشعر، ناهيك عن توثيقه في تواريخه لتاريخ اليمن في تلك الحقبة لاسيما وقد أفرد مؤلفاً خاصاً بتاريخ الدولة الرسولية، وكذلك تداول طلاب العلم مصنفاته في اليمن(٣).

---

(١) عن ترجمته وآثاره ينظر: الفاسي: العقد الثمين ١٨/٣-١٩، بامخرمة: ثغر عدن ١١/٢-١٢، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨١.

(٢) عن ترجمته وآثاره ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٣.، السخاوي: الضوء ٢٢١/٤-٢٢٢، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٧.، العبيكان: الحياة العلمية. ص٧١.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٨٧.

(٣) عن ترجمته وآثاره ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٧/١-٩، الفيروزآبادي: نخبة الرشاف، ص١٩.، بامخرمة: ثغر عدن ١٩٩/٢-٢٠٠، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٩.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٧٠-١٧٢.

- **الفقيه أبو الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي المدني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م):**

وفد إلى اليمن سنة (٨١٠هـ/١٤٠٧م) زمن السلطان الناصر، فأحسن إليه وقلده بما يليق بحاله، وقد برز تأثيره في اليمن، عندما التف حوله الدارسون وطلاب العلم وقرأوا عليه وروى عليهم بأسانيده، سمع عليه المؤرخ الأهدل صاحب تحفة الزمن وأجازه، ناهيك عن مؤلفاته التي أسمع طلابه في اليمن شيء منها، ومنها شرحه لكتاب المنهاج للنووي في أربعة مجلدات[١].

- **الفقيه المحدث فتح الدين أبو الفتح محمد الشرف المدني (٨٥٩هـ/١٤٥٤م):**

والذي ولد بالمدينة المنورة سنة (٧٧٥هـ/١٣٧٣م) وتلقى علومه في القرآن والفقه والنحو وغيرها، على شيوخ بلده والواردين إليها، وقد تكرر دخوله إلى اليمن عدة مرات، واجتمع بأعيان علمائها وأذنوا له بالإفتاء والتدريس، فأفتى ودرس باليمن وأجاز للعديد من علماءها والوافدين إليها[٢].

- **محمد بن أبي بكر بن الحسن بن طولون (ت٨٥٩هـ/١٤٥٨م):**

الذي ولد ونشأ في المدينة المنورة، وتلقى علومه على أيدي أكابر علماء الحرمين الشريفين والمجاورين فيهما، علاوة على رحلته العلمية إلى مصر طلباً للعلم، ويعتبر ابن طولون المدني من أكثر الحجازيين الذين غذوا روافد الازدهار الفكري في نصف القرن الأخير من عمر الدولة الرسولية وذلك من جهتين، الأولى: دخوله لليمن عدة مرات، الثانية: طول مدة بقائه حيث استمر في اليمن أكثر من أربعين سنة حتى سنة (٨٤٤هـ/١٤٤٠م) درس خلالها في المدرستين السيفية بتعز والسابقية بزبيد[٣].

ولعله ينبغي الإشارة إلى أن اليمن قد حظيت بوافدين حجازيين بخلاف المذكورين طلاباً وعلماء، لا يتسع المقام لتناولهم، وذلك في صنوف العلوم العقلية منها والنقلية[٤].

---

(١) عن ترجمته وآثاره الفكرية ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٢.، السخاوي: الضوء ١٤٦/٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٩٠.، محمد كريم: الأهدل، ص٧٥.

(٢) عن ترجمته وآثاره ينظر: السخاوي: التحفة اللطيفة ٥٣٥/٣-٥٣٩، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٥٩٠-٥٩١.

(٣) عن ترجمته وآثاره الفكرية، ينظر: السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص٢٨٦-٢٨٧.، اسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٢١، ١٢٦.

(٤) للاطلاع على نماذج منهم ينظر: ابن حجر: الدرر ١٦٥/١-٢٦٧، السخاوي: الضوء ١٣٧/٣، ١٥٢، ٩٤/٤، ٢٥١-٢٥٣، ٣٢٢.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٩٠.

ج) الرحلات العلمية من اليمنيين إلى الحجاز وأثرها الفكري:

كان "الطلاب يرحلون إلى مكة والمدينة والعراق والشام ومصر وغيرها، إلا أن مكة حازت على النصيب الأكثر من هؤلاء الطلاب، لقربها من بلاد اليمن، ولتوفر الكثير من العلماء المجاورين فيها"(١)، علاوة على حرص "علماء اليمن وفقهائها ومتصوفيها في تلك الفترة على الرحلة إليها للأخذ عنهم وإقامة الحلقات الدراسية فيها"(٢)، ومن أبرز أولئك المرتحلين إلى الحجاز:

- أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن علي بن عبدالرحمن الفشلي (٦٦١هـ/١٢٦٢م):

ولد سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م)، وأخذ العلم عن جماعة من الأكابر كالشريف أبي حديد والموصلي وغيرهما، ثم ارتحل إلى مكة والمدينة وأخذ عن أعيانها كابن أبي الصيف وعمر بن عبدالمجيد القرشي وغيرهما، وغلب عليه علم الحديث وصار إماماً فيه، وبعد عودته حظي بمكانة عالية لدى سلاطين اليمن وعلمائها(٣).

- أبو الخير منصور بن أبي الخير الشماخي السعدي الحضرمي (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م):

بعد أن تشبع بعلوم اليمن ارتحل إلى بلاد الحجاز وأخذ عن أصحاب السلفي في مكة، كابن الحميري وغيره، حتى صارت له الدرجة العالية في الفقه واللغة والنحو والحديث والأصول والحساب، وصنف كتباً في ذلك تدل على جودة معرفته وطول فضيلته، ومع ضبطه لمصنفاته فقد خلف خزانة كتب جمعها خلال مسيرته العلمية ورحلاته تفوق الخمسة آلاف كتاب(٤).

---

(١) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٩٤.، وينظر: المنصوري: علم القراءات، ص٣٩.، جرادة: الأدب والثقافة، ص ص٢٩٧-٢٩٨.

(٢) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٩.، وينظر: الخزرجي: العقد الفاخر، ص ص١٥٢-١٥٦.، بامخرمة: قلادة النحر ٣/٣٤٦٩-٣٤٧٠.

(٣) عن ترجمته ورحلاته، ينظر: الجندي: السلوك ٢/٢٩-٣٠، الأفضل: العطايا السنية، ص٥٧١.، الخزرجي: العقود ١/١٣٠.

(٤) عن ترجمته ورحلاته ينظر: الجندي: السلوك ٢/٣٠، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٢٧٠-٢٧١.، الخزرجي: العقود ١/١٩٠.

- أبو العباس أحمد بن موسى بن علي بن عجيل (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م):

من علماء اليمن المعروفين "كان رحمه الله إماماً من أئمة المسلمين المنتفع بهم علماً وعملاً"[1]، ولد سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م) وبدأ تلقيه العلم منذ نعومة أظافره على عمه إبراهيم وعلى الكثير من علماء اليمن، وبعد أن استكمل تحصيله المعرفي في اليمن ارتحل إلى مكة وأخذ عن علمائها كالإمام محمد بن يوسف مسندي، والإمام سليمان بن خليل العسقلاني، والإمام إسحاق الطبري وغيرهم، ويعتبر ابن العجيل من أكثر المرتحلين اليمنيين الذين خلفوا أثراً فكرياً في مكة والمدينة، حيث حرص أهل الحجاز عامتهم وخاصتهم على الالتقاء به والرواية عنه وتدريس مصنفاته، كما روى عنهم وأجاب على كثير من المسائل الفقهية في الحرم، ناهيك عن تناقلهم لكراماته في الحجاز وتثبيتها في ترجماته[2].

- القاضي تقي الدين أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن العُمري الحرازي (ت٧٥٥هـ/١٣٥٤م):

ولد سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٦م) ببلده حراز من اليمن وأخذ العلم على صدرٍ من علماء اليمن، ثم ارتحل إلى مكة فسمع بها من الفخر التورزي والرضى الطبري، وسمع بالمدينة من أبي عبدالله محمد بن حريث وسمع من غيرهم، وأقام بمكة ومهر في الفقه وشارك في غيره، وانتهت إليه رئاسة الفتوى بمكة وتقلد قضاءها ولعب أدواراً فكرية وقضائية مؤثرة، وكان يؤخذ برأيه في كثير من المسائل التي تعنى بالشأن الحجازي بما فيها المناصب المتعلقة بالفتوى والقضاء[3].

- عفيف الدين عبدالله بن أسعد بن سليمان اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م):

عالم ومصنف شهير وفي الوقت نفسه "فضيل مكة وفاضلها"[4]، بدأ أولى رحلاته إلى الحجاز عقب بلوغه سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) ثم عاد إلى بلاده ليرتحل إلى مكة مرة أخرى

(١) الشرجي، أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الزبيدي (ت٨٩٣هـ/١٤٨٧م): طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، تح: عبدالله محمد الحبشي، الدار اليمنية للنشر، صنعاء ١٩٨٦م، ص٥٧.

(٢) عن ترجمته ورحلاته ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٢٠٩/٤-٢١٦، الخزرجي: العقد الفاخر، ص ص١٥٢-١٥٦.، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٢٢٦-٢٢٨.، بامخرمة: قلادة النحر ٣٠٧٩/٣-٣٠٨٠؛ الشرجي: طبقات الخواص، ص ص٥٧-٦٤.

(٣) عن ترجمته ورحلاته ينظر: الفاسي: العقد الثمين ١٦٢/٣-١٦٣، ابن حجر: الدرر ٢٣٥/١-٢٣٦، ٥٣٠-٥٣١.، ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ٨٥/١١، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٠١.

(٤) بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٦٩/٣، وينظر: عبدالكريم الحنكي: عبدالله بن أسعد اليافعي شيخ الطريقين (مساره الحياتي وشيء من شعره)، مجلة اليمن، ع٢١، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن ٢٠٠٥م، ص ص٧٨-٧٩.

سنة (٧١٨هـ/١٣١٨م)، وتزود بها وأقام بها مدة ملازمته للعلم، متخذاً من مكة منطلقاً لرحلاته العلمية إلى مصر – كما سلف – والشام واليمن، ويعود إليها ليدرك مواسم الحج فيهـا، وكـان كثير الحضور للمجالس العلمية في المسجد الحرام للسماع على علمائها الذين قدموه وقدروه وهو في ذلك سالكاً مسلك المتصوف الزهاد، وقد عكف خلال إقامته في مكة على الإقراء والاسماع، ناهيك عن التصنيف، مُخلفاً وراءه العديد من المؤلفات الفقهية والتاريخيـة والشـعرية، حتـى غدا من أكثر المرتحلين اليمنيين تـأثيراً فـي السـاحة الفكريـة الحجازيـة تأليفـاً وتدريسـاً ومجاورةً وتصوفاً[1].

- الفقيه صفي الدين أحمد بن عبدالرحمن بن عُمر الحبيشي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٨م):

ولد سنة (٧٢٢هـ/١٣٢٢م) وتفقه على أيدي كوكبة من علمـاء الـيمن، ثـم ارتحـل سنة (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) إلى مكة والمدينة، فحج وطلب العلم علـى أيـدي علمـاء الحـرمين الشريفين وأبرزهم الإمام محمد بن خليل بن عبدالرحمن إمام المالكية بالحرم، وقد خلف الكثيـر من المؤلفات وديوان شعر[2].

- رضي الدين أبو بكر محمد بن صالح المعروف بابن الخياط (ت٨١١هـ/١٤٠٩م):

ولد سنة (٧٤٢هـ/١٣٤٠م) بعد أن تشبع بعلوم القراءات والفقه والحديث فـي الـيمن، دخل مكة رغبة في الاستزادة والأخذ عـن علمائهـا والمجـاورين، وبعـد أن تشـبع بعلـوم الحجاز عاد إلى اليمن وتولى مناصب قضائية، وخلف وراءه العديد من المؤلفات فـي العلـوم النقلية والعقلية[3].

- بدر الدين الحسين بن عبدالرحمن بن محمد الأهدل (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م):

ولد سنة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) وبعد أن تلقى علومه الأولى في زبيد والمراوعة وأبيـات حسن، ارتحل إلى الحجاز، حيث سكن مكة مدة استمرت حتى عام (٨٢٨هـ/١٤٢٧م) درس خلالها على جماعة من علماء الحجاز كابن ظهيرة وابن فهد والتقي الفاسي والـزين المراغـي

---

(١) عن ترجمته ورحلاته ينظر: اليافعي: مـرآة الجنـان ٤/٢٥٢، ٢٦٧-٢٦٨، ٣٣٥.، الشـرجي: طبقـات الخواص، ص ص١٧٢-١٧٥.، ابن حجر: الدرر ٢/٢٤٧-٢٤٩، بامخرمة: قلادة النحر ٣/٣٤٦٩-٣٤٧٠، العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٣٢، الحنكي: اليافعي، ص ص٧٦-٨٦.

(٢) عن ترجمته ورحلاته ينظر: الحبيشي الوصابي: الاعتبار، ص ص٢٤٢-٢٤٣.، البريهي: صلحاء الـيمن، ص٣٠.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٣٣٨.

(٣) عن ترجمته ورحلاته ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص١١٨-١٢٠.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص٣١٥-٣١٧.

وغيرهم، وتحصل على إجازات منهم حتى صار شيخ اليمن بلا منازع لثقافته المتنوعة وما خلف وراءه من مصنفات تجاوزت تسعة عشر مؤلفاً في مختلف فنون المعرفة بما فيها كتابه تحفة الزمن[١].

ـ جمال الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالطيب الناشري (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

ولد سنة (٧٨٢هـ/١٣٨١م)، تفقه ونشأ بمدينة زبيد وأخذ عن أعلام عصره كالفيروز آبادي، ونفيس الدين العلوي، ليرتحل بعدها إلى الحجاز، وأجاز له الشيوخ الكبار في مكة والمدينة وأحبه الناس وانتفعوا به انتفاعاً كبيراً، وأجاز واستجاز في اليمن والحجاز، وخلف وراءه الكثير من المؤلفات والشروحات القيمة[٢].

(١) عن ترجمته ورحلاته ينظر: الأهدل: تحفة الزمن، ص ص٦-٧.، السخاوي: الضوء ٣/١٤٥-١٤٧، محمد كريم: الأهدل، ص٧٥، ٨٤.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٧٨.، علي بركات: الكتابة التاريخية، ص ص١٢٨-١٣٦.

(٢) عن ترجمته ورحلاته ينظر: ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد المكي (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م): معجم الشيوخ، تح: محمد الزاهي، مراجعة: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٩٨٢م، ص٢٠٣.، البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣١٧-٣١٨.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص٣٠٥-٣٠٧.

د) الصلات العلمية بين (العلماء – العلماء) و(السلاطين – العلماء) في اليمن والحجاز:

أولاً: الصلات العلمية بين علماء البلدين:

تأتت أهمية الصلات الفكرية لليمن مع البلدان الإسلامية كونها "تميزت بعلاقة التأثير والتأثر"(١)، لاسيما مع الحجاز، إذ إن "اليمن قد ارتبط بصلات علمية كبيرة بكل من مكة والمدينة..."(٢). وكان المكون الرئيس لتلك الصلات علماء البلدين الذين كانت لعلاقتهم عدة أوجه:

- تبادل الزيارات واللقاءات بينهما:

كتلك الزيارة التي قام بها الإمام إسحاق بن أبي بكر الطبري (ت٦٧٠هـ/١١٧١م) إلى اليمن ولقاءاته مع معاصريه من علماء اليمن، لاسيما مع تلميذه الفقيه أحمد بن علي السرددي (ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م) الذي درس وروى عنه(٣)، أو تلك اللقاءات التي جمعت بين البهاء الجندي (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، العلامة أبو العباس أحمد بن إقبال المكي (كان حياً ٧٢٠هـ/١٣٢٠م) وأخذه العلم عنه(٤)، وكذا زيارة عزالدين النويري (ت٨٢٥هـ/١٤٢١م) إلى اليمن ولقاءاته بالعفيف الناشري والتي يوردها السخاوي على لسان العفيف بقوله: "كنت أراه يتكرر مجيئه لعمي الموفق علي بن أبي بكر في أوائل طلوعه تعز"(٥)، علاوة على زيارات تقي الدين الفاسي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م) ولقاءاته بمعاصريه في اليمن كالشرف المقري، وعلي بن عمر باعفيف والفيروزآبادي(٦).

وبالمقابل قام علماء من اليمن بزيارات إلى الحجاز والتقوا بمعاصريهم من علماء الحجاز كزيارة محمد بن إبراهيم الفشلي (ت٦٦١هـ/١٢٦٢م) ولقاءاته بابن أبي الصيف وعمر بن عبدالمجيد القرشي(٧)، أو زيارات الفقيه أبو بكر اليحيوي (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) الذي "حج مكة فلقي فيها جمعاً من الأكابر..."(٨)، ولقاءات ابن عبدالمجيد اليماني (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) بالعز الفاروثي والقاضي محمد بن محمد المحب الطبري(٩).

---

(١) الأفضل: العطايا السنية، ص١٢٤ (مقدمة التحقيق).

(٢) المنصوري: علم القراءات، ص٣٩.، وينظر: فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٩.

(٣) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٩٢/٣، الجندي: السلوك ١١٩/٢، بامخرمة: قلادة النحر ٣١٠٦/٣.

(٤) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ١٨/٣-١٩، بامخرمة: ثغر عدن ١١/٢-١٢، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨١.

(٥) الضوء ٢٢٢/٤.

(٦) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٧/١-٩، الفيروزآبادي: نخبة الرشاف، ص١٩.، بامخرمة: ثغر عدن ١٩٩/٢-٢٠٠.

(٧) ينظر: الجندي: السلوك ٢٩/٢-٣٠، الأفضل: العطايا السنية، ص٥٧١.، الخزرجي: العقود ١٣٠/١.

(٨) المصدر نفسه، ٣٢٠/١.، وينظر: الجندي: السلوك ١١٩/٢-١٢٠.، الأفضل العطايا السنية، ص ص٢٠٣-٢٠٤.

(٩) عن لقاءاته بهما ينظر: ابن حجر: الدرر ٣١٧/٣، بامخرمة: ثغر عدن ٢٥٢/٢.

- الصحبة العلمية والملازمة:

كما فعل أبو عبدالله بطال بن أحمد الركبي (ت٦٤٠هـ/١٢٤٢م) عندما جاور في مكة و"أخذ عن ابن أبي الصيف ولازم صحبته"[1]، وكذلك ملازمة الشماخي السعدي الحضرمي (٦٨٠هـ/١٢٨١م) "أصحاب السلفي في مكة"[2]، وكذلك فعل عفيف الدين اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) عندما لازم رضى الدين إبراهيم الطبري (٧٢٢هـ/١٣٢٢م) وأخذ عنه[3]، كما كان داوود بن أحمد الوصابي (٨٣٠هـ/١٤٢٦م) "أحد أصحاب عمر العرابي والقائم بعده في حلقته بالحرم..."[4].

- المناظرات وتبادل المصادر:

كتلك المناظرة الفقهية الشعرية التي دارت بين ابن العُليف الحجازي (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م) والشرف المقري (ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م)[5]، ناهيك عن الأجوبة الفقهية التي يرد بها المجاورون اليمنيون على الألغاز المكية[6]. وأما تبادل المصادر بين علماء البلدين فكان يتم إما بنسخها[7]، وإما بتدريسها من قبل شيوخ العلم أو بإعارتها[8]، أو عن طريق رواية طلاب أحد المشايخ لمرويات شيخه في أحد البلدين[9].

- الترجمات لعلماء البلدين وتقييم المستويات العلمية:

فمن الحجازيين من ترجم "لكثير من سلاطين وعلماء وقضاة وفقهاء اليمن..."[10]، وبالمقابل لم يُغفل علماء اليمن إيراد تراجم مفصلة لأعلام حجازيين كانت لهم بصمات فكرية

---

(١) الجندي: السلوك ٢/٤٠٠.

(٢) الأفضل: العطايا السنية، ص٢٧٠.، وينظر: الجندي: السلوك ٢/٣٠، الخزرجي: العقود ١/١٩٠.

(٣) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٤/٢٦٧-٢٦٨، الحنكي: اليافعي، ص ص٧٧-٧٨.، جرادة: الأدب والثقافة، ص٣٠٢.

(٤) السخاوي: الضوء ٣/٢١٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ٣/١٥٦.، طه أبو زيد: المقري ٢٥٩.

(٦) ينظر: الحنكي: اليافعي، ص١٠٠.، سهام القحطاني: الحضارة تعرف أين تخبئ بذورها، ص٢٦٦.

(٧) ينظر: الجندي: السلوك ٢/١١٩-١٢٠، الأفضل: العطايا السنية، ص٢٠٤.، الخزرجي: العقود ١/٣٢٠.

(٨) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٤/٢٨٢، ٣٠٠.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص ص٥٨٩-٥٩٠.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٠٣.

(٩) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٤/٢١٣، ٢٦٧.، ابن حجر: الدرر ١/٢٣٥، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨١.، محمد كريم: الأهدل، ص٨٨.

(١٠) أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٧٢.، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ٣/٢٩٢-٢٩٣، ٧/٤٨٨-٤٨٩.، ابن فهد: معجم الشيوخ، ص٢٠٣.

مؤثرة[١]، وفي الغالب كانت ترافق تلك الترجمات إبداء آراء تقييمية وانطباعية للمُترجم لهم، فهذا الجندي، يبدي رأيه في مقدرة شيخه أحمد بن إقبال المكي بأنه "قل ما رأى مثله في أهل الوقت في صبره على الإقراء وموافقة الطالب على غرضه"[٢]، فيما ينقل اليافعي رأي شيخه أحمد بن عبدالله الطبري (ت٧٣٠هـ/١٣٢٩م) في تدريسه إياه لكتاب الحاوي بقوله على لسان شيخه: "لقد استفدت معك أكثر مما استفدت معي"[٣].

وبالمقابل يصور لنا الفاسي تقييم علماء اليمن للإمام إسحاق الطبري (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م) بقوله: "لما دخل اليمن عظمه قضاتها وكان يلقب عندهم بخزيمة العصر وشهادته عندهم كشهادتين لجلالته"[٤].

ثانياً: الصلات بين العلماء والسلاطين في البلدين:

حرص سلاطين الدولة الرسولية على إقامة علاقات متميزة مع علماء الحجاز[٥]، وبالمقابل نشأت بعض الصلات بين علماء اليمن وأشراف الحجاز[٦]. ومن أبرز صور تلك الصلات:

- دعوتهم إلى اليمن وتلقي العلم على أيديهم:

كسماع السلطان المظفر على الإمام إسحاق الطبري (ت٦٧٠هـ/١٢٧٦م) في مجالسه العلمية في اليمن[٧]، وكذا دعوة المظفر لمحب الدين الطبري (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م) إلى اليمن، فلما وصل سمع عليه المظفر كثيراً من أمهات الحديث[٨]، وكذا سماعات السلطان المؤيد على أبي العباس أحمد بن محمد الطبري وروايته عنه[٩].

---

(١) ينظر: الخزرجي: العقد الفاخر، ص١٠٥، ١٥٤.، اليافعي: مرآة الجنان ٢٦٧/٤-٢٦٨، الجندي: السلوك ٤٢٨/٢.

(٢) الفاسي: العقد الثمين ١٨/٣، وينظر: الجندي: السلوك ٤٢٨/٢، بامخرمة: ثغر عدن ١١/٢-١٢.

(٣) مرآة الجنان ٢٨٢/٤، وينظر: الحنكي: اليافعي، ص٨٣.

(٤) العقد الثمين ٢٩٢/٣.

(٥) ينظر: العامري، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى الحرضي اليماني (ت٨٩٣هـ/١٤٨٧م): غربال الزمان في وفيات الأعيان، تح: محمد ناجي زعبي العمر، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق ١٩٨٥م، ص ص٥٧١-٥٧٢.

(٦) ينظر: السخاوي: الضوء ٤/٣، الحبشي: دراسات في التراث، ص ص٣٤-٣٥.، طه أبو زيد: المقري، ص ١٦٧.

(٧) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٩١/٣-٢٩٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٥.

(٨) ينظر: الخزرجي: العقد الفاخر، ص ص١٠٥-١٠٦.، العامري: غربال الزمان، ص ص٥٧١-٥٧٢.، بامخرمة: قلادة النحر ٣٠٩٨/٣-٣٠٩٩.

(٩) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٥٩/١، ابن حجر: الدرر ٩٩/٢، اليافعي: مرآة الجنان ٢٦٦/٤.

- تكليفهم بالمهام العلمية والوظيفية:

حرص سلاطين اليمن ذلك العصر على الاستفادة من قدرات الوافدين الحجازيين، فعمدوا إلى تكليفهم بمهام علمية كالتدريس في المدارس اليمنية(١)، أو تكليفهم بمهام الفتوى والقضاء(٢)، والمقابل استفاد أشراف الحجاز من العلماء اليمنيين في توليتهم مناصب الفتوى والقضاء، كتولية القاضي الحرازي (ت٧٥٥هـ/١٣٥٤م) قضاء مكة ورئاسة الفتوى فيها(٣).

- التأليف للسلاطين:

فقد وضع المحب الطبري (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م) عدة مؤلفات برسم السلاطين، فوضع باسم السلطان نورالدين كتاب (الدر المنثور للملك المنصور)، ووضع باسم المظفر كتاب (المحرر للملك المظفر)، ووضع في أسانيد الملك المظفر كتاب (الأعلام لمرويات المشيخة الأعلام من سكنة المسجد الحرام) و(العقود الدرية في المشيخة المظفرية)(٤)، ناهيك عن سماعات السلاطين لمصنفات علماء الحجاز التي صنفوها(٥).

- إكرامهم والخلع عليهم:

فمن السلاطين من كان إذا وصل أحد علماء الحجاز "أكرمه وعظمه وأجله وبجله"(٦)، ومن صور إكرامهم كذلك قبول شفاعاتهم ووساطاتهم لبعض العلماء عند السلاطين(٧)، وبالمقابل فقد حظي بعض العلماء الواردين من اليمن إلى مكة بالتقدير من قبل الأشراف وقبلوا مساعيهم لحل خلافات الأشراف، ومنحوهم الصلات المالية ورغبوهم في الإقامة في الحجاز(٨).

---

(١) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٩٣/٣، السخاوي: الضوء ٢٢١/٤-٢٢٢، اسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية، ص٣٤، ٤١.

(٢) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٣.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٧١.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٨٧.

(٣) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢٣٥/١-٢٣٦، ٥٣١.، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٨٥/١١، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٠١.

(٤) عن تلك الكتب ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٨٣/٣، ٢٩٢-٢٩٣.، الحبيشي الوصابي: الاعتبار، ص١١٧.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٠٣.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقد الفاخر، ص١٠٥.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٧.

(٦) الخزرجي: العقد الفاخر، ص١٠٥.، بامخرمة: قلادة النحر ٣٠٩٨/٣، العامري: غربال الزمان، ص٥٧١.

(٧) ينظر: بامخرمة: ثغر عدن ٢٥٢/٢، العامري: غربال الزمان، ص ص٥٧١-٥٧٢.

(٨) ينظر: السخاوي: الضوء ٤/٣، طه أبو زيد: المقري، ص١٦٧.، الحبشي: دراسات في التراث، ص ص٣٤-٣٥.

هـ) الأثر الفكري لحج العلماء ومجاوراتهم:

أولاً: حج العلماء اليمنيين وأثرهم الفكري:

ترسخ "الطابع العلمي لمكة المكرمة فأصبحت عاصمة ثقافية لأسباب مختلفة منها الحج... ففيها يلتقي الحجيج من عامة الناس أو من المثقفين العلماء، فيأتي منهم بزاده العلمي وقدرته الثقافية"(١)، كذا علماء اليمن "مثلت الرحلة إليها فرصة مواتية لأداء مناسك الحج في الجانب التعبدي والتزود بالمعارف في الجانب العلمي"(٢)، والعلماء في اليمن هم الذين تصدروا(*) محامل الحج وسميت بأسمائهم(٣)، لاسيما أن من علماء اليمن من حج ستاً وثلاثين حجة وبعضهم ثلاثين حجة فيما آخرون بلغت حجاتهم ستون حجة(٤)، ولنا أن نتأمل في مقدار تلك الآثار الفكرية التي سيخلفها ذلك التواتر العددي لحجات العلماء.

ومن الصور الفكرية لحج العلماء نقلهم للكتب ونسخها(٥)، وكذا نسج العلاقات العلمية، فهذا أبو محمد عبدالله بن محمد البريهي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) "حج البيت الحرام في خلق كثير وجم عدة من السنين... وأخبر الثقة عنه أنه متى قرب من مكة أو المدينة خرج للقائه من فيهما من الفقهاء والفضلاء يتبركون به وكذلك من حجهما من المصريين والشاميين وغيرهما"(٦)، حتى إن "الطلاب كانوا يستغلون أداء فريضة الحج في مقابلة العلماء والبقاء في مكة للأخذ عنهم..."(٧). علاوة على تلك الإجازات التي تمنح في مواسم الحج، فهذا الطيب الناشري (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) "أجاز له الشيوخ الكبار في مكة المشرفة والمدينة الشريفة عند أن سافر للحج والزيارة"(٨)، ناهيك عن دور علماء اليمن الذين يحجون البيت الحرام في عقد المجالس العلمية وتفقيه العامة والرد على الأسئلة الفقهية المثارة في الحرم(٩).

---

(١) سهام القحطاني: الحضارة تعرف أين تخبئ بذورها، ص٢٦٤.

(٢) المنصوري: علم القراءات، ص٣٩.

(*) كانت إمارة الحجيج "من أجل المناصب الإسلامية وأعظم الوظائف الدينية ويتطلب أن يكون صاحبها على درجة عالية من الرأي والشجاعة والهيبة والدراية والهداية" منيركيال: محمل الحج الشامي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق ٢٠٠٦م، ص٣٢.

(٣) ينظر: الجندي: السلوك ٣٧٢/٢، ٣٨٧.، الخزرجي: العقود ٢١٩/١، بامخرمة: قلادة النحر ٣٠٨٠/٣-٣٠٨١.

(٤) ينظر: الجندي: السلوك ١٦٩/٢، الخزرجي: العقود ٣٤١/١، نفسه: المسجد، ص٣٣٠.

(٥) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص ص٢٠٣-٢٠٤، ٤١١-٤١٢.، الجندي: السلوك ١١٩/٢-١٢٠، الخزرجي: العقود ٣٢٠/١.

(٦) الأفضل: العطايا السنية، ص٤٠١.، وينظر: الخزرجي: العقود ١١٣/٢.

(٧) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٩٤.، وينظر: الحبيشي الوصابي: الاعتبار، ص٢٤٣.، البريهي: صلحاء اليمن، ص٢٣٠.

(٨) المصدر نفسه، ص٣١٨.، وينظر: ابن فهد: معجم الشيوخ، ص٢٠٣.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٣٠٥.

(٩) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٢١٦/٤، الخزرجي: العقد الفاخر، ص ص١٥٢-١٥٦.، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٩.

ثانياً: مجاورة العلماء اليمنيين في مكة والمدينة:

قد تكون هجرة علماء اليمن إلى مكة والمدينة "الدافع إليها أكثر من سبب، فقد يكون من أسبابها الاتصال بمراكز الثقافة في الحجاز... وقد يكون الدافع إليها طلب المجاورة للبيت العتيق كما كان يفعل العلماء"[١]، إلا أنه ينبغي القول: "لم يكن المجاورون عنصراً سلبياً في المجتمع المكي يتلقى فقط التأثير بالمحيط الجديد الذي يعيش فيه، بل إن المجاورين كانوا يعيشون في صميم المجتمع فيؤثرون فيه ويتأثرون به"[٢]. فهذا العلامة ابن العراف (ت٧٥٤هـ/١٣٥٣م) "استفاد علمياً من مجاورته بمكة المكرمة بعد أن... بقي مجاوراً فيها لمدة سنتين"[٣]، كما كانت المجاورة تعتبر ميزة أفضلية في تقييم المستويات العلمية للفقهاء والقضاة، فهذا القاضي أبو أحمد محمد اليحيوي (ت٧١٢هـ/١٣١٢م) "كان له معرفة في الناس شافيه يمناً وحجازاً لمجاورته بمكة مدة سنين"[٤]، علاوة على أهمية المجاورة في نشأة الصحبة والملازمة العلمية لأكابر العلماء في الحجاز والواردين إليها[٥].

ولعل أكثر نماذج اليمنيين تأثيراً في مسار الصلات الفكرية بين البلدين هو المجاور عفيف الدين عبدالله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) والذي وصفه ابن بطوطة في مقدمة سرد فضائله أثناء مجاورته بقوله: "الإمام العالم الصالح الصوفي المحقق العابد..."[٦].

وينبغي الإشارة إلى أن تأثير المجاورين لم يقتصر على المجاورين اليمنيين فحسب، بل تعداه إلى المجاورين من غير اليمنيين والحجازيين الذين أثروا بمجاوراتهم على اليمن تأليفاً وتدريساً[٧].

تأسيساً على ما سبق يمكن القول: إن فريضة الحج لعلماء اليمن ومجاوراتهم في مكة والمدينة شكلتا وسيطاً مباشراً، وحاملاً فكرياً لتبادل التأثيرات الفكرية بين البلدين، وتوثيق الصلات العلمية بينهما.

---

(١) جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٩٨.، وينظر: السخاوي: الضوء ٣٠٤/٤-٣٠٥، الحنكي: اليافعي، ص٨٥.

(٢) العبيكان: الحياة العلمية، ص٢٢٩.، وينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٨٩.، الجندي: السلوك ٤٠٠/٢.

(٣) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٣١٤.، وينظر: الخزرجي: العقود ٨٦/٢-٨٧.

(٤) الأفضل: العطايا السنية، ص٦٠١.، وينظر: الجندي: السلوك ١٣٢/٢، الخزرجي: العقود ٣٣١/١.

(٥) ينظر: الجندي: السلوك ١١٩/٢-١٢٠، ٤٠٠.، الخزرجي: العقود ٣٢٠/١، السخاوي: الضوء ١٤٥/٣-١٤٦، ٢١٠.

(٦) تحفة النظار، ص٨٩.، وينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٢٥٢/٤، الحنكي: اليافعي، ص ص٧٧-٧٨.

(٧) ينظر: الجندي: السلوك ١٤٣/٢، الخزرجي: العقود ٣٠٣/١-٣٠٤، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٧٥-١٧٦.

و) السماعات والإجازات بين اليمن والحجاز:

انبثقت أهمية السماعات والإجازات بين البلدين من حرص "العلماء وطلبة العلم على السعي لطلب الإجازة من العلماء المسندين وتسجيل السماعات على الكتب التي قرأوها على الشيوخ"[١]. وعليه يمكن تناول مفهومي السماعات والإجازات كالآتي:

أولاً: تبادل السماعات بين البلدين:

تتصدر تلك السماعات سماعات سلاطين اليمن على علماء الحجاز، فهذا المظفر طلب المحب الطبري (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م) و"سمع عليه كثيراً من مصنفاته وغيرها، وسمع عليه كثيراً من أمهات الحديث"[٢]، وكذا سماعات المؤيد على العلامة أبو العباس أحمد بن محمد الطبري[٣]، علاوة على سماع علماء اليمن على علماء الحجاز، كابن عبدالمجيد اليماني (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) الذي "سمع بمكة من العز الفاروثي"[٤]، وكذا تقي الدين أحمد بن قاسم الحرازي (ت٧٥٥هـ/١٣٥٤م) الذي قدم "مكة فسمع بها من الفخر التوزري والصفي والرضى الطبريين، وسمع بالمدينة من أبي عبدالله محمد بن محمد بن حريث كتاب الشفاء"[٥].

ولعل من أطول السماعات وأشملها سماعات عبدالله بن أسعد اليافعي (٧٦٨هـ/١٣٦٦م) في مكة على رضى الدين إبراهيم الطبري (ت٧٢٢هـ/١٣٢٢م) والتي امتدت لتشمل عشرات المصنفات ولم تختص بسماع مصنف بعينه[٦]، وكذلك بدرالدين الأهدل (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) "الذي سمع بمكة من الجمال بن ظهيرة والتقي الفاسي الكثير، وبالمدينة من الزين المراغي وأبي حامد المطري"[٧].

وبالمقابل فقد كان هناك علماء حجازيون سمعوا على علماء يمنيين سواء أثناء مجاوراتهم في مكة والمدينة أو أثناء وفودهم لليمن[٨].

---

(١) ابن طولون: نوادر الإجازات والسماعات، ص٧ (مقدمة التحقيق).، وينظر: الخزرجي: العقود ٣٥٩/١.

(٢) الخزرجي: العقد الفاخر، ص١٠٦.، وينظر: بامخرمة: قلادة النحر ٣٠٩٨/٣-٣٠٩٩.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٠٣.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٥٩/١، ابن حجر: الدرر ٩٩/٢، اليافعي: مرآة الجنان ٢٦٦/٤.

(٤) ابن حجر: الدرر ٣١٧/٢، وينظر: ابن عبدالمجيد: بهجة، ص١٤٢(حجازي)، بامخرمة: ثغر عدن ٢٥١/٢.

(٥) ابن حجر: الدرر ٢٣٥/١، ينظر: العبيكان: الحياة العلمية، ص١٠١.

(٦) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٢٦٧/٤-٢٦٨، جرادة: الأدب والثقافة، ص ص٣٠١-٣٠٢.، الحنكي: اليافعي، ص ص٧٧-٧٨.

(٧) السخاوي: الضوء ١٤٦/٣، ينظر: الأهدل: تحفة الزمن، ص٧ (مقدمة التحقيق).، محمد كريم: الأهدل، ص٧٥.

(٨) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٣٣٥/٤، السخاوي: الضوء ١٠٥/٤-١٠٦؛ ٢٥٢.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٩.

ثانياً: الإجازات بين البلدين:

وهي مرحلة تالية لمرحلة السماعات، فبعد أن يستكمل طلاب العلم مستلزمات السماع "كانوا يحصلون على إجازات علمية منفردة من أساتذتهم وكان علماء الحرم يتبعون في منح هذه الإجازات التقاليد العلمية المتعارف عليها في المجتمع الإسلامي"[(١)]، فهذا السلطان المؤيد "أجازه الشيخ الإمام المُبجل أبو العباس أحمد بن محمد الطبري شيخ السنة بالحرم الشريف في البخاري والترمذي وناوله صحيح مسلم وأجازه في باقي الأمهات"[(٢)].

ولعل اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) قد تحصل على أكثر الإجازات من شيخه رضي الدين إبراهيم الطبري (ت٧٢٢هـ/١٣٢٢م) "فهو يذكر أنه قرأ على الشيخ رضي الدين المذكور... ما يزيد على أربعين كتاباً في مختلف العلوم المعروفة في ذلك العصر"[(٣)]، وهذا علي بن أبي بكر موفق الدين اليمني (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) "شيخ القراء باليمن... أجاز له الرضي الطبري والعفيف الدلاصي"[(٤)]، وكذلك فعل رضي الدين بن الخياط (ت٨١١هـ/١٤٠٩م) عندما "رحل إلى مكة... فدرس على بعض العلماء المشهورين وحصل منهم على إجازات علمية في فنون كثيرة"[(٥)]. أما محدث اليمن نفيس الدين العلوي (ت٨٢٥هـ/١٤٢٢م) فقد "أحب الرواية واستجيز له جماعة من المكيين"[(٦)]، وهذا أحمد بن أبي بكر بن ظهيرة الزبيدي (ت٨٥٣هـ/١٤٤٩م) حج البيت الحرام في مكة "وعكف على السماع بها من علماءها وأجازه بعضهم في عدد من مصنفاتهم ومروياتهم... وأجاز لعدد من علمائها أو الوافدين عليها"[(٧)]، وهذا بدرالدين الأهدل (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) "حصل على إجازات من فقهاء الحرم المكي الذين التقى بهم في حجته الأولى..."[(٨)]؛ ناهيك عن الطيب الناشري (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) "أجاز له الشيوخ

---

(١) العبيكان: الحياة العلمية، ص١٠٢.، وينظر: ابن طولون: نوادر الإجازات والسماعات، ص ص٧-٩.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص٢٤٠-٢٤٤.

(٢) الخزرجي: العقود ٣٥٩/١، وينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٢٦٦/٤، ابن حجر: الدرر ٩٩/٢.

(٣) الحنكي: اليافعي، ص ص٧٧-٧٨، وينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٢٦٧/٤-٢٦٨، جرادة: الأدب والثقافة، ص ص٣٠١-٣٠٢.

(٤) ابن حجر: الدرر ٣٣/٣.

(٥) السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص٣١٥-٣١٦.، وينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص ص١١٨-١٢٠.

(٦) السخاوي: الضوء ٢٥٩/٣، وينظر: السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص٣٣٠-٣٣٣.، الشرجي: طبقات الخواص، ص٥٤.

(٧) أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٠.

(٨) محمد كريم: الأهدل، ص٧٥.، وينظر: السخاوي: الضوء ١٤٥/٣-١٤٦.، الأهدل: تحفة الزمن، ص٧ (مقدمة التحقيق).

الكبار في مكة المشرفة والمدينة الشريفة"[١]. وتحرياً للموضوعية ينبغي الإشارة إلى ثلاثة أمور تتعلق بالإجازات بين البلدين، الأول: إن تلك الإجازات لم تكن ذات طابع واحد بقدر ما كانت تتنوع بتنوع السماعات والمقروءات والتي في الغالب ما تأتي على صورة إجازات عامة في جميع المسموعات والمرويات[٢]، الأمر الثاني: إن تلك الإجازات كانت لها ضوابط علمية وفق معايير عصرها فيشترط "أن يكون المجيز عالماً بعلم يجيز به متقناً لغته، ثقة في دينه، وأن يكون المستجيز من أهل العلم"[٣]. الأمر الثالث: حرص معظم الحاصلين على تلك الإجازات على توثيق تلك الإجازات في كتب مستقلة وتثبيت أسماء المشايخ المُجيزين، كتوثيق المُحب الطبري (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م) لمشيخات الملك المظفر في كتابين الأول (الأعلام لمرويات المشيخة الأعلام من سكنة المسجد الحرام)، والثاني (العقود الدرية في المشيخة المظفرية)[٤].

ولعل منح الإجازة كان يعتبر معياراً مهماً لتثبيت اسم الشيخ في المسند، كما حدث للمظفر مع شيخه إسحاق الطبري (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م) والذي لم يذكره في مسنده رغم سماعه عليه، وقد فسر الفاسي عدم تثبيت اسم الشيخ الطبري بقوله: "ولعل الذي حمل المحب على عدم ذكره كونه لم يجز للملك المظفر"[٥].

---

(١) البريهي: صلحاء اليمن، ص٣١٨.، وينظر: ابن فهد: معجم الشيوخ، ص٢٠٣.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٣١٦.

(٢) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٥٩/١، جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٠٢.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٣١٦.

(٣) العبيكان: الحياة العلمية، ص١٠٢.، وينظر: محمد كريم: الأهدل، ص٧٥.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٤٠.

(٤) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٨٣/٣، الوصابي الحبيشي: الاعتبار، ص١١٧.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٠٣.

(٥) العقد الثمين ٢٩٣/٣.، وينظر: أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٥.

ز) الصلات الأدبية بين اليمن والحجاز:

إذا كان السلاطين الرسوليون قد تميزوا بذائقة أدبية في فنون الشعر المختلفة[١]، فإن من أشراف الحجاز من كان "راغباً في الأدب وسماعه وله الإجازات للشعراء الوافدين عليه من إطلاق الخيال وإجازات القصائد"[٢]. وقد سارت الصلات الأدبية في البلدين وفق اتجاهين:

أولاً: الاتجاهات التقليدية في الشعر بين البلدين:

حافظت القصيدة العربية في البلدين على بنائها التقليدي واتجاهاتها التقليدية، ومن ذلك شعر المديح الذي مُدح به أشراف الحجاز[٣]، أو سلاطين اليمن[٤]. ولم يقتصر غرض المديح على السلاطين، فقد كانت هناك المدائح النبوية المُشبعة بشمائل الرسول (صلى الله عليه وسلم)[٥]، ومدح الصحابة[٦]، ومدح طلبة العلم لشيوخهم في البلدين[٧].

وهناك نمط تقليدي آخر وهو الهجاء، وهناك ثمة حكاية طريفة عندما هجا الشاعر الحجازي عفيف الدين عبدالله بن قاسم الذروي السلطان أحمد بن إسماعيل الرسولي سلطان اليمن في قصيدة من ثلاثين بيت على لسان شريف مكة التي يقول في مطلعها:

قل لمن رام بنا و بنا ومن   رام يأتي بيتنا مغتصباً
وإذا ما كان رأساً لم يُعد   عندنا يا صاح الاذنبا[٨]

وهناك اتجاه آخر هو شعر الحنين والشوق، سواء قال به أحد شعراء الحجاز في اليمن أو قيل من قبل شعراء اليمن شوقاً إلى الحجاز والديار المقدسة[٩]. ولعل من أبرز الأساليب

---

(١) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٥٩/١، اليافعي: مرآة الجنان ٢٦٦/٤، الحبشي: حياة الأدب، ص١٤١.

(٢) الخزرجي: العقود ٢٧٩/١، وينظر: السخاوي: الضوء ١٣/٣-١٤، ١٥٦.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٤٤/١.

(٣) ينظر: ابن حجر: الدرر ٤٢٢/٢، السخاوي: الضوء ١٥٦/٣، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٤٤/١.

(٤) ينظر: الخزرجي: العقود ١٩٧/٢، السخاوي: الضوء ١٥٦/٣، أبو زيد: المقري، ص ص١٤١-١٤٤.

(٥) ينظر: مرآة الجنان ٣٦٣/٤-٣٦٦، طه أبو زيد: المقري، ص ص١٣٩-١٤٠، الحنكي: اليافعي، ص ص٨٧-٩٠.

(٦) ينظر: الجندي: السلوك ٢٦٨/٢-٢٦٩، بامخرمة: قلادة النحر ٣١٤٨/٣-٣١٤٩، الشرجي: طبقات الخواص، ص ص٢٤٢-٢٤٤.

(٧) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٣٤٠/٤-٣٤٣.، السخاوي: الضوء ١٥٦/٣، ٢١٠.، الحنكي: اليافعي، ص ص٩٣-٩٤.

(٨) ينظر: أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٤٩/١-٣٥٠، وعن الهجاء في البلدين ينظر: بامخرمة: ثغر عدن ١٩٩/٢-٢٠٠، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١١٦.

(٩) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٨٧/٢، الخزرجي: العقد الفاخر، ص ص١٠٥-١٠٦.، السخاوي: الضوء ٩٦/٤، الحنكي: اليافعي، ص٨٣.

التقليدية في بناء القصيدة، نظم القصيدة وفق قافية واحدة وتسمية القصيدة بقافيتها كالدالية والتي أطلقت على دالية اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، ودالية الطبري (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، وكذا التائية أو الرائية[١].

وأما اتجاه الغزل، فقد سار الغزل في الحجاز بذات المنحى المحافظ الذي سار عليه الغزل في اليمن بعيداً عن المجون والمباهات بالغزل الغلماني الذي كان سائداً في مصر المملوكية[٢]. ومن أشهر الغزليات الحجازية التي ذاعت في اليمن قصيدة المعشرة الحصرية، وهي قصيدة قالها إمام الحنبلية في الحرم الشريف أبو الفتوح الحصري، وذلك في إبنة عمه التي قدمت معه إلى اليمن وقد انتشرت بين الناس في اليمن وكان الناس يتغنون بها[٣]. وخاتمة الأغراض التقليدية، ذلك النوع المستمد من قدسية الأماكن ومكانتها الروحية وهو شعر الغوثيات ومعارضات العلماء والممزوجة بالطابع العقدي والفقهي[٤].

ثانياً: الاتجاهات الجديدة في البلدين:

تأتي في صدارة تلك الأغراض الغير تقليدية، الألغاز والتلاعب بالألفاظ والذي يقوم على تحوير الألفاظ والتي عادة ما كانت ترتبط بالمسائل الفقهية، ومن ذلك اللغز الذي ورد إلى اليمن من فقهاء مكة سنة (٨٣٤هـ/١٤٣٠م) والذي يتضمن عدة مسائل فقهية وأجاب عنه الشرف المقري، والذي كان مطلعه:

سل العلماء في البلد الحرام وأهل العلم من يمن وشام

وما شيء وليس بذي حياة ولا هو قط نبت وهو نام[٥]

ناهيك عن تأليف علماء وفدوا إلى اليمن كالمحب الطبري (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م) كتاباً في الألغاز، وآخرين من علماء اليمن ارتحلوا إلى الحجاز كاليافعي (٧٦٨هـ/١٣٦٦م) الذي ألف كتاباً أسماه (الأجوبة المكية في الألغاز اليافعية)[٦].

---

(١) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٨٧/٢، اليافعي: مرآة الجنان ١٦٩/٤، السخاوي: الضوء ١٥٦/٣، بامخرمة: قلادة النحر ٣١٠٦/٣.

(٢) عن الغزل في البلدين، ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٣٥٩/٤، جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٠١.، سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١١٦.

(٣) ينظر: الجندي: السلوك ٣٣١/٢، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٦٥٦-٦٥٧.

(٤) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٣٢٥/٤، ٣٦٣-٣٦٦.، جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٤٩.، الحنكي: اليافعي، ص٩١.

(٥) ينظر: السخاوي: الضوء ١٥٦/٣، أبو زيد: المقري، ص ص٢٥٩-٢٦١.

(٦) عن الكتابين ينظر: الخزرجي: العقد الفاخر، ص١٠٥.، بامخرمة: قلادة النحر ٣٠٩٨/٣، الحنكي: اليافعي، ص١٠٠.

وهناك نمط آخر غير تقليدي آخر شاع في تلك الفترة وهو نظم العلوم، كاليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) المجاور في مكة "له قصيدة نحو ثلاثة آلاف بيت في العربية وغيرها وذكر أنها تشتمل على قريب من عشرين علماً"[١]، علاوة على الشعر العلمي الذي يوثق للمسافات ووحداتها والسماعات وسائر العلوم[٢]. وهناك نمط آخر وهو تخميس القصائد، كما فعل أحد الشعراء عندما عمد إلى "تخميس قصيدة المحب الطبري الدالية التي نظمها لما كان باليمن"[٣]، وإن كان فن التخميس والموشحات قد شهد تطوراً ملحوظاً في اليمن عنه في الحجاز[٤]. وهناك نمط غير تقليدي استحدث في عهد السلطان المظفر ويتعلق بموسم الحج وهو "الأراجيح وهي حلقات تلقى فيها أناشيد شعرية كانت تنظم في مدح من أقام الأرجوحة والحاج الذي أقيمت احتفالاً بعودته من الحجاز"[٥].

كما ينبغي الإشارة إلى تنامي ظاهرة النقد الأدبي للمضامين الإبداعية في القصائد الشعرية بين البلدين والتي عادة ما كانت تستهدف سبر أغوار القصيدة وتقويمها وكشف ظاهرة الانتحال أو السرقات الشعرية[٦].

ومن نافلة القول، الإشارة إلى ملمحين يرتبطان بالصلات الأدبية بين البلدين:

الأول: يتعلق بأبرز النماذج الشعرية اليمنية التي ساهمت في تعزيز تلك الصلات، ومنهم عبدالله بن أسعد اليافعي، والذي "أنطقه الحجاز بروائع شعره"[٧]، واسماعيل المقري الذي نسج علاقات شعرية متميزة مع الحجاز[٨]. وبالمقابل فإن من أبرز شعراء الحجاز إثراءً لتلك الصلات المُحب الطبري، وتقي الدين الفاسي، وعفيف الدين عبدالله بن قاسم الذروي[٩].

الثاني: أن الشعر أدى أدواراً سياسية مختلفة، سواء في نشوب الأزمات بين البلدين وتعكير صفو العلاقات بينهما، أو من خلال شعر الاستعطاف الذي حاول حل الأزمات بين البلدين والتخفيف من حدتها[١٠].

---

(١) جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٤٩.، وينظر: ابن حجر: الدرر ٢/٢٤٨-٢٤٩.، اليافعي: مرآة الجنان ٤/١٦٧-١٦٨.

(٢) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٧/٤٩٨؛ الأفضل: العطايا السنية، ص ص٥٦٦-٥٦٧.، السخاوي: الضوء ٤/١٣٥.

(٣) ابن حجر: الدرر ٢/٣٨٧، وينظر: الخزرجي: العقد الفاخر، ص ص١٠٥-١٠٦.

(٤) ينظر: الجندي: السلوك ٢/٤٠٣، الخزرجي: العقد الفاخر، ص١٤١، ١٨٢-١٨٤.، الحبشي: حياة الأدب، ص ص١٩٢-١٩٣.

(٥) شايف: الحياة الاجتماعية، ص٥٧.، ينظر: بامخرمة: ثغر عدن ٢/٢٤٥.

(٦) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣/٣٥-٣٦، السخاوي: الضوء ٤/٢١٢-٢١٣، اليافعي: مرآة الجنان ٤/٣١٥.

(٧) الحنكي: اليافعي، ص٨٣.، ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٤/١٦٧-١٦٨، ٢٦٨.، جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٤٩.

(٨) ينظر: أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٣٤٤، أبو زيد: المقري، صص٢٥٩-٢٦١.، الحبشي: دراسات في التراث، صص٣٤-٣٥.

(٩) ينظر: ابن حجر: الدرر ٢/٣٨٧، بامخرمة: ثغر عدن ٢/١٩٩-٢٠٠. أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٣٤٩-٣٥٠.

(١٠) ينظر: أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٦٩.، أبو زيد: المقري، ص ص١٦٧-١٦٨؛ ١٧٠.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ١/٣٤٩-٣٥٠.

ح) النظام التعليمي ومكوناته بين اليمن والحجاز:

- طرائق التدريس والمجالس العلمية بين البلدين:

شاعت في البلدين العديد من طرائق التدريس التي اعتمد عليها النظام التعليمي آنـذاك، ومن أبرزها الطريقة الإلقائية (الإقراء) "وهي تقوم على تلقين المُتعلم ما يـراد حفظـه عـدة مرات"[١]، ويقابلها عند الطالب الحفظ المستخدم في حفظ المتون[٢]. وهناك طريقة المحاضـرة (الشرح[٣])، ناهيك عن طريقة التعلُّم بالمراسلة، كما كان يفعل القاضي جمال الدين بن ظهيـرة المُدرس في الحرم الشريف عندما كانت "ترد إليه مئات الأسئلة من عدن ومن مُدن يمنية أخرى وكان يُرسل رده عليها"[٤]، علاوة على طريقة المنـاظرة[٥]، فضـلاً عـن طريقـة المناقشـة والمساءلة[٦]. وارتبطت تلك الطرائق بعقد المجالس العلمية فـي البلـدين كمجـالس الإمـلاء والحديث[٧]، أو بنظام الحلقات الدراسية التي كانت تعقد سواء في الحرم الشريف أو في اليمن[٨].

- تبادل الخبرات التدريسية بين البلدين:

فقد درس في اليمن العديد من الحجازيين وعقدوا المجالس العلمية فيها، كالإمام إسحاق الطبري (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م)، والقاضي عزالدين النويري (ت٨٢٥هـ/١٤٢١م)، والمحدث فتح الدين محمد المدني(ت٨٥٩هـ/١٤٥٤م)[٩]، وبالمقابل كان هناك علماء من اليمن أسهموا في نقـل

---

(١) السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢١٥.، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ١٨/٣، الأفضل: العطايا السنية، ص٥١٤.

(٢) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٥/٣-٣٦، الأفضل: العطايا السنية، ص٤٥٦، ٤٧٦.، فاروق حيدر: التعليم فـي عهد بني رسول، ص٩٦.

(٣) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٢٨٢/٤، ابن حجر: الدرر ٢٣٧/١.

(٤) العبيكان: الحياة العلمية، ص٨٦.، وينظر: الفاسي: العقد الثمين ٥٦/٢، عبدالرحمن صالح: تاريخ التعليم في مكة، ص ص٤٣-٤٤.

(٥) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٥٧٨.، السنيدي: المـدارس اليمنيـة، ص٢١٧.، سـهام القحطـاني: الحضارة تعرف أين تخبئ بذورها، ص٢٦٦.

(٦) ينظر: السخاوي: الضوء ١٥٢/٣، اليافعي: مرآة الجنان ١٧٧/٤، ٢١٦.، فاروق حيدر: التعليم في عهـد بني رسول، ص١٠١.

(٧) ينظر: السخاوي: الضوء ٢٥٢/٤، ٣٠٥.، اليافعي: مرآة الجنان ٢٥٣/٤، الحبشي: حياة الأدب، ص١٠٢.

(٨) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٥٧٧.، السخاوي: الضوء ٢١٠/٣، فاروق حيدر: التعليم في عهد بنـي رسول، ص٣٩، ١٣٤.

(٩) عن هؤلاء ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٩١/٣-٢٩٣، البريهي: صـلحاء الـيمن، ص٣٤٣.، السـخاوي: التحفة اللطيفة ٥٣٥/٣-٥٣٩.

الخبرات التدريسية إلى الحجاز، كابن عجيل (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م)، واليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، داوود بن أحمد الوصابي (ت٨٣٠هـ/١٤٢٦م)[١].

- إنشاء المكتبات وتبادل الكتب بين البلدين:

يبدو أن الحجاز قد عرفت في تلك الفترة خزانات الكتب التي كانت تخصص للمدارس التي توقف عليها[٢]، وهو ما كان يعتمل في اليمن وبوتيرة عالية[٣]. ولاشك أن من أبرز صور تبادل التأثيرات في هذا الجانب إقبال سلاطين الدولة الرسولية على إنشاء المدارس التعليمية في الحجاز وما يرتبط بها من خزانات للكتب والوقف عليها[٤].

وأما تبادل الكتب فقد كان يتم تبادلها إما بالاستعارة أو بدراستها أو بحصول الطالب على إجازة بروايتها وتدريسها[٥]، وقد يتم نقلها عبر الوافدين إلى اليمن[٦]، ناهيك عن قيام المهتمين بتلك الكتب بنسخها وحملها معهم[٧].

- المناهج (المقررات) التي يشترك البلدان في تدريسها:

درست في البلدين[*] كتب الحديث المشهورة كصحيح البخاري ومسلم وغيرها[٨]، وفي الفقه اعتُمد على كتابي التنبيه والمهذب لأبي إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م)[٩]، وكتاب الوجيز للغزالي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)[١٠].

---

(١) عن هؤلاء ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٢٠٩/٤-٢١٧، بامخرمة: قلادة النحر ٣٤٦٩/٣-٣٤٧٠، السخاوي: الضوء ٢١٠/٣.

(٢) ينظر: ابن فرحون، أبو محمد عبدالله بن محمد اليعمري (ت٧٦٩هـ/١٣٦٧م): نصيحة المشاور وتسلية المجاور، دار الكتب المصرية، مخطوط برقم ٤٣٠٤٩، ص٥٤، ١٠٠.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٥٨/١-٣٥٩، فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص ص١٢٨-١٢٩.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص ص٢٧٣-٢٧٤.

(٤) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٧٥، ٨٠ (مقدمة التحقيق).، الصبباغ: تحصيل المرام، ص١٥٥.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٦٠.

(٥) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٣٠٠/٤، ابن حجر: الدرر ٢٣٥/١، محمد كريم: الأهدل، ص٨٨.

(٦) ينظر: الخزرجي: العقد الفاخر، ص١٠٥.، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٧١.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٠٣.

(٧) ينظر: الجندي: السلوك ١١٩/٢-١٢٠، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٢٠٣-٢٠٤.، الخزرجي: العقود ٣٢٠/١.

(*) سبق الإشارة إلى اتجاه البلاد الإسلامية آنذاك إلى تغليب تدريس العلوم النقلية على العلوم العقلية، ينظر هذه الأطروحة، ص٦٥، ١٧٧.

(٨) ينظر: ابن حجر: الدرر ٣٠١/٢-٣٠٢، الخزرجي: العقود ٣٥٩/١، ٢٤٩/٢.، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٩٣.

(٩) ينظر: الجندي: السلوك ٢٩٧/٢، السخاوي: الضوء ٢٢١/٤، عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٢٩٩.

(١٠) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٢٧٤/٤، ابن حجر: الدرر ٣٥/٣، السنيدي: المدارس اليمنية، ص٢٢٦.

ويمكن القول: أن هناك خصوصية فيما يخص المناهج بين البلدين، إذ درست بعض المصنفات اليمنية في الحجاز مثل كتاب الأربعين النووية للسلطان المظفر(١)، وبالمقابل تدريس مصنفات حجازية في اليمن، ككتاب العلامة المراغي المدني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) المسمى المشروع الروي في شرح منهاج النووي(٢)، وكتاب المحرر في الحديث للطبري (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م)(٣). كما شاعت في البلدين الشروحات التي تستهدف شرح أمهات الكتب بغرض تقريبها وإثرائها(٤).

- إدارة النظام التعليمي وموارده في البلدين:

ارتبطت إدارة النظام التعليمي بتبني سلاطين الدولة الرسولية إنشاء تلك المؤسسات والوقف عليها، ويمكن الإشارة إلى ذلك النوع من الارتباط الذي يتجاوز الإنشاء إلى ترتيب الموارد المالية وضمان استمراريتها، إذ "في سنة أربعين وسبعمائة [١٣٣٩م] أمر السلطان(*) بإنشاء المدرسة التي في مكة المشرفة المعروفة بالمجاهدية ووقف عليها وقفاً جيداً من أملاكه المباركة يقوم بكفاية الجميع وجعل وقفها في ثلاثة مواضع من وادي زبيد: موضع في أعلاه، وموضع في أسفله، وموضع في أوسطه، نظراً للمرتبين واحتياطاً لهم خوفاً أن يتغير موضع فيكون في غيره ما يستعينون به سنتهم إلى العام المقبل"(٥)، لاسيما وقد حرص مُعظم سلاطين الدولة الرسولية على تبني المنشآت التعليمية في الحجاز وتهيئة الموارد لها(٦).

وبطبيعة الحال امتد ذلك التأثير إلى النظام الإداري لتلك المؤسسات، فهذا السلطان الأفضل عندما بنى مدرسته الأفضلية في مكة "رتب فيها مدرساً ومعيداً وعشرة من الطلبة وإماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن الكريم"(٧). وكان السلطان المجاهد –قبل ذلك– بعد إنشائه المدرسة المجاهدية، سالفة الذكر، قد "وضع فيها إماماً ومؤذناً ومدرساً وطلبة وأيتاماً"(٨).

وعليه يمكن القول: إن إدارة النظام التعليمي وموارده المالية في الحجاز قد تأثر بشكل رئيس في تلك الفترة بوقفيات سلاطين الدولة الرسولية، وبترتيباتهم الإدارية التي استحدثوها في تلك المنشآت.

---

(١) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٢٦٨/٤، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٣١.؛ جرادة: الأدب والثقافة، ص٣٠٢.
(٢) ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٢.، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٩٠.
(٣) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٢٨٢/٤، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٣١.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٠٣.
(٤) ينظر: الجندي: السلوك ٤٠١/٢، البريهي: صلحاء اليمن، ص٣٤٢.، العبيكان: الحياة العلمية، ص١٣٢.
(*) المعني به السلطان المجاهد.
(٥) الخزرجي: العقود ٦٤/٢، وينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٧٥(مقدمة التحقيق).، الأكوع: المدارس الإسلامية، ص١٧٤.
(٦) ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٤٥/١١–١٤٦، الصباغ: تحصيل المرام، ص١٥٥.، العبيكان: الحياة العلمية، ص٧٠.
(٧) الخزرجي: العقود ١٣٦/٢، وينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٨٠.، ابن الديبع: قرة العيون ٣٧٦/١.
(٨) العبيكان: الحياة العلمية، ص٧٣.، وينظر: الصباغ: تحصيل المرام، ص١٥٥.

ط) الكتابة التاريخية بين اليمن والحجاز:

ارتبط علم التاريخ في البلدين بالثقافة العربية الإسلامية سواء في نشأته أو في مراحل تطوره[١]، وما أن حل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي حتى كانت الكتابة التاريخية من أبرز الصور التي عززت الصلات الفكرية بين البلدين وفق عدة مسارات، أهمها:

- المناهج التاريخية وأنماطها بين البلدين:

لعل من أبرز المناهج التاريخية التي استخدمت في البلدين المنهج الجغرافي لاسيما في التراجم، ولعل ذلك يُعزى لتقبّل الحجاز لموجات المجاورين فيها من مختلف البلدان، وكذا تقبل اليمن للوافدين من خارجها، ما تطلب في توظيف الجوانب الجغرافية في التراجم[٢]. وهناك المنهج الحولي كالفاسي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م) في كتابه (شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام)، الخزرجي (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م) في كتابه (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية)[٣]، كما أن هناك المنهج المعجمي (الألف باء) الذي اتبعه فهد في كتابه (معجم الشيوخ)، الفاسي في كتابه (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين)، والخزرجي في كتابه (العقد الفاخر الحسن)[٤].

ولعل نمط التواريخ المحلية المرتبط بالأماكن المقدسة كمكة والمدينة كان أبرز الأنماط التي انبثقت عن تلك المناهج[٥]، وهو من الأنماط التي كانت لها حضوراً في المؤلفات التاريخية اليمنية آنذاك كزبيد، وعدن، ووصاب[٦].

- اهتمام مؤرخي البلدين بالتأليف عن البلد الآخر:

فقد ألف المحب الطبري (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م) كتاب (العقود الدُرية في المشيخة المظفرية)، وكتاب (الدُر المنثور للملك المنصور)[٧]، ألف تقي الدين الفاسي (٨٣٢هـ/١٤٢٩م)

---

(١) ينظر: السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص ص٩٥-١٠٠، ١٧١، ١٧٤.، الدوري، عبدالعزيز: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت ١٩٨٣م، ص ص٦١-٦٦.، علي بركات: الكتابة التاريخية، ص ص٣٦-٤٥.

(٢) ينظر: الخزرجي: العقود ٣٠٣/١-٣٠٤، الفاسي: العقد الثمين ٢٩٢/٣-٢٩٣؛ أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٧٢.

(٣) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٩/١ (مقدمة التحقيق)، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٦١-١٦٥، ١٧٠-١٧٢.

(٤) ينظر: السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص ص١٤٧-١٤٨، نفسه: الضوء ١٣٧/٣.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٦١-١٦٥، ١٧٠-١٧٢.

(٥) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٩/١ (مقدمة التحقيق)، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص ص١٦٢-١٦٣.، الزيلعي: المؤرخ المكي، ص ص٢٢-٢٣.

(٦) ينظر: بروكلمان، كارل: الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية، تر: صالح بن الشيخ أبو بكر، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٥م، ص١٨٧.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٥٢، ١٦٥.

(٧) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٨٣/٣، الوصابي الحبيشي: الاعتبار، ص١١٧.، الحبشي: حياة الأدب، ص١٠٣.

كتاب (تقريب الأمل والسول من أخبار سلاطين بني رسول)[١]، كما صنف النجم عمر بن فهد (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م) كتاب (الأمثال) للملك الناصر بن الأشرف[٢].

وبالمقابل كانت هناك مؤلفات يمنية تهتم بالشأن الحجازي، كاليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) الذي ألف كتاب (الرسائل المكية)، وابن الخياط (٨٣٩هـ/١٤٣٥م) الذي ألف كتاب (عين التحقيق في عدد بناء البيت العتيق)[٣]، ناهيك عن مؤلفات الفيروزآبادي في اليمن عن الحجاز والتي منها (مهيج الغرام إلى البلد الحرام)، و(إثارة الحجون إلى زيارة الحجون)، و(المغانم المطابة في فضائل طابة)، و(أحاسن اللطائف في محاسن الطائف)[٤].

- السمات المشتركة في البناء الفني والتعبيري للمؤلفات التاريخية:

تناغمت قدرات المؤلفين في البلدين في بنائهم لمؤلفاتهم، سواء في الناحية الفنية بدءاً من العناوين المتقاربة والمسجوعة، فكتاب (العقد الثمين) للفاسي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م) يقابله ذات التسمية (العقد الثمين) لابن حاتم (كان حياً ٧٠٢هـ/١٣٠٢م)[٥]، ومروراً بالاعتناء بخطبة الكتاب – مقدمته[٦]– ناهيك عن العناية بضبط الأسماء والأعلام بالكنى والألقاب وبالشكل والإعجام[٧]، وكذلك حرص مؤرخو البلدين على تثبيت مصادرهم الشفهية والخطية[٨].

وأما الوجه التعبيري لتلك المؤلفات، فقد حرص مؤرخو البلدين على تنوع الصور الحضارية في مؤلفاتهم[٩]، كما استشهدوا بالشعر لإسناد الحوادث التاريخية[١٠]، ناهيك عن وجود نضوج – نسبي – لرؤيتهم للأحداث وتحليلها[١١]، لاسيما وقد حرص كل مؤرخ في البلدين على

---

(١) ينظر: السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص١٧٠.، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٧١.

(٢) ينظر: ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م): الدُر الكمين بذيل العقد الثمين، تح: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت ٢٠٠٠م، ج١، ص٢١٨.

(٣) عن تلك المؤلفات ينظر: البريهي: صلحاء اليمن، ص٢٣١.، الحنكي: اليافعي، ص٩٨.

(٤) ينظر: الفيروزآبادي: نخبة الرشاف، ص٢٠ (مقدمة التحقيق).، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص١٦٢، ١٦٦.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ٦٦/١، ١٨٦.، الفاسي: شفاء الغرام ٩/١، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص١٦٤، ١٧٢.

(٦) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ١٥/١-٢٣، الجندي: السلوك ٦٣/١-٧٤، الزيلعي: المؤرخ المكي، ص ص٣١-٣٤.

(٧) ينظر: الجندي: السلوك ٢٥٩/٢، ٤٧٥.، الفاسي: العقد الثمين ٣٩٤/٣-٣٩٥، الزيلعي: المؤرخ المكي، ص ص٣٥-٣٦.، جرادة: الأدب والثقافة، ص٢٩٩.

(٨) ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٦٥/١، ٣٣٨-٣٣٩.، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص٢٦٦ (حبشي).، اليافعي: مرآة الجنان ٢٦٧/٤.

(٩) ينظر: الخزرجي: العقود ٣١١/١، ٢٤٤/٢، ٢٤٦.، الفاسي: شفاء الغرام ١٤٧/١، ٣١٠-٣١٦، ٣٧٩.

(١٠) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ١٦٧/٤-١٦٨، الخزرجي: العقود ٢٦٠/٢-٢٦١، الزيلعي: المؤرخ المكي، ص٣٦.

(١١) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٤٣٥/٣، الزيلعي: المؤرخ المكي، ص٣٥.، جرادة: الأدب والثقافة، ص ص٢٩٩-٣٠٠.

الاهتمام بفضائل بلده وعلو مكانتها بين البلدان(١)، وإن كان قد شاع في تراجم البلـدين إضـفاء الكرامات على تراجم العلماء في البلدين(٢).

- **الصلات بين المؤرخين في البلدين:**

وقد تأتت تلك الصلات من خلال تبادل الزيارات بين المؤرخين، كزيـارة الخزرجـي (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م) إلى الحجاز، وزيارة تقي الدين الفاسي (٨٣٢هـ/١٤٢٩م) لليمن(٣)، وإن كان من المفيد الإشارة إلى أنه "من العجب من العلامة الفاسي... التقى بالخزرجي واجتمع بـه بمدينة زبيد وحج الخزرجي وينقل عنه كثيراً ولم يترجم له"(٤)، علاوة على زيـارات المـؤرخ الأهدل (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) ولقاءاته مع الفاسي وغيره(٥)، فضلاً عن تبادل المصـادر بـين مؤرخي البلدين وتثبيتها في مصنفاتهم سواء أكانت يمنية أو حجازية(٦).

---

(١) ينظر: الفاسي: شفاء الغرم ١/١٠٠-١٠٦، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص ص١٧-١٨ (حبشي).، أيمن سـيد: مصادر اليمن، ص١٣.

(٢) ينظر: اليافعي: مرآة الجنان ٣٤٧/٤، ٣٥٢.، الخزرجي: العقود ١٥٥/١، الفاسي: العقد الثمين ١٩٤/٣.

(٣) ينظر: الخزرجي: العقود ١٤٩/٢-١٥٠، بامخرمة: ثغر عدن ١٩٩/٢-٢٠٠، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٩.

(٤) الخزرجي: العقود ٩/١ (مقدمة التحقيق).

(٥) ينظر: السخاوي: الضوء ١٤٥/٣-١٤٧، محمد كريم: الأهدل، ص٧٥، ٨٤.

(٦) ينظر: الأفضل: العطايا السنية، ص٤٠١.، الفاسي: شفاء الغرام ٣٣٨/١-٣٣٩، محمد كريم: الأهدل، ص٨٨.

ي) الصلات المذهبية بين اليمن والحجاز:

امتاز مُعظم أشراف الحجاز بالتسامح المذهبي، حيث حرصوا على "تعدد الأئمـة فـي الحرم المكي تبعاً لتعدد المذاهب في ذلك الوقت"[1]، وكذلك كان رعاية التنوع المذهبي والتعايش والتسامح بين مختلف الاتجاهات الفقهية هو دائب الدولة الرسولية في الـيمن[2]. ووفقـاً لـذلك التنوع والتسامح تنامت وتيرة الصلات المذهبية بين البلدين كالآتي:

- الصلات الصوفية بين البلدين:

ساهم الحجاز من خلال مركزيته الدينية "في تجميع أعداد كبيرة من مختلف علماء العالم الإسلامي من مختلف المذاهب والفرق والأجناس والثقافات... [الذين] نقلوا إلى الـيمن مُختلـف التيارات الفقهية والثقافية المختلفة"[3]. ويأتي في صدارة تلك التأثيرات، تأثيرات الصوفية، كأفكار بن عربي، فهذا الفقيه أبو بكر بن محمد بن عمر الهزاز (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) الذي "حج مكـة فلقي بها جمعاً من الأكابر صحبهم وانتسخ كتباً من كلام ابن العربي الصـوفي فعكـف عليهـا واعتقد ما فيها... ثم لما عاد اليمن أقبل عليه غالب أعيان الأمراء والملوك والخواتين وصار لهم به معتقد عظيم"[4]، كما أن الطريقة الرفاعية قد انتقلت إلى اليمن عبر مكة[5]. وبالمقابل أسـهم أقطاب الصوفية في اليمن دوراً كبيراً في إذكاء نزعة التصوف في الحجاز واعتقد أهل الحجاز بكراماتهم، كالفقيه الصوفي أبي العباس بن عجيل (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م)[6]، والصوفي المجاور عبدالله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)[7].

- صلات الفقهاء الحنابلة في البلدين:

من أبرز النماذج العلمية التي أسهمت في نقل تأثيرات الفقهاء إلى الحجاز، الفقيه شرف الدين اسماعيل المقري (ت٨٣٧هـ/١٤٣٢م) الذي نسج علاقات مع مختلف التيارات الفقهية في

---

(١) عواطف محمد: الرحلات المغربية ص٢٤٩، وينظر: ابن تغـري بـردي: النجـوم الزاهـرة ١١/١٣٩، العبيكان: الحياة العلمية، ص ص٢٥٦-٢٦٠.

(٢) ينظر: الجندي: السلوك ٢/١١٢-١١٣، الخزرجي: العقود ٢/١٠١، عبدالكريم قاسم: الفكر التنويري لليمن، ص٥.

(٣) فاروق حيدر: التعليم في عهد بني رسول، ص٣٩.

(٤) الجندي: السلوك ٢/١٢٠، وينظر: الخزرجي: العقود ١/٣٢٠، الأفضل: العطايا السنية، ص ص٢٠٣-٢٠٤.

(٥) ينظر: الخزرجي: العقود ١/٢١٣، أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٧٦.

(٦) عن تأثيراته ينظر: الفاسي: شفاء الغرام ٢/٢٩٠، اليافعي: مرآة الجنان ٤/٢٠٩-٢١٦، الشرجي: طبقـات الخواص، ص ص٦١-٦٢.

(٧) عن تأثيراته ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار ص٨٩، ابن حجر: الدرر ٢/٢٤٧-٢٤٩، العبيكـان: الحيـاة العلمية، ص٣٣٢.

الحجاز[١]. وبالمقابل كان هناك نموذج حجازي هو الفقيه أبو الفتوح الحصري[*] الذي عمل "إماماً في مقام الحنبلية في الحرم الشريف وأصله من بغداد وقدم اليمن وإليه تنسب المعشرة الحصرية... ولما صار إلى المهجم انتفع به الناس وانتشر عنه العلم انتشاراً متسعاً وأخذ عنه عدة من أكابر البلد وغيرها"[٢].

- **الصلات الزيدية بين البلدين:**

من تلك الصلات ما أورده مورتيل من دعاء أحد أئمة المذهب الزيدي في الحجاز لإمام الزيدية في اليمن[**]، وذلك في المسجد الحرام بمكة[٣]، كما أن من أئمة الزيدية في اليمن من "بلغت دعوته كل مبلغ وأدى إليه الواجبات سكان الحجاز وينبع والصفراء"[٤]، إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أنه على الرغم من اعتناق أشراف الحجاز للمذهب الزيدي إلا أن أغلب صلاتهم كانت مع الرسوليين السُنة لاعتبارات سياسية واقتصادية وغلبة التسامح المذهبي على نهج الطرفين.

- **صلات المالكية في البلدين:**

لعل من أبرز تأثيرات مالكية الحجاز زيارات قاضي المالكية وإمام مقامها تقي الدين الفاسي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م) إلى اليمن، الذي بلغ تأثيره حد الانخراط في المعترك الناشب بين الفقهاء والصوفية في اليمن والذي أشار إليه بامخرمة في معرض حديثه عنه بقوله: "...عمل ترجمة في ذم ابن عربي، ثم عمل ترجمة أخرى في مدحه وقدمها للمزجاجي فأعطاه فيها عطية سنية سدت مسداً من حاله، وطلب منه ابن المقريء ترجمته الأولة فمنع مراعاة للصوفية"[٥]. ومن تأثيرات مالكية الحجاز، تشبع طلاب العلم من اليمن بعلوم المالكية في الحجاز والدراسة على شيوخ المالكية فيه[٦].

---

(١) ينظر: السخاوي: الضوء ١٥٦/٣، طه أبو زيد: المقري، ص ص٢٥٩-٢٦١.، أحمد السباعي: تاريخ مكة ٣٤٤/١.

(*) لم يحدد الجندي سنة وفاته لكنه كان معاصراً لتلك الفترة، ينظر: الجندي: السلوك ٣٣١/٢-٣٣٢.

(٢) الأفضل: العطايا السنية، ص ص٦٥٦-٦٥٧.، وينظر: الجندي: السلوك ٣٣١/٢-٣٣٢.

(**) هو الإمام التاسع عشر من أئمة الزيدية في اليمن محمد بن المطهر (٧٠١-٧٢٨هـ/١٣٠١-١٣٢٧م) ينظر: الكبسي: اللطائف السنية، ص ص١٤٨-١٥٢.

(٣) ينظر: الأحوال السياسية بمكة، ص٨٣.

(٤) حسين العرشي: بلوغ المرام، ص٥٧.، وينظر: الكبسي: اللطائف السنية، ص١١٣.

(٥) ثغر عدن ٢٠٠/٢، وعن تأثيراته ينظر: أسامة حماد: مظاهر الحضارة، ص٥٨٩، أيمن سيد: مصادر اليمن، ص ص١٧٠-١٧٢.

(٦) ينظر: الوصابي الحبيشي: الاعتبار، ص ص٢٤٢-٢٤٣، الشرجي: طبقات الخواص، ص٥٤.، البريهي: صلحاء اليمن، ص ص٣٤٩-٣٥٠.

وعليه يمكن القول: إن الحجاز شكل معبراً مفتوحاً للتيارات الفقهية والمذهبية إلى اليمن عبر مناسبات دينية مختلفة كالحج والعمرة والزيارة، علاوة على المجاورة، كما أن تعدد المذاهب في اليمن والحجاز المُشبع بروح التسامح والتعايش قد نتج عنه انتشار واسع للعلم وتنوع في الرؤى والاجتهادات، الأمر الذي أثرى الساحة الفكرية في البلدين وعزز الصلات الفكرية بينما.

تلكم – إذاً – كانت محاولة لاستقراء الصلات الحضارية بين اليمن والحجاز وفق رؤية أكثر شمولية وموضوعية اعتمدت على النصوص التاريخية وتحليلها وفق ظروف عصرها، والتي خلُص الباحث من خلال تلك المقاربات إلى بعض الاستنباطات كالآتي:

- إن النظام الإداري للبلدين كليهما قد تأثر بالنظام الإداري المملوكي في مصر في معظم جوانبه مع بعض الخصوصيات المحلية.
- إن امتداد النفوذ المباشر للرسوليين على الحجاز قد ساهم، إلى حد ما، في تشكيل النظام الإداري للحجاز والتأثر بتكوينات اليمن الإدارية.
- إن الصلات الإدارية بين البلدين قد تنوعت، سواء بجوانبها القضائية، المدنية، العسكرية، أو بأنماطها الإدارية (الأساليب الإدارية) أو الاستحداثات الوظيفية، علاوة على المصطلحات الوظيفية.
- إن السفارات والمكاتبات بين البلدين قد تعددت بتعدد أهدافها، سواء كانت لتقديم الولاءات، أو تشكيل ضغط سياسي، أو حل خلاف سياسي طارئ.
- تميزت هدايا وتحف الرسوليين إلى أشراف الحجاز بالاهتمام بالبعدين الكمي والنوعي ومنافسة هدايا المماليك، فيما اتسمت هدايا أشراف الحجاز إلى اليمن بالدلالة الرمزية لإثبات الولاء.
- تأثر أشراف الحجاز – بشكل نسبي – بمراسيم وتوقيعات الرسوليين، سواء كانت مراسيم تنصيب، أو بذخ حفلات، أو مواكب ركوب ورفع أعلام، وألقاب تفخيم.
- تنوعت خلع وعطايا السلاطين الرسوليين المباشرة لأشراف الحجاز، بحسب رتبهم ومكانتهم وأهميتهم لسلاطين اليمن.
- اتسمت الصلات الاقتصادية بين اليمن والحجاز بتنوع جوانبها سواء كان تجارياً أو صناعياً ومهنياً أو مالياً وزراعياً.
- شكلت مدن الحجاز ومواسمه آنذاك أسواقاً رئيسة للبضائع اليمنية والترويج لها، فيما شكلت موانئ اليمن معبراً رئيساً للبضائع الحجازية إلى آسيا، الأمر الذي أنعش تجارة العبور بين البلدين.

- أسهمت تجارة السلاطين وتجار الكارم اليمنيين في استقرار اقتصاد الحجاز، كما ساهم أولئك التجار في ازدهار الجوانب الحضارية فيه.
- ارتبط التنافس التجاري بين مينائي عدن وجدة بالأوضاع السياسية في البلدين، وبالتنافس المملوكي الرسولي على النفوذ على الحجاز.
- اعتمد أهل الحجاز على الصناعات اليمنية والتي شهدت ازدهاراً كبيراً والتي تنوعت بين النسيجية، والمعدنية، والخشبية، والغذائية، وغيرها.
- شهد النظام المالي في الحجاز آنذاك محاولات إصلاح من قِبل الرسوليين عبر إسقاطهم المكوس والجبايات وغيرها.
- ارتبط النظام النقدي للحجاز بعملة اليمن بتداولهم للدرهم المسعودي المسكوك في اليمن طوال العهد الرسولي، وبتدفق الذهب والفضة من اليمن إلى الحجاز، كما تأثرت المقاييس والأوزان والمكاييل في الحجاز بالنظام المالي لليمن ومصر المملوكية.
- نتيجة لطبيعة الحجاز الصحراوية فقد تدفقت الثروة الحيوانية من الحجاز إلى اليمن، فيما استفاد الحجاز من البيئة الزراعية لليمن واستورد معظم منتجاته الزراعية.
- تأثرت العمارة في الحجاز عموماً بعمارة اليمن في العهد الرسولي بمختلف صورها، الدينية، المدني، الحربي.
- انتقلت التأثيرات المعمارية من اليمن إلى الحجاز عبر ما شيده الرسوليون من مدارس، ومساجد، ومآذن، وقباب، وسُبل، ودور، وقلاع، ما أرسلوه من آلات وصُنّاع.
- شكلت كسوة الكعبة المرسلة من اليمن وسيطاً مباشر للصلات الفنية بما اشتملت عليه من زخارف ونقوش، تذهيب، خطوط، علاوة على المنشآت الحضارية والمنتجات الصناعية وما اشتملت عليه من نقوش وزخارف.
- تنوعت الصلات الاجتماعية بين البلدين سواء في تشابه عادات الصُلح، الزواج كالطرح والحنا، والألعاب وعادات الدفن، أو في تناغم السُلم الاجتماعي للبلدين، أو في تبادل الأطعمة والأشربة أو هجرة الأسماء والألقاب، علاوة على دور الصدقات في تعزيز التكافل الاجتماعي بين البلدين.
- أن الرسوليين كانوا أول من قام بكسوة البيت المعظم بعد سقوط بغداد في أيدي التتار واستمروا على ذلك الحال عدة سنوات، فضلاً عن إهداءاتهم الثمينة للحرمين الشريفين بخلاف الكسوة.
- أن اهتمام الرسوليين بالبيت المُعظم وكسوته والقيام بمصالحه، كذا المسجد النبوي بالمدينة قد أضفى على أولئك السلاطين هيبة وجعلت لدولتهم مكانة واحترام في نفوس ومشاعر أهل الحجاز والمسلمين كافة.

- إن مركزية مكة الفكرية قد ارتبطت بالبيت العتيق وبمواسم الحج والزيارة، وامتدت بتأثيراتها على اليمن لتشمل مختلف النواحي الفكرية.
- شكل الوافدون العلماء من الحجاز وسيطاً مباشر وغير مباشر في تغذية مختلف روافد الازدهار الحضاري في اليمن بما حملوه من معارف وعلوم نقلية وعقلية وما تقلدوه من مناصب، وما ألفوه من كتب.
- شكلت الرحلات العلمية للطلاب اليمنيين إلى الحجاز مورداً وافراً ومنهلاً متنوعاً في العلوم لتوافر الكثير من العلماء القاصدين الحج أو المجاورة، الأمر الذي انعكس على تنوع العلوم والمعارف المغذية للازدهار الحضاري في اليمن.
- ارتبط علماء البلدين بصلات متعددة، كتبادل الزيارات واللقاءات، والصحبة العلمية والملازمة، والمناظرات وتبادل المصادر، والترجمات المتبادلة وتقييم المستويات العلمية.
- ارتبط السلاطين في اليمن بعلماء الحجاز بصلات متعددة، كدعوتهم إلى مجالسهم وتلقي العلم على أيديهم، وتكليفهم بمهام علمية ووظيفية، والتأليف للسلاطين، إكرامهم والخلع عليهم.
- شكل الحج مؤتمراً فكرياً عالمياً انعكست آثاره المباشرة وغير المباشرة على اليمن، وساهم في التنوع الثقافي والفقهي، الذي أثرى الساحة الفكرية في اليمن عبر تغذية المناشط الثقافية والعلمية بالمعارف والعلوم، لاسيما ما يجلبه حجاج الأقطار من معارف وكتب إلى اليمن بعد حجهم.
- امتازت مجاورات علماء اليمن في الحرمين كونها كانت وسيطاً فكرياً طويل الأمد لنقل التأثيرات الفكرية إلى اليمن بما شكلوه من استقرار في الحجاز ومن تمازج مع المجاورين من شتى بقاع العالم الإسلامي.
- اتسمت السماعات والإجازات بين العلماء وطلابهم في البلدين بالضوابط العلمية وفق معايير عصرها، وبتوثيق تلك الإجازات في مسندات ومشيخات مستقلة تثبت فيها أسماء المشايخ المجيزين وأنواع السماعات والإجازات.
- حافظ الشعراء في البلدين على الأغراض التقليدية في بنائهم لقصائدهم، مع بروز شعر الغوثيات ومعارضات العلماء الممزوجة بالطابع العقدي والفقهي، وكذا شعر الحنين والشوق إلى الأماكن المقدسة.
- اتسمت الاتجاهات الجديدة في الأدب في الحجاز بتأثرها بالألغاز ذات الطابع الفقهي في اليمن، كما شاع نظم العلوم، فن التخميس، الأراجيح الشعرية، بروز النفس النقدي للمضامين الشعرية.
- إن إدارة النظام التعليمي في الحجاز وموارده المالية قد تأثر بشكل رئيس في تلك الفترة بوقفيات سلاطين الدولة الرسولية، وبترتيباتهم الإدارية التي استحدثوها في المنشآت التعليمية التي شيدوها في الحجاز.

- تقارب مناهج وأنماط الكتابة التاريخية في البلدين مع بروز خصوصية التـــاريخ المحلـــي، والمنهج الجغرافي لوجود ظاهرتي الوافدين في اليمن والمجاورين في الحجاز.
- امتازت صلات المؤرخين في البلدين بالتأليف المتبادل عن البلد الآخر، وتبادل الزيـــارات، وتناغم البناء التعبيري والفني لمؤلفاتهم التاريخية، وتبادل المصادر الشفهية والمكتوبة بـــين مؤرخي البلدين.
- إن الحجاز شكل معبراً مفتوحاً للتيارات الفقهية والمذهبية عبر مناســبات مختلفــة كـــالحج والزيارة والمجاورة.
- إن تعدد المذاهب وتنوعها في الحجاز واليمن والمشبعة بروح التسامح والتعايش قد نتج عنه انتشار أوسع للعلم وتنوع في الرؤى والاجتهادات مما أثرى الساحة الفكريـــة فـــي البلـــدين وعزز الصلات الفكرية بينهما.

الخاتمة

امتازت الدولة الرسولية خلال فترة حكمها (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م) بتعزيزها للصلات الحضارية مع البلدان الإسلامية، الأمر الذي أتاح لليمن إمكانية الإسهام في الازدهار الحضاري كطرف مؤثر، وبالمقابل استيعاب اليمن لكل ما يفد إليه من مؤثرات حضارية، واستيعابها وإعادة صياغتها وفقاً للخصوصيات المحلية، ليخلص الباحث إلى جملة من النتائج نوردها فيما سيأتي:

- كان لابد من تناول موضوعي لمجموعة المحددات الداخلية والخارجية التي تداخلت وتفاعلت لتشكل في تمازجها أرضية تكاملية نُسجت عليها صوراً مبهجة من الصلات الحضارية بين اليمن وكلٌ من مصر والحجاز بل مع مُجمل البلدان الإسلامية، وفيما يتعلق بالمحددات الداخلية، فقد خلصت الدراسة إلى أن من أهم المحددات الداخلية التي هيأت لسلاطين الدولة الرسولية مد جسور تلك الصلات، الانتعاش الاقتصادي والازدهار الإداري وما تطلبه من تعاملات اقتصادية وخبرات إدارية، كذا ازدهار حركة التأليف في اليمن مما ساعد على تشكل واقع ثقافي مزدهر في اليمن كسر حاجز القصور في التواصل لتشكل المؤلفات والمؤلفون جسوراً للتواصل مع تلك البلدان، فيما شكلت مؤسسات التعليم المختلفة روافداً رئيسة لذلك الازدهار وعامل جذب للخبرات التدريبية من تلك البلدان ورفد تلك البلدان بالخبرات اليمنية، علاوة على مساهمة عقلية الحاكم الرسولي المنفتحة في تأمين مناخات سياسية مشجعة للترابط الحضاري مع تلك البلدان وترغيب الوافدين، فضلاً عما وفرته تلك الرعاية من ازدهار للحركة العمرانية والصناعية والحرفية التي تطلبت خبرات فنية غذت ذلك الازدهار وخدمت متطلبات الترف السلطاني والمجتمعي. وبطبيعة الحال فقد اقتضت تكاملية تلك المحددات تبني صيغ حضارية للاختلافات المذهبية، كالمناظرات ومؤلفات النقائض المذهبية، ومراقبة السلاطين للتوازن الديني والمذهبي، وتعزيز نهج التسامح والتعايش، مما وفر سلم اجتماعي نسبي ووفر أرضية مشجعة للصلات الحضارية مع تلك البلدان.

أما المحددات الخارجية التي هيأت للصلات الحضارية مع تلك البلدان، فقد شكلت خطاً متوازياً ومتكاملاً مع المحددات الداخلية في تعزيز مسار تلك الصلات، والتي تبين من خلال دراستها، أن من أهم تلك المحددات المؤثرات الجغرافية (المحدد الجغرافي) وما ارتبط بها من جوار جغرافي لليمن مع الحجاز، وشراكة للبلدان الثلاثة مصر واليمن والحجاز في الإطلالة على البحر الأحمر، كذا الطرق البرية والبحرية، موقع اليمن الاستراتيجي وما حملته تلك المؤثرات من وافدين وكتب وأفكار واتجاهات وسفارات وغيرها، ليأتي دور المحدد السياسي والعسكري، والذي شكل فيه الحجاز نقطة التجاذب العسكري والسياسي بين المماليك والرسوليين في محاولة لبسط نفوذ كل طرف عليه، لاسيما بعد سقوط الدولة العباسية، والذي تعددت فيه الأساليب السياسية والعسكرية لتحقيق ذلك الهدف، وبتعدد تلك الأساليب تعددت صور التواصل الحضاري بين البلدان الثلاثة وفق ارتباطية شرطية ترتفع بتحسن العلاقات السياسية وتنحسر باستيائها.

أما المحدد التجاري، فقد شكل أساساً تكاملياً لنشوء صلات حضارية لليمن مع مصر والحجاز بعناصره الرئيسة: التبادل التجاري، وأدوار مدن الموانئ، والطرق التجارية، وتجارة الكارم قادة هذا التبادل وما أسهموا فيه من أدوار سياسية واجتماعية وفكرية ومن نقل لتجارب الازدهار ومشاريع التحديث بين اليمن وتلك البلدان، كما وفرت المؤثرات الثقافية والإدارية (المحدد الثقافي والإداري) قنوات مباشرة للتواصل الحضاري تمثلت بالوافدين إلى اليمن من مصر والحجاز، الرحلات العلمية لليمنيين إلى تلك البلدان وما

رافق تلك القنوات من أشكال تأثيرية متبادلة كالزيارات، تبادل الكتب، تلاقح الأنظمة التعليمية، ومحاكاة الأنظمة الإدارية في تلك البلدان.

وأما خاتمة المحددات الخارجية فقد كان سقوط بغداد وإحياء المماليك للخلافة العباسية، وقد توصلت الدراسة إلى أن ذلك السقوط المروع لعاصمة الخلافة العباسية في أيدي المغول قد شكل تحدياً حضارياً وفكرياً وفقداناً للمركزية العربية الإسلامية، استجابت له تلك البلدان وتنافست على شغل فراغ تلك المركزية عبر رعاية المقدسات الإسلامية وتقبل موجات العلماء النازحين من العراق والقاصدين إليه، إحياء المماليك للخلافة العباسية وإن كان ذلك الإحياء صورياً، إلا أنه شكل جسراً لتعزيز الصلات الحضارية بين اليمن ومصر والحجاز، من خلال مراسلات العباسيين للرسوليين من مصر وحثهم على رعاية المقدسات الإسلامية في الحجاز.

- من خلال الدراسة التفصيلية المستندة إلى المصادر وربطها بظرفية العصر وأحداثه، ثم تناولت الصلات الحضارية بين اليمن ومصر، لاسيما وقد شكلت الدولة الأيوبية المحضن السياسي والحضاري للمماليك في مصر والرسوليين في اليمن، ناهيك عن انحدار المماليك والرسوليين من أصول إثنية واحدة هي القومية التركية أو الكردية أو الشركسية، وعليه فقد تناولها الباحث وفق متغيرين، كان الأول الصلات الإدارية والسياسية والاقتصادية والمعمارية مع مصر، فيما تناول المتغير الثاني الصلات الفكرية بين البلدين، وفيما يتعلق بالمتغير الأول فقد توصلت الدراسة إلى أن المستوى المتطور الذي وصلت إليه الصلات الحضارية مع مصر لم تكن حصيلة ظروف عصرها فحسب بقدر ما كانت كذلك حصيلة تراكمات تاريخية متعددة الأطوار.

امتازت الصلات الإدارية بين اليمن ومصر بتنوعها في مختلف الجوانب الإدارية، سواءً القضائية منها، والوظائف الإدارية، وأساليب (نظم) إدارة الدولة، واستقدام الخبرات الإدارية والمسميات الإدارية والوظيفية للنظم الإدارية، تبدى للباحث خلالها أن الدولة الرسولية تأثرت في نظامها الإداري بمؤثرات عربية وإسلامية في غالبها مؤثرات مصرية مملوكية(*) بما فيها الإدارة العسكرية للجيش الرسولي الذي تأثرت قواعد ترتيبه بترتيبات المماليك وأساليبهم الحربية ومصطلحاتهم العسكرية.

كما تبين لي من خلال المحاولة لتكوين رؤية متكاملة للصلات الاقتصادية بين اليمن ومصر بمختلف جوانبها التجارية والصناعية والمالية والزراعية، تبين خلالها أن الدولتين ارتبطتا بصلات تجارية سيطرتا خلالها على تجارة البحر الأحمر، ومن ثم تنوعت الصادرات والواردات بينهما، وتعددت أشكال المعاملات التجارية بينهما بما فيها تجار الكارم وأدوارهم الحضارية والفكرية المختلفة بين البلدين، كذلك امتازت الصلات الصناعية بين البلدين بتنوعها بين الصناعات المعدنية والنسيجية والسكر والصابون ومستلزمات الكتاب والصناعات العسكرية، لاسيما وقد ساهم الصناع والحرفيون المصريون، إلى حد كبير، في نقل الصناعات المصرية والحرفية إلى اليمن. كما تبين للباحث خلال هذه الدراسة ارتباط النظام المالي في اليمن بشكل كبير بالنظام المالي المملوكي في مصر بمكوناته المختلفة كالعملة، المقاييس ونظام الجمارك والتوكيلات المالية والشراكات التجارية، علاوة على انتعاش الصلات الزراعية وتبادل الحيوانات من خلال الهجرة المتبادلة لأنواع الثمار والنباتات والحيوانات المضمنة الهدايا والتبادل التجاري وما حمله الأطباء الوافدون إلى اليمن من نباتات وأعشاب.

(*) كما أشرنا أن الدولة المملوكية ورثت الإدارة عن الدولة الأيوبية التي تأثرت، الى حد ما، بنظم الإدارة العباسية.

امتازت الصلات المعمارية والفنية بين اليمن ومصر بتنوعها بين العمارة الدينية والمدنية والحربية، وقد تبين للباحث أن العمارة الدينية الرسولية خصوصاً المدارس منها قد تأثرت بالعمارة الدينية المملوكية سواء في التخطيط العام للمدارس أو في الحنايا الركنية وأساليب التغطية والتسقيف مع بروز تأثيرات العمارة المحلية وخصوصياتها في اليمن. كما تبين للباحث أن الرسوليين قد ضاهوا المماليك في العمارة المدنية في بناء القصور والدور والاستراحات وفاقوهم في بعضها، وفي العمارة العسكرية توصلت الدراسة إلى التأثر النسبي للرسوليين بالمماليك في أساليب اختيار مواقع بناء القلاع بعيداً عن التجمعات السكانية وفي بناء التحصينات الدفاعية وقيساريات الجند ودور السلاح، فضلاً عما أثبتته الدراسة من بروز صلات فنية بين البلدين في جوانب الزخرفة والخط والتصاوير ونساخة الكتب وبشكل أقل الطرب.

أما في الصلات الاجتماعية فقد توصلت الدراسة إلى تأثر الدولة الرسولية بالعديد من العادات الوافدة من مصر، لاسيما تلك المرتبطة بالبذخ الاجتماعي كمحاكاة الرسوليين للمماليك في اللهو والتسلية وبذخ الحفلات ومد الأسمطة الحافلة بأطايب الأطعمة والأشربة وفي عادات الزواج، علاوة على محاكاتهم في عادة السبوت المشابهة لعيد الربيع في مصر آنذاك وفي عادات دفن الموتى في المدارس. كما تبين للباحث وجود صور أخرى للصلات الاجتماعية بين البلدين ساهمت في نقل التأثيرات الاجتماعية بينهما، كالهجرة المتبادلة للأفراد والأسر والاستيطان المؤقت والدائم لها، وكذا تبادل الملبوسات والأطعمة والأشربة وحتى هجرة الأسماء والألقاب، ناهيك عما توصلت إليه الدراسة من تواز كبير في الطبقات الاجتماعية التي حفل بها السُلم الاجتماعي للبلدين كالمماليك، الأشراف والذميين وغيرهم.

لعل من أهم الملامح التي استقرأتها الدراسة الجوانب السياسية وما يرتبط بها من مراسيم وتشريفات ومواكب؛ وقد تبين لي أن سلاطين البلدين قد راعوا في هداياهم المتبادلة البعد النوعي المشتمل على الطرافة والابتكار والإبهار وعكس القدرات المحلية في الصناعات، كذا البعد الكمي الذي دلت عليه ضخامة تلك الهدايا وتعدد وسائط نقلها، كما تبدى للباحث أنه قد ارتبط بتعدد الهدايا تعدد في السفارات المتبادلة بين اليمن ومصر وتعدد في السفراء وتعدد في أغراض السفارات، وبالتالي تنوع في المكاتبات سواء من حيث وجهتها (خلفاء عباسيين، سلاطين، مماليك، أمراء وأعيان)، أو من حيث مضمونها (بشارات، واستنجاد، وتهديد ووعيد، وتعزيات)، كما توصلت الدراسة إلى أن الرسوليين قد حاكوا – إلى حد كبير – المماليك في مراسيم التقليد والتنصيب والتشريفات والاحتفالات وفي المواكب السلطانية، في شكل الأعلام والرنوك وفي التوقيعات والألقاب التفخيمية.

المتغير الثاني في الصلات الحضارية بين اليمن ومصر والذي حاولت تناوله وفق سياقه التاريخي، هو الصلات الفكرية بين اليمن ومصر، وبعد تقسيم تلك الصلات إلى محاور متنوعة ومتكاملة توصلت الدراسة من خلال محور الوافدين المصريين إلى اليمن إلى أن الوافدين المصريين من علماء وطلاب قد شكلوا وسيطاً مباشراً ورئيساً في منظومة التأثيرات الفكرية بين البلدين وصورة مبهجة من صور التمازج والتفاعل بينهما بما حملوه من معارف وعلوم وما تقلدوه من مناصب علمية وإدارية في اليمن. وبالمقابل تبين للباحث من خلال محور الرحلات العلمية إلى مصر أن هناك حامل فكري تأثيري بين البلدين تمثل في مساهمة الرحلات العلمية اليمنية إلى مصر من علماء وطلاب في نقل التأثيرات الفكرية إلى مصر وإثراء المشهد الفكري في مصر تدريساً وتأليفاً وغير ذلك؛ كما توصلت الدراسة إلى أن المحورين – السالفي الذكر – قد ساهما في نشوء محور فكري ثالث وهو نشوء صلات علمية بين علماء البلدين متعددة الصور، كاللقاءات والزيارات، والتأليف المشترك، والمناظرات، والمطارحات، والصحبة العلمية، تبادل الكتب

والمراسلات وغيرها، فضلاً عن نشوء صلات علمية بين السلاطين والعلماء تعددت صورها كذلك بين تلقي العلم على أيديهم، وتبادل الكتب معهم، وتكليفهم بمهام علمية ووظيفية والخلع عليهم ومراسلتهم، وارتبط بذلك محور السماعات والإجازات التي تبدى لي أنها لم تكن ذات شكل واحد بقدر ما كانت على صورتين إحداهما شعرية وأخرى نثرية.

أما الصلات الأدبية بين مصر واليمن فقد تبين للباحث أن الأدب في اليمن قد ساير آنذاك ركب التطور في مصر ومدرسته البديعية واتجاهاته التقليدية وإن لم يتأثر بالمجون المرتبط بالغزل الشائع في مصر المملوكية، وتوصلت الدراسة إلى أن اليمن قد استقبلت آنذاك اتجاهات أدبية جديدة مستحدثة عبر مصر المملوكية، كالمقامات الأدبية والموشحات، الألغاز الفقهية، والتلاعب بالألفاظ والأوزان، وخلُص الباحث في معالجته لطبيعة النظام التعليمي ومكوناته في البلدين إلى أن هناك تشابه وتقارب نسبي في مكوناته سواء في مؤسساته وملحقاتها أو في طرائق التدريس والمجالس العلمية والمقررات التدريسية والموارد المالية وحتى في طبيعة وتعدد الوظائف المهنية والإدارية والدينية أو التعليمية والتدريسية.

عاش البلدان فترة ازدهار تأليفي في مجال الكتابة التاريخية سعى فيها مؤرخو البلدين إلى التوفيق بين نزعة التجديد وروح التقليد الموروث، وما رافق ذلك من تشابه نسبي للمناهج التاريخية وأساليبها الكتابية في البلدين، كما تبين للباحث وجود العديد من القواسم المشتركة في البناء الفني والبناء التعبيري للمؤلفات، والذي جاء نتيجة لصلات المؤرخين في البلدين وتبادلهم الزيارات والمصادر الشفهية والكتابية.

وفي المحور الأخير من الصلات الفكرية بين اليمن ومصر المتمثل في الصلات المذهبية، فقد توصلت الدراسة إلى أن البلدين قد عاشا حالة من التسامح المذهبي والتعدد الفكري ساهم إلى حد كبير في انتقال الطرق والمؤثرات الصوفية من مصر إلى اليمن، وبالمقابل انتقال مؤثرات صوفية يمنية إلى مصر فضلاً عن مؤثرات الفقهاء والأحناف بين البلدين. وخلصت الدراسة في هذا الجانب إلى ملمح مهم وهو أن الحياة الفكرية في اليمن قد تميزت في تلك الفترة بقابليتها لاستيعاب كل ما يفد إليها ثم تعيد صياغته وتضفي عليه تغييرات بنيوية وفق خصوصياتها المحلية؛ خاصة المذاهب التي تتميز بالآراء الكلامية والفلسفية.

- أما الجانب الثاني من الدراسة، والذي خصص للصلات الحضارية بين اليمن الحجاز، والذي قسمه الباحث إلى متغيرين، كان المتغير الأول، الصلات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمعمارية وكسوة الكعبة، خلص فيه الباحث إلى أنه على الرغم من أن النظام الإداري لكلا البلدين قد تأثر بالنظام الإداري المملوكي في مصر في معظم جوانبه، إلا أن امتداد النفوذ المباشر للرسوليين على الحجاز قد ساهم، إلى حد ما، في تشكيل النظام الإداري للحجاز والتأثر بتكوينات اليمن الإدارية، كما أن الصلات الإدارية بين اليمن والحجاز قد تنوعت سواء بجوانبها القضائية، المدنية، العسكرية، أو بنظمها الإدارية – أساليب الإدارة-، أو الاستحداثات الوظيفية وما ارتبط بها من مصطلحات وظيفية.

امتازت السفارات والمكاتبات بين البلدين باستجابتها لطبيعة العلاقات السياسية وما ارتبط بها من متغيرات، فتعددت أهدافها سواءً في تقديم الولاء، أو تشكيل ضغط سياسي، أم حل خلاف سياسي طارئ، وارتبطت بتلك السفارات تبادل الهدايا والتحف والتي امتازت فيها هدايا الرسوليين بضخامة البعدين النوعي والكمي، ومنافسة هدايا المماليك؛ فيما هدفت هدايا أشراف الحجاز إلى الدلالة الرمزية لإثبات الولاء، كما

تبين للباحث أن أشراف الحجاز ونتيجة لامتداد نفوذ الرسوليين إلى الحجاز، فقد تأثروا بشكل نسبي بمراسيم وتوقيعات الرسوليين، سواء كانت مراسيم تنصيب أو استقبال أو بذخ حفلات أو مواكب ركوب ورفع أعلام وألقاب تفخيم. علاوة على ذلك، فقد تنوعت خلع وعطايا السلاطين الرسوليين المباشرة لأشراف الحجاز بحسب رتبهم ومكانتهم وأهميتهم لدى الدولة الرسولية.

امتازت الصلات الاقتصادية بين اليمن والحجاز بأنها أكثر الصلات ارتباطاً وأهمية، كما اتسمت بتنوعها التجاري، الصناعي، والمهني والمالي، والزراعي. وقد تبين للباحث من خلال البحث والتقصي أن مدن الحجاز قد شكلت آنذاك أسواقاً رئيسة للبضائع اليمنية والترويج لها، فيما شكلت موانئ اليمن معبراً رئيساً للبضائع الحجازية إلى شرق آسيا، الأمر الذي أنعش تجارة العبور بين البلدين، إلى جانب ذلك فقد تميز التبادل التجاري بين البلدين سمات أخرى، كظاهرة تجارة السلاطين الرسوليين وتجارة الكارم واللتان ساهمتا، إلى حد كبير، في استقرار اقتصاد الحجاز، ناهيك عن أدوار تجار الكارم في ازدهار الجوانب الحضارية فيه. وقد توصلت الدراسة إلى أن التنافس التجاري بين مينائي عدن وجدة كان يرتبط بالأوضاع السياسية في البلدين وبالتنافس المملوكي على الحجاز، وتبدى من خلال الدراسة إلى أن ازدهار الصناعات اليمنية، آنذاك، قد أدى إلى اعتماد الحجازيين عليها والتي تنوعت بين النسيجية والمعدنية والخشبية والغذائية وغيرها.

كما توصلت الدراسة إلى أن النظام المالي في الحجاز قد تأثر بالنظام المالي الرسولي من جانبين، الأول: ما شهده الحجاز من محاولات إصلاح من قبل الرسوليين بإسقاطهم المكوس والجبايات ورفع المظالم وغيرها، والثاني: ارتباط النظام النقدي للحجاز بعملة اليمن عبر تداولهم للدرهم المسعودي المسكوك في اليمن طوال العهد الرسولي، ناهيك عن تدفق الذهب والفضة من اليمن، وتبعاً لذلك تأثرت المقاييس والأوزان والمكاييل في الحجاز بالنظام المالي في اليمن، وكذا بالنظام المالي لمصر المملوكية. وقد توصلت الدراسة إلى أن الصلات الزراعية وتبادل الحيوانات بين البلدين قد ارتبطت بطبيعة البيئة، فالحجاز ذات الطبيعة الصحراوية كان أكثر اعتماداً على منتجات اليمن الزراعية، فيما كان اليمن يعول كثيراً على المنتجات الحيوانية المنبثقة عن البيئة الصحراوية للحجاز.

أما الصلات المعمارية بين البلدين، فقد تبين للباحث مدى التأثر الكبير لعمارة الحجاز، آنذاك، بعمارة اليمن عموماً في العصر الرسولي بمختلف صوره الديني، المدني، الحربي، لاسيما وأن معظم تلك التأثيرات المعمارية قد انتقلت إلى الحجاز عبر ما شيده الرسوليون من مدارس ومساجد ومآذن وقباب وسُبل ودور وقلاع وما أرسلوه من آلات وصناع، وبالمقابل كان المعمار الديني الحجازي هو الأكثر وضوحاً في اليمن المستوحى من أهمية مكة والمدينة الدينية، وتبعاً لذلك فقد توصلت الدراسة إلى أن كسوة الكعبة المرسلة من اليمن، آنذاك، قد شكلت من أبلغ صور الصلات الفنية بين البلدين بما اشتملت عليه من زخارف ونقوش وتذهيب وخطوط، علاوة على الملامح الفنية للمنشآت الحضارية والمنتجات الصناعية المتبادلة.

توصلت الدراسة إلى أن الصلات الاجتماعية بين البلدين قد تنوعت إما بالتزاوج وما صاحبه من عادات الطرح والحنا والحفلات، أو في تشابه عادات اللعب، الصلح المنبثقة من الأعراف، وفي عادات الدفن، علاوة على تبادل الأطعمة والأشربة وهجرة الأسماء والألقاب، ناهيك عن دور الصدقات في تعزيز التكافل الاجتماعي بين البلدين.

توصلت الدراسة إلى أن الرسوليين كانوا أول من قام بكسوة البيت المعظم والقيام بمصالحه بعد سقوط بغداد في أيدي التتار واستمروا على ذلك الحال عدة سنوات، فضلاً عن إهداءاتهم الثمينة للحرمين الشريفين بخلاف الكسوة، كما تبين لي أن اهتمام الرسوليين بالبيت المعظم والمسجد النبوي والقيام بمصالحهم قد أضفى على أولئك السلاطين هيبة وجعلت لدولتهم مكانة واحترام في نفوس ومشاعر أهل الحجاز خاصة والمسلمين كافة.

أما المتغير الثاني من الصلات الحضارية بين اليمن والحجاز، والذي تناول الصلات الفكرية بين البلدين، والذي تكاملت محاوره المتنوعة، إذ تبين لي من خلال استقراء مركزية مكة على اليمن، أن تلك المركزية قد ارتبطت بالبيت العتيق وبمواسم الحج والزيارة والتي امتدت تأثيراتها الفكرية إلى اليمن، كما تبدى للباحث من خلال محور الوافدين أن أولئك الوافدين من الحجاز من العلماء قد شكلوا وسيطاً مباشراً وغير مباشر في تغذية مختلف روافد الازدهار الحضاري بما نقلوه من معارف وما ألفوه من كتب، وما تقلدوه من مناصب. وبالمقابل شكلت الرحلات العلمية لليمنيين إلى الحجاز مورداً وافراً ومنهلاً متنوعاً في العلوم لتوافر الكثير من العلماء القاصدين للحج والمجاورة، الأمر الذي انعكس على تنوع العلوم والمعارف المغذية للازدهار الحضاري في اليمن، وبناءاً على المحورين السالفي الذكر فقد نشأ محور ثالث عالج الصلات العلمية بين البلدين والذي تنوعت فيه صلات العلماء عبر الزيارات واللقاءات، الصحبة العلمية والملازمة، والمناظرات، وتبادل الكتب، وتقييم المستويات، وتبعاً لذلك ارتبط السلاطين بالعلماء عبر الدراسة عليهم وإجازتهم، أو تكليفهم بمهام علمية والتأليف للسلاطين وغير ذلك.

وبمعالجة الأثر الفكري للحج، فقد تبين أن الحج شكل مؤتمراً فكرياً عالمياً انعكست آثاره المباشرة وغير المباشرة على اليمن، وساهم في التنوع الثقافي والفقهي، أثرى الساحة الفكرية في اليمن عبر تغذية المناشط الثقافية والعلمية بالمعارف والعلوم، لاسيما ما يجلبه حجاج الأقطار من معارف وكتب إلى اليمن بعد حجهم، كذلك توصلت الدراسة إلى أن مجاورات علماء اليمن في الحرمين شكلت حاملاً فكرياً طويل الأمد لنقل التأثيرات الفكرية من اليمن عبر استقرارهم في الحجاز وتمازجهم مع العلماء المجاورين من شتى الأقطار.

اتسمت السماعات والإجازات بين العلماء وطلابهم في البلدين بالضبط العلمي وفق معايير عصرها، وتوثيق تلك الإجازات في مسندات ومشيخات مستقلة تثبت فيها أسماء المشايخ المجيزين وأنواع تلك السماعات والإجازات.

حافظ الشعراء في البلدين على الأغراض التقليدية في بناء قصائدهم مع بروز نسبي لشعر الغوثيات ومعارضات العلماء ذات الطابع العقدي والفقهي، شعر الحنين المرتبط بالمشاعر المقدسة. أما الاتجاهات الجديدة فقد شهد البلدين تبادل الألغاز الفقهية الشائعة في اليمن آنذاك، ونظم العلوم، وفن التخميس، وبروز الأراجيح الشعرية المرتبطة بالحج، وبروز نسبي للنفس النقدي للمضامين الشعرية.

توصلت الدراسة إلى أن إدارة النظام التعليمي في الحجاز وموارده قد تأثرت بشكل رئيس آنذاك بوقفيات سلاطين الدولة الرسولية وبترتيباتهم الإدارية التي استحدثوها في المنشآت التعليمية التي شيدوها في الحجاز. وأما في جانب الكتابة التاريخية بين البلدين فقد لاحظ الباحث تقارب مناهج وطرائق الكتابة التاريخية بين البلدين مع بروز خصوصية التاريخ المحلي: المنهج الجغرافي لوجود ظاهرتي الوافدين في

اليمن والمجاورين في الحجاز، وأن ذلك التقارب قد أسفر عن صلات بين مؤرخي البلدين عبر التأليف المتبادل عن الآخر، وتبادل الزيارات، وتبادل المصادر الشفهية والخطية. أما ما يخص الصلات المذهبية بين البلدين فقد توصلت الدراسة إلى ملمحين هامين، الأول: إن الحجاز شكل معبراً مفتوحاً للتيارات الفقهية والمذهبية عبر مناسبات مختلفة كالحج والزيارة والمجاورة، والملمح الثاني: أن تعدد المذاهب وتنوعها في الحجاز واليمن آنذاك والمشبعة بروح التسامح والتعايش قد نتج عنه انتشار واسع للعلم، وتنوع في الرؤى والاجتهادات، مما أثرى الساحة الفكرية في البلدين وعزز الصلات الفكرية بينهما.

وبناءاً على النتائج – السالفة الذكر – ولكي يتم الاستفادة المثلى من التراث الحضاري والفكري لتلك الفترة، فإن الباحث يقترح:

- توجيه أقسام التاريخ في الجامعات اليمنية الباحثين إلى الاتجاه إلى هذا النوع من الدراسات ذات الطابع التحليلي والسببي، والذي يناقش أبعاد التأثير والتأثر الحضاري ودراسة صور التشابه بين اليمن ومختلف الأقطار في مختلف الفترات.
- تبني المؤسسات الأكاديمية والبحثية إقامة ندوات مشتركة بين تلك المؤسسات في اليمن ومثيلاتها في مصر والسعودية، تتناول الجوانب المختلفة من الصلات الحضارية بين اليمن وتلك البلدان وإثرائها بالأبحاث الجادة والموضوعية والمحكمة.
- توجيه الباحثين لإعادة قراءة نصوص السماعات والإجازات المحفوظة في بطون المصادر المعاصرة لتلك الفترة، والمحفوظة في دور المخطوطات في البلدان الثلاثة وفق رؤية أكثر عمقاً وتحليلاً للخروج بالاستخلاصات التي تكشف المزيد من جوانب الصلات الفكرية بين اليمن وتلك البلدان.

تلك هي جملة النتائج والمقترحات التي ظفرت بها هذه الدراسة بعد رحلة من العناء المستحب في رحاب النصوص التاريخية المعاصرة للرسوليين والمماليك وأشراف الحجاز، وقد حدتها الرغبة الصادقة في وضع لبنة في بناء الدراسات التاريخية التي تعالج هجرة المؤثرات الحضارية بين اليمن ومختلف شعوب المعمورة، ودراسة أوجه التشابه مع تلك البلدان، ومع ذلك يظل أفق التاريخ وأحداثه في تلك الفترة مفتوحاً لدراسات أخرى قد تكون أكثر عمقاً وحصافة، لتوافر المعطى النصي المخطوط والمطبوع لتلك الفترة.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر المخطوطة:

- **الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م):**

١- العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوطة مصورة، نشر وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ١٩٨١م.

٢- طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم (٢١٤٠) ميكروفلم.

- **الصباغ، محمد بن أحمد بن سالم (ت١٣٢١هـ/١٩٠٢م):**

٣- تحصيل المرام في أخبار البيت والمشاعر العظام، مخطوط بجامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، رقم ٢٥١، ١١ تاريخ.

- **الطبري، علي بن عبدالقادر بن يحيى (ت١٠٧٠هـ/١٦٥٩م):**

٤- الأرج المسكي في التاريخ المكي، مخطوط بجامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، رقم ٢٠١/٥٠.

- **ابن فرحون، أبو محمد عبدالله بن محمد اليعمري (ت٧٦٩هـ/١٣٦٧م):**

٥- نصيحة المشاور وتسلية المجاور، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٤٣٠٤٩.

ثالثاً: المصادر المطبوعة:

- **ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):**

٦- الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.

٧- اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة القدس، القاهرة ١٣٥٧هـ.

- **الأدفوي، كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م):**

٨- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تح: سعد محمد حسن، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠٠١م.

- **الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م):**

٩- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ط٣، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٩م.

- **الأشرف، إسماعيل بن العباس الرسولي (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م):**

١٠- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تح: شاكر محمود عبدالمنعم، دار البيان، بغداد ١٩٧٥م.

١١- فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على إثر التابعة ملوك العصر والزمن (الباب الرابع)، تح: علي حسن عمر، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الآداب، عمّان ١٩٩٧م.

- **الأشرف، عُمر بن يوسف الرسولي (ت٦٩٦هـ/١٢٩٦م):**

١٢- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تح: ك. وسترستين، دار الآفاق العربية، القاهرة ٢٠٠١م.

١٣- ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، تح: عبدالله محمد علي المجاهد، دار الفكر للطباعة، دمشق ١٩٨٧م.

- **الأشرف، يوسف بن عمر الرسولي (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م):**

١٤- المخترع في فنون من الصنع، تح: محمد عيسى صالحية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت ١٩٨٩م.

- **الأفضل، العباس بن علي بن داوود الرسولي (ت٧٧٨هـ/١٣٧٧م):**

١٥- العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تح: عبدالواحد عبدالله الخامري، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **الأهدل، بدرالدين الحسين بن عبدالرحمن (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م):**

١٦- تحفة الزمن في تاريخ اليمن، تح: عبدالله محمد الحبشي، منشورات المدينة، بيروت ١٩٨٦م.

- **ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م):**

١٧- مختصر بدائع الزهور في وقائع الدهور، اختصار: مدحت الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٧م.

- **بامخرمة، عفيف الدين أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م):**

١٨- تاريخ ثغر عدن، ط٢، تح: أوسكار لوفجرين، منشورات المدينة، بيروت ١٩٨٦م.

١٩- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تح: محمد يسلم عبدالنور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **بدرالدين العيني، أبو محمد محمود بن موسى (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م):**

٢٠- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ المحمودي)، تح: فهيم شلتوت ومحمد زيادة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٧م.

- **البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن (ت٩٠٤هـ/١٤٩٨م):**

٢١- طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، تح: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء ١٩٩٤م.

- **ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):**

٢٢- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة، ط٢، دار صادر للنشر، بيروت ٢٠٠٥م.

- **البغدادي، عبداللطيف بن يوسف بن محمد (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م):**

٢٣- الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر المسماة (رحلة عبداللطيف البغدادي في مصر)، تح: عبدالرحمن الشيخ، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م.

- **البغدادي، محمد بن محمود بن هبة الله (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م):**

٢٤- الدرة الثمينة في تاريخ المدينة (منشور مع كتاب شفاء الغرام للفاسي)، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.

- **ابن تغرى بردى، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م):**

٢٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية)، القاهرة، د.ت.

٢٦- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٦م.

- **الجزري، محمد بن محمد الدمشقي (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م):**

٢٧- غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره: ج. برجستراسر، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢م.

- **الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف (ت٧٣٢هـ/١٢٣١م):**

٢٨- السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح: محمد بن علي الأكوع، ج١، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ١٩٨٣م.

٢٩- السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح: محمد بن علي الأكوع، ج٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٩م.

- **ابن حاتم، بدرالدين محمد اليامي (كان حياً ٧٠٢هـ/١٣٠٢م):**

٣٠- السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك الغز باليمن، تح: ركس سميث، جامعة كمبردج ١٩٧٤م.

- **ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م):**

٣١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م.

٣٢- رفع الإصر عن قضاة مصر، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٨م.

٣٣- إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٧٢م.

٣٤- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تح: محمد بن عيادي، مكتبة الصفاء، القاهرة ٢٠٠٥م.

- **الحسيني، صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر (ت بعد ٦٢٢هـ/١٢٢٥م):**

٣٥- زبدة التواريخ المسمى أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، ط٢، دار إقراء، بيروت ١٩٨٦م.

- **ابن خرداذبة، أبو القاسم عبدالله بن عبدالله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م):**

٣٦- المسالك والممالك، تح: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.

- **الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م):**

٣٧- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط٢، عني بتصحيحه: محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٣م.

٣٨- العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن (في من يبدأ اسمه بحرف الهمزة)، تح: علي مطهر حمود العلماني، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد ٢٠٠٢م.

• **ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م):**

٣٩- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بـ: (تاريخ ابن خلدون)، العلمي للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧١م.

٤٠- المقدمة، دار الفكر، بيروت، د.ت.

• **ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):**

٤١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

• **ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت٩٤٤هـ/١٥٣٧م):**

٤٢- الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٣م.

٤٣- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ط٢، تح: محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٩م.

• **السبكي، تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م):**

٤٤- مُعيد النعم ومبيد النقم، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٣م.

٤٥- طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو، ط٢، دار هجر للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٢م.

• **السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م):**

٤٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

٤٧- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تح: أسعد طربزوني الحسيني، دار نشر الثقافة، القاهرة ١٩٧٩م.

٤٨- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سيناء، القاهرة ١٩٨٩م.

٤٩- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تح: بشارة عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٥م.

• **السُلمي، عرام بن الأصبغ (من علماء القرن الرابع الهجري/ الثامن الميلادي):**

٥٠- أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة، تح: محمد صالح شناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

• **السيوطي، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن عثمان (ت٩١١هـ/١٥٠٥م):**

٥١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط٢، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م.

٥٢- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م.

٥٣- مختصر الطب النبوي، تح: إبراهيم الجمل ونشأت المصري، مكتبة القرآن، د.ك، د.ت.

- أبو شامة، عبدالرحمن بن اسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م):

٥٤- مختصر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والصلاحية)، تصنيف: محمد بن حسن الشريف، دار الأندلس الخضراء، جدة ١٩٩٩م.

- الشرجي، أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الزبيدي (ت٨٩٣هـ/١٤٨٧م):

٥٥- طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، تح: عبدالله محمد الحبشي، الدار اليمنية للنشر، صنعاء ١٩٨٦م.

- الشريف الحسيني، الحسن بن علي (ت٨١٥هـ/١٤١٢م):

٥٦- نبذ من كتاب ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب، تح: طلال جميل الرفاعي، منشورات المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٩٩٢م.

- الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م):

٥٧- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.

- شنبل، أحمد بن عبدالله (ت٩٢٠هـ/١٥٢٣م):

٥٨- تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، ط٢، تح: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء ٢٠٠٧م.

- الشيباني، أحمد بن أبي الفتح الدمشقي (ت٧٠٢هـ/١٣٠٢م):

٥٩- رصف الفريد في وصف البريد، تح: سمير الدروبين، منشور في مجلة المنارة العلمية، مج٤، ع٣، جامعة آل البيت، عمّان ١٩٩٥م.

- الشيرازي، أبي إسحاق إبراهيم بن علي (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م):

٦٠- طبقات الفقهاء، تح: خليل الميس، دار القلم، بيروت، د.ت.

- ابن الصابوني، جمال الدين بن محمود المحمودي (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م):

٦١- تكملة الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٦م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

٦٢- الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٠م.

- الطبري، محب الدين أحمد بن عبدالله (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م):

٦٣- القرى لقاصد أم القرى، تح: مصطفى السقا، ط٣، دار الفكر، القاهرة ١٩٨٣م.

- ابن طولون، محمد بن علي الدمشقي (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م):

٦٤- نواد الإجازات والسماعات، تح: مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق – بيروت ١٩٩٨م.

- الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت٨٧٢هـ/١٤٦٩م):

٦٥- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ط٢، اعتنى بتصحيحها: بولس راويس، دار العرب للبستاني، القاهرة ١٩٨٨م.

- **العاكش، حسن بن أحمد اليمني (ت١٢٨٦هـ/١٨٦٩م):**

٦٦- الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين، تح: عبدالله بن علي أحمد، دار الفكر، دمشق ١٩٧٨م.

- **العامري، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى الحرضي اليماني (ت٨٩٣هـ/١٤٨٧م):**

٦٧- غربال الزمان في وفيات الأعيان، تح: محمد ناجي زعبي العمر، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق ١٩٨٥م.

- **ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي اليماني (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م):**

٦٨- بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ط٢، تح: مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء ١٤٠٨هـ/١٩٨٥م.

٦٩- بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تح: عبدالله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني، دار الحكمة اليمنية، صنعاء ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- **ابن عربشاه، أحمد بن محمد (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):**

٧٠- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تح: محمد رجب النجار، دار سعاد الصباح للنشر، الكويت ١٩٩٧م.

- **ابن العماد، أبو الفلاح عبدالحي الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):**

٧١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ت.

- **عمارة اليمني، نجم الدين بن أبي الحسن علي (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م):**

٧٢- تاريخ اليمن، تح: حسن سليمان محمود، مكتبة الإرشاد، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المكي المالكي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م):**

٧٣- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٦٢-١٩٦٧م.

٧٤- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تح: لجنة كبار العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.

- **أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت٧٤٠هـ/١٣٣٩م):**

٧٥- المختصر في أخبار البشر، تقديم حسين مؤنس، تح: محمد زنيهم ويحيى سيد، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٩م.

- **ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م):**

٧٦- مسالك الأبصار في ممالك الأبصار (القسم الخاص باليمن)، تح: أيمن فؤاد سيد، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت.

- **ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد الهاشمي المكي (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م):**

٧٧- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تح: فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة، د.ت.

٧٨- معجم الشيوخ، تح: محمد الزاهي، مراجعة: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٩٨٢م.

٧٩- الدر الكمين بذيل العقد الثمين، تح: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت ٢٠٠٠م.

- **الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م):**

٨٠- القاموس المحيط، ط٦، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٨م.

٨١- نخبة الرشاف من خطبة الكشاف، تح: عمر علوي بن شهاب، دار الثقافة العربية للنشر وجامعة عدن، الشارقة – عدن ٢٠٠١م.

- **القرشي بن الأنف، عماد الدين إدريس (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م):**

٨٢- روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، تح: محمد بن علي الأكوع، منشورات الهيئة العامة للكتاب، صنعاء ١٩٩٥م.

- **القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي بن عبدالله (ت٨٢١هـ/١٤١٨م):**

٨٣- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الباز للنشر ودار الكتب العلمية، مكة – بيروت ١٩٨٤م.

٨٤- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ط٢، تح: عبدالستار أحمد مراج، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت ١٩٨٥م.

٨٥- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الهيئة العامة المصرية لقصور الثقافة (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية)، القاهرة ٢٠٠٥م.

- **الكبسي، محمد بن اسماعيل (ت١٣٠٨هـ/١٨٩٠م):**

٨٦- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، تح: خالد أبا زيد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ٢٠٠٥م.

- **الكتبي، محمد بن شاكر (ت٧٦٨هـ/١٣٦٧م):**

٨٧- فوات الوفيات والذيل عليها، تح: إحسان عباس، دار الثقافة ودار صابر، بيروت ١٩٧٣م.

- **ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م):**

٨٨- البداية والنهاية، ط٣، تح: أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.

- **مؤلف مجهول (عاش في القرن العاشر الهجري/ الرابع عشر الميلادي):**

٨٩- تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، تح: عبدالله محمد الحبشي، دار الجيل، صنعاء ١٩٨٤م.

- **ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب الشيباني (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م):**

٩٠- صفة بلاد اليمن وبعض الحجاز (المسمى تاريخ المستبصر)، ط٢، اعتنى بتصحيحها: أوسكر لوفغرين، شركة التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م.

- **المقري، شرف الدين اسماعيل بن أبي بكر (ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م):**

٩١- شرح الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة، تح: عبدالرحمن الحضرمي، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ١٩٨٥م.

- **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):**

٩٢- السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤١م.

٩٣- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تح: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد ٢٠٠٠م.

٩٤- المختار من المخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م.

- **ابن الملقن، عمر بن علي النحوي (ت٨٠٤هـ/١٤٠١م):**

٩٥- التذكرة في علوم الحديث، تح: علي حسن علي، دار عمار، عمّان ١٩٨٨م.

- **ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م):**

٩٦- لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٩٩٧م.

- **الناشري، تقي الدين أبي العباس حمزة بن عبدالله بن علي (ت٩٢٦هـ/١٥١٩م):**

٩٧- انتهاز الفرص في الصيد والقنص، تح: عبدالله محمد الحبشي، دار التنوير، بيروت ١٩٨٦م.

٩٨- **نور المعارف* في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف**، ج١، تح: محمد عبدالرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، صنعاء ٢٠٠٣م.

٩٩- **نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف**، ج٢، تح: محمد عبدالرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، صنعاء ٢٠٠٥م.

- **الوصابي، عبدالرحمن بن محمد الحبيشي (ت٧٨٢هـ/١٢٨٠م):**

١٠٠- تاريخ وصاب: الاعتبار في التواريخ والآثار، تح: عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٧٩م.

- **ابن الوكيل، يوسف الملواني (ت بعد ١١٤٣هـ/١٧٢٠م):**

١٠١- تحفة الأحباب عن ملك مصر من الملوك والنواب، تح: عبدالرحيم عبدالرحمن، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٩٩٨م.

- **اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد اليمني المكي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م):**

١٠٢- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ١٩٩٣م.

- **يحيى بن مطهر بن إسماعيل (ت٨١٧هـ/١٦١٨م):**

١٠٣- بلغة المرام في الرحلة إلى البيت الحرام وإلى المدينة النبوية، تح: عبدالله محمد الحبشي وحسني ذياب، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي ٢٠٠٦م.

---

* كتاب ديواني يعود إلى عهد السلطان المظفر الأول يوسف بن عمر (٦٤٧-٦٩٤هـ/ م).

رابعاً: المراجع العربية والمعربة:

أ- الكتـــب:

- **إبراهيم أحمد:**

١٠٤- السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٧م.

- **أحمد فخري:**

١٠٥- اليمن ماضيها وحاضرها، ط٢، منشورات المدينة، بيروت ١٩٨٨م.

- **أسامة حماد أحمد:**

١٠٦- مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي (عصر دولتي بني أيوب وبنـــي رسول)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ٢٠٠٤م.

- **الأكوع، اسماعيل بن علي:**

١٠٧- المدارس الإسلامية في اليمن، دار الفكر، دمشق ١٩٨٠م.

١٠٨- أعراف وتقاليد حكام اليمن في العصر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م.

١٠٩- الدولة الرسولية في اليمن، وزارة الثقافة، صنعاء ٢٠٠٤م.

١١٠- الزيدية نشأتها معتقداتها، ط٣، الجيل الجديد، صنعاء ٢٠٠٧م.

- **آلاء أحمد محمد:**

١١١- المدرسة الأشرفية بتعز زمن الدولة الرسولية (دراسة معمارية تحليلية) (٦٢٦-٨٥٨هـــ/ ١٢٢٨-١٤٥٤م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **أنور محمود عبدالواحد:**

١١٢- قصة الورق، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٨م.

- **أيمن فؤاد سيد:**

١١٣- مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة١٩٧٤م.

- **باسلامة، حسين عبدالله:**

١١٤- تاريخ عمارة المسجد الحرام، مكتبة الثقافة الدينية، د.ك، ٢٠٠١م.

- **بروكلمان، كارل:**

١١٥- الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية، تر: صالح بن الشـــيخ أبـــو بكـــر، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٥م.

- **بعكر، عبدالرحمن طيب:**

١١٦- عناقيد أدب وفن، مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب، صنعاء ١٩٩٨م.

- **البغدادي، إسماعيل باشا:**

١١٧- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الفكر، بيروت، د.ت.

- **البلادي، عاتق بن غيث:**

١١٨- معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة للنشر، مكة ١٩٨٠م.

- **تيمور، أحمد باشا:**

١١٩- التصوير عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦م.

- **الثور، عبدالله:**

١٢٠- هذه هي اليمن، ط٣، دار العودة، بيروت ١٩٨٥م.

- **جرادة، محمد سعيد:**

١٢١- الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور، دار الفارابي، بيروت ١٩٧٧م.

- **جرجي زيدان:**

١٢٢- تاريخ آداب اللغة العربية، دار صادر، بيروت ١٩٨٣م.

- **جميل حرب حسين:**

١٢٣- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، دار تهامة، جدة ١٩٨٥م.

- **الحبشي، عبدالله محمد:**

١٢٤- الصوفية والفقهاء في اليمن، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ١٩٧٦م.

١٢٥- دراسات في التراث اليمني، دار العودة، بيروت ١٩٧٧م.

١٢٦- حياة الأدب في عصر بني رسول، ط٢، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ١٩٨٠م.

١٢٧- مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، د.ت.

١٢٨- مؤلفات حكام اليمن (منشور ضمن كتاب مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن)، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، د.ت.

- **الحجري، محمد بن أحمد:**

١٢٩- مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تح: إسماعيل الأكوع، ط٣، مكتبة الإرشاد، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **الحداد، عبدالله عبدالسلام صالح:**

١٣٠- الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد منذ نشأتها حتى نهاية الدولة الطاهرية (٢٠٤-٩٢٣هـ/ ٨١٩-١٥١٧م)، دراسة أثرية ومعمارية، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **الحداد، محمد حمزة:**

١٣١- العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي، سلسلة تاريخ المصريين، ع٥١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م.

- **حسن إبراهيم سعيد:**

١٣٢- البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م.

- **حمدي عبدالمنعم حسين:**

١٣٣- دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٠م.

- **الحميري، محمد عبدالمنعم:**

١٣٤- الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، ط٢، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، القاهرة ١٩٧٥م.

- **الحويري، محمود:**

١٣٥- مصر في العصور الوسطى، مركز عين للدراسات والبحوث، القاهرة ١٩٩٦م.

- **حياة ناصر الحجي:**

١٣٦- العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية (الرسالة الثامنة في التاريخ)، الكويت ١٩٨١م.

- **الدوري، عبدالعزيز:**

١٣٧- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت ١٩٨٣م.

- **زامباور، إدوارد فون:**

١٣٨- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر: زكي محمد وحسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥١م.

- **روزنثال، فرانز:**

١٣٩- علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

- **الزركلي، خير الدين:**

١٤٠- الأعلام، ط١٣، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٨م.

- **سالم، السيد عبدالعزيز:**

١٤١- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، الإسكندرية ١٩٨٢م.

١٤٢- التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦م.

- **سامح كريم:**

١٤٣- أعلام في التاريخ الإسلامي أفكار للتجديد ومواقف للحياة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٥م.

- **السامرائي، ظمياء محمد عباس:**

١٤٤- المنهج التاريخي عند القلقشندي (دراسة تحليلية)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ٢٠٠١م.

- **سامي أحمد عبدالحليم إمام:**

١٤٥- المنسوجات الأثرية والقبطية المحفوظة في متحف جايرأندرسون بالقاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٠م.

- **السباعي، أحمد:**

١٤٦- تاريخ مكة (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران)، الأمانة العامة للاحتفال بمئوية السعودية، الرياض ١٩٩٩م.

- **السباعي، مكي بن نسيب:**

١٤٧- مكتبات المساجد (دراسة تاريخية)، تر: هاشم فرحات ومحمد جلال، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، الرياض ٢٠٠٦م.

- **سرور، محمد جمال الدين:**

١٤٨- سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٦م.

- **السروري، محمد عبده محمد:**

١٤٩- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) إلى (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **السنيدي، عبدالعزيز بن راشد:**

١٥٠- المدارس اليمنية في عهد الدولة الرسولية، ط١، د.ك، ٢٠٠٣م.

- **السيد محمد الدقن:**

١٥١- كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، مطبعة الجبلاوي، القاهرة ١٩٨٦م.

- **السير وليم موير:**

١٥٢- تاريخ دولة المماليك في مصر، تر: محمد عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٥م.

- **الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد:**

١٥٣- اليمن في صدر الإسلام، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧م.

- **شرف الدين، أحمد حسين:**

١٥٤- تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، مطبعة الكيلاني، د.ك، ١٩٦٨م.

- **شحاتة عيسى إبراهيم:**

١٥٥- القاهرة تاريخها ونشأتها، مكتبة الأسرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م.

- **شهاب، حسن صالح:**

١٥٦- فن الملاحة عند العرب، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٢م.

- **ضومط، انطوان خليل:**

١٥٧- الدولة المملوكية (التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري)، دار الحداثة، بيروت، د.ت.

- **ضيف الله بن يحيى الزهراني وطلال جميل الرفاعي:**

١٥٨- وثائق تعليمية من عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٨-١٤٥٤م) وثيقتا مدرسة السلطان الأشرف (٧٦١-٨٠٣هـ/١٣٥٩-١٤٠٠م) والسلطان الظاهر (ت٨٤٢هـ/١٤٣٩م)، مطبعة بهادر، مكة المكرمة ١٩٩٦م.

- **طرخان، إبراهيم علي:**

١٥٩- النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي للطباعة، القاهرة ١٩٦٨م.

- **طه أحمد أبو زيد:**

١٦٠- المقري حياته وشعره، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٨٦م.

- **العبادي، أحمد مختار:**

١٦١- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٩م.

١٦٢- في التاريخ الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٢م.

- **العبيكان، طرفة عبدالعزيز:**

١٦٣- الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٩٩٦م.

- **عبدالرحمن صالح عبدالله:**

١٦٤- تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الشروق، جدة ١٩٨٢م.

- **العرشي، حسين بن أحمد:**

١٦٥-بلوغ المرام في شرح مسك الختام، تح: الأب انستانس الكرملي، مكتبة الإرشاد، صنعاء ٢٠٠٨م.

- **العريقي، منير عبدالجليل:**

١٦٦- الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم (من ١٥٠٠ ق.م حتى ٦م)، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٢م.

- **عصام عبدالرؤوف الفقي:**

١٦٧- معالم تاريخ الإسلام، مكتبة الفلاح، بيروت ١٩٩٠م.

١٦٨- اليمن في ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام بني رسول (مع ملحق عن الحياة الفكرية في عصر بني رسول)، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٤م.

- **العلام، عزالدين:**

١٦٩- الآداب السلطانية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ع٣٢٤، الكويت ٢٠٠٦م.

- **علي حافظ:**

١٧٠- فصول من تاريخ المدينة، ط٢، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة ١٩٨٤م.

- **عنان، محمد عبدالله:**

١٧١- مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، مؤسسة مختار للطباعة، القاهرة ١٩٩١م.

- **عواطف محمد يوسف:**

١٧٢- الرحلات المغربية والأندلسية (مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤١٧هـ.

- **الغبان، محمد بن عبدالله عايض:**

١٧٣- فضائل مكة، دار ابن الجوزي، الدمام ١٤٢١هـ.

- **الغزالي، عبدالله:**

١٧٤- السارد والمخاطب في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عربشاه (الباب السابع)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية ٢٢، جامعة الكويت، الكويت ٢٠٠١م.

- **فاروق أحمد حيدر:**

١٧٥- التعليم في اليمن في عهد بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، إصدارات جامعة صنعاء، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **الفرح، محمد حسين:**

١٧٦- اليمن في تاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء ٢٠٠١م.

- **الفيفي، محمد بن يحيى:**

١٧٧- الدولة الرسولية في اليمن (دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية)، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٥م.

- **قاسم عبده قاسم:**

١٧٨- الرؤية الحضارية للتاريخ، ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م.

١٧٩- السلطان المظفر سيف الدين قطز، دار القلم، دمشق ١٩٩٨م.

١٨٠- في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مركز عين للدراسات والبحوث، القاهرة ٢٠٠١م.

- **كريستي أرنولد:**

١٨١- تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة، تر: زكي محمد حسن، دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٨٤م.

- **الكواكبي، عبدالرحمن:**

١٨٢- أم القرى، ط٤، دار الشرق العربي، بيروت ١٩٩١م.

- **مالكي، سليمان عبدالغني:**

١٨٣- بلاد الحجاز (منذ بداية الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد)، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٩٨٣م.

- **مجموعة مؤلفين:**

١٨٤- المدرسة الياقوتية في عدن ودور المدارس الإسلامية في نشر التعليم، دار جامعة عدن للطباعة، عدن ٢٠٠٣م.

- **مجموعة مؤلفين:**

١٨٥- دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، تر: نهى صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء ٢٠٠٢م.

- **مجموعة مؤلفين:**

١٨٦- الخصائص الجيوبولوتيكية لدولة الوحدة، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠١م.

- **مجموعة مؤلفين:**

١٨٧- الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٢٤هـ.

- **محمد حسن شراب:**

١٨٨- المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي، دار القلم، دمشق ١٩٩٤م.

- **محمد حسين:**

١٨٩- العمارة العربية الإسلامية خصوصياتها ابتكاراتها جمالياتها، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمّان ١٩٩٨م.

- **محمد حمزة اسماعيل:**

١٩٠- السلطان المنصور قلاوون (دراسة في أحوال مصر في عهده ومنشآته العمرانية)، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨م.

- **محمد عبدالعال أحمد:**

١٩١- بنور رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨٠م.

- **محمد عبدالغني حسن:**

١٩٢- المعاهدات والمهادنات في تاريخ العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦م.

- **محمد كريم إبراهيم:**

١٩٣- عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (٤٧٦-٦٢٧هـ/١٠٨٣-١٢٢٩م)، ط٢، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠٤م.

- **محمد كمال عزالدين:**

١٩٤- التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، دار إقراء، بيروت ١٩٨٤م.

- **محمود إبراهيم حسين:**

١٩٥- موسوعة الفنانين المسلمين (المصورون المسلمون)، ط٢، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٩م.

- **محمود السيد:**

١٩٦- تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٨م.

- **محمود شاكر:**

١٩٧- التاريخ الإسلامي (العهد المملوكي)، ط٥، المكتب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٠م.

- **المشيقح، إبرهيم بن حمود:**

١٩٨- تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها، مطابع المنار، القصيم ١٩٨٧م.

- **المنصوري، عبدالله عثمان علي:**

١٩٩- علم القراءات في اليمن من صدر الإسلام إلى القرن الثامن الهجري، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء رقم (٩)، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **منير كيال:**

٢٠٠- محمل الحج الشامي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق ٢٠٠٦م.

- **مورتيل، ريتشارد:**

٢٠١- الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨٥م.

- **ميرنا إبراهيم وآخرون:**

٢٠٢- قصة وتاريخ الحضارات العربية، بيروت ١٩٩٩م.

- **النجيدي، حمود بن محمد:**

٢٠٣- التأثيرات الحضارية المتبادلة بين المسلمين والصينيين، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ٢٠٠٧م.

- **هبو، أحمد راحيم:**

٢٠٤- تاريخ الشرق القديم (مصر)، دار الحكمة اليمانية، صنعاء ١٩٩٥م.

- **الهمداني، حسين بن فيض الله وحسين سليمان الجهمي:**

٢٠٥- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (٢٢٨-٦٢٦هـ)، ط٣، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م.

- **الهواري، صلاح الدين:**

٢٠٦- مختارات من غزل العصر المملوكي، دار البحار، بيروت ٢٠٠٣م.

- **الواسعي، عبدالواسع بن يحيى:**

٢٠٧- فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ط٢، دار اليمن الكبرى، صنعاء ١٩٩٠م.

- **ولفرد جوزف دللي:**

٢٠٨- العمارة العربية بمصر، تر: محمود أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م.

ب- الرسائل العلمية:

- **خديجة عبدالله:**

٢٠٩- السلطة المحلية والقبيلة في اليمن، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، أم درمان ١٩٩٦م.

- **الشميري، فؤاد عبدالحميد:**

٢١٠- الحياة الاقتصادية في اليمن (التجارة والصناعة) في القرنين الأول والثاني الهجريين ٦٢٢-٨٢٢م، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، صنعاء ٢٠٠٦م.

- **العبادي، عبدالله قائد:**

٢١١- الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٨-١٤٥٤م)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة ١٩٩٥م.

- **علي عبدالكريم محمد:**

٢١٢- الكتابة التاريخية والمؤرخون في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م) الجندي والخزرجي أنموذجاً، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن ٢٠٠٦م.

- **علي بن علي حسين:**

٢١٣- الحياة العلمية في مدينة تعز وأعمالها في عصر بني رسول (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٨-١٤٥٤م)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة ١٩٩٤م.

- **المقرمي، سفيان عثمان:**

٢١٤- الحياة الفكرية في اليمن في ظل دولة بنــي رســول (٦٢٦-٨٥٨هـــ/١٢٢٨-١٤٥٤م)، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد، بغداد ١٩٩٩م.

٢١٥- عمارة اليمني ومنهجه في كتابة تاريخ اليمن، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغــداد، بغداد ١٩٩٦م.

- **هدى مفتاح عبدالحميد:**

٢١٦- العلاقات بين اليمن وبلاد الحجاز في عصر الدولــة الرســولية (٦٢٦-٨٥٨هـــ/١٢٢٩-١٤٥٤م)، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، القاهرة ١٩٩٦م.

- **هديل، طه حسين عوض:**

٢١٧- الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هــ/١٢٢٩-١٤٥٤م)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة صنعاء، صنعاء ٢٠٠٧م.

٢١٨- التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية وأثرها في الحياة العامــة فــي الــيمن (٦٢٦-٨٥٨هــ/١٢٢٩-١٤٥٤م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن ٢٠٠٤م.

ج- البحوث والمقالات:

- **الأغبري، بدر سعيد علي:**

٢١٩- عوامل ازدهار التعليم في عصر الدولة الرسولية، بحث منشور في كتاب ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠٣م.

- **إلهام أحمد:**

٢٢٠- الإهداءات المنقولة إلى الكعبة المشرفة منذ ما قبل الإسلام حتى العهد الســلجوقي، المجلــة العربية للعلوم الإنسانية، ع٨٩، مجلس النشر العلمي، الكويت ٢٠٠٥م.

- **الأكوع، إسماعيل بن علي:**

٢٢١- أضواء على مؤلفات علي بن الحسن الخزرجي المؤرخ اليماني، مجلة المــؤرخ العربــي، ع٤، بغداد ١٩٧٧م.

٢٢٢- دور المدارس اليمنية في نشر التعليم، بحث منشور في كتاب ندوة الحياة العلمية والفكريــة في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠٣م.

- **أيمن فؤاد سيد:**

٢٢٣- مدينة القاهرة في عصر المماليك، مجلة التسامح، ع٧، وزارة الأوقاف العمانية، مسقط ٢٠٠٤م.

- **بلعفير، محمد صالح:**

٢٢٤- المسكوكات الفاطمية المحفوظة في متحف الآثار بعدن، مجلة سبأ، ع١٢، قســم التــاريخ، جامعة عدن، عدن ٢٠٠٣م.

- **الحداد، عبدالله عبدالسلام:**

٢٢٥- المدرسة اليمنية نشأتها وظائفها عمارتها أنواعها، مجلة المنهل، مج٦١، ع٥٧١، فبراير ٢٠٠١م.

- **الحديثي، نزار عبداللطيف:**

٢٢٦- أهل العلم في عدن في القرون الخمسة الهجرية الأولى، مجلة اليمن، ع٢١، جامعة عـــدن، عدن ٢٠٠٥م.

- **الحسامي، عبدالملك عبدالوهاب:**

٢٢٧- التراث اللغوي في اليمن، مجلة بحوث جامعة تعز، ع٨، تعز ٢٠٠٦م.

- **حسين بافقيه:**

٢٢٨- النشاط الثقافي في الحج، مجلة الحج والعمرة، ع١٢، يناير - فبراير ٢٠٠٤م.

- **الحنكي، عبدالكريم:**

٢٢٩- عبدالله بن أسعد اليافعي شيخ الطريقين (مساره الحياتي وشيء من شعره)، مجلـــة الـــيمن، ع٢١، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن ٢٠٠٥م.

- **الخفاف، عبده علي وحياة ردمان:**

٢٣٠- الخصائص الجيوبولوتيكية لدولة الوحدة، بحث منشور في كتاب الندوة العلمية اليمن وحـــدة الأرض والإنسان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠١م.

- **ربيع حامد خليفة:**

٢٣١- توقيعات الصناع والفنانين على الآثار والفنون الإسلامية، مجلـــة الإكليـــل، ع٣، ٤، وزارة الثقافة والإعلام، صنعاء ١٩٨٨م.

- **الزركاني، خليل حسن:**

٢٣٢- المراسيم والتشريفات في التراث العربي، مجلة تراث، ع٧٦، نادي تراث الإمارات، أبو ظبي ٢٠٠٥م.

- **زكي الميلاد:**

٢٣٣- مركزية مكة المكرمة في الثقافة العربية الإسلامية، مجلة جـــذور، مـــج٩، ع٢٠، النـــادي الأدبي الثقافي، جدة ٢٠٠٥م.

- **الزيلعي، أحمد بن عمر:**

٢٣٤- المؤرخ المكي جمال الدين الشيبي وكتابه الشرف الأعلى، مجلة جذور، مج٩، ع٢٠، النادي الأدبي الثقافي، جدة ٢٠٠٥م.

- **السروري، محمد عبده:**

٢٣٥- عوامل ازدهار النشاط التجاري بين مدن بحر القُلْزُم في العصر الإسلامي مـــن ق٣ حتـــى ق٧هـ، مجلة الإكليل، ع٢٧، وزارة الثقافة، صنعاء ٢٠٠٢م.

- **سهام حسين القحطاني:**

٢٣٦- الحضارة تعرف أين تخبئ بذورها، مجلة جذور، مج٩، ع٢٠، النادي الأدبي الثقافي، جدة ٢٠٠٥م.

- **شايف عبده سعيد:**

٢٣٧- الصراع الاجتماعي في اليمن في عهد الأيوبيين والرسوليين، مجلة سبأ، ع٧، قسم التاريخ، جامعة عدن، عدن ١٩٩٨م.

٢٣٨- الحياة الاجتماعية في عهد الدولة الرسولية، بحث منشور في كتاب ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للنشر، عدن ٢٠٠٣م.

- **الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد:**

٢٣٩- ثغر عدن في قلادة النحر من نحو منتصف القرن العاشر الهجري/الخامس عشر- السادس عشر الميلادي، مجلة اليمن، ع٢٣، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن ٢٠٠٦م.

- **شهاب، حسن صالح:**

٢٤٠- ملامح من تاريخ اليمن في الملاحة في البحر الأحمر، مجلة الثقافة اليمنية، ع٦٧، وزارة الثقافة، صنعاء ٢٠٠٢م.

- **شيحة، مصطفى عبدالله:**

٢٤١- دراسة زخرفية لسيف الوزير ناصر بالسودان وأربعة سيوف يمانية معاصرة، مجلة الإكليل، ع١، وزارة الثقافة، صنعاء ١٩٨٥م.

- **عبدالكريم قاسم:**

٢٤٢- الفكر التنويري الحديث لليمن جذوره وتأثيراته عربياً وإسلامياً، بحث مقدم لندوة أيام الأيسسكو الثقافية في اليمن، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **عبدالملك سعيد عبده:**

٢٤٣- الأهمية التاريخية والاستراتيجية والاقتصادية والأمنية للبحر الأحمر، مجلة أبحاث سياسية، ع٧، وزارة الخارجية اليمنية، صنعاء ٢٠٠١م.

- **عبدالهادي التازي:**

٢٤٤- أدب الرحلات هل سيختفي من الساحة، بحث في كتاب ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٢٤هـ.

- **علي عقيل:**

٢٤٥- آل رسول والاضطراب في انتسابهم إلى غسان ومؤلفاتهم، مجلة التراث، ع٣، مج٣، المركز اليمني للأبحاث، عدن، نوفمبر ١٩٧٩م.

- **الفرفور، محمد عبداللطيف:**

٢٤٦- أدب الإجازات عند علماء المسلمين، مجلة الفيصل، ع٧٩، الرياض ١٤٠٤هـ.

- **فنيشيا بورتر:**

٢٤٧- الزجاج المزخرف المصنوع للعائلة الرسولية في اليمن، بحث ملحق بكتاب الدولة الرسولية في اليمن، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **قايد حميد عثمان:**

٢٤٨- الرسوليون موطنهم ونسبهم وبواكير دولتهم، بحث منشور في كتاب ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠٣م.

٢٤٩- تجارة الكارم ودور مدينة عدن في النشاط التجاري منذ عهد الزريعين حتى نهاية حكم بني رسول (٥٣٢-٨٥٨هـ/١١٣٧-١٤٥٤م)، مجلة اليمن، ع٢٣، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن ٢٠٠٦م.

- **قنديل، محمد المنسي:**

٢٥٠- مكة قلب العالم، مجلة العربي، ع٥٣٥، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت ٢٠٠٠م.

- **محاسن الوقاد:**

٢٥١- الحجابة زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، حولية التاريخ الوسيط، مج٣، جامعة عين شمس، القاهرة ٢٠٠٣م.

- **محمد سعيد شكري:**

٢٥٢- العلاقات الثقافية والفكرية بين مصر واليمن ١٧٩٨-١٩٤٨م، مجلة سبأ، ع٧، قسم التاريخ، جامعة عدن، عدن ١٩٩٨م.

٢٥٣- في التاريخ السياسي للدولة الرسولية، بحث منشور في كتاب ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للنشر، عدن ٢٠٠٣م.

- **محمد سيف النصر:**

٢٥٤- المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية، مجلة الإكليل، ع١، وزارة الثقافة والإعلام، صنعاء ١٩٨٦م.

- **محمد كريم:**

٢٥٥- من تاريخ العلاقات بين مدينة زبيد في اليمن وحاضرتي مكة والمدينة في العصور الإسلامية، مجلة حوليات الآداب، جامعة عدن، عدن ٢٠٠٣م.

٢٥٦- من مؤرخي الدولة الرسولية في اليمن بدرالدين الحسين بن عبدالرحمن بن محمد بن علي الأهدل (٧٧٩-٨٥٥هـ/١٣٧٧-١٤٥١م)، بحث منشور في كتاب ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠٣م.

- **المقالح، عبدالعزيز:**

٢٥٧- الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري، مجلة دراسات يمنية، ع٥٠، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء ١٩٩٣م.

- **نهى صادق:**

٢٥٨- المؤرخ الخزرجي وعمله في زخرفة العمائر، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء ٢٠٠٢م.

- **و.ف. مادلونج:**

٢٥٩- أصول الهجرة اليمنية، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء ٢٠٠٢م.

خامساً: المراجع الأجنبية:

- **Bosworth, C.E.:**
  260- ALKHAZR DJI, EI[2], Vol.4, Leiden 1990.
- **HOLT, Peter M.:**
  261- "The Cambridage History of Islam", ed.by Lambton, Katherine Swynford; Lewis Bernard, Cambridag University Press, 1980.
- **Labib, Subhi:**
  262- KARIM, in, Encyclopaedia of Islam, Vol.4.
- **Noha Sadek:**
  263- "Rasulid Women: Power and patronage", Seminar on Arabian Studies, Vol. 19, London 1989.

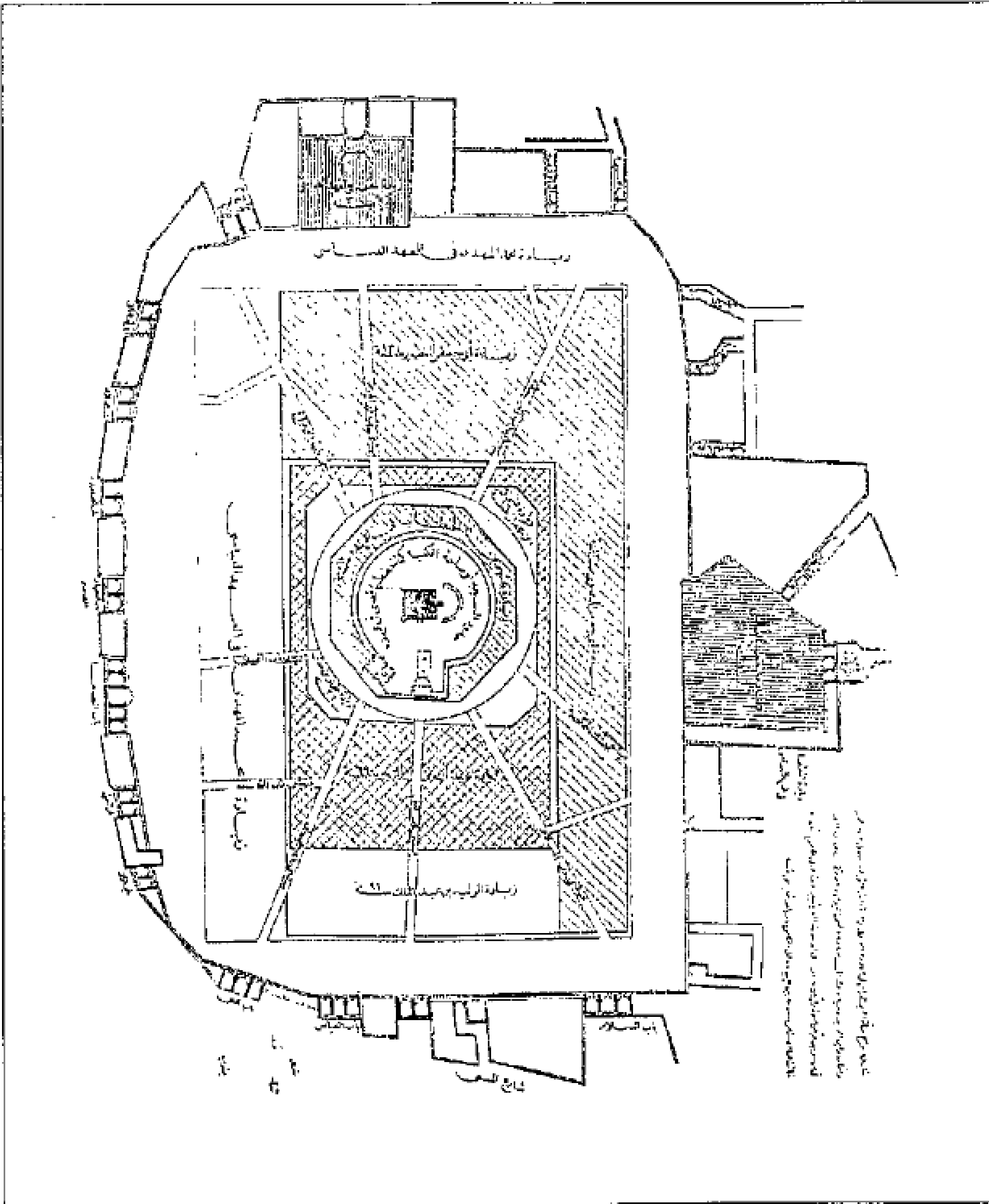
الملاحـــق

ملحق رقم (١)

طبقات الأشراف (الأولى، الثانية، الثالثة) ويبدو موضع قتادة (رقم ١٦) في أعلى وهو جد الطبقة الرابعة

ينظر: أحمد السباعي: تاريخ مكة ٢٢١/١

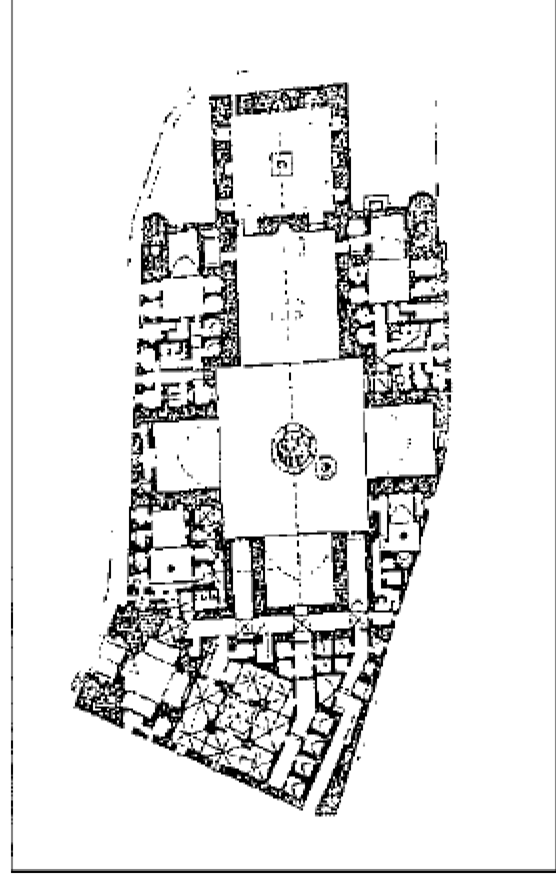
ملحق رقم (٢)



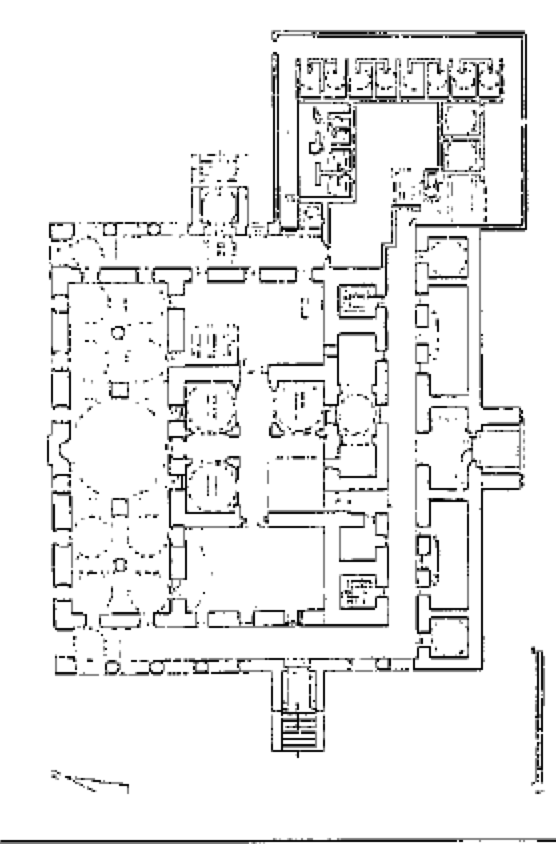
خارطة توضح نشأة المسجد الحرام في عهوده الأولى وتظهر في الصورة باب المجاهدية
كأحد أبواب الحرم نسبة لمدرسة السلطان المجاهد في مكة

ينظر: منير كيال: محمل الحج الشامي، ص١٨

ملحق رقم (٣)



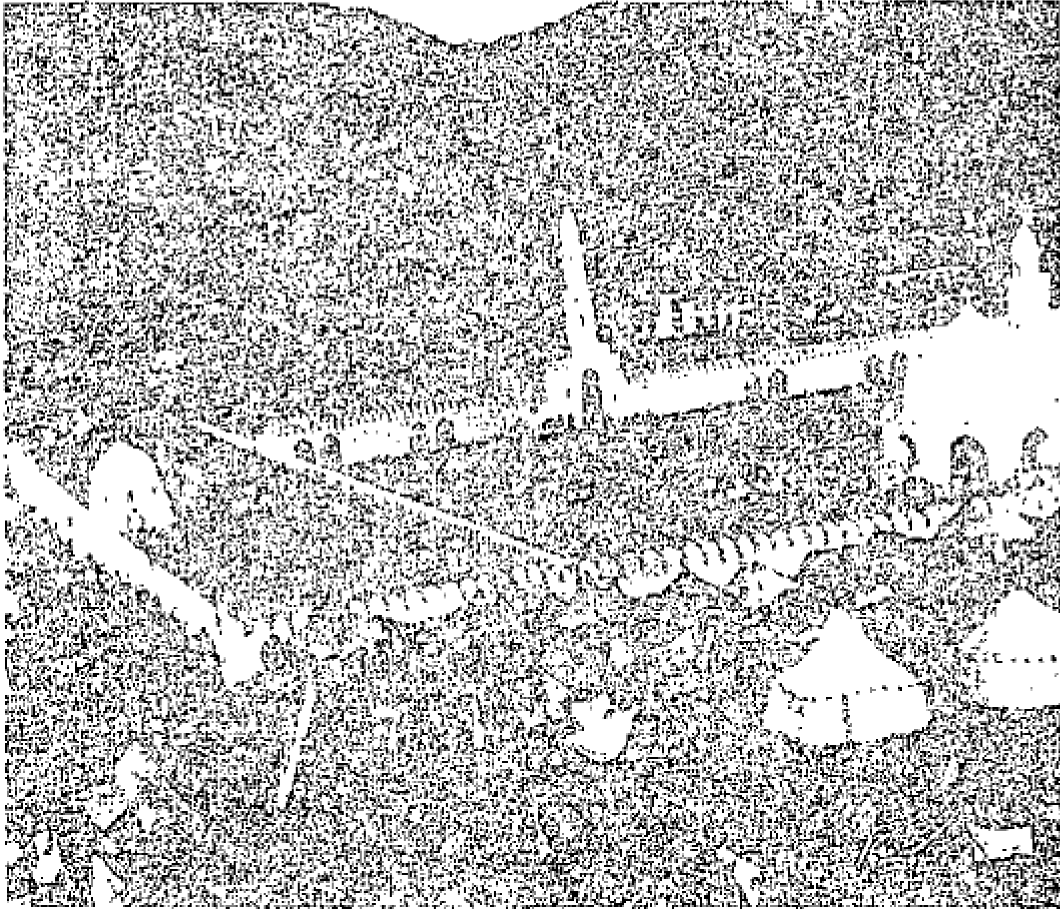
أ) مسقط أفقي لمدرسة السلطان حسن بالقاهرة



ب) مسقط أفقي للمدرسة الأشرفية بتعز

ينظر: محمد سيف النصر: المدارس اليمنية، ص١٢٢، ١٢٤.

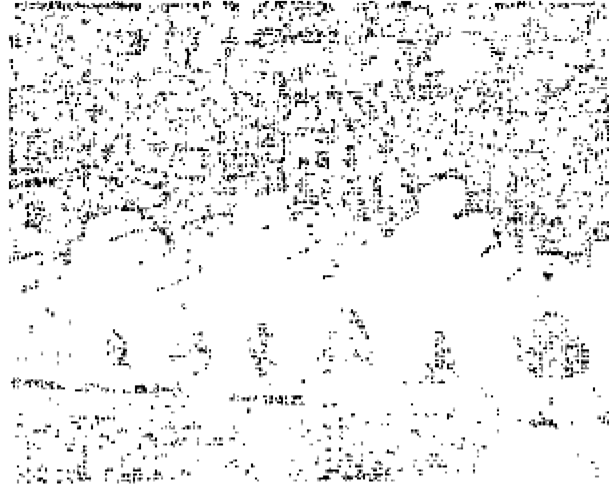
ملحق رقم (٤)

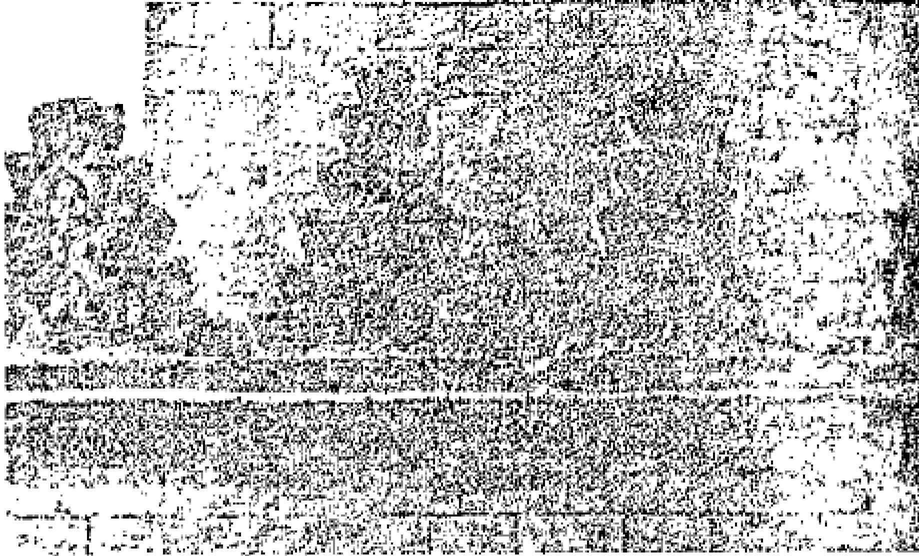


صورة لمسجد الخيف بالمشاعر المقدسة في الحجاز
وتظهر في الصور المنارة التي بناها السلطان المظفر (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م)

ينظر: عواطف محمد: الرحلات المغربية، ص٤٥٩.

ملحق رقم (٥)

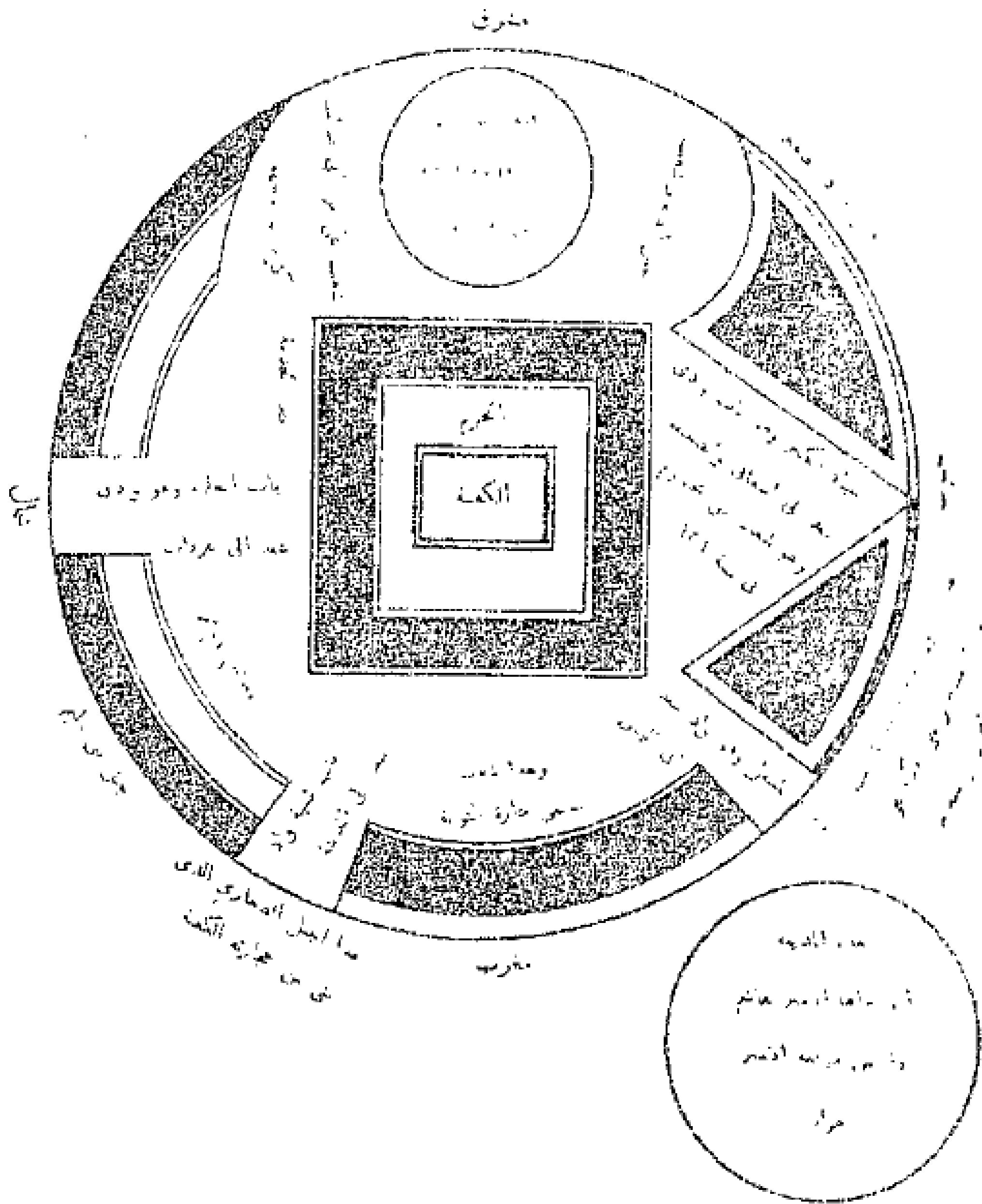




نموذجان للشرافات المسننة في مصر واليمن، الأول على واجهة المدرسة الأشرفية بتعز، والثاني على واجهة المدرسة المنصورية بالقاهرة

ينظر: محمد حمزة: السلطان قلاوون، ص٢٣٥، آلا الأصبحي: المدرسة الأشرفية، ص٢٩٥

ملحق رقم (٦)



الخريطة التي رسمها إبن المجاور لمكة والحرم الشريف

ينظر: ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص١١

ملحق رقم (٧)

نماذج من أساليب المكاتبات الموجهة من سلاطين المماليك إلى سلاطين اليمن وتظهر في بعضها الإشارة إلى نوع الورق

ينظر : القلقشندي : صبح الأعشى ٧/ ٣٤٤، ٣٥٢-٣٥٣، ٣٥٧

الضـــــرب الثـــانى

(من المكاتبات إلى صاحب اليمن ما الأمر عليه من ابتداء [illegible]

وهلم جرّا إلى زماننا . وهو على ثلاثة أساليب)

الأســـــلوب الأوّل

(أن تفتتح المكاتبةُ بلفظ «أدام الله تعالى نعمةَ [أيام] المقام العالى»)

وهذه نسخةُ كتاب كُتِب عن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، جوابَ كتابٍ ورد

[illegible] بدخول العسـاكر [illegible]

الأسلوب الثـانى

(وهو المـــذكور فى «التعريف»)

أن تفتتح المكاتبةُ بلفظ : «أعزّ الله تعالى جانبَ [illegible]

[illegible]

[illegible]

الأسلوب الثـالث

[illegible]

وهذه نسخة كتاب [illegible]

[illegible]

[illegible] صاحب اليمن من هذا الأسلوب [illegible]

[illegible] القاهر أيضاً عن الملك [illegible] جوابَ [illegible]

إليه [illegible] وكانت [illegible]

[illegible]

[illegible]

ملحق رقم (٨)

على نحو من هذه الطريقة

كُتب عن الإمام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان
الحاكم بأمر الله ثاني خلفاء بني العباس بالديار ا
إلى الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر يو
صاحب اليمن من ملوك بني رَسول في الدولة الناصرية
ابن قلاوون في سنة سبع وسبعمائة حين منع صاحب ا

... التي جرت العادة بحملها من ملوك اليمن إلى ملوك
... ار المصرية ، يهدده فيه ، ويطلبه بالقيام معه في المساعدة له
... التتار عال يبعث به إليه

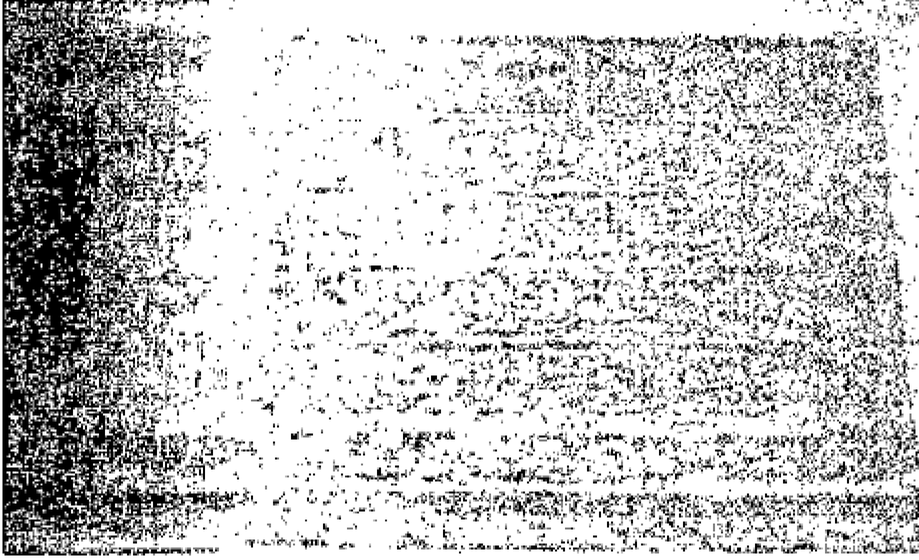
واتصل بمواقفنا الشريفة أمور صدرت منك .

منها ... وهي العظمى التي ترتب عليها ما ترتب قطع الميرة
عن البيت الحرام . وقد علمت أنه واد غير ذي زرع .
لا يحل لأحد أن يتطرق إليه بمنع .

نموذج لفقرتين من خطاب موجه من الخليفة العباسي في مصر إلى السلطان المؤيد
ويلاحظ في الفقرة الثانية الإشارة إلى شؤون الحجاز.
ينظر: القلقشندي: مآثر الإنافة ٢٥٦/٣-٢٥٧، ٢٦١

ملحق رقم (٩)

(أ)



(ب)



(ج)



نماذج لنصوص تأسيسية في مصر واليمن، الصورة (أ) نص تأسيسي وضع على مداخل القبة المنصورية بالقاهرة، والصورة (ب، ج) نصوص تأسيسية وضعت على مداخل المدرسة الأشرفية بتعز

ينظر: محمد حمزة: السلطان قلاوون، ص٢٢٠، آلاء الأصبحي: المدرسة الأشرفية، ص٢٦١

ملحق رقم (١٠)

الآحاد			الأعشار			المئات			الألوف		
قبطي	عربي	عربي غباري	قبطي	عربي	عربي غباري	قبطي	عربي	عربي غباري	قبطي	عربي	عربي غباري
[illegible]	[illegible]	1	[illegible]	[illegible]	10	[illegible]	[illegible]	100	[illegible]	الف	1000
[illegible]	[illegible]	2	[illegible]	[illegible]	20	[illegible]	[illegible]	200	[illegible]	[illegible]	2000
[illegible]	[illegible]	3	[illegible]	[illegible]	30	[illegible]	[illegible]	300	[illegible]	[illegible]	3000
[illegible]	[illegible]	4	[illegible]	[illegible]	40	[illegible]	[illegible]	400			
[illegible]	[illegible]	5	[illegible]	[illegible]	50	[illegible]	[illegible]	500			
[illegible]	[illegible]	6	[illegible]	[illegible]	60	[illegible]	[illegible]	600			
[illegible]	[illegible]	7	[illegible]	[illegible]	70	[illegible]	[illegible]	700			
[illegible]	[illegible]	8	[illegible]	[illegible]	80	[illegible]	[illegible]	800			
[illegible]	[illegible]	9	[illegible]	[illegible]	90	[illegible]	[illegible]	900			

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 20 30 40 50 60 70 80

90 100 200 300 400 500 600 700 800 900 1000 2000

صورة الأرقام القبطية الواردة في الكتاب مقابلة على الأرقام العربية الرسولية والأرقام الغبارية

ينظر: جازم: نور المعارف ٢/٢٢٥

ملحق رقم (١١)

سعر مائة رطل ليتي من أصناف بضائعية مختلفة ربما كانت معلومة في تلك العصور	سعر عشرة أرطال ليتي من نسبة سعر المائة المذكور آنفاً، ولنفس البضاعة	سعر رطل واحد ليتي من نسبة سعر العشرة أرطال لنفس الصنف	إيضاح السعر كتابة بحساب كسور العملة وهي: الدينار
ستة وربع	نصف وثمن	نصف سدس وثلث ثمن	ثلث ثمن ونصف قيراط
أربعة وسدس	ربع وسدس	ثلث	نصف ثمن وهو ثلث ثمن
ديناران ونصف ربع	ربع وثمن	سدس ثمن وربع الثمن ونصف سدس	ثلاثة فلوس/ نصف قيراط وفلس
ديناران ونصف	ربع	سدس ثمن	فلسين / نصف قيراط
ديناران	ثمن ونصف سدس	سدس ثمن	فلسين / نصف قيراط
أربعة	ثلث ونصف ثمن	ثلث ثمن	قيراط / ثلث ثمن
ثلاثة	ربع ونصف سدس	سدس ثمن دينار	ثلاث فلوس/ نصف قيراط وفلسين
ثلاثة	ثلث	سدس ثمن دينار	ثلاث فلوس/ نصف قيراط وفلس
دينار وربع وثمن	ثمن وربع ونصف سدس	ربع الثمن ونصف سدس	فلس واحد/ ربع قيراط
ثمانية وعشرون	دينار ونصف وربع وسدس وثمن	سدس ونصف قيراط	جايزين وفلسين/ نصف سدس ونصف قيراط
تسعة	نصف وثلث ونصف ثمن وربع ثمن ونصف سدس	قيراطان وربع ثمن ونصف سدس	جايزين وفلسين ونصف سدس وفلس
خمسة	نصف	نصف ونصف قيراط وربع الثمن ونصف سدس	خمس فلوس/ ثلث ثمن وفلس
ثلاثة	ربع ونصف ثمن	نصف ثمن	ست فلوس/ نصف الثمن

تفسير التسعير الوارد في الكتاب تحت عنوان (تسعير ليتي مصري)

ينظر: جازم: نور المعارف ٢/٢٢٧

Ph. D. Islamic History Programme
Department of History
Faculty of Arts
Graduate Studies & Scientific Research
Sana'a University



The Cultural and Intellectual Relations Between Yemen and The Islamic Countries (626-858 A.H. / 1229-1454 A.D) Egypt and Hijaz as a Model

Thesis
Submitted for the Award of the Degree of
Doctor of Philosophy
In
Islamic History

By
Ali Abdulkareem Mohammed Barakat

Under the supervision of

Prof. Dr. Mohamed Abdu Al-Saroori

(Professor of Islamic History and Its Civilization – University of Sana'a)

1429 A.H. / 2009 A.D.

Abstract

Cultural ties are the best forms of relations among nations and countries, in particular those cultural relations established between the Rasouli Dynasty in Yemen and the Mamaleek in Egypt and the Ashraf in Hijaz in a time, that coincided with the fall of Baghdad, the center of Islamic civilization and enlightenment, and the capital of the Islamic Reign, at the hands of the Maghul invaders. Selecting that time period, the author started featuring his study under the title: (The Cultural Ties Between Yemen and the Islamic Countries 626-858 A.H. / 1229-1454 A.D, Egypt and Hijaz as a Model).

The thesis consists of an introduction and three chapters dealing with factors, internal and external ones, constituting those relations, the cultural ties with Egypt including political, administrative, economic, urban, social and intellectual ties. Likewise, in chapter three, the cultural relations in their different aspects established between Yemen and Hijaz are dealt with and discussed.

The author of the study aims at enriching the historical library with a comprehensive study dealing with issues of how the cultural ties that linked Yemen with Egypt and Hijaz influenced and were influenced by one another and identifying their aspects as well as the extent of similarity in the cultural features among the three countries.

An analytical, descriptive, historical method is applied by the author to suit the nature of the study and its objectives.

The study time limitation covers the period from (626 to 858 A.H. / 1229-1454 A.D), As for the study space limitation, the three nations namely Yemen, Hijaz and Egypt are included.

The Study Findings:

- The internal factors that helped establishing Yemen's cultural ties with Egypt and Hijaz are the economic recovery and administrative flourishment, writing movement development, the spread of schools and educational institutions in Yemen, the mentality of the Rasouli Ruler encouraging openness, and the political and social stability.

- The external factors for establishing those relations among the three nations include the geographic, political, military, economic, religious, social, cultural and administrative factors, and finally the fall of

Baghdad at the hands of Magoul invaders and the revival of the Abbassid Rule in Egypt.

- The Rasouli Dynasty established administrative ties with Egypt and was influenced by the administrative system of Mamaleek. It also established economic, social and urban ties with Egypt.

- The Rasouli Dynasty established intellectual relations with Egypt as a result of which Egyptian scholars came to Yemen, Yemeni scholars visited Egypt; scholars from both countries exchanged books, meetings and scientific visits. The sectarian influences were felt in both the two countries.

- The Rasouli Dynasty established administrative ties with the Ashraf of Hijaz, especially under the Rasouli direct rule over Hijaz. In addition, economic, social and urban relations were established with Hijaz. Moreover, the Rasouli sultans provided k'abaa with clothing dress and grants as well.

- During the Rasouli Dynasty era, Yemen established intellectual relations with Hijaz through which MEKKA and Medina by virtue of their religious and intellectual importance influenced Yemen.

Besides, there was an exchange of scholars, visits, meetings between Yemen and Hijaz, scholars' pilgrimage, living as neighbors with Yemeni scholars in MEKKA and Medinah and the exchange of sources and books.

The study most important suggestions and Recommendations:

The study concludes with the following suggestion:

- Directing researchers towards re-reading texts and scientific visits reserved in references in books and manuscripts houses according to deeper more analytical visions to unfold more forms of relations between Yemen and both Egypt and Hijaz. The study recommendations.

- It is recommended to hold a joint symposium on "cultural ties between Yemen and those countries", sponsored by academic and research institutions and to enrich it with serious and refereed research papers.

- It is recommended that Departments of History in Yemeni Universities guide researchers into such a type of studies with an analytical nature.